كلمة وكليمة

عمر بن محمود أبو عمر



الجزء الأول

كلمة وكليمة

- الجزء الأول -

تأليف فضيلة الشيخ:

أبي قتادة عمر بن محمود أبو عمر

- حفظه الله تعالى -

الطبعة الأولى

صفر ١٤٤٣ هـ - سبتمبر ٢٠٢١م

فهرست المحتويات

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمتابعةً لمسيرة إصدار كتبِ فضيلة شيخنا "أبي قتادة الفلسطيني عمر بن محمود" رعاه الله؛ يأتي هذا الكتابُ الذي يجمعُ بين ثناياه: ثلاثَ سلاسل نافعةٍ عظيمةِ الأثر والمضمون، نشرها الشيخ في صفحاته على وسائل التواصل، وهي:

١. **كليمة في كتاب**: وقد تضمنت (٨٧) مقالة مختصرة، يعلق الشيخ فيها على كتاب لأحد العلماء أو المفكرين أو الكتاب، يُطل عليه سريعًا مُبرزًا أهم مضامينه، أو ذاكرًا أهم فكرةٍ فيه؛ ناقدًا أو موجهًا أو مؤيدًا؛ فكأنه يعطيك زبدته بأسطر محدودة، بسلاسة ويسر.

٢. **كلمة في حق كلمة**: وهي سلسلةٌ من (٤٠) مقالةٍ؛ كان الشيخ – سلمه الله – يعمدُ فيها إلى كلمةٍ رأى فيها معانٍ عظيمة؛ لأحد العلماء أو المفكرين أو الكتاب، ولا يخلو الأمر من أن تكون هذه الكلمة حديثًا نبويا عظيمًا كما وقع في أحد المواضع؛ فإن الكلمة كام ذكر ابن مالك في مقدمة ألفيته: "وكِلمة بها كلام قد يُعم"؛ فزاد الشيخ في نفع هذه الكلمات العظيمة، لما سبر أغوارها، وغاص في معانيها، وثوَّر أفكارها ومقاصدها.

٣. **المقدمات للكتب والمقالات**: فالشيخ كريمٌ بقلمه في مواطن الخير، وكانت تأتيه الكتب والرسائلُ البحثيةُ من ثغورٍ شتى وفي مواضيع شتى؛ فيقدم الشيخ لهذه الكتب بما يزيدها جمالًا، وبعضها كتبٌ لشهداء، وأخرى لأحياء في ثغور الإسلام، وللشيخ كلمته التي يقولها في مثل هذه المواضع؛ فجاءت (١٩) مقدمة في هذا المعنى، حملت فوائدَ نفيسة، ومعانٍ جليلة؛ هذا ولم نذكر هنا الكتب التي علق عليها الشيخ تعليقاتٍ كاملة تحقيقًا أو تعليقًا وتخريجًا لأحاديثها؛ فلهذه مجلد آخر يأتي تبعًا لهذا الكتاب إن شاء الله تعالى؛ فإن مضمونها مختلف.

هذا، وقد بذلنا الوسع في إخراج هذه السلسلة على وجهها، سائلين الله عز وجل أن يحفظ الشيخ، وأن يتقبل من قام على هذا الكتاب حتى خرج بهذه الصورة البهية، والله ولي التوفيق.

الناشر

أولا: سلسلة مقالات:

كليمة في كتاب

(٨٧ مقالة)

أبو قتادة الفلسطيني

(عمر بن محمود أبو عمر)

–حفظه الله ورعاه–

كليمة في كتاب (١):

استعادة النص الأصلي للإنجيل

لسامي عامري

[١٤ تشرين الثاني ٢٠١٧ – ٢٥ صفر ١٤٣٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

حرضني صاحب إلقاء خفي، مسدد للخير دوماً أن أطلع على كتب جديدة، تاركها الراقم لأسباب مكتومة في النفس، وهذا المسدد بالخير –بإذن الله– لا يكتفي بالتحريض، بل يتكلف ما يكلف به من حب تحصيل هذه الكتب لهذا الراقم، فتصله هدايا هي العسل المصفى، فجزاه الله خير الجزاء، ورفع درجته في الصالحين.

كان مما جاء واستقر به النوى والتطواف كتاب الدكتور سامي عامري، الذي تكلم عنه الناس شغفاً بعنوانه المثير! "استعادة النص الأصلي للإنجيل". وعلى الرغم من تنبيه من قرأه وتحدث عنه أنه أراد به بيان استحالة هذه الاستعادة، إلا أن شوق البعض لحسم هذا المعنى بنفسه يدفعه لاكتشاف هذا بنفسه.

هذا الكتاب فيه فضيلة إخراج الباحث العربي من قضية هي من أركان مناظراته، وهي: هل الإنجيل محرف؟!

الدكتور يكشف لهذا العربي المشغول بهذا السؤال أنه مشغول بإقناع متعصبين ملفقين من نصارى العرب، ذلك بأن إجماع النصارى الغربيين يكاد يتطابق على إقرار هذه الدعوى، وما يفعله نصارى العرب إنما هو تهويش ودس للرؤوس في غياهب التجهيل؛ فالذين يتحدثون عن نصوصه من مصادرها الأصلية اليونانية هم متفقون على أن هذا الإنجيل محرف، فلمَ إضاعة الوقت في خلاف مزعوم؟.

نصارى العرب هم خارج البحث، لأنهم يتعصبون وفقط، بلا وعي لحقيقة ما يقولونه. أما المسلم؛ فهو من

كلف نفسه إثبات هذه الدعوى من مصادرها، عن طريق العرض بين هذه الأناجيل المتعددة.

الدكتور سامي عامري بسبب مكان وجوده، وحواره مع نوع آخر من النصارى= تجاوز هذا الخبط، بل زعم أنه بحث غير مجدٍ، وهذا حكم له ولبيئته، ولو كان هنا لعلم أن هذا من القضايا المهمة في الحوار بين المسلمين والنصارى.

إذاً الكتاب هو محاولة إثبات استحالة استعادة النص للإنجيل، راداً فيه على أغاليط الباحثين النصارى، والذين سماهم بالدفاعيين (والكلمة في أصلها تعني الاعتذاريين، وهو الأليق بها) الذين جعلوا همهم تزوير عقل القارئ بكثرة النصوص والأوراق التي وصلتهم حاملة لنص الإنجيل.

هذا باب جديد على العقل العربي المسلم، وقد يعرفه نصارى العرب ولكنهم جزماً يكتمونه.

لكن ما أثاره طريقة النصارى في تكثير الورق والمراجع لإثبات الحقيقة الموهومة عندي هو مشابهة ما يفعلونه بما يفعله الشيعة الروافض عندنا، فلا يهمهم حين يثبتون نصاً سنياً يدورون حوله مخاتلة بالباطل إلا بأن يكثروا تسمية الكتب التي تذكره، موهمين القارئ أن هذه الكثرة من الكتب تعني صواب نسبته لأهل السنة، حتى لو كانت الكتب الذاكرة له كتب الموضوعات والواهيات.

هذا عين ما مارسه الدارسون النصارى لمخطوطات الإنجيل لإثبات إمكانية استعادة النص الأصلي للإنجيل، وقد بذل الدكتور سامي جهداً موفقاً في كشف هذا التزوير المتعمد من هؤلاء الدفاعيين (الاعتذاريين)

ما ألقاه هذا الكتاب على ذهني غير ما تقدم هو ذكر رحمة الله على هذه الأمة بعلم هو من خصائصها وهو علم الحديث، وهو علم يقوم على إثبات صحة النص، فغياب هذا العلم عن الأمم السابقة هو ما يجعل لكل صاحب دعوى المرور من ثنايا الخلط لإثبات دعواه، وحين يأتي الرد فإن من ردّ يضطر إلى كبير رحلة ليقيم قواعد الرد ليصل بعد ذلك إلى التنزيل والإثبات.

مقدمة الأستاذ فيصل عازر رحلة عظيمة -تمتعك مع صغرها- في دهاليز الحياة والبحث عن الحقيقة، فلقد كان ذكرها -أي المقدمة- موفقاً لأنها تبعث فيك إرادة الرحلة والتشوف لها بقوة وشغف، فجزاه الله خيراً.

كم أتمنى أن يهدى هذا الكتاب لكل باحث نصراني مهتم بهذه القضية، فإني على ثقة بأن الكثيرين منهم ستصدمهم معالمه، مع يقيني بوجود آخرين أغلقت عقولهم وانتهى بهم الأمر إلى مقالة صارت هي الغالبة على ألسنتهم بعد رحلة مناقشة بينك وبينهم: ما يهمنا كليات ما يقوله الكتاب، وليس ألفاظه وما اختلفت فيه نسخه ورواياته!!

هذه الكلمة قالها لي قس غاضباً من أن الحوار أتعبه وقسم ظهره، فقلت له: إن كنت مرتاحاً بهذا القول، فإني على ثقة أنك تشعر بتعبي أن علمني القرآن أن مجرد خطأ فيه يفقده قدسيته التي هي أساس الثقة في أنه كلمة الله.

جزى الله الدكتور سامي عامري خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٢):

البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة

لخالد بن عبد المحسن التويجري

[١٨ تشرين الثاني ٢٠١٧ – ٢٩ صفر ١٤٣٩]

في رسالة لنيل درجة الدكتوراه قدم خالد بن عبد المحسن التويجري كتابه: البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة، معرفاً بجهود هذا الرجل العجيب، كما يراه الدكتور عبد الرحيم ملا زاده البلوشي من موقع علاقته وقربه به وصلته الشخصية الطويلة معه.

هذا الكتاب لا يحتاج لتقديم أكثر مما هو عليه عنوانه، فشكر الله للباحث صنيعه فيه.

لكن...

ألم يكن للدكتور عبد الرحيم (أبي المنتصر) حفظه الله حق من هذا الباحث أن يشير إليه ولو بكلمة تنويه، وأنه الرجل الأول في تعريف أهل السنة بهذا الرجل العجيب؟!

لقد كانت يد الدكتور أبي المنتصر وجهوده هي البداية لفتح عيون أهل السنة لمعرفة هذا الركن في هدم التشيع الرافضي من قبل مرجع كبير من مراجعهم، ولولا ما قام به الدكتور من عمل دؤوب لترجمة كتابه "كسر الصنم"، ثم سعيه الشديد لنشره وطباعته على حسابه من هنا وهناك مع ضيق ذات اليد يومها= لما عرف الناس هذا الكتاب العظيم.

لقد كان الشيخ الدكتور أبو المنتصر يقوم بشيء من الحنان والحب برعاية هذا الرجل في كبره، ويصله بما يقدر؛ ذلك لأن البرقعي كان يعيش في آخر أيامه ألماً لا يعلمه إلا الله، لكن هذا هو شأن العلماء، يعيش الناس على علومهم وهم يتضورون جوعاً وألماً وفاقة، وهكذا قيل في أسياد أهل العلم كالخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله وأجزل مثوبته.

الدكتور أبو المنتصر يستحق أن يشاد به، وأن يعرف له فضله في كشف وتعريف الناس -وخاصة أهل السنة- بهذا الرجل الذي ضرب عليه ستار الإقصاء والتجهيل، بل ومحاولة القتل مع السجن.

هل كتب على أهل السنة المعاصرين هذا الفصل الغريب من قتل الحقوق وطمس الجهود والعماء عن الفضائل؟!.

أنا أفهم أن تقوم بعض دور النشر بنشر كتاب "كسر الصنم" بعد إزالة مقدمتي منه**!!** بل وسرقته، مع أن طباعته تكلفها كلها الدكتور من هنا وهناك، لكن ليس من حق أحد أن يطمس جهود الدكتور البلوشي في هذا الباب، ولا هو من الدين ولا أمانة العلم.

مبارك عليك الدكتوراه على حساب البرقعي الذي عاش فقيرا لا يجد ما يسد به رمقه، لكن ليس من أمانة العلم ألا تذكر للناس وسيط العلم بينك وبين البرقعي، أقصد الدكتور أبا المنتصر البلوشي.

هل الكتب حالها كحال الثورات: يقوم بها المتحمسون، ويموت فيها الشجعان، ويأكل ثمراتها الوصوليون؟**!**

جزى الله الدكتور أبا المنتصر خير الجزاء، ولولا الآخرة لفلقت قلوب من كثرة الإنكار والتجاهل.

كليمة في كتاب (٣):

مذكرات قارئ

لمحمد حامد الأحمري

[٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٧ – ٨ ربيع الأول ١٤٣٩]

الكلام في الكلام شاقّ، لأنه حفر في أعماق النفس الكاتبة.

والقراءة عن القراءة كشف لسرّ الخفاء الذي يستبطنه الخليل لخليله.

كتاب الدكتور الأحمري: مذكرات قارئ، قراءتي فيه متهمة، فأنا قارئ، يكتب عن قارئ، وهو كاتب عن القراءة، وقد خضت هذه الغمار؛ فشبهة التنافس حاضرة. ولولا متابعتي لقولهم: ترك العمل مخافة الرياء هو الرياء، لما كتبت عنه، ولتركت الناس يكتبون وينقدون، فيقطعون ويصلون، ولكن ماذا أصنع ولي صديق يؤز لما يهلكني من الكتابة، فهو بمكره أرسل لي كتاب الدكتور ووقف يبتسم ليرى ماذا أفعل، وأنا صاحب حماس في هذا الباب، ينتظر فقط سحجة كف واحدة لينطلق!

مذكرات قارئ: هذا كتاب كشف لي عن قارئٍ نَهِم، طوّاف يلتقط عصارات النفوس أكثر من عقولها، ويحكم على الأساليب في كتابه أكثر من موضوعاتها، وهذا شيء أحبه، وأبتهج به ويطربني، فأنا لست معنيّاً في الفكر أكثر من عنايتي بذات النفوس المفكرة كيف هي، وخاصة في باب عظيم هو باب الرّقي في مجال عبوديتها لربّ العالمين.

هذا الكتاب كشف لي أن الدكتور الأحمري يقرأ كثيراً، وهو صاحب حب وشغف لذات القراءة أكثر من المقروء؛ فهو ليس صاحب علم خاص يعنيه ويشغله ويسهره، بل هو صاحب طلعة للكلمة حيث كانت وفيما كانت، وهذا شيء أعدّه من نواقص الشخص وضعفه، والناس في ما يعشقون مذاهب.

لا أحد يرضى غمط صاحب الكتاب أنه كشف عن نفسه أكثر مما كشف عن سر القراءة، فهي مذكرات له، لا لفن القراءة، ولا لعلم القراءة، ولا لمَلَكة القراءة، هذا حين يتم الترجيح، وإن كان من الإنصاف أن هذا المقصد استبطن شيئاً آخر هو علم القراءة وفنونها.

من حق القارئ عليّ أن يعلم أن ما سأقوله هنا الآن ربما أرجع عنه غداً، وإنما أتكلم عن نفسي بعد القراءة الأولى المستكشفة للكتاب، ومن عانى هذا الفعل علم أن هذا ليس بمستقر أبداً، بل هو عرضة للتغيير.

هل وجد هذا المستعجل القارئ لكتاب الأحمري كلمة واحدة لصاحبه تستحق أن تفرد كحكمة في علم القراءة وفنونها وأفنانها؟!

أحتاجُ لشجاعة كبيرة لأقول ما في نفسي لأني متّهم، ولكن ليس الدكتور الأحمري بضابط أمن يترصدني ليؤذيني.

الجواب حقاً ليس مما يحبه الدكتور الأحمري، فبعد قراءة أكثر من نصف الكتاب، وبعد أن توجهت للدكتور الأحمري وأقواله، أكثر مما ينقله، وجدت أني خالي الوفاض من حكمة الكاتب المؤلف.

هناك أخبار له ليست من المفاريد التي تحمل على جهة الغنيمة والفرح، بل هي عادية مطروحة في زقاق الحياة العادية التي لا تستحق الجهد لالتقاطها.

كل الذي تقدّم صراع على حافة أصل القضايا في موضوع يكتبه مسلم عن هذا الأمر الخطير، موضوع القراءة، وهو صناعة القراءة التي تحقق التعبد، وتحقق القرب من الله.

المسلم اليوم يعيش امتحانات عدة، من أهمها وأعظمها صناعة الفكر المخبت العابد، والذي يستطيع من خلال تجواله المتسع -كاتساع قراءة الدكتور الأحمري بفرادتها- أن يقيم لي قاعدة أرتكز عليها، ويرتكز عليها كل قارئ مسلم ليحقق من كل حرف يقرأه قُرباً من الله تعالى، ويقوم بهذه القراءة عبادة نسكية تحقق له مزيد الصلة بربه وبكتابه وبكلماته الحسنى.

كتاب الدكتور يحصل لي نتيجة مروعة، وهو رحلة رجل يقرأ ويتمتع، ويمرض، ويضيع وقته، ويتريض، ويعاشر الموتى، ويفضح الكتاب والقارئين، ووو.. ثم فقط.

لقد حاول الدكتور أن يخرج من عباءة المتعبد بقراءته، وأخاف أن أظلمه فأقول: لقد حاول هذا ونجح، ولو أردت مداراته لقلت: نسي.

أنا لا أطلب منه أن يكذبني، فيقول: ذهبت للقراءة عابداً متنسكاً، فهذه لم يقلْها الإمام أحمد، ولكنه قطعاً انتهى إليها، وذلك حين قيل له: هل طلبت الحديث لله؟ فقال: هذا عزيز.

كان باستطاعة الدكتور أن يقيم لنا نسكاً عظيماً غاب عن الكثيرين، وهو نسك القراءة، وهي من أعظم النسك، لأنها هي التفكر في نهاية النفق، كما قالت أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما: «**لقد كانت أعظم عباداته التفكر**».

لقد كانت رحلة جميلة مع ذكريات قارئ نَهِم طلعة، كما قال عن نفسه، وقد صدق، لكنها نهاية لو قيل عنها بلا غنيمة في بنك الحياة مع الله لما أبعد.

لست واعظاً للدكتور، ولست متعالياً عليه، لكن من حق أخوة الإسلام وصدق الحب الواحد المتحد مع القراءة أن أقول له هذه الكلمات، وعسى أن تقع موقع المحب الصادق الناصح.

شكراً دكتور الأحمري.

كليمة في كتاب (٤):

الانتصار للتدمرية

لماهر أمير عبد الكريم

[١٣ كانون الأول ٢٠١٧ – ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٩]

ليس حسناً أن يستطيل الحضور على الغائبين، عملا بقاعدة البعض: خلا لك الجو فبيضي واصفري؛ ذلك لأنها سمة من لم يخبر العلم، فهذه وإن صحت في منازعات المال وشؤون الدنيا فإنها في العلم لا تكون أبداً؛ لأن العلم وراثة أهله، يحمونه حماية الحب والرعاية، وهذا بعد طلبه والسهر عليه، فمن خانه أو غلط فيه أقام الله له من يقومه وينبهه ويهديه، فلا يستقر باطل في الأرض بلا منازعة حق له، ولا يكون الجهل بلا علم يكشفه، وحين يخلو الباطل واحداً بلا منازع من الحق تؤذن الحياة بانصرام.

الشيخ الإمام ابن تيمية ليس في تاريخ العلم بحدث عادي، بل هو قنطرة كبيرة ضخمة، استطاع بعقل مهدي أن يثير الحق من خلال أدوات البشر التي يصطلحون عليها، فالثنائية في قضايا العلم وبنائه تحتاج دوماً إلى من يمزج بينهما بعقل خاص يملكه، كما فعل ناصر السنة الإمام الشافعي رحمه الله حين نازل بالنص –بلغة أهل الرأي– أهل الرأي، ذاباً عن النص دعوى عدم مناسبته للقياس كما يقول البعض، وبهذا حصل له الظهور والقبول، وكان على هذا المعنى من أقوى أهل الجدل الفقهي في تاريخ أمتنا.

هكذا هي الحياة تمضي في دروب متوازية، وهما في الخلق شيء واحد، كثنائية العقل والنقل، هذا يرمي خصمه بالجمود والتحجر والبلادة، وخصمه يرميه بالتحلل واتباع الهوى، وكل له لغته، حتى يأتيهم صارخ خريت بأن السبيل واحدة، ولكن بعزل الزوائد الضارة عن كل سبيل، فالنقل فيه زوائد النكارة والغلط، والرأي فيه مقررات الغلط والباطل، فحين تصفو صراحة العقل الفطري مع صحة النص المهدي تكون الشرعة واحدة.

هذا ما قام به شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو جامع للفروع والنصوص، ثم يذهب بها إلى حوار العقل ليصنع منها بلغة الزاعم للعقل والذكاء سلاحاً يهدم به أبنية الغلط عندهم.

هذه قنطرة لا يمكن تجاوزها بحجة أنه مسبوق بهذه الكلمة أو تلك، دفعاً لتهمة البدعة عنه، وذلك كما يقول البعض، فالشيخ وإن كانت كل كلماته الأصيلة قد قالها سلف له، وهذه منقبة لا تهمة؛ إلا أن صياغة الحق بلغة الخطاب، وهضم الحق ليخرج خلقاً جديداً في ساحة صوّحت من لغة الأثر، زعماً أنهم أهل العقل والنظر= تلك والله مهمة العظماء، وكان الشيخ رجلها المؤخر لها فضلاً وكرامة، وكم ترك الأول للآخر!.

مضت معارك الشيخ في زمانه مع أساطين الصنعة الكلامية، فظهر عليهم وبرز، فطاحت أمامه رؤوس، وخضعت لمعرفته الأكابر، وشهد له الجميع أنه فارس لا يسبق، وعلم يبز كل علم.

بعض محبيه تمنى أن الشيخ بقي على طريقة السالفين في الخطاب، ولا ندري ما السبب في هذا، لكن الذي أعلمه أن البعض يحب الصفاء لنفسه، ويشعر بكدرة القلب التي أصابت الشيخ الإمام النووي وهو يطالع كتاب "القانون" الطبي، ومثل هؤلاء العظماء يعيشون في كنف العزلة في هذا الباب، والشيخ ابن تيمية لم يرد هذا الطريق؛ فقد أحب أن يعيش ذوق الإيمان من خلال الخلطة والصراع، اطمئناناً بما معه من أسلحة كافية في العلم أن يخرج منتصراً، فليس هو نصف طبيب ولا نصف متكلم ولا نصف فيلسوف حتى يدخل في أجواف هؤلاء فيهضمونه في داخلهم.

كل هذا أقوله شفقة على من يريد إسقاط الشيخ في زمن متأخر عنه، ولو قابله لكان من عداد الصرعى، مع أنهم كبار وفوق الكبار كذلك.

لا أدري لم يظن البعض أن غلبة الشيخ على معاصريه كان بسبب ضعف هؤلاء المعاصرين له، فيأتي لكتب شيخ الإسلام ليحملها باطلاً من القول وزوراً، وكأنه يصرخ: وجدت فيها ما لم يعرفه معاصروه.

هذا ليس قطعاً لمناظرة الغائب، أو لرد غلط عالم سبق له القدوم على ربه، ولكن هذا التعالي الذي يمارسه المعاصرون على الأقدمين زعماً أن خصومه في زمانه لم يقوموا بالواجب= جهل بعقل المتناظرين يومها.

كان مما كتبه في تقرير قواعد السلف في باب الأسماء والصفات والقدر رسالة "التدمرية"، وهي من غرر كتب الشيخ في هذا الباب، فقام أحدهم ممتطياً حماره، لابساً لأمته المهلهلة ضعفاً، وجعل يطعن في هذا الجبل، والرجل متمرس باتخاذ أرجل الخشب، وظن أن خلا الميدان من رجاله.

هكذا هي الصورة، فكان كتابه في نقض التدمرية.

الكثيرون مروا عليه فأعرضوا عنه، ولكل سببه، والبعض مر عليه حاملاً إياه فرحاً ولم ينتبه أن بين الثنايا أفاعي وعقارب، وكان هناك من أراد به معركة فيها الإنصاف ولغة المناظرة العلمية والذهاب مع الكاتب حيث يريد من وديان الأثر والنظر، مع معرفة رأيتها بارزة في الكتاب أن الراد المناظر يعرف صاحب النقض، متابعاً له، يسلك معه مسالك التنقيب والمسايرة، وبهذا زادت قيمة الكتاب: الانتصار للتدمرية، للأستاذ ماهر أمير عبد الكريم.

في بداية نظري فيه أعجبتني لغته، وقلت: صاغ قديما بلغة جميلة، وقلت هذا لمحدث لي حول الكتاب بعد النظر الأولي فيه، ثم بعد أن خلوت معه رأيت رجلاً يفهم ما يقول، ويغوص داخل هذا العلم الذي كتب فيه.

نعم، كان انتصاراً مباركاً لكتاب يستحق الانتصار، وبهذا زادت كتب العلم في هذا العلم كتابا رائعا مفيدا، به دخل شاب زمرة أهل العلم في هذا الفن، يكتنفه خوف أهل الشيب على الشباب في هذا الباب، ذلك لأن طريق العلم فيه مزالق كثيرة، يسقط فيها الكثير من أهل هذا الزمن.

كليمة في كتاب (٥):

البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي

لفريد الأنصاري رحمه الله تعالى

[١٩ كانون الأول ٢٠١٧ – ١ ربيع الآخر ١٤٣٩]

أول من كتب في ظاهرة التفسير السياسي للإسلام –فيما أعلم– هو وحيد الدين خان، وهو رجل خرج من عباءة الجماعة الإسلامية الهندية مغرداً بعيداً عن أفكار الأستاذ المودودي، وهو وإن كان قد قبض على بعض الظواهر السلبية في هذا التفسير إلا أنه اشتط بعيداً في محاربته مكونات الإسلام العظيمة كشأن الخلافة والجهاد والعمل السياسي، وقد صار متماهياً مع بعض معالم العلمانية في قربه من الرئيس الليبي معمر القذافي، ثم واصل ابنه خط الانحراف حتى صار ولياً لدولة الهند ضد تحرير كشمير من نيرها الاستعماري.

الحديث هنا ليس عن ظاهرة وحيد الدين خان وما يؤخذ منه وما يرد، ومن هو في موضوع الجاهلية والبراءة منها، ولكن الحديث عن ظاهرة التفسير السياسي للإسلام، وهي ظاهرة تختلف كلياً عن تيارات الإسلام السياسي.

مثل هذه الحالة تنشأ عند غياب معالم ما للمنهج والشريعة، فحين تغيب الخلافة يصبح الحديث عنها قوياً ومهماً، وبدون مراعاة التوازن تتضخم ظاهرة الحديث عن جانب الإسلام السياسي، حتى إن البعض ليجعل الحاضر داخلاً في هذا الغائب، وكأن الجانب السياسي هو أصل الإسلام وبقية الجوانب الأخرى هي فروع لهذا الجانب، ولعل المودودي وقع في هذا.

وللأسف؛ إن مجموعة من الناس تتهم مترجمي الأستاذ المودودي بخيانة أفكاره عندما تنقل إلى العربية.

بعد أن تكلم وحيد الدين خان عن هذه الظاهرة جاء الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي وتكلم عنها في كتاب خاص بها، واستقبله أصحاب وأتباع المودودي بالقسوة والاستهجان، وكان عمدة الرد تقوم على استغلال غياب المودودي بموته، والاستفراد بهذا الغياب وفراغ الساحة من رجل القضية، والحق أن هذا رد غير صحيح؛ فالشيخ

الندوي أرسل هذا الكتاب إلى المودودي في حياته واطلع عليه ولم يرد، بل إن كتاب وحيد الدين خان صدر في حياة المودودي وأرسله إليه ولم يزد المودودي رحمه الله إلا أن قال: زاد خصومي واحداً!!

كان المودودي صلباً في أرائه، وتعامل مع (خان) تعامل الأب مع ابنه الذي لم يره إلا طفلاً صغيراً طوال تقلب الأزمنة عليه، فوحيد الدين خان من صناعة المودودي، وهو عضو لجماعته.

فريد الأنصاري ممن التقط هذه الظاهرة، وهي تضخم الجانب السياسي على الجانب التعبدي، ولم يدرك الظاهرة إدراك (خان) ولا إدراك الندوي، لكنه تلمس جوانبها، وكل من دخل في سلك التأمل القرآني، وعانى من ظاهرة غياب التدين وأخلاقيات العبادة= حزن على ضعف هذا الجانب في العاملين في الحقل السياسي.

هناك ولا شك خلل في البناء العلمي والمعرفي عند العاملين في السياسة وعند العاملين في الإصلاح التربوي، وخاصة التعبدي منه، وكلاهما يتعامل مع القضية باعتبارها ثنائية متنازعة لا باعتبارها قضية واحدة؛ فالحكم بما أنزل الله شامل لكل حكم شرعه الله لنا، ولا يمكن أداء فعل ما في الشريعة إلا كونه عبادة لله، تحقق الإخبات والتقوى، ولا يمكن صعود المرء في درجات التعبد دون القرآن والصلاة والذكر والإخبات والتقوى، ولا يمكن تحقق الرقي السياسي وهو عمل من أعمال الدعوة دون أن يكون المرء عابداً متنسكاً بدوام الذكر وقيام الليل وقراءة القرآن.

هذه الصناعة التامة في المزج بين هذين الأمرين، بدل عرضهما بتحفظ وحياء كثنائية متعارضة من قبل وحيد الدين خان، والندوي (نوعاً ما)، ثم الآن الشيخ فريد الأنصاري= هو ما نحتاج إليه، وهو عمل المصلحين والدعاة بعد هذه الرحلة من الفصام غير المقبول.

يمكن وضع طه عبد الرحمن في هذه الزمرة التي هي مدار البحث، إذ له بعض الفصول الدالة على دخوله على خط تنمية النسك، ولو بطريقة ما، على خط السياسي والتخفيف من غلوائه.

يمكن فهم هؤلاء جميعاً، وخاصة حين نرى تغول السياسي على النسكي، وضمور التعبد والخلق مع الله ومع الخلق، وهو حاضر ولا شك، لا على مستوى الأفراد ولكن على مستوى التنظيم والقيادة؛ فحيث ترى تعبداً على وجه شبه مقبول من القواعد ترى غياب هذا وضعفه كلما ارتفعت صعداً في الترتيب القيادي لهذه الجماعات.

ومما هو منتشر في صفوف جماعات العمل السياسي، ومن دخل في لجتهم من جهاديين وغيرهم، هو تحقير المتعبد على وجه الاتهام له بالغفلة، استدلالاً بقول المحدثين: إن الكذب في الحديث يغلب على المتنسكين، لإمكانية دخول الزنادقة عليهم لقلة بصرهم.

هذه لغة نراها في زمزمة المعاصرين، وكأن الرجل الناجح إدارياً وسياسياً وقيادة هو الثعلب، وهو الذكي الذي لا يضيع بعض وقت ليله خلوة وذكرا لله.

من السهل تخطئة أحد الطرفين فكراً وعلماً، لكنه من الشاق أن نعمي بصرنا عن رؤية الانحياز عند هذا وضده في تقويم الآخر، من خلال الواقع الذي نعيشه، حيث يكون الناسك الذي يخاف قسوة القلب في تقلبه السياسي والصراع مع الحياة، ويكون السياسي الذي لو سألته عن جزئه من القرآن والذي لم يقم به منذ رمضان الفائت!!

عسى أن نبصر غداً ذهاب الفروق من هذه الثنائية.

ورحم الله فريد الأنصاري الذي جعلني أستغل كتابه للكتابة عن هذا الموضوع الشائك.

كليمة في كتاب (٦):

التجربة والخطأ

[٢٨ كانون الأول ٢٠١٧ – ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٩]

مذكرات حاييم وايزمان، أول رئيس للكيان اليهودي

تعجبني كتابة الرياضي والفيزيائي والكيمائي عن الإنسان وتاريخه وفكره، فهو يصيغ عباراته عن طريق المعادلات، وبهذا كان تميز المفكر المسلم مالك بن نبي، لا بتصويب أفكاره ولكن بإبداع عبارته التي صاغها رياضياً حين تحدث عن الحضارة، مع أنها في معناها غير صحيحة ولا صادقة في فهم هذا المصطلح.

العبارة الرياضية فيها زخم المعنى مع سرعة الوصول للهدف، ويبعد صاحبها عن الهوامش والعلل غير المؤثرة، وقد تميز علماء الفقه المالكي بهذا الأمر كون واضعيها أغلبهم قضاة، يهمهم المعنى بأقصر الطرق، فتكون مليئة كثيفة.

هذا الصهيوني اليهودي كيميائي كبير في هذا العلم، صاغ ذكريات حركته صياغة رياضية خالية من الزوائد والهوامش، مع الصراحة التي يفتقدها كتاب الذكريات عن أنفسهم.

انظر إلى هذا العنوان العجيب "التجربة والخطأ"، وتأمل شجاعة كاتبه، مع أنه كان يرى المسيرة التي اختطها لنفسه ببناء دولة لليهود في فلسطين تؤتي أكلها، وتسير لمستقرها.

كان يرى أن العمل الإنساني تجربة، وفيها الخطأ، فيجب صناعة الفعل من خلال هذا الفهم لحركة الإنسان: أنه يعيش تجربة، وعليه أن يستفيد من أخطائه، شأنه شأن الكيميائي الذي يجرب ويجرب حتى يخرج من خلال أخطائه بالمراد والصحيح.

عندنا قاعدة عجيبة: عدم الوصول لا يعني الخطأ لزوماً، والتجربة مع ثبوت عدم نجاعتها يمكن لنا أن نسلكها مائة مرة، ويكفي أن نقول بعد كل مرة: هذا ابتلاء.

(ليس هذا ما أردته أصالة لكن جرتنا إليه الآلام)

الحركة الصهيونية يعجب البعض منا وضعها في سياق أسطوري عجائبي، وذلك من خلال أمرين اثنين، هما أهم ما يمكن استخلاصه من ذكريات هذا الصهيوني العتيد، والذي وقف أمام أمثاله من اليهود الصهاينة عندما أرادوا أن يبعدوا اليهودي عن فلسطين لتكون مستقراً لدولتهم القومية، فردهم إلى توراتهم، وجعلهم يتوجهون إلى أرض الميعاد التي يحلمون بها كما يعتقدون.

هذان الأمران هما: أن الحركة الصهيونية كانت شيئاً سليماً من الآفات التي تعاني منها التجمعات الوليدة من الخلافات وكثرة التصورات، بل والدم الذي يحصل بينهم، وكأن هذه الحركة كانت تمثل كل اليهود، وكل المفكرين من اليهود، وكل القادة من اليهود؛ وهذا شيء خيالي لا وجود له في الحقيقة، فهي حركة مليئة بالتناقضات، ومليئة بتضاد الأفكار والتوجهات، وبين أصحابها الكثير من الخصومات.

لم يحتج المؤمنون بالفكر الصهيوني إلى إجماع يهودي حتى يسيروا لأهدافهم، ولم يحتج الصهاينة فيما بينهم إلى إجماع على أي قضية بينهم حتى يعملوا لما آمنوا به.

كان يكفي الواحد منهم أن يؤمن مع مجموعة كافية ليسير في خطه، محاولاً تحصيل أكبر قدر من النجاح للوصول إلى الهدف.

ولكن كانت الجماعة هذه تحاول إقناع غيرها بصواب طريقها عن طريق الحوار وفرض الواقع الذي يجلب الآخرين لصفها.

كان الكل يعمل، وكان الكل يجلس إلى الكل، ولم يختلفوا أبداً قبل الوصول إلى الهدف على شكل وصورة هذا الهدف، بل كانت خصوماتهم تدور في تلك المرحلة على وسائل العمل، وعقيدة العمل التي هي إطار الفعل والحاكمة عليه.

حين أقرأ خلافات تلك المرحلة للحركة الصهيونية، وخلاف اليهود ابتداء عليها، ثم الخلافات داخلها= أرى كأن كل تجربة بشرية هي ظل متعدد الصور لحقيقة واحدة.

تعلمنا هذه الحقيقة أنها لا تصلح لتعليق ترك العمل عليها، ولا اليأس من النجاح بوجودها معوجة تحتاج لإصلاح دوماً بما يعيد توجيه البوصلة لاتجاهها الصحيح.

الأمر الثاني: لا يشك أحد أن اليهودية وحركتها الصهيونية، التي جسدت الدين باعتباره قومية، قد قامت بالكثير من التعاون واستغلال الآخر للوصول إلى أهدافها؛ فهي لم تترك مصدر قوة إلا سعت إليه طالبة العون، وكانت كل الصدور الكافرة مفتوحة لهم بفرح، بعضها لبعد عقدي، وبعضها لاتجاه تاريخي مصلحي، وهكذا.. ولكن لم تكن هذه المصادر من القوة لتنفع لولا الجهود التي بذلها اليهود أنفسهم لتحقيق أحلامهم في فلسطين.

فلسطين لم يستلمها اليهود على طبق من ذهب، قدمها لهم العدو الصليبي.. نعم، لولا تلك المساعدة الكبيرة من هؤلاء المجرمين ما كانت لتقوم دولتهم، ولكن لولا أنهم بذلوا وقدموا كل ما يستطيعون من قدرات لما كانت فلسطين لهم.

كانت فلسطين حلمهم، ونشيدهم، ولذلك استغلوا كل معاني القوة في أنفسهم لتحصيل هذا الحلم، وهذا ليس تصويباً لأي طريق سلكوه، لأنهم سلكوا الكثير الباطل والطرق اليهودية الخبيثة، ولكن في النهاية كانت لهم جهود بذلوها لتحصيل مقاصدهم.

هذا اليهودي الذي قدم من روسيا إلى فلسطين، ورمى بنفسه في محيط غريب عنه، قام بدراسته زائراً في لحظة من اللحظات، ولكنه آمن بهذا الحلم، ولم تعوقه كل الحواجز للوصول إلى هدفه حتى اختير أول رئيس لهذه الدولة، ومن تلك المعوقات أن أهل دينه اتهموه بالترفع عن مشاركتهم حياة شظف العيش التي يحيونها مقاتلين.

في تلك المذكرات الكثير من الأسرار، والكثير من خيباتنا وأكاذيبنا، وفيها على معنى بعض المذكرات تجربة إنسان وضيع، وجد في واقعنا من هو أوضع وأسفل منه، ولذلك نجح وخسرنا، لأنه أصيل من بني قومه وكان بيننا من هو خائن لبني قومه.

كليمة في كتاب (٧):

اقتلوا خالداً

لبول ماغوو

[٢٩ كانون الأول ٢٠١٧ – ١١ ربيع الآخر ١٤٣٩]

في مرات يكون العنوان مفيداً للكتاب ناشراً له حاضاً الناظر على القراءة، ومرات يكون العنوان على الضد من هذا، ومرات يكون العنوان مفسراً لحقيقة الكتاب وما فيه، ومرات لا يكون كذلك؛ ولذلك ففن صناعة عناوين الكتب أمر مهم، واليوم تقوم دور النشر بهذه المهمة إن تولت هي طباعة ونشر الكتاب؛ لأن هذه القضية موضوع تسويقي أكثر من كونها علمية.

عندي الكثير من القصص والمعلومات عن الكتاب، وقضية صنع العنوان، وما يعانونه في هذا الباب، وكذلك ما تضغط به دور النشر لعناوين مفروضة، ولو جمعت لكانت جزءاً مستقلاً.

يحضر هذا عند قراءتك للكتاب الرائع "اقتلوا خالداً"، والذي يتحدث عن محاولة الموساد لقتل خالد مشعل في الأردن، وما جرى فيها من أحداث.

للأسف العنوان خطأ من جهتين: فالكتاب أصلاً بلغة أخرى، والمترجم لا يفقه العربية، فترجمه ترجمة لا تتفق مع النحو العربي، إذ كتب العنوان هكذا: اقتلوا خالد، وهي قبيحة ولا شك.

ثانياً: كان ينبغي اختيار عنوان آخر له يوافق محتوى الكتاب، ويشجع العربي على قراءته؛ فالكتاب رائع ولا شك، لأنه يتحدث عن أكبر من قضية محاولة اغتيال خالد مشعل، فهو يتحدث عن محنة الفلسطيني في أبعاد كثيرة: محنته في الهجرة، ومحنته مع غربته، ومحنته مع قيادته، ومحنته في استغلال الأيدولوجيات له؛ فهي محنة التيه والقسوة، وهي محنة إنسانية عميقة، تمثلت في بعض صورها في عائلة خالد مشعل وفي صور كثيرة مع غيره.

فالكاتب وإن انطلق من تلك المحاولة الفاشلة في الاغتيال، لكن انطلق بعيداً ليصور ملحمة الغربة والتيه والقسوة، ولذلك كان ينبغي أن يشجع العربي لقراءته مع عنوان يوافق هذا كله، ويمكن تفهم هذا العنوان لرجل

غربي، يشجعه على القراءة عنوان فاقع فيه الدعوة للقتل، وعن رجل ربما يعرفه وربما مجرد اسم خالد فيه يدفعه لذلك ليكتشف من هو، ولكن الأمر ليس كذلك مع القارئ العربي.

وها أنا أتحدث عن قارئ يتدسس بعيداً عن ألوان الكتب وعناوينها الفاقعة، فقد احتجت لوقت حتى أتشجع فأقرأ هذا الكتاب الضخم، متجاوزاً عنوانه الذي أبعدني كثيراً عن النظر إليه، لكن حين أتيت إلى الكتاب رأيت كم هو نافع ورائع وصادق.

هذا كتاب يتحدث بأمانة دون التفاف حول الحقيقة عن قضية عظيمة، وعن شعب تألم، وعن أسر شردت، فكان اختيارها لما هو معروض ذهناً الضرورة لضيق الواقع وعدم اتساعه.

الفلسطيني الصغير، والعائلة المنفردة، لا يمكن أن تفهم وضعها في خطط العالم وتآمر الكبار، ولا يمكن إلا أن ترى مأساتها اليومية دون الذهاب إلى الأيدي القذرة التي تديرها من أجل مصالحها؛ فهناك الذئاب والتماسيح والوحوش، لا يهمهم إلا أن تسير خططهم المجرمة دون نظر لمأساة عائلة أو شعب أو قتلهم جميعاً.

مع هذه العائلة التي تمثل كل عائلة، وبسياقها وحدها تدرك سياق الجموع، ومن خلال قصتها تعلم كل قصص هذا الشعب، ثم ترى كيف تكون الخيارات الأيدلوجية قدراً معروضاً، به يتم سرقة الهموم لاستغلالها لمصلحة هذه الأيدولوجيات الخبيثة البشرية الوضيعة.

حاول الكاتب أن يصنع من مأساة عائلة، وقصة شعب، مواكبة لفعل السياسي والمتآمر، فترى ظلال هذا التآمر وخطواته قابعة فوق ظهر الإنسان المسحوق في هذه الأمة.

في هذا الكتاب القصة الكبيرة تحوي القصص الصغيرة، فهو يضع الظلال الدولية في خلفية الصورة للإنسان، تنمو مداركه، ويكبر مع همومه ليصبح هو بنفسه قصة كبيرة، لا لشيء إلا إنه قرر أن يوقف حركة خيطان صندوق الظل التي تحركه كدمية مسكينة مقهورة.

عندما حاول هذا الصغير أن يكبر، وأن يقطع حبال أفعالهم المتلعبة بتاريخه ومستقبله قرروا إفناءه.

هكذا هي صورة كتاب: اقتلوا خالداً، فاذهب لقراءته، لا لتعرف سر فعل واحد يمارسه الموساد في بلادنا، ولكن لتعرف سياق الإنسان الصغير حين يقرر مجابهة الكبار، ولتعرف سر ملحمة القهر والغربة والمقاومة.

لست معنياً بأن تحب صاحب الترجمة ولا أن تكرهه، فهذه قضية فوق مدارك هذا الكتاب، بل تحتاج لسياقات معرفية أخرى، وإلى مبادئ علمية زائدة عن قدرة المؤلف لهذا الكتاب، ولكن الكتاب رحلة جميلة لرواية الملحمة.

كليمة في كتاب (٨):

العذر بالجهل أصوله ومسائله

للشيخ أبي البشر توفيق زين الدين الذكالي

[٣ كانون الثاني ٢٠١٨ – ١٦ ربيع الآخر ١٤٣٩]

مسائل العلم قد تتفق أصولها عند الناس، ولكن يبقى أمر إنزالها بغير اتفاق؛ ذلك لأن الكثير منها اعتباري نسبي، والعلم حين يكون كذلك يكون فيه الأعذار، ويحمل الناس خلافهم على ما قدره الله فيهم من معانٍ خاصة وذاتية، وحين يقع الخلاف يجب رد الفروع إلى الأصول، ورد المتشابه إلى المحكم، حينها تظهر قوة الأقوال وضعفها، أو نسبتها من الضعف أو القوة.

مسألة العذر بالجهل لم يكن لها هذا الحضور في علم الأوائل، لأنهم يجرونها على علم مكين عندهم، ويفتحون للناس سعة التنزيل، ويتركون كثيراً من أعيان الناس لحكم القضاء، وتمضي القلوب على حب واتفاق، ولكن حين يقل العلم ويكثر الجهل تضيق دائرة الإعذار، هذا مع انتشار العلم وغلبة الحق على النفوس، ولو كانت الأمور تجري على وفق قوانين الحساب لكان العكس: حين يزيد الجهل يزيد الإعذار وحين يزيد العلم يقل الإعذار؛ لكن واقع الحال أن الجهل هو من يضيق والعلم هو من يوسع، وهذا ما نراه في حياة الأوائل والأواخر.

هذه المسألة الفقهية، وأكرر: الفقهية، والقضائية شغلت الناس بفعل عامل الجهل، وأدخلها البعض في أركان دينه، على وجه يدل أن صاحبها قد علمها للتو فطار بها يضرب دين الناس وينفيه ويخرجهم من ملة الإسلام، حتى صارت علماً عليه وعلى جماعته، ومن تفكر في هذا الحال علم أن هذا من سمات أهل البدع؛ فإنهم يحدثون من الأصول ما يحكمون بها على الناس إسلاماً وكفراً، ثم يأتي الأتباع الجهلة فيعملونها قتلاً وسفكاً للدماء.

مسألة العذر بالجهل كتب فيها الناس، وكل واحد منهم أتاها على وجه من وجوه النظر والتنقير، فمضيق وموسع، وذلك بحسب مشربه، والكثير منهم بحسب نفسه دون علمه، وهذا ما يوقع الباحث في الانتقاء لا

التقصي، وقد زادت هذه الكتب حتى لو صففتها في رف كتب لملأها، فإذا جمع مع الكتب ما قيل فيها من دروس ومناظرات ومحاضرات حينها ترى كيف يطم الماء على الوادي.

ومما يعجب المرء له أن تتمالأ جماعة على القول بها، وجعلها سمة لهم، لا تذكر إلا ويذكرون، ولا يذكرون إلا وتذكر، وحين ترى قول صاحبهم الأول ترى عجائب الاضطراب والفوضى في عقله، وهي سمة بدعية لا يشك في ذلك طالب علم يستقصي سمات أهل البدع في التاريخ.

هذا الكتاب –الذي فيه هذه الكليمة– هو خوض علمي في هذه المسألة: يؤصل لها، ويسير فيها على هدي متبع، مراده رد دعاة بدعة إخراج الأمة من الإسلام، وكذلك رد من جعل هذا الإعذار بلا ضابط وسياج يحميه، فكان ميزاناً وقسطاً فيها، يجمع شتاتها من أصحاب العلم فيها، لا يخرج عنهم وعن أقوالهم بدعوى الإبداع والتقعر.

ما جمعه الشيخ من أقوال، وأقامه على أصول علمية، تجعل كتابه ولا شك نافعاً في هذه المسألة، ولو سعى المرء إليه لما خسر، بل سيربح، وخاصة أنه حاول جهده تهذيب هذه المسألة على وجه من التقريب والتسهيل، فأكثر من الأمثلة التي تلزم المخالف، وتشرح للسائل وجهها.

جزى الله الشيخ خير الجزاء على كتابه النافع، ولو قدر للمرء أن يتكلم في هذه المسألة فوق ما تكلم فيها من قبل لكان انتفاعه من هذا الكتاب كثيراً.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٩):

يوميات عدنان أبو عودة

[٧ كانون الثاني ٢٠١٨ – ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٩]

١٩٧٠ – ١٩٨٨

هذا كتاب ضخم، عدد صفحاته تفوق الألف صفحة، في بدايته حوار صحفي مع السياسي عدنان أبو عودة، ثم تلته اليوميات المتفرقة في تاريخ مسيرته السياسية.

لما سمعت بهذا الكتاب قال لي قائل: إن هذا السياسي هو الصندوق الأسود للسياسة الأردنية خلال هذه الحقبة، ولذلك نشطت للحصول عليه، بعيداً عن تكلف الثمن المرهق له.

ولاسم عدنان أبو عودة حضور في ذهني منذ زمن قديم لأيام خوف وهروب في زمن الأردن الماضي.

هذه اليوميات لوحات سياسية، كل ورقة يوم تمثل رقعة صغيرة لحالة السياسة في داخل البلاد، بعيداً عن المسرح الظاهر.

في داخل هذه المجموعات المتفرقة تجد شيئا آخر لا تراه أبداً على شاشات التلفاز ولا على ورقات الصحف، لأنها كشف للمطبخ من الداخل، وكيف تدار القرارات، وكيف تفهم الصور والحكايات.

بالنسبة للرجل العادي؛ تمثل هذه اليوميات حالة اختراق لداخل هذا المصنع لتعرف أسراره، وتعرف الإنسان في داخله. وقد مضى زمن طويل يظن الإنسان العادي أن رجال السياسة الذين تصدر بهم نشرات الأخبار، ونرى صورهم على صفحات الجرائد= هم طينة أخرى في كل شيء، فهم شيء آخر من البشر.

هذه اللوحات تشكل لديك رؤية ذهنية تكتمل صورتها بأن المطبخ السياسي نوع بشري صريح، بل هو في واقع الأمر نوع غير راقٍ من البشر، كما كنا نظن أمرهم؛ فهو عالم صراعات، وتحليل يؤمن بأن الشر هو أصل هذه الحياة، وأن الحقيقة فيه تكاد أن تغيب.

هناك مسألة مهمة، وقد تقرر أن المكياج هو السائد في عالم السياسة، وأن الخفاء أقوى من الصراحة، وأن المخبوء أكثر من الظاهر، ولهذا يبقى السؤال: كم يخفي السياسي في عالمنا العربي من الحقائق عندما يكتب مذكراته أو يكشف أوراقه اليومية، خاصة عندما يكتب في ظل حاضر محكوم من زمانه الماضي؟!.

أنا أجزم أن هذه اليوميات لم تكشف الكثير، مع أن فيها الكثير، وأجزم أنه ما زال في اليوميات الكثير من الأوراق التي آثر صاحبها السياسي ألا يعلنها لأسباب كثيرة؛ فالوثائق عندنا ليست محكومة بالزمن كما الآخرين، بل محكومة ببقاء الماضي وقوته أو ذهابه.

ومع ذلك؛ فهذه اليوميات نافعة لواحد مثلي، أو من هو أقدم مني عمراً، ليرى بعض الكواليس التي أحاطت ببعض ما عاشه من أحداث يسمع عنها من خلال أدوات السلطة، أو من أدوات الإشاعة المضادة، أو من خلال التسريبات التي لا يؤمن على صاحبها بقول الصدق.

لكن هل هي نافعة لرجل وشاب العصر الحديث؟ أجزم أنه سيمر عليها مسرعاً لأن الواقع الذي يعيشه هو ما يعنيه، ويكفيه من التاريخ أنه يرى أثره على واقعه هزيمة وذلاً وهواناً، فلماذا يذهب لكلام رجال هم صناع هذا الحاضر البئيس؟!.

تحتاج اللوحات لمحاضرات كثيرة تصاحب كل لوحة حتى يستوعبها الإنسان الذي يعيش هذا اليوم، فالرجال المشهورون هنا في هذا الكتاب قد مضوا ولا يكاد يعرف الواحد منهم لا هذه الكمية الزاخرة بذكرهم الصفحات.

هذه اليوميات يمكن للمرء أن يستخلص منها بعض الأسرار، وهي في هذا الباب قليلة جدا، وبمجموعها تعرف عالم الكواليس في الحياة السياسية وما يجري فيها، وفي الخلاصة تنفع رجلاً عجوزاً في هذا الباب لا شاباً يكرس الوقت للتعامل مع واقعه الذي انفكت رموز أسرار السياسيين فيه؛ فقد رفع عنهم غطاء السحر الذي يغلفهم ويسبغ عليهم هالات العظمة المدعاة، فكل شيء اليوم على المكشوف؛ فالسياسي يصور عارياً، ويسجل له شخير نومه، ويعرف الناس عنه أكثر مما يظن، والذي يمكن –من خلال أدوات الإعلام المعاصرة، والتي تخترق الحدود– أن يعلم ما يقال عنه في بلاد ما وراء الشمس إن حاولت أجهزة تعظيمه صناعة بطولة كاذبة له.

لم يحاول السياسي في هذه اليوميات أن يسرب للقارئ سراً كبيراً طوى عليه، ولم يحاول أن يصنع لنفسه بطولة وخصوصية ككل من يكتب مذكراته ويومياته، فبدت في الكثير منها صادقة، ولكنها ليست قوية بما فيه الكفاية.

اليوميات لا تصلح لما قيل لي إنها لرجل هو الصندوق الأسود لعالم سياسي لهذه الفترة التي كتبت فيه.

كليمة في كتاب (١٠):

الثورة

لمناحيم بيغن

[٩ كانون الثاني ٢٠١٨ — ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٩]

كم أكره الكذب في العلم، وكم هو مقيت تزوير القلم.

هذا كتاب قرأته قبل أكثر من ثلاثين سنة، وعدت إليه مراراً حتى اضطررت إلى شراء عدة نسخ لتلف النسخ عندي من كثرة العودة إليه.

منذ أن قرأته وأنا أتعجب من تزوير مترجمه للعنوان، فبيغن سمى كتابه: الثورة، والمترجم أبى إلا أن يسميه "يوميات الإرهابي مناحيم بيغن"، فهل دور المترجم تنقية الأفكار للقارئ خوفاً عليه، وهل دور المترجم اختيار ما يريد من الكتاب تأكيداً لأفكاره لا ما يريده الكاتب؟!

قلّما تثق بما يفعله المترجمون العرب، فأنت حين تقرأ ترجماتهم تحسّ أنك تتعامل مع لص يخفي بعض ما يحمل، ومزور يغير عليك صورة اللوحة.

وهكذا يصنع الكثير من المترجمين العرب، وخاصة المؤدلجين منهم، أو من هم عبيد لغير العلم وحقيقته، يخدمون أسياداً همهم ثقل البسطار الأمني، أو تزكية الذات.

عودتي لهذا الكتاب الآن سببها أن أحد الأحبة طلب كليمة عنه، بعد أن كتبت عن مذكرات الصهيوني وايزمان ومذكراته المعنونة: التجربة والخطأ.

اهتمامي بهذا الكتاب لأنه من أصدق الكتب في التعبير عن النفس الغاضبة، ومن أصدق الكتب في التعبير عن قوة الإرادة في الاندفاع نحو الهدف، ومن أصدق الكتب في بيان حالة خصومنا عقائدياً وسلوكياً.

هذا خصم صريح، وقد تعلمت من زمن أن أقرأ للخصم أكثر مما أقرأ للصديق، وقد كان إخواني يعجبونني وهم يقرأون صحف الخصوم في السجن في بريطانيا، فأسألهم: لمَ؟ يقولون: لأنا لا نريد أن نقرأ لمن يتكلم مثلنا، وإنما نريد أن نقرأ لمن يتكلم ضدنا.

بيغن شخصية عجيبة، لا يملك إلا الغضب والصراحة والاندفاع نحو الهدف بلا تردد، فهو نموذج لشخصية التلميذ الذي صنعه جابوتنسكي على عينيه.

جابوتنسكي الذي يقول في كتابه: "التجربة والأمل" (تأمل المعارضة بينه وبين وايزمان في كتابه "التجربة والخطأ"): السياسة هي فن القوة، وعندما تضرب الفولاذ بمطرقة فإن الجميع يتهيبون صوت الدوي، وعندما تستعمل القفاز فإن أحدا لا ينتبه لك.

وفي تماهٍ تام مع فلاديمير لينين في مقولته: العنف داية التاريخ، يقول جابوتنسكي: إن الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ.

وللذكر فإن لينين يهودي، كما كشف عن ذلك الكثيرون، أولهم عدو اليهود: هتلر.

(كلاهما فلاديمير)

هذا الكتاب لا يستغني عنه باحث في تاريخ الثورات، ولا يستغني عنه صاحب قضية لا يستمع لها الناس، لا لصدق قضيته، ولكن لأسلوب الذهاب نحو هذه القضية.

أنا أؤمن بأن القضية الإنسانية مهما خالفتَ معتقد صاحبها، إن كتبها صاحبها بصدق، فهي ميراث لك.

مذكرات هذا اليهودي الصهيوني مليئة بالتصميم وقوة الإرادة، وعدم النظر إلى الخلف، فمن يريد أن يوجد دولة من لا شيء، ومن يريد أن يصنع تاريخا لأمته= لا ينظر للخلف، ولا لما يصيبه من المحن والأهوال.

كانت مذكرات وايزمان سياسية بامتياز، تمشي داخل سراديب الحاكمين لتمرير مشروع دولة إسرائيل، يهتم صاحبها باللقاءات وشرح المواقف وأخذ التأييد والتعاطف، لكن هذه المذكرات مليئة بالبارود والتفجير والدم والقتل.

دماؤنا ستنبت شجرة الحرية.

لقد كان علينا فقط أن نؤمن أن عملنا وتضحياتنا ودماءنا وآلامنا هي التي ستضمن لنا النصر.

إذا لم نناضل فسنتحطم، فطريق الخلاص الوحيد هو النضال.

نحن نكافح فنحن إذاً نكون.

كتبت هذا الكتاب أولاً لشعبي اليهودي لئلا ينسى كما نسي –ويا للأسف– من قبل.

هذه بعض كلماته الغاضبة.

بيغن كان رئيسا لعصابة ثورية، جعل مهمته قتال البريطانيين وإسقاط هيبتهم، مع أنه كان جندياً في الجيش البريطاني، وما استطاع الدخول لفلسطين إلا لأنه جندي في هذا الجيش.

لم يكن يهمه إلا هدفه، ولذلك قتل بعنف، واشتهرت عمليته ضد الجنود البريطانيين في فندق الملك داود، والتي صار على إثرها إرهابياً مطلوباً لبريطانيا.

لقد كانت هناك الكثير من المنظمات اليهودية العاملة لصناعة دولة إسرائيل، وبينهم من الخلافات الشديدة، بل حصل بينهم قتال واغتيالات، ومع ذلك تعلموا كيف يديرون خلافاتهم على وجه من وجوه العمل لا الاستئصال، لكن هذا لا يعني أنهم لم يعانوا قتل اليهودي لليهودي في سبيل بلوغ الغايات، بل حصل الكثير من هذا، وأريق الكثير من الدماء بيد بعضهم بعضاً.

هذا اليهودي المتعصب الدموي ارتقى به الأمر أن صار رئيس وزراء دولة إسرائيل، وعلى يديه تم خرق نبوءات التوراة عندما تخلى عن سيناء، ذلك لإيمانهم أنه إن قامت دولة إسرائيل تحضيراً لملكهم المنتظر فإنها تمشي للأمام لا للخلف.

مات بيغن مصاباً بالاكتئاب، ذلك لأن نبوءاتهم كاذبة، وإن كانوا بذلوا لها كل وسعهم.

هذه المذكرات لا يجوز لأحد يقرأ تاريخ الثورات أن يغفل عنها، فهي مع صغرها مليئة بالتخطيط والعمل الدؤوب والإصرار.

ولا بد أن تدرك من خلالها أنه لولا الدين الذي يدين به، والمعتقد الذي بنته النبوءة= لم يكن لهذا كله أن يكون.

كليمة في كتاب (١١):

مكان بين الأمم

لبنيامين نتنياهو

[١٥ كانون الثاني ٢٠١٨ – ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٩]

هذه الشخصية قذرة في المفهوم السياسي، لكنه يعبر بحق عن شخصية اليهودي السياسية في طرحه وأسلوبه، ويذهب فوراً إلى مخاطبيه بصراحة ووضوح، ولا يخجل أبداً أن يستجدي استجداء المتسولين، كما لا يخجل في نفس الوقت أن يظهر بمظهر المحارب البطل.

هذا الرجل ليس خريج المؤسسة العسكرية كالكثيرين ممن استلم رئاسة الوزراء في هذه الدولة، ولذلك يعدونه مسخاً من الحيلة والكذب والمناورة القذرة.

هذا الكتاب ألف من أجل الرجل الغربي، فهو يستثير فيه عهود قادته الذين قطعوا الوعود لأجداده أن هذه الأرض بشقيها: الضفة الغربية والضفة الشرقية، لليهود؛ وهو خطاب كذلك لبني جلدته ممن بدؤوا يشعرون بالعار من جرائم بني دينهم ضد شعب آخر، سرقت أرضه وشرد منها، واتهم بالإجرام ظلماً.

عمدة الكتاب إعادة التذكير بمقاصد الحركة الصهيونية، من خلال مساحة الأرض الموعودة، لا من الله هذه المرة ولكن من الغربيين، ومن خلال حاجة هذا المجتمع المسخ والاستيطاني لعمق مهم، يمنع من زوالها على يد هذه المجتمعات الغريبة عنها، ومن خلال حاجتها بعد الأمن لاستيعاب الشعب اليهودي، وحاجته للماء وسواها.

ثم تأتي القضية الثانية، وهي هاجس هذا النتن ياهو، وهي ملاحظته أن جزءاً من شعبه بدأ يشعر بالندم على ما اقترفه من مظالم وجرائم تحت دعم الغرب وسلطانه، فهو يحاول جاهداً منع هذا الشعور، وإماتته، حتى لا يؤدي إلى تنازلات، هي في النهاية أسس زوال دولة إسرائيل: حلم اليهودي الصهيوني كما يقول.

حين يكتب هذا الرجل هذا الكتاب، وبعد حروب ناجحة ضد خصومهم، ودعم لا محدود من الغرب، وحين تصبح السياسة منه مجرد عامل تجلي لقهر اليهودي وسيطرته، وبعد صناعة وسرقة ودعم ترسانة أسلحة خطيرة لا

يعادلها قريباً منها بيد أعدائها (وقد تحولوا تدريجياً إلى أولياء وأصدقاء وأحباب) ثم يأتي حاملاً كل هذه الهواجس من داخل شعبه ومن خارجه، من داعميه ومناصريه= فهذا يعني أن المشروع اليهودي لم ينتصر.

النظرة السطحية عن بعد تنبئ المرء أن المشروع اليهودي الصهيوني قد انتصر، وهذا يروجه بعض المنتكسين عن فطرتهم من بني جلدتنا، ولذلك يسوقون نفسية الهزيمة لصناعة المزيد من التخاذل والتنازل، والتطبيع وقبول هذه الدولة المسخ كأمر واقع، وحين تقرأ مثل هذا الكتاب تشعر بعمق الخوف الذي يعيشه هذا اليهودي الغاصب، وهذا الغريب في هذه البلاد.

المشروع اليهودي لم يتحقق، ولن يتحقق.. ولا يعني هذا أننا انتصرنا؛ فهذا القول ضرب من الجنون، فهزائمنا واضحة كالجبال، لكن لا يعني هذا أنهم صنعوا الحلم الصهيوني، فما زالوا يعيشون رعب خوف الهزيمة، وما زالوا يعانون من غربة الأرض والإنسان.

هذا الرجل أراد المزيد من التعاطف، ومزيداً من التأييد، ومزيداً من إيقاف الانهيار النفسي لبعض بني قومه كما يقول، وهو في هذا يكشف عمق الغربة التي يعيشها هذا الكيان الاستيطاني في بلادنا، وبهذا تعرف قيمة الحجر الذي يلقى على جنديه رافضاً وجوده، وقيمة عدم استقبال وفوده لأنه منبوذ، وقيمة الكلمة التي يطلقها أي شيخ أو عالم أو مؤمن بزوال هذه الدولة، وأنها بالنسبة إليه رعب حقيقي وكابوس يؤرق ليله ونهاره.

الرجل يصرخ في الجيل اليهودي الجديد الذي بدأ يظهر في مجتمعاته، ونسي صبر أجداده كما يقول، وبدأ يتخلى عن حلم أرض إسرائيل، فهو يصرخ فيهم بتلك الذكريات التي ورثها أجدادهم.

على الضفة المقابلة يتكلم الرجل كلاماً كثيراً لا تفهم منه شيئاً، ولكنه يحسن عرض اللقطات السريعة في ذهن الرجل الغربي لصناعة لوحة مشوهة.

لم ينس هذا النتن ياهو في خاتمة الكتاب، وبطريقة درامية مبكية، أن يقول ويشرح أن تاريخ البشرية كله مختزل في تاريخ اليهود، بل وجود الله تعالى عنده مرتبط بوجود اليهودي وصناعته للتاريخ.

حقاً إنهم يتقنون الكربلائية ككل كذاب، ولكنهم يكشفون عن فن اللطم ككل مستجدٍ، وبدون حول ومنهم ولا قوة يعيشون في كيبوتس الذات لا أكثر.

عندنا مثلهم كذلك.

كليمة في كتاب (١٢):

حقائق عن التصوف

لعبد القادر عيسى

[١٩ كانون الثاني ٢٠١٨ – ٣ جمادى الأولى ١٤٣٩]

مع أني أعد الكلام عن التصوف صار مكروراً، وقد زالت الغشاوة الأكبر عن الناس في معرفة واقع التصوف وتأصيله التاريخي والفلسفي، فإن بعض الأحبة طلب مني كلمة في حق هذا الكتاب، وذكر أن بعض الناس يجتمعون لقراءته والتعلم منه، والاستهداء بمنهجه، فعجبت من هذا، ووعدت الأخ أن أكتب شيئاً في حق هذا الكتاب ومؤلفه.

هذا الكتاب من الكتب الأولى التي قرأتها لتحديد وجهة المرء، فأنا وقعت بين حدين في بداية رحلتي العلمية: بين التصوف وبين الفقه والحديث، وكان الصديق الأقرب إلي يومها صوفياً، وقد أهداني هذا الكتاب؛ فعرفته مبكراً.

ثم إني جالست أكبر تلاميذ المؤلف في الأردن، وهو الشيخ حازم أبو غزالة، وحدثت لي قصة عجيبة معه، وحازم ممن أعطاه عبد القادر عيسى الإذن بالذكر الخاص، ويقصدون بالذكر الخاص هو ذكر الله المفرد: الله، والذكر العام هو: لا إله إلا الله.

والذكر الخاص عندهم له آثار تربوية صوفية وعرفانية أكثر من كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

أما قصتي مع التلميذ فسأحكيها في مقام آخر، لأن فيها النفع بعدم الاغترار بالألقاب والصور والعمائم، وما يزعمه الصوفية من الأخلاق يحتاج إلى دليل، وكأن هذا الدليل مفقود.

هذا الكتاب ككل الكتب المزورة لحقيقة التصوف، لأنه يشرح التصوف بما يقبله العامي، بعيداً عن حقيقته في نفس أهله، وبعيداً عن واقعه، وإليك التفصيل:

هذا الكتاب يجعل التصوف هو الأخلاق، ويجعل التصوف هو الصلاح والتزكية، ويجعل التصوف هو إصلاح الباطن بتطهيره من الحسد والحقد وحب الدنيا؛ وبهذا التغليف الجميل للتصوف يساق المغفل الغر لمشايخ التصوف ليسلك تسليكاً آخر بعيداً عن كل هذا، أو يكون هذا الأمر آخر ما يهتمون به.

لسْتَ اليوم بحاجة لتقرأ ما قررته كتب التصوف الكبرى عن عقيدة الصوفية الكبار والمراجع المشيخية لهم، ولا أن تقرأ الكتب لتعرف طريق القوم ولماذا هي: هل هي لتحصيل الإحسان كما يقولون تزويراً على المساكين، أو لتذوق العرفان الشركي المقرر في الاعتقاد؟. المطلوب منك أن تذهب لشيخ صوفي وتجلس معه لتعرف مقدار تقواه وزهده الذي يزعم صوفية كتب التزوير أنه خصلة شيوخهم، ولترى علم شيوخهم وفقههم في الدين والتوحيد والحديث والعقائد، ولتعرف ما هو نوع الذكر الذي يمارسونه لتحصيل مقامات التصوف كما تسمى عندهم.

لو تكلم لي أحد عن تلميذ عبد القادر عيسى حازم أبو غزالة ولم أره، لبكيت أن فاتتني لقياه، ورؤية صلاحه، فيكفي أن يقول القائل فيه: الشيخ العارف الزاهد الذاكر المربي... إلى آخر ما يطلقه الأتباع على شيوخهم، لنظن أننا أمام ولي حضر في هذا الزمان المتأخر، مع أن الحقيقة ليست كذلك؛ فالزهد بينه وبينه مفاوز، وكذا الذكر والتقوى وترك الغيبة وسب المسلمين بل وتكفيرهم.

ولذلك؛ أنا أذهب فوراً إلى صورة الرجل ومحياه ومجالسته حتى أرى ولا يزور عليّ، فالرجال كالكتب؛ يمدحها الناس بغير استحقاق، ويكذب في مدحها ورفعة شأنها وهي لا تستحق الورق الذي كتبت فيه.

لم أبقِ في شبابي شيخاً صوفياً له طريقته، وله أتباعه، وله ما يسمى بالحضرة، أي مجلس الذكر البدعي، إلا وذهبت إليه؛ فرأيت العجب العجاب، فكلهم يجمعهم الثراء والغنى، وكلهم يرقصون ذكراً بطريقة تضحك الثكلى، وكلهم لا يحسن العلم ولا الفقه، وبعضهم لا يحسن قراءة القرآن، هذا مع أن الشيخ حازم تلميذ عبد القادر صاحب الكتاب حافظ لكتاب الله تعالى.

هذا الكتاب "حقائق عن التصوف" يسرق المرء ليذهب به تسليكاً للتصوف عندما يدخل في جملة الأتباع والتلاميذ، لكن هل في الكتاب انحرافات الصوفية، باعتباره كتاباً فقط، وليس وسيلة لصوصية للشيخ؟

في الكتاب، في صفحة ١٢٤ يقول الشيخ: أما الذكر المفرد (الله) فجائز.

الذكر في الكتاب والسنة على نوعي: واجب ومستحب، أما القول بأن هناك ذكراً لله حكمه الجواز فجهل عظيم، ومعلوم أن العبادات (النسك) لا يقال فيها بالجواز، بل هي إما مستحبة أو واجبة، والقول بالجواز لأن القوم يجعلون أعمال التعبد من قبيل: الأصل في الأشياء الإباحة.

وبعيداً عن النقاش في هذه النقطة التي يعلم خطأها أي طالب علم، ولكن يبقى السؤال: إذا كان في حق هذا الذكر حكم الجواز، فلماذا تجعلونه ذكر الخاصة، بل تقدمونه على كل ذكر جاء القرآن والسنة باستحبابه أو بإيجابه على معنى ما؟

وعبد القادر عيسى يقول هذا: (فقالوا: وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد)!! بل هو يجعل طريق الخواص -بعد تدريبهم في الابتداء على كلمة التوحيد- أن يرتقوا لهذا الذكر ليحصل لهم درجة الإحسان.

هل نتساءل: أين الصحابة من هذا المقام، وأين الصحابة من ذكر الخواص هذا!!.

يأتي الشيخ عبد القادر لقضية الحركة في الذكر (هكذا يخفف وقع حقيقة الفعل بجعله مجرد حركة!)، لكن هو يمرر مراده بتؤدة ومكر، فانظر إليه وهو يقول: وأن الاهتزاز بالذكر لا يسمى رقصاً محرماً!

هكذا تحولت الحركة لرقص. ثم تتحول الحركة بعد ذلك إلى: حركة شديدة، يتحرك ويقوم ويقعد.

هكذا دخلت عالم ذكر جديد لا يعرفه الفقه ولا العلماء، ولكنه صار شعاراً لجهلة لهم خصوصية الاتّصاف بالبدعة عند كل فقيه.

عبد القادر عيسى يمشي على طريقة الصوفية في فهم كتبهم والتعامل بها، وذلك من خلال مسلكين إذا كان فيها الضلال والشرك والبدعة، فهو يعامل المخالفين بأن هذه نصوص مكذوبة على أصحابها، فإن روجع بأنكم تقرؤونها وتتسامرون بها، ولا تردونها فيما بينكم بحجة الدس فيها= قالوا: هذه كتب خاصة لأهل الطريق لا يجوز لغيرهم الاطلاع عليها، فهم أهل علومها وإدراك مراد أصحابها، وهذا هو المسلك الثاني.

وبهذا يحصل لهم الحصانة ضد كلام الفقهاء والعلماء إذا ما تكلموا فيها بما يرون فيها من ضلال وزيغ.

تأمل كلامهم عن الكشف والإلهام، وقارن بين العرض العجيب لهما وبين واقعهما في حياة شيوخ التصوف.

الكشف الحاصل للشيوخ دليله ما وقع للأنبياء من هذا المعنى، كما يستدلون، وببعض قصص الصحابة فيما وفقوا فيه من إصابة الحق، وهذا يقع للصالحين عموماً، وليس للمتصوفة ولا لشيوخهم، ولكن الكشف عندهم هو اطّلاع الشيخ على عالم الغيب، والتحديث عنه جازماً به كأنه يعيشه، وحين تتأمل وقائع كشوفهم -كما في كراماتهم المعروضة في كتبهم- تجد ما يضحك الثكلى.

لو رجعت إلى كشوفهم في كتاب الشعراني "الطبقات الكبرى" وكتاب يوسف النبهاني "جامع كرامات الأولياء"= لرأيت أقواماً مجانين، لا يشك عاقل بله مسلم بأنهم مجاذيب صرعى الجنون حقاً.

ثم هل الإلهام حالة خاصة أم دوام حال تجعل المرء يعيش مع الغيب، وهو مطلع عليه في كل وقت وحين؟.

ثم تفصيل الكشف على أصحاب الأحوال الجنونية والتي يسمونها الجذبة تعرفك نوع ما يعتقدونه.

قبل أن ننتهي منه فلا بأس من أن تعلم أن الصوفية أهل جهل، ولو قلت: أهل كذب لما أبعدت، وذلك بنسبة طريقتهم لعلماء لم يكونوا يوماً جهلة صوفية؛ فهم ينسبون طريقتهم السرية هذه في أسانيدهم إلى علماء عظماء تسويقاً لباطلهم، كدعواهم، وهي دعوى عبد القادر عيسى، أن بعض مسانيدهم تصل إلى أبي حنيفة، وهذا أمر مع كذبه هو أهون من غيره حين يوصلون خرقتهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

في ختام عرض هذا الكتاب بما يناسب الحال: هذا كتاب دعاية وتسويق، فيه الخداع والتلبيس؛ فهو يعرض حقيقة مشوهة تستطيع أن تراها في زيارتك لأي زاوية صوفية فيها شيخ صوفي، حينها ترى الجهل والدعاوى والبدعة، وأشياء أخرى عجيبة. وعبد القادر عيسى يسوق كل هذا بتجميعات فيها الكثير من الغلط، مع بعض ما يحبه الناس من تحصيل الصلاح والتقوى والعيش مع الأولياء.

لم يعرض عبد القادر عيسى بعض ما يذكرونه من أورادهم العجيبة، بل هي الضلال إن لم تكن الشرك، فمجالس تلاميذه، كمجلس حازم أبو غزالة، يقرأون كل صباح ورد ابن بشيش، والذي فيه: اللهم أخرجني من أوحال التوحيد، واقذفني في عين بحر الوحدة.

هذا الورد هو مفتاح قصتي مع حازم أبو غزالة، حيث جعل الوحدة أعظم من التوحيد، وانتهى به الأمر إلى تكفير ابن تيمية، وانتهت الجلسة بأن من كفر مسلماً فقد كفر، ولم يستطع الشيخ إثبات كفر ابن تيمية، بل لم يُرد أن يسمع الذبّ عنه.

كليمة في كتابين (١٣):

الأدوار السياسية للعلماء ومفاكهة ذوي النبل والإجادة

للأستاذ مصطفى الحسناوي، ولعبد الحي الكتاني بتحقيق الحسناوي

[٢٠ كانون الثاني ٢٠١٨ – ٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

تمنيت أن أكون مطلعاً على مقدمة الأستاذ المحقق قبل أن أتكلم عن عبد الحي الكتاني عند مناقشة كتابه "التراتيب الإدارية"، فإنه كشف لي عن جانب مهم من شخصية هذا الفقيه، وعرفني بمحطة مهمة، أعتقد –كما أخبر بها المحقق– أنها سبب تصرفاته التي جلبت عليه سوء المقال والتهمة، ليس فيما مضى كما يقول البعض، بل إلى يومنا هذا، فهناك من هو قائم لا يكل في قذف هذا الرجل وسبه وتحميله تهم العمالة والخرافة.

جزء الشيخ عبد الحي الكتاني "مفاكهة ذوي النبل والوجادة" ليس من الفرائد للشيخ، وهو أشبه برسائل المعاصرين في الردود، إلا ما فيها من جزالة اللفظ وقوته، وقوة التجميع من الأمات التي تناولت موضوع عزل السلطان لتخلفه عن أداء واجباته.

ولكن مما لا شك فيه أن هذا الطرح الفقهي هو الملائم لطبيعة وحقيقة العقد بين الأمة والسلطان، فتخلف المعقود عليه يفقد العقد أهم الأركان، وهذا الفهم لحقيقة الأحكام السلطانية بعيد عن فهم الجهلة الذين يسيطرون اليوم على أدوات النشر بقولهم: إن أمر هذا العقد زواج كاثوليكي لا يفصم إلا بالموت أو كفر العاقد في خاصة نفسه، معلناً هذا الكفر بلا شبهة ولا استتار.

والشيخ عبد الحي الكتاني قد يعذر في عدم تأصيل هذه المسألة كما ينبغي في جزئه، ولم يقدم لها ما يلزمها من حقيقة السلطنة والملك في ديننا، وعذره ربما أنه أنشأ جزأه هذا رداً على كلام صحافة فقط، وذلك في عزل ملك وتسييد آخر. وربما يعذر بما أعذره الأستاذ المحقق أنه ناقش قوماً لا يستحقون سوى المفاكهة!

كما أن الرسالة ليست تأصيلاً لقضية عامة، بل هي حديث عن قضية خاصة، جرى حولها النزاع بين فريقين: فريق يدافع عن الملك المعزول، وفريق يرى عزله شريعة.

إفادة جزء الشيخ الكتاني تحدث عنها الأستاذ المحقق، وتكلم بإجادة وفهم، وهي أن عزل السلاطين حق الأمة حين تتخلف شروط الإمام في السلطان، لكن ما أجاد فيه الأستاذ المحقق هو بيان أقدار الله وعجائبها في هذه المسألة والواقعة.

بعد أن عزل السلطان عبد العزيز ووضع عبد الحفيظ بديلاً، وكان من أكبر من قام بهذه المهمة من المشايخ هو الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني، وهو أخ الشيخ عبد الحي، ولكن بعد تنصيب عبد الحفيظ انقلب هذا السلطان على الشيخ محمد بن عبد الكبير فبطش به بطشة كبيرة صارمة، بل ودموية.

والسلطان عبد الحفيظ استخدم الفقه في هذا القتل، حيث كانت حيثيات الحكم أنه وقع في مخالفات شرعية، كون الرجل صوفياً وصاحب زاوية وطريقة.

الأستاذ المحقق أبدع حقاً في بيان هذه المسألة، وأتى بها على وجهها، وفسر بهذا البطش بصورته الحقيقة، وما سببه، ثم جعله علة تغير الشيخ عبد الحي الكتاني وما صدر منه بعد ذلك من ممارسات أودت به في نهاية المطاف أن يلتصق بالفرنسيين!!

هذا الشرح الرائع من المحقق يقنع كثيراً، ومن خالفه يحتاج إلى جهد كبير ليرجعنا إلى خانة الحيرة في حق الشيخ عبد الحي الكتاني.

الشيخ عبد الحي الكتاني ليس هو وحده من وقع في هذا الوضع، ولا الذي وقع لأخيه كذلك، فإني أرى الكثيرين من المشايخ في هذا السياق، فالملك عقيم كما يقول عبد الملك بن مروان.

هذا ليس تبريراً من المحقق، بل هو تفسير يجمع الكثير من أجزاء الصورة المفقودة.

هذه ليست الفائدة الوحيدة من المحقق، فعندي له اثنتان أخريان:

الأولى: رأيته في بداية الكتاب يحمل بقوة على العلمانيين، وتصورته يقاتل ويصرخ ويحارب، وهذه منقبة له، ومع عدم علمي بعمر الكاتب لما قرأت الكتاب، إلا إني لم أتخيله إلا شاباً جلداً، يستفز بقوة من الكذب الذي يأتيه هؤلاء الفجرة الكفرة من العلمانيين.

من قرأ الكتاب لا بد أن يحس بهذا النفس المقاتل.

ثانيا: شكره لمشايخه، وهم أحياء، واعترافه بفضل من له يد عليه، وخاصة ما ذكره عن الشيخ محمد شاكر الشريف، فهذا من حسن العهد الذي فقد أهله في هذا الزمان إلا قليلاً.

بقي لي كلمة واحدة في حق العنوان: الأدوار السياسية للعلماء!! لا أدري بما هو في قلبي تجاهها: هل هو ردها، أو شيء آخر؟، فالشيخ الذي أفتى وسعى لعزل السلطان السابق قتله السلطان اللاحق دون أن يرف له جفن!!

بهذا الحال؛ ألا يخرج قهراً من نفوسنا قول: هل حقاً كانت الجموع تنتظر فتوى الشيخ لعزل وتمليك، وإن صح هذه فأين الجموع التي تمنع قتله؟!

ختاماً:

جزى الله الشيخ توفيق الدكالي في سعيه وما بذله مع واقع الحال لأن يصلني هذا الكتاب، فله يد تستحق الشكر، مع ما ذاكرني حوله.. وبمثله يعرف المرء قيمة الحب في الله مع البعد.

كليمة في كتاب (١٤):

الحداثة والهولوكوست

لزيجمونت باومان

[٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨ — ٨ جمادى الأولى ١٤٣٩]

من الواجب قراءة الألفاظ المتداولة من خلال ثقافة أصحابها، لأنها لو عريت عن هذا الفعل لم تعد لتلك الكلمات معاني عالية أو هابطة في الوجود، وهذه مشكلة الثقافة بل معضلتها الكبرى.

(الهولوكوست) كلمة لا تصنع أي ردة فعل شعورية عند القارئ العربي، بل هي في أفقها الأعلى لا تمثل عند الكثيرين من العرب والمسلمين سوى أسطورة كاذبة، وسوق نخاسة للابتزاز واللصوصية، وهي عندي أنا كذلك، لا من باب الخيال النفسي بل من باب التحقيق التاريخي، فلا وجود أبداً لشيء اسمه المحرقة اليهودية، ولا وجود أصلاً لما سمي بأفران الغاز التي كان يلقي فيها النازيون اليهود أحياء، بل حقيقة هذا كله يدور حول الواقع التالي:

شعر هتلر وكثير من الألمان أن اليهود مع الشيوعيين (كما ذكر ذلك هتلر في كتابه "كفاحي") هم أس البلاء الداخلي لبلاده، فهما شر محض في منع تطور ووحدة ألمانيا؛ وهذا الكلام حق ولا شك، فالعزلة اليهودية مع عبادة المال وكنزه، ومع شعور التفوق اليهودي على الغوييم من غيرهم= يصنع منهم دوماً عامل سرقة ولصوصية، يحول كل من آمن بهذا الاعتقاد إلى طفيليات قاتلة في البدن الذي يحلون به، وهكذا كان اليهود. فنشوء ما يسمى بالمسألة اليهودية لم ينبع من نظرة الاستعلاء الغربي على العرق السامي (فقط)، بل كان ينتشر الحقد على اليهود بين الناس بسبب العزلة الشعورية بعامل الاستعلاء النفسي، وبسبب العزلة الحقيقية في داخل التجمعات اليهودية الخاصة، وبسبب ممارسة امتصاص الناس وأموالهم، دون رحمة ولا احترام لطبيعة ومشاعر الأكثرية الذين هم وسطهم، وهذا هو سبب الممارسات الغربية ضد اليهود بينهم، مع شيء من الغرور الغربي كذلك.

لما وصل هتلر إلى سدة الحكم حارب الشيوعيين حرباً قاتلة، وكذلك اليهود، وكان قصارى جهده معهم تجريدهم من المزايا التي وضعوا أنفسهم فيها، ولتجنب شرورهم جمعهم في معسكرات اعتقال، وهذا أقصى ما عمله معهم.

وأما ما يسمى بأفران الغاز فهو أكذوبة يهودية صارخة، فإن هذه الأفران كانت إذا مات يهودي في هذه المعسكرات رموه فيها، على ما يفعل الأوروبيون في موتاهم الآن.

هذا قصارى ما فعله هتلر بهم.

الوثائق اليوم تثبت شروراً كثيرة لليهود مع هتلر ضد اليهود (باومان يأتي على ذكرها في كتابه)، ولتعاون اليهود مع هتلر كذلك.

بعد هزيمة هتلر نسج اليهود أكذوبة المحرقة اليهودية (الهولوكوست)، وبدأوا باستثمار هذه الكذبة، حتى صرخ أحد اليهود فيهم: كفاكم كذباً واستغلالاً مالياً لهذه الأكذوبة، هذا اليهودي هو: نومان فنكاستين، وسمى صرخته: "صناعة الهولوكوست".

الغرب المتصهين، والمسيحيون التوراتيون، أحاطوا هذه الأكذوبة بمجموعة قوانين صارمة تمنع إنكار هذه الأسطورة، بل تجرم من شكك في أعداد موتاها.

المهم أن هذه الأسطورة دخلت الوجدان الغربي، وصارت على العموم جزءاً من تفكيره.

في السجون البريطانية موعد سنوي مع قراءة ما كتبته طفلة يهودية خلال حبسها في المعسكرات الألمانية الهتلرية، ومع كل الوثائق التي أثبتت كذب هذه الذكريات، حيث أن لغتها تتعدى سن الكاتبة المزعومة، ومع أنها كتبت بقلم حبر جاف في وقت لم تكن هذا الأقلام موجودة، إلا أنك مطالب أن تستمع لها حزيناً باكياً، لا تملك لنفسك حق الاعتراض ولا المناقشة.

زيجمونت بولمان صاحب هذا الكتاب خرج من سيطرة الصهيونية، ولم يعد يؤمن بها، وللذكر؛ فالصهيوني هو من آمن بدولة يهود، وقد يكون ملحداً، لكن هذا لا يخرجه عند أحبار اليهود عن اليهودية، ولا يخرجه عن مفهوم

السياسيين أنه صهيوني، ولذلك فهذا الكتاب لا يجدي نفعاً البحث عن يهوديته من عدمها، لكن يكفي أن يقول: إن أصوله يهودية، وهو ليس صهيونياً.

كتابات هذا الرجل تصب في طعن الحداثة، والتي هي دين المفكرين الجدد، كما هي فلسفة الحكم الكولونالي الجديد والذي تمارسه دول السيطرة العالمية الجديدة.

الحداثيون يبشرون بدين جديد، ويستغفلون الناس أن سبب الحروب والمآسي هو الدين، وحيث انطلقت قيم المجتمعات بعيداً عن الدين تحقق فيها السلام، والأمن، وكان التسامح.

حاولت أن أتدسس في كلمات باومان حول تصديقه أو تكذيبه لحقيقة المحرقة، فهل هو مشكك ولو بتلميحة ما حولها، أو أنه يبني نظريته في نقد الحداثة على حقيقة وجود الهولوكوست؟

الكلمة الوحيدة التي استطاع باومان دسها في كتابه حول المحرقة هي الكلمة التالية: كانت الهولوكوست في واقع الأمر مأساة يهودية. صحيح أن اليهود لم يكونوا الجماعات الوحيدة التي تعرضت إلى معاملة خاصة على يد النظام النازي...

هكذا، تحت هذه الكلمات هروب سريع من تهمة التشكيك، ومحاولة ملتوية من مواجهة الحقيقة.

صحيح أن باومان رجل فكر وسياسة اجتماعية، لكن هذا البناء السميك الذي صنعه في نقد الحداثة إنما أقامه على صور خداعية يصنعها تاجر خبيث، وهو جزء لو تفكر باومان فيه لوجده هو من يمثل أكذوبة الحداثة التي يريد هدم أسسها الإنسانية في كتابه هذا.

لكن هناك ما يمكن التأسيس عليه من طرح باومان:

الغرب يحاول جاهداً وبقوة جعل الحضارة!! النازية خارج الحداثة الغربية، وهنا يكمن لهم باومان صائداً، فيقول: إن النتاج النازي هو نتاج غربي، وهو تتويج متكامل لحضارة الحداثة الغربية.

بل يقول: إن الهولوكوست وقعت في أوج حضارتنا!! وفي ذروة إنجازنا الثقافي الإنساني.

ما تقدم لا يعني أن باومان لا ينقد التصرف اليهودي، بل هو بطريقة ذكية يدمج الرؤى اليهودية ضمن الحداثة القاتلة. بل هو يجعل الرؤى اليهودية في العالم الغربي هي منطلقات هتلر في إزالتهم من أدوات الصراع مع خصومه.

هنا يمكن أن ينصب اليهود له المشنقة، لكن باومان رجل ذكي، فهو يضع كل هذا ضمن تصويبه فوهات بنادقه ضد الحداثة باعتبارها لا تستوعب الآخر بل هي دموية المسلك.

فكل أفكاره منصبة حول أسس النازية، وأنها لا تمثل نتاجاً غريباً في مسار التاريخ الأوروبي الحديث، بل كل ما حصل منها هو تجليات الثقافة الغربية الحديثة.

هذا البناء أسسه على أبنية الحداثة، باعتبارها عملاً سياسياً واجتماعياً، وكان الأضعف حضوراً هو النقد الأخلاقي لهذا الدين الجديد الذي يعظمه أصحابه، لدرجة سوق الحروب وصناعة الكوارث من أجل نشره في العالم.

من أهم مباحث الكتاب نقد اليهود بعد الحداثة، فإنهم -كما يصفهم- قد خرجوا من العزلة التي ضربوها على أنفسهم أو ضربت عليهم، لكنهم ورطوا أنفسهم في صراعات تاريخية، لا يقصد منها فقط الحالة التي يمثلها الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين، بل بقاء مفهوم اليهودي المرابي (شيرلوك) في ذهن الغربي، فبدل كلمة الربا تحول العدو لكلمة رأس المال، وهي ما زالت على حالها.

الكتاب يصلح له عنوان واحد فقط: حل المسألة اليهودية الجديدة لما بعد الحداثة.

الرجل يشعر أن اليهود ما زالوا تحت خط الخطر، يعيشون نفس المشاكل التي أدت للمحرقة، ولذلك فالنتائج واحدة.

هذا كم كافٍ للالتقاء معه، ولنا كم آخر نحن نصنعه، ومشكلتنا نديرها بأنفسنا مع هؤلاء البشر.

ملاحظة: هذه الكليمة ظالمة في حق الكتاب، فالرجل لا يحسن التطويل ولا الحشو، ففيه الكثير من الرعب الذي يؤسس عليه كتابه ضد بني قومه (هذا إن كانت اليهودية قومية).

كليمة في كتاب (١٥):

نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفرائد

للحافظ خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي

[٢٥ كانون الثاني ٢٠١٨ – ٩ جمادى الأولى ١٤٣٩]

يسأل بعض طلبة العلم عن كتب تساعدهم في الجمع بين الفقه والأصول، مع إرباطهما بالدليل، ومصادر هذا العلم كتب شرح الحديث؛ فأنت تستطيع رؤية هذا الأمر في "التمهيد" لابن عبد البر، وكذلك في "الاستذكار" له، وفي "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، وفي شرح بدر الدين العيني للبخاري، ولكن يعاني الطلبة ضعفاً في مسايرة هذه الكتب المطولات، مع أن طالب العلم لو تعامل معها بالتقسيط، حيث يقف كل جلسة على حديث أو حديثين= فإنه يستطيع أن يستفرغ دررها، ويعلم علومها وما حوت، وبهذا تقوى لديه ملكة الأصول والفقه، وهما أس صناعة العقل الفقهي، وبهذا يذلل له النظر في النوازل والاختلافات الفقهية ويعرف كيفية بناء الفروع على الأصول.

والعلم ليس معرفة الخلاف في المسألة بل العلم معرفة نزع المسألة، وللآمدي الأصولي الكبير كلام عظيم في هذا الباب أنقله لأهميته، وهو في كتابه العظيم "إحكام الأحكام" (١٥١/٤)، تحت باب: الاعتراضات الواردة على القياس، وذلك في الاعتراض الخامس والعشرين؛ يقول: وحاصله يرجع إلى تسليم ما اتخذه المستدل حكماً لدليله على وجه لا يلزم منه تسليم الحكم المتنازع عليه.

ثم يقول:... خفاء المدرك أغلب من خفاء الأحكام، لكثرة المدارك وتشعبها، وعدم الوقوف على ما هو معتمد الخصم من جملتها، بخلاف الأحكام؛ فإنه قلما يتفق الذهول عنها، ولهذا قد يشترك في معرفة الحكم المنقول عن الإمام الخواص والعوام، دون معرفة المدارك، فكان احتمال الخطأ في اعتقاد كون المدرك المعين هو مدرك الإمام أقرب من احتمال الخطأ فيما ينسب إلى الإمام من الحكم المدلول عليه. انتهى.

ولذلك كثيرا ما نرى رد البعض على كلام الأئمة دون النظر لما قاله الآمدي، وهو غلط في البحث والنظر.

وأشبه ما أرى مثالاً في هذا ما انتشر من رد فقه ابن عباس رضي الله عنهما في تقدير مقام المرء مقيماً في بلدة لتحقق معنى السفر، وقد قال الإمام أحمد عن هذا الاستدلال: إن القليل من يعلمه، كما قال الأثرم، وهو مثبت في "المغني" لابن قدامة.

ولذلك يعجبني كثيراً شاه أنور الكشميري وهو يعلن حيرته في الترجيحات الفقهية، وذلك لخفاء مدارك أهل الفقه في أقوالهم.

ويسيء للفقه من تعامل مع خلافات الفقهاء بجزم التخطئة والتصويب كما يفعل المبتدؤون والصغار.

هذا الكتاب شرح لحديث ذي اليدين في السهو، وقد أخذه من "المنتقى" للمجد ابن تيمية، وأفرغ الحافظ الكيكلدي عقله في شرح واستنباط المعاني العلمية: من فقه وأصول، من هذا الحديث، حتى بلغت فوائده عنده إحدى وأربعون مسألة.

اهتم في بداية الكتاب بترجمة الرواة من صحابة فمن دونهم، ثم أتى على مسائله وألفاظه، ومن ذلك الإشارة إلى طرق الحديث والتي راجع فيها ما قاله الأئمة عن هذه الواقعة وهل تكررت أو هي هي، ثم أتى على مسائل الأصول اللازمة لفقه الحديث، ومن ذلك البحث في قول الصحابي: من السنة كذا. وهي مسألة بحثتها في ورقات مع مسائل أخرى سميتها "الحوار مع الكبار"، رددت فيها على الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى، مستعرضاً كل ما احتج به.

هذه الطريقة هي التي أشار لها الإمام علي بن المديني أن فقه الحديث واستنباط علومه، ومعرفة الرجال هي العلم كله، فهذا نصف وهذا نصف.

ومن محاسن الكتاب في المناقشات الحديثية ما رد به الإمام الكيكلدي على طريقة الإمام النووي في توجيه الخلافات في ألفاظ الحديث إن كانت الحادثة واحدة، وهو مبحث يدخل عند أهل الحديث والفقه في: زيادة الثقة، مع ما في مبحث اتحاد المخرج من خصوصية.

الكتاب مليء بالفوائد الفقهية والأصولية، لا ينبغي لطالب العلم أن يتجاوزه، فهو صورة من صور التمرين في التعامل مع فقه الحديث، والخلافات الفقهية والأصولية.

أن يبلغ مجموع ما استنبطه الإمام من الحديث هذا العدد الطيب يدل على سعة العلم، ويدل على غزارة النص النبوي لطالب العلم، والكتاب ولا شك تمرين لهذا النوع من الاجتهاد والطلب.

كان هذا الكتاب في ذهني وأنا أشرح حديث الغلام والراهب والساحر وذلك في جزء "درك الهدى في اتباع سبيل الفتى"، فمثل هذه النماذج تهدي السائر في التعامل مع جوامع الكلم النبوي الشريف.

رحم الله علماءنا وألحقنا بهم على خير وهدى وعافية.

كليمة في كتاب (١٦):

دلائل النبوة

للقاضي عبد الجبار المعتزلي

[٣٠ كانون الثاني ٢٠١٨ - ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

أرسل لي أحد الأحبة العقلاء -وله يد سابقة- مقدمة هذا الكتاب قائلاً: مقدمة عظيمة، تصلح في الرد على كثير من الشبهات هذه الأيام؛ فجزاه الله خيراً.

هذا كتاب صديق قديم لي، ولكن عيبه الوحيد وهو في يدي أني لم أطلع إلا على جزئه الأول، من تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، ومضى حكمي عليه قديماً منذ أن اقتنيته من خلال هذا الجزء، وكنت أقول: هذه عقول عظيمة في الرد على الملحدين والزنادقة.

وعند ذكر طوائف البدع يقفز فوراً عند السني هذا السؤال: ما هو مقدار التقائنا معهم؛ أي المسلمين منهم، لا من كفر وتزندق وارتد؟.

والقدر المتفق عليه في الجواب على هذا السؤال هو: الحق الجامع بيننا؛ فحيثما قالوا بالحق وحيثما وقفوا أمام الباطل فنحن سواء.

عندما تكون معركتهم هي معركة الإسلام ضد الكفر، والهدى ضد الزندقة، فهم منا ونحن منهم، يصيبهم دعاؤنا، ونحميهم بما نحمي به أنفسنا.

كل طائفة من المسلمين حملت حقاً فهو من إرثنا، نتعلم منه ونواليه، وحين تقاتل بالعلم أو بالسلاح أعداء الدين فلهم منا حق النصر والدعاء. وحين توجه هذه الطوائف سهامها علينا، وتتنكب السنة= فحينها نجرد أقلام الحق ضدهم، فإن بغوا بالسلاح كالخوارج كان من القربة إلى الله أن نفريهم.

المعتزلة أهل جدل وعقل، وهم كما يقول ابن تيمية: أهدى في الطبيعيات من المتكلمين، وإن كان المتكلمون أهدى منهم في الإلهيات، وهذا حكم عادل منصف، لا يقوله إلا من خبر أصول المذاهب، ومآلاتها، وهو القائل رحمه الله: من لم يعرف أسباب المقالات، وإن كانت باطلة، لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبههم.

وبمثل هذا القول ردد تلميذه ابن القيم في ضرورة أصول المقالات، وكيف هي في نفس صاحبها، حتى تستطيع أن تلج لنفسه، ومن نوع خطابه تأتيه على قاعدة القرآن (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) واللسان أعم من نوع اللغة.

وهذا الكتاب للقاضي عبد الجبار كتاب رائع، مهمته إثبات نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من المصنفات مثله مثل المصنفات حول إعجاز القرآن –وقد كتب فيه القاضي كذلك شيئاً من هذا في هذا الكتاب– انتشرت في وقت انتشار الزندقة والتكذيب والإلحاد، فقد غلب على بلاد المسلمين في هذه الحقبة الباطنية والقرامطة والحشاشون، وقد ملكوا أغلب بلاد المسلمين وصارت لهم قوة وشوكة.

والناس في هذه الباب من نصرة الدين على أصناف: فمنهم من خاطب الناس بالنص فقط، ومنهم من مزج النص بنوع عقل المخالف، وقد بين ابن تيمية رحمه الله خطأ الطائفة الأولى وبين أنواع قصورها، وذلك في كتابه "درء تعارض العقل والنقل" فليرجع إليه.

ولا شك أن النص دوماً بحاجة لعقل يزيل عنه تلبيس الجهلاء، وصعف عقل المخالف، كشأن الفقيه مع المقلد والجاهل، إذ لو أعطاه النص قد لا يفيد منه، لضعفه في معرفة طرق الاستنباط، ومدارك الاجتهاد.

في نفس هذا القاضي من الثقة العظيمة بهذا الدين ورجاله، وخاصة أصحاب رسول الله والأربعة الخلفاء منهم، ما يذهلك، وتضطر اضطرار الواجد بغلبة الوجد عليه أن تترحم عليه وتدعو له.

مما لا شك فيه أن صاحب العقل لا يمكن أن يبني عقله دون أساس من الخبر، فالخبر والنص هو الأساس، ثم يأتي العقل والنظر، ولذلك ترى القاضي في كتابه يأتي بالأخبار التي رواها أصحاب الدلائل الخبرية، مثل البيهقي، وكتابه في دلائل النبوة من أعظم الكتب وأوعبها، ومثل كتاب أبي نعيم، وهو تالٍ لكتاب البيهقي، رحمهما الله تعالى، ثم بعد الخبر يبني البناء العقلي المتين في هذا الباب.

كان أعظم ما يستدل به هؤلاء هو نصرة الله لنبيه على خصومه، وهذه حجة قرآنية جلية، يحاول البعض اليوم التقليل منها بكون هذا القدر مشترك بين الأنبياء وغيرهم في تحقيق الغلبة والنصر على الخصوم وبناء الدول؛ وهذا جهل وغلط، وإن وقع به البعض من المناظرين للخصوم من الزنادقة والملحدين، فحال النبي في هذا لا يشبهه أي حال رجل آخر حقق نصراً أو بنى مصراً، والقاضي يقدم لهذا الدليل مقدمة عظيمة مهمة، هي ما أشار إليها الصديق –حفظه الله– بأنها صالحة للرد على الكثير مما يقوله أعداء الله: فأين في تاريخ البشرية رجل أكفر الدنيا كلها، وعادى كل من كان فيها، وضلل كل دين يدين به الناس يوم بعثته، وهو إذ ذاك فقير معدم وحيد، أجير معيل، ثم هو لا يعتصم بمخلوق، ولا يصوب ملكاً من ملوك عصره، ولا يلوذ بأحد من البشر، ثم هم من أحرص الناس على قتله، وطلب نفسه، وينذرهم أنه سينتصر عليه، وسيغلب كل ملوكهم وسلطانهم، وهو في كل هذا كالباعث لهم على نفسه، وكالحامل لهم على مكروهه، وهو يذكرهم بهذا، فسلم منهم مع هذه الأحوال. (هذه كلها كلمات القاضي، أسبغ الله عليه الرحمة).

ثم يأتي القاضي بكلمات هي العجب من الفهم والنظر، وجمال اللغة، ويسير سير العالم بدروب النفس ليقضي على الشر فيها.

والقاضي يأتي بالجاحظ مبجلاً، وبمثله النظام شيخ الجاحظ، محتجاً بكلماتهم، وهو في هذا على سنن الناس في هذا الباب.

أما حين يأتي على الملحدين فهو يكشف باطلهم، ويعري مقالاتهم.

ومما ينبه العاقل أن الرجل من أشد الناس على دين اليونان وكلام أساطينهم، لا يراها إلا ضلالاً وفساداً وكفراً.

لا يمضي الكتاب دون الرد على النصارى والرافضة والملحدين، وبيان وجه ما يعتقده من إعجاز القرآن، ثم السير موجهاً على وقائع التاريخ الدالة على صدق نبوة الحبيب عليه الصلاة وأتم التسليم.

الكتاب بما رأيته رحلة ممتعة مع العقل والمناظرة وحجاج المخالفين، ولا بد لمن سلك سبيل الرد على الملحدين أن يكون له تطوافاً ولو يسيراً مع هذا الكتاب، فالشبه هي هي، وأصولها واحدة، وإن اختلفت ظواهرها.

جزى الله الأخ الحبيب على ما هيج من ذكريات مع هذا الكتاب، وما نصح به من أهميته وقيمته.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (١٧):

جزء فيه شرح حديث (حبب إلي من دنياكم..)

لأبي بكر ابن فورك الأصبهاني رحمه الله تعالى

[٣١ كانون الثاني ٢٠١٨ - ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٩]

بعض الكتب من كلام سلفنا الصالح وضعت على معنى الحب، وعلى معنى الغزل، وعلى معنى القلوب، تقرأ فيها فكأنك تعاشر نفساً تطرب، وحنايا بين النفوس تقيم ولا تذهب، فهو تطوف بك في معاني الذوق فوق ما تريده الكلمات، يحاول بها صاحبها أن يطير بها لا أن يعبر بها إليك، فأنت حينها لا يضرك إلا ضعف الكلمات في الإبانة عن الشوق، وعجزها عن كشف سر ما يحس وما يتلذذ.

إنها من معاناة الناس الذين يذوقون، تبقى كلماتهم الجميلة في أنفسهم، كلما جاءوا إلى الورق ليخرجوها استعصت وهربت، فهم دوماً مع هذا المعنى: إن أعظم كلماتنا تلك التي لم نقلها بعد.

مع هذا الجزء العلمي من كلام الإمام ابن فورك تأتي إلى رجل يذوق، ويعيش، يتحدث عن حبين عظيمين، وعن معنيين من معاني الوجود لا يدرى عنهما إلا أن تقف على شفا البئر منهم فتعب ولا تثمل، وتشرب ولا تتضلع، فأنت كلما أوفيت على شيء عظيم برز لك أعظم، وكلما التقطت صيداً قام لك أجمل، فيا لله كم يصنع الحب في هذا الدين من جمال، وكم يتلذذ أصحاب المعاني!

في هذا الجزء الرائع يعيش هذا الإمام مع جمالين، هما: الجمال، ووسيلة للجميل.

أما الجمال الأول؛ فروعة الصلاة في قلبه وتذوق معانيها الكامنة في جوهرها، فهو لا يتحدث عنها حديث الواصف الذي يراقب، بل حديث السابح في الجمال والذائق لمعانيه، فهو مغمور في النور مغموس في سبحاته.

وأما الجمال الآخر؛ فهو حب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يرى رجلاً قد رعته العين الإلهية، لا يقيم شيئاً في نفسه إلا بإقامة الله له، ولا يلمس معنى من معاني الوجود إلا من خلال المعنى الذي يحقق له العبودية لربه، فهو إن أحب فبحب الله أحب، وإن رضي فبرضا الله رضي، وإن قرت عينه بشيء فلأن الله يريده منه.

كيف يعيش المرء بين رابطة الأرض وضروراتها وبين صلة السماء ومغانيها، دون طغيان ولا ضعف، ودون هروب من ضرورة ولا تقصير عن ارتقاء؟ تلك معضلة الحياة لمن فهم سرها وأن أعظم ما فيها هو التعبد لرب العالمين؛ فهو يعيش جمال الأرض من ذوق نعيمها: **حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**، ويعيش أعظم من ذلك مكبراً للعظيم، خاضعا لأمره، لا على معنى الغصب ولا على معنى التكليف، بل الكلف والحب والشغف: **وجعلت قرة عيني في الصلاة**.

هذا الجزء الرائع يشرح علماً عظيماً، ويجيب على أسئلة يرسلها الصديق والطالب ليجيب عنها العالم الذائق، فيذهب للنبع مستقلاً حمل الجمال، وحمل العلم، وحمل روعة الكلمات، وهذا البئر غزير العطاء، لكنه بعيد الغور لمعاني الخاصة، قريب العطاء لكل طالب.

ومع هذا الخليط من العلم، وهذا الذوق، كان علماؤنا يصيغون كلماتهم وكتبهم، لا يتحدثون حديث العقل فقط، ولا حديث المطلقات فقط، بل يتحدثون حديث العلم والعقل والحب، فتأتي كلماتهم على استواء وتمام، يستقي منها السالكون لرب العالمين.

قال صاحبي: هذا عصر لخلاصة الكلمات! وقد صدق؛ فشكر الله له أن دلني على هذا الكتاب، الممتلئ حكمة وعلماً، ونفساً رائعاً، علمت منه كيف كانت صلاة القوم، وكيف ينظرون إليها في أنفسهم، وكيف هي وراثة الخير من رسول رب العالمين، وكيف كان هؤلاء القوم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، فيذهبون لكل لفظ يستنطقونه مقام الحبيب عند حبيبه: (**حبب إلي من دنياكم...**).

يا لله كم مر عليها من راوٍ، وكم أسمعها واحد لآخر، وكم مرت على أذن، ولكنها مع هذا العالم الرائع نزفت جمالاً وعلماً وإيماناً.

ابن فورك رجل لا نعرفه اليوم، ونحن الصغار، إلا في عالم المتكلمين والمناظرين، فنرفع ونخفض، ونقيم ونجرح، ولكن مع هذا الجزء دخل إلى قارئه من عالم آخر، هي سمة الصالحين من سلفنا العظيم، تختلف كلماتهم، وتتحد أذواقهم، لأنهم أهل حب لله ولرسوله.

من حق العلم مهما قهرنا هذا العالم بذوقه أن نقول له أخطأت في باب من أبواب الفقه عن القرآن، فحين يتحدث الذوق نسلم لهم، وحين تتحدث الكلمات يسمع، فيقال له: أخطأت وأصبت، والله يرحمنا وإياه رحمة واسعة

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (١٨):

الشمائل المحمدية

للإمام الترمذي رحمه الله

[٥ شباط ٢٠١٨ — ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٩]

هذا كتاب يستحق كلاماً كثيراً، ووقوفاً عليه كوقوف المطايا على باب حبيبة غيلان:

تَمَـــــامُ الْحَـــــــجِّ أَنْ تَقِــــــفَ الْمَطَـــــــايَا علــــــى خرقــــــاءَ واضــــــعةَ اللِّثـــــامِ

فهو حديث عن الحبيب المصطفى، وذكر الحبيب لمحبوبه لا يمل، وأعظم الناس حالاً مع الإيمان هم من وصفهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: (**من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**).

ومن صدق المحبة انشغال الحبيب بأخبار وصفات المحبوب، يجمعها ويراقبها، ويدرسها، ويفقه فيها حتى كأنه يعيش معها، وبهذا يحصل بعد ذلك الاقتداء. وأنت ترى اليوم من يعشق صورة، فيعلقها في صدر بيته، ثم ينهض لجمع أخبار هذه الصورة من شبح زائل من هنا وهناك، حتى يعرف عنه كل ما يمكن معرفته، ثم هو يقلده ويمشي على وصفه وأخلاقه وحياته، حتى كأنه هو، وكل فعل يقتدي به يزداد صلة معه، فهو في الابتداء يحب، وفي الأثناء يحب، وفي الختام يزداد حباً لمحبوبه، ويكون بينهما الاقتداء والتأسي والدخول في الصورة عملاً.

وقد ينشأ الحب من معرفة المرء بخصال محبوبه، وذلك لمشاكلة النفس للنفس، فالشجاع يحب أخبار مثله، وهكذا.

ومن أعظم قضايا النفس ضرورة وجود المثال المحبوب، ولا يقدر المرء على تخطيها، فهي فطرة من الفطر التي جبل عليها.

ولذلك من الإيمان محبة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه كما في الحديث، وهذا الحب يصنع، ويجاهد لتحصيله، وأول سبل تحصيله وكسبه هو معرفة خصال هذا النبي العظيم كما

هي، إذ كان هذا الباب هو من أسباب هداية الصحابة لهذا الدين، ثم تزداد المحبة بزيادة القرب له، والتعرف عليه، والانشغال بأخباره صلى الله عليه وسلم.

هذا الكتاب صنفه عالم جليل، ضرير البصر لكنه مبصر البصيرة، جرى فيه على سنن العلماء في شغل الناس والمسلمين بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته، وما كان عليه من خلق جبلي، وصورة مختارة من الله، ثم ما عليه من سلوك وحياة.

شيخه البخاري كتب هذا في صحيحه، ثم أفرد للآداب النبوية كتاباً سماه: الأدب المفرد، وهذا الصنيع من أمثال هؤلاء العلماء مرده الرد على من قام بترجمة أخبار الفرس والهند وبسط أخلاقهم وحكمة أقوالهم، فكأنهم رأوا اختراقاً من الغير لقلب هذه الأمة، بل هو الاختراق بعينه، فكان هذا التصنيف الأثري الحديثي ليبقي صلة الأمة بخلق إمامها، وهدي إمامها، وسلوك خاتم الأنبياء والمرسلين.

طريقة المحدثين من سلفنا في الرد على الاختراقات العلمية والنفسية لها مسالك متعددة، ومن هذه المسالك طريقة أهل الحديث، إذ يصنعون النموذج السليم كما هو، ويعرضونه كما هو، ويتركون للناس الاستقاء منه والأخذ من درره ومعانيه، والناس في زمانهم يفهمون هذا ويعلمون حكمته، وذلك دون أن يرفعوا شعاراً على كتبهم أنها رد على كذا وكذا، ومن تأمل تراجم البخاري مثلاً علم هذا الأمر جيداً، وكذا من قرأ كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي علم أنه يرد على آخرين، وهكذا كانت طرائقهم تحمل الحكمة الخفية، فتسلك في الناس مسالكها الهادئة.

ولكن هذه الطريقة يفيد منها العلماء، ويعرف وجهها أمثالهم من الكبار، وقد تغيب على من بعدهم.

الإمام النووي ألف كتباً في الرد على الصوفية، وما كتاباه "رياض الصالحين" و"الأذكار" إلا رد على الصوفية وكتبهم ومناهج تعبدهم.

تأمل كتاب "رياض الصالحين" تجد أن تراجمه تشارك تراجم "إحياء علوم الدين" في كثير من القضايا، وكأنه يضع الحديث مقابل فقه الصوفية الذي أحدثه الغزالي، هذا مع معرفة النووي فضل الغزالي الفقيه ولا شك.

وكذلك كتاب "الأذكار" هو دعوة تربية للمسلم من خلال الذكر النبوي لا البدعي، فهي -أي أذكار النبي صلى الله عليه وسلم- هي أوراد الصالحين، وهي أحزابهم التي يداومون عليها، لا تلك الأحزاب التي أنشأها المتأخرون وعلموها أتباعهم.

كتب هؤلاء العلماء، ككتاب الإمام الترمذي هذا، لو فحصتها في نفس مصنفها لرأيت حباً للموصوف، ووقوفاً على هديه شغفاً وتتبعاً، فليست هي كتب رواية فقط، بل منبع هذا الجمع وأصل هذا التطلع هو الحب القلبي، وهو أساس الإتباع، فلا تسمع لدعوى محب بلا اتباع، ولا تسمع لاتباع بلا حب، بل أمر القلب أولاً ثم يأتي الإتباع، وقد يتأخر بعض الحب لجهل أو مرض فيصنعه الأتباع ويقويه؛ فهما كالدم للقلب: إذا قوي أحدهما قوي الآخر، يمد كل واحد مدده الذي يصلح غيره.

ليكن هذا الكتاب أنيسك الذي ترتاح على ضفافه، فتأمله في كل وقت، واشغل وقتك بالنظر فيه، وإياك وترك الاقتداء، ورحم الله الإمام أحمد إذ ذكر عن نفسه أنه لم يسمع بحديث قط إلا عمل به. فتلك والله مزية تجعلك محشوراً تحت لواء الحبيب المصطفى يوم القيامة.

كليمة في كتاب (١٩):

لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج

لكريم بقرادوني

[٧ شباط ٢٠١٨ – ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٩]

كيف يكون المفكر سياسياً وكيف يكون المفكر قائد حزب؟

كريم بقرادوني يمثل في الطيف السياسي اللبناني هذه المعادلة، وهي معادلة في واقعها العملي تمثل نفاقاً وتستراً على القبائح السياسية والحزبية؛ فلا يمكن في الواقع اللبناني والعربي على الخصوص أن يكون الحزبي مفكراً، وأساس الفكر هو العدل والقيم، وهذا أمر غير محتمل ولا مقبول في المعادلة السياسية اللبنانية.

هذا المفكر أغمض عينه، بل أعماها، عندما تحدث عن صبرا وشاتيلا، ولم تأخذ منه إلا كلمة واحدة فقط، وكأنها لمحة لضحكة استهزاء أو بسمة صفراء مرت على الوجه سريعاً وذهبت، ليس فيها الدم والقتل والظلم والفساد في الأرض، لكنه حين يأتي إلى اجتماع سياسي لا يتوانى في شرح أجوائه الليلية وحركات عيون أصحابه.

هذا أمر مقزز في نفس الأمر، ولكن من الغلط أن نطلب أخلاقاً في هذه البيئة العجائبية.

العجب أن الكتاب كله يسير في هذا الاتجاه، أقصد اتجاه الفعل السياسي العجائبي في بلد له تميزه في الحضور السياسي، في بيئة مختلفة عنه، ومغايرة لطبيعتها من جهة التركيب، ومن جهة السياسة.

عندما تقرأ هذا الكتاب تخرج من عالم البشر السوي، وتنتقل إلى عالم (زومبي) بامتياز؛ إذ يكشف لك الكاتب عن حقيقة ما يدور في هذا العالم، بشخوصه وتمنياته وصراعاته وتقلبات رجاله، هذا العالم الذي لا يراه الناس في ذلك الوقت إلا من خلال بسمات أهله في التلفاز أو من خلال خطبهم السياسية الذكية، أو من خلال كلمات التحقق الأخلاقي الظاهر، وهي في حقيقتها –أي هذه البيئة– بعيدة كل البعد عن هذا.

هذه الفترة التي يتحدث عنها بقرادوني، والذي صار زعيم حزب الكتائب في فترة السيطرة السورية على لبنان غنية بأحداثها، وتنوع الممثلين فيها؛ ففيها حدث الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، وفيها تم خروج الفدائيين منها،

وفيها نشطت عمليات الاغتيال للرموز السياسية الكبرى في لبنان، وفيها وفيها..، ولذلك أعتقد أن قراءته واجبة لكل مهتم بالشأن السياسي لهذه الطبقة، وهذه الفترة وما وقع فيها.

يعجبك في الأحزاب السياسية قدرتها على استيعاب المرحلة من خلال تنوع رجالها الفكري، ففيها –أي الأحزاب– ما في قبعة الساحر، حيث يستطيع الحزب أن يخرج لك ما تحتاجه للمرحلة، وهذا نراه في الدول كذلك، ففيها التنوع الذي يسمح بالمناورة السياسية الملائمة للمرحلة.

البعض منا لا يحتمل هذا، لأنه يريد حالة ذهنية واحدة، تلتقي مع الشيخ حتى في أحلامه.

كريم بقرادوني عضو مهم في حزب الكتائب اللبناني، وهو حزب معروف التوجه، بل لا يخطئ المرء معرفة صيغته العقائدية، والتي أرادها المؤسس بيار الجميل، ولكن سمح لتوجه عروبي ما في نفس هذا الحزبي، احتاجه يوماً لمهمة إمرار الحزب من مضيقه لحظة غياب الظرف الملائم له، حتى إذا انتهت المهمة عاد الرجل للقواعد، بعيداً عن التمثيل والصدارة.

يذهلك الكاتب في وصف الشخصيات السياسية اللبنانية، وهو يتدسس إليها كاشفاً عن نفوسها، وقدراتها، وتقلباتها، وما فيها من تطلع وما فيها من إخفاق، وكأنك في هذا الباب من الكتاب، بل هو في الحقيقة الكتاب كله، تعيش مع محلل نفسي، ودارس اجتماعي، ومحقق في الذوات والبشر، وهو يمرر فكرته في عرض الناس بذكاء؛ فقد يقذعهم في الطعن ولكن يحفظ احترامهم، كأنه لا يريد أبداً أن يقطع العلائق معهم، ولا أن يشفي غيظه منهم، ولا أن يعريهم تعرية الخصومة المؤلمة، بل هو يفعل هذا كله بطريقة رجل سياسي عالي المستوى حقاً في هذا الباب من تمرير الفكرة من خلال الحفاظ على خط الصداقة.

مع هذا الكتاب تكتشف سقوط المحرم في الفعل السياسي العربي، فلا موانع ولا خطوطا حمراء ولا شيء ممنوع؛ فلا خصومة أحد مع أحد، ولا صداقة أحد مع أحد، فسهل جداً أن يكون جعجع مثلاً متولياً أمين الجميل، وهو يشعر بأنه مستهدف من جهته، ثم في لحظة صغيرة ينقلب إلى عدو له، وثم تعجب أنه في هذه اللحظة الانقلابية تشتعل الأرض بالمعارك من خلال الأزلام الصغار والذين يظنون أن أسيادهم أصحاب مبادئ، وأن قائدهم يحقق مصلحة للبلد لا لنفسه ولا لحزبه.

لغة الكتاب لغة كاشفة عن نفس صاحبها، فهو وإن كان حزبياً لكن صفة السياسي قد غلبت عليه، فهو يعرف دوره متى يبدأ، ومتى يحتاج إليه، ومتى ينبغي له أن يتلاشى ويغيب، في انتظار لحظة الحاجة القادمة إليه.

كتاب صادم، مؤلم، يذهب بك إلى عالم المخلوقات القادمة من الفضاء، لأن كل تصور لهذا العالم دون أن تعرفه معرفة الحقيقة سيكون فاشلاً.

مع هذا الكتاب تعرف لبنان السياسي، الذي كان وما يزال، وتعرف من يمثل طائفته كما هي، ومن يمثل نفسه باسم طائفته، وكيف يمكن لكل ممثل أن يبسط سياسته على أرض الصراع والكذب والأحقاد.

تنوع صنع مجالات التبعية لكل خصم، والتعامل مع كل عدو، وتبرير كل سقطات الخيانة، وتسميتها سياسة.

كليمة في كتاب (٢٠):

هكذا تكلم زرادشت

لفردريك نيتشه

[١٤ شباط ٢٠١٨ – ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٩]

يعجبني عنوان كتاب الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء، فهو دال عما في نفس صاحبه من أن أمتنا وحدها هي من تنتج النبل والنبلاء، وأما أدعياؤهم فهم مرضى عقل، ومفلوجو إرادة، يصنعون صناعة الوهم بلا حقيقة، ويصورون في أذهان الناس على غير واقعهم.

هذا الكتاب يجب أن يسمى كتاب الوهم، وهْم من أوله إلى آخره، أراد منه صاحبه أن يكون فارقاً في تاريخ البشرية، فأهل بلده يؤرخون لمولد النبي عيسى عليه السلام، والبشر يؤرخون لتاريخهم من قضايا الوجود الكبرى، كما يؤرخ أهل الإسلام لتاريخهم بأعظم حدث في دعوة الحبيب المصطفى وهي الهجرة النبوية الشريفة.

وهذا الرجل الذي ولد مصدع الرأس مريضاً بالزهري الوراثي (يا لبيت نشأ فيه، والذي كان فيه أبوه واعظاً بروتستانتياً)، ثم انتهى به إلى أن يحبس بسبب الفالج الذي أنذر بالجنون، مع هدية قدرية تلائم ما سعى إليه وذلك بموته مع مرض السفلس والذي هو نتاج قاذورات الخلق والبدن= أراد معظموه أن يجعلوه قرين الأنبياء بهذا الكتاب، كما أراد صاحبه هذا؛ فأراد أن يخاطب البشرية معظماً إياها، وأنها هي كل شيء، وهي وارثة الرب خالق السموات والأرض، فأعلن بصلف موت الإله، وجعل كل شيء نسبياً ولا حقيقة مطلقة، وأرد أن يصنع الإنسان الخارق الذي لا تحيط به سنن ولا تقدر عليه الأنواء.

من قرأ كتابه يرى أن نيتشه يغار ويحسد المسيح عليه السلام –كما هو في ثقافة أهل بلده– ويريد أن يكون بدله في التعظيم والوعظ ووضع الحكم، فلم يحصل على أي كلمة تعريف في حياته، بل عاش مجهولاً، وما انتشر ذكره إلا بعد موته، فقد صدح ذكره بعد وفاته (١٨٩٠) حتى كان خلال خمسين سنة بعد وفاته هو موجه العالم المتمدن الجديد، يستشعر الشباب جنونه أنه حكمة، وأن وصاياه فقط يمكن أن تطلق قوى خفية في داخلهم.

تأمل قوله:

- ما هو الشيء الحسن؟ هو كل ما يزيد الإحساس بالقوة، أي إرادة القوة، أي القوة ذاتها في الإنسان.

- ما هو الشيء السيء؟ هو كل ما ينشأ عن الضعف.

- لأنك جعلت الخطر حرفتك، لذلك أدفنك بيدي.

- لصغار الناس صغار الفضائل، ولكني لا أعرف ما حاجتنا إلى صغار الفضائل.

مما قاله الأستاذ محمد قطب أن داروين هو أس مشكلة الفساد في الفكر الغربي، حيث جرد الوجود من كل العلائق إلا علائق المادة، فأفرزت رؤاه وفلسفته ومزاعم نظرياته كل الفلسفات المادية، ومن ضحايا هذه النظرية هذا المجنون نيتشه (كان داروين يعاني مرض الأرق).

لقد تلفع نيتشه بنظرية التطور، فاشتق منها صعود الإنسان إلى صفات يتعالى فيها عن إنسانيته، ليصبح الإنسان الفذ الخارق.

هذا الكتاب "هكذا تكلم زرادشت" كتبه بصيغة وعظ، وبلغة شاعرية، وعلى طريقة الحكم، ومن هنا حصل لكتابه الانتشار ولفلسفته الحضور بين الشباب، فهو لم يتكلم باللغة الفلسفية التي قال بعض رجالها لما كتب كتابه: هذا الكتاب لا يفهمه إلا... وأنا.

هذه اللغة الشاعرية والسهلة جعلت له إمكانية التغني والترنم، مع ما فيه من وهم إمكانية صناعة المستقبل دون شعور بقهر القدر عليه.

لم يحاول نيتشه أبداً أن يبدي دليلاً لكلماته، بل ألقاها كأنها حق وكفى، فخذها كما هي، ويكفي أن يقولها هو لتكون الحكمة التي أخطأتها البشرية حتى نطق بها هذا المريض.

لقد اشتغل بمناقضة وصايا المسيح كما هي في الإنجيل، وحرص على تعقبها، فهو مشغول بهوس وهذيان ليقيم لنفسه صرح الواعظ الجديد.

الإنسان الخارق، والعودة لشريعة الغاب، والتنازع ليحصل أفضل الخلق بوحشيتكم هي عماد كلمات هذا المريض، ومع ذلك تلقاها أناس حكموا بلادهم كهتلر، وأرادوا صناعة الوجود على وفق هذه الكلمات.

كان هتلر العنصري معجباً بنيتشه، وقد أهدى صاحبه موسوليني مجموعة فاخرة من مؤلفاته.

مات نيتشه وماتت وصاياه، وبقي منها شعور الغربي أنه متفوق فوق البشر، وأنه يرتقي في سلم الوجود والعالم كامن في خزيه، وبقي هذا الشعور في نفوسهم أن عالم الفضائل يصلح لجهل الشرق وضعفه، وأن هذا الغربي كلما احتقر كلمة (أخلاق)، وكلما تجاوز كلمة (فضائل) ومشتقاتها= فهو متوجه بقوة وصواب نحو أهدافه بحكم العالم.

مما يؤسف له أن بعض أبناء هذا الدين حاولوا تقمص صورة وصاياه فلم يجنوا إلا الخزي، ولم تفدهم مشاعر احتقار الآخرين إلا احتقار الناس لهم، وما تحصلوا إلا ما تحصله سيدهم: مرض السفلس الجنسي، وعوارض جنون أقعدته في مستشفى المجانين خمسة عشر عاماً.

صحتين وعافية.

كليمة في كتاب (٢١):

سدهارتا

لهرمان هيسه

[١٥ شباط ٢٠١٨ - ٣٠ جمادى الأولى ١٤٣٩]

الباحثون عن الحقيقة

هذه قصة رجل قلق، يبحث عن الحقيقة، هذه الحقيقة التي هي كامنة في أنفسهم فطرة خلقوا عليها، لكنها غابت وحوّرت وانطمست، فعاشوا قلق النفس والقلب والعقل. ومثل هؤلاء قليل، لأن الكثيرين تعجنهم الدنيا بصورها، وبهرجها وزخرفها، ثم تخرجهم يعيشون مع التيه، والنسيان، فيذهب الشوق للمعاني والحقائق، وقلة تبقى منصرفة لهمّ العلم بجواب السؤال الكبير: من أكون؟

هذا السؤال شغل سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، فذهب ينشد سبيل الوصول لرسالة الله له، يتقفر الواقفين على مجرى العلم بالنبوة، لا يأبه في حاله كيف يصير؛ عبداً يخدم الناس، أم فقيراً لا يجد قوت يومه؛ فهذه أشياء تافهة، تزول وتفنى، وأعراض تتحول، لكن الحقيقة هي الجمال.

على سنن البحث عن الحقيقة عاش مؤسس دين السيخ، المسمى غورو ناناك، يبحث عنها، ويسعى لطلبها، فوجدها كامنة في كلمات ودعوة الحبيب المصطفى، فوقف على بابها، ولم يكن بينه وبينها ليكون من أهلها إلا خطوة واحدة.. لكن طول الرحلة لم تعلمه التواضع، ولم تعلمه الاستسلام للحق من غير هوى؛ فقد تكبر أن يدخل تابعاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فأدار ظهره وذهب بعيداً، يلتمس منه بعض ما يقول، لا ليأخذه من واسطة الحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ليجعله من جهة نفسه هو.

إنه الهوى أعظم مانع من موانع اتباع الحق بعد معرفته.

هذا القلق لا يشعر به من رحمه الله فخلقه بين أبوين مسلمين، تسري مع فطرته كلمات أبويه وهو يسبح ويقرأ القرآن، ويذكر الله ويصلي. لكن هذا القلق محنة غير هؤلاء ممن ينشأ في بيئة كافرة، تخط له كلمات الباطل ومعتقدات الشيطان، فحين يفكر، ويعرض على بقايا الحق من قلبه يضطرب ويعيش القلق.

سدهارتا هو بوذا، ليس كما هو، ولكن كما هو في عين هرمان هيسه، هذا الكاتب الألماني الذي ظنّ أنه اهتدى إلى الحقيقة؛ إذ تخيلها السكون بلا اعتراض، وذهاب الفكر مع الآفق بعيداً عن صخب من حولك، والذوبان مع اللاشيء بعيداً عن كل شيء.

صارت الحقيقة في نفسه مجرد طرح القلق والتفكر، وطرح معارضة الأقدار والأحداث.

انتهى في بحثه أن يقول راداً على كلمة صاحبه غوفيندا التي قال فيها: لكن أترى أن ذلك الذي تسميه الأشياء هو حقيقي وذو ماهية، أليس مجرد سراب للمايا، مجرد خيال وتراءٍ؟ حجرك ونهرك، وشجرتك.. أهي حقيقيات؟

فيرد سدهارتا:

هذا أمر لا يعنيني كثيراً، هو الآخر، فلتكن هذه الأشياء ترائياً، فأنا أكون من ثم ترائياً أيضاً، وهكذا تظل هذه الأشياء أندادي أبداً... فتأويل العالم وسبر أغواره أو احتقاره من شأن المفكرين الكبار، على ما أظن، أما أنا فلا يهمني سوى أن أقدر على أن أحب العالم. انتهى

عندما أقرأ هذه الكلمات وأمثالها من كلمات التصوف الفلسفي، كما يطلقها ابن الفارض والمثنوي، أتذكر فوراً كلمة لابن تيمية في رده على مثل هذه الكلمات، إذ يقول: هذه كلمات تطرب، لكنها في الحقيقة هذيان (معنى كلامه).

سدهارتا طاف متحسساً الحقيقة، فسلك كل ما صادفه من مذاهب، كمذهب اللذة، والذي هو دين أكثرية الخلق اليوم، وقبل اليوم، وتأمل المذاهب الفلسفية ثم انتهى إلى السكون.

هذا السكون هو مطلب المتصوفة حين قالوا: أريد أن لا أريد.

انتهى به وهم إلى أن الذات الكامنة في نفوسهم بلا مطالب ولا تفكر ولا معاناة هي الحق، وكل شيء آخر هو ظلال لها.

هذا ما قاله صاحب "الخيميائي" باولو كويلو، وذلك في رحلة طلب الكنز لصاحب قصته بعيداً هناك، يعيش صعوبة الرحلة ثم انتهى به أن الكنز في داخله، وتحت قدمه.

هذه كلمات الشعراء لا الحقائق، ونهاية الرحلة هو جني اللاشيء، فالحقيقة في فم الأنبياء، يعلمون الناس معنى وجودهم، وحقيقة مراد خلقهم، فيحسون برد اليقين والاطمئنان، لا هذا الشعور الخادع بأنهم مطمئنون.

موت الإرادة يعني تغييب حقيقتك، وموت النظر للواقع أنه يحتاج لصراع لتقويمه يعني تركه للأشرار ليصيغوه على ما يحبون.

العالم ليس فكرة، ولا كلمة، العالم حقيقة فيها قدر إلهي وشرع إلهي، ولا يستقيم هذا العالم إلا بتوافق ما قدر على ما شرع.

هذه القصة ومثيلاتها تصنع المتعة، وتصنع كذلك الوهم.

نحبها لأنها شاعرية، ونطرب لها لأنها جميلة، ونستمتع بها لأنها تلاعب بالكلمات والكلمات فقط، ونحن أسراء طفولتنا، وتسعدنا مثل هذه البهارج الشقية.

حين أسمع لقسيس يتحدث عن الحب أضع يدي في جيبي مخافة السرقة، والأمر كما قال توتو (القسيس الجنوب إفريقي): أعطونا الإنجيل وأخذوا منا أرضنا.

الكلمات الجميلة تسرقك، وتلهيك لئلا ترى الوجود كما هو.

حين تقرأ سدهارتا، فاعلم أنك تقرأ كتاب شعر جميل، ورحلة رجل عاشق، لكن تذكر أن الحياة ليس فيها شيء من ذلك.

الجمال الحقيقي بين حدين:

- ﴿ٱقۡرَأۡ﴾

- ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب۩﴾.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٢٢):

الشهادة

للشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله تعالى

[١٩ شباط ٢٠١٨ – ٤ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

الإنسان موقف، وربما تختزل حياته كلها في هذا الموقف، وفي الحديث ما يشفع لهذا المعنى العظيم، فهذه امرأة بغي تسقي كلباً من العطش، فيشكر الله لها، ويدخلها الجنة.

مع المواقف العظيمة التي تعبر عن مكنون النفس وحقيقتها تذهب كل الهوامش التي تلتحق معها على غير أصلها، فأن يفرح الله لك في موطن من المواطن يعني أنه تقبل منك، ورضيك، وأحبك، فتدخل في معنى أهل بدر: (**اعملوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم**).

ولكن إياك أن تظن أنّ هذا العمل خارج عن نوع النفس التي اقترفته، بل هو من نوعها وطينتها وأصلها؛ وكما أن هذا في أمر النفس الطيبة فهو كذلك في النفس الخبيثة، فهذا رجل يتألى على الله تعالى، فيقول: والله لا يغفر الله لفلان، فيغضب الله عليه، فيدخله النار، ويغفر لصاحبه.

إنها المواطن الكاشفة عن مكنون النفس وحقيقتها، فلا تغرنك كثرة العبادة دون النظر إلى نوع النفس، ولا تيأسن من دخولك على زمرة الأولياء بسبب غفلة أصابتك أو معصية ألمت بك، وانتظر دائماً فرصتك التي بها يرضى الله عنك ويحبك ويدخلك في خواص عبيده، كما قال سليمان عليه السلام: (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ**).

الشيخ صلاح أبو إسماعيل رجل بأمة، قام مقام الشهادة وقول الحق وأداء الأمانة، أحبه المجاهدون حباً ملأ عليهم القلوب، وسارت بذكره الحسن رياح الحب بين الناس؛ ذلك لأنه قال كلمة الحق في شهادته التي دعي إليها فيما يسمى بقضية الجهاد في العشرية الثامنة من القرن الميلادي المنصرم.

الشيخ في هذا الكتاب الرائع يحكي قصته الرائعة والصادقة في تاريخ كلمته وشهادته في هذه القضية.

كانت نتيجة هذه الشهادة التي قام فيها لله –نحسبه والله حسيبه– البراءة للمتهمين، وهي بإذن الله من عمله الصالح يوم القيامة.

وصف الشيخ حاله ومشاعره وهو يتقدم لهذه الشهادة : "وأحسست أنني بين الحق وتبعاته من جانب، والسلطان وما يملكه من سيفه وعزه وماله من جانب آخر، فقررت دون تردد أن أكون للحق وأن أتحمل تبعاته، ولا أبالي بسيف المعز وذهبه".

الطاغوت لم يسكت، ولم يستسلم بل كما قال الشيخ رحمه الله تعالى: "فراح يطلب من شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رأيه في شهادتي، وجرد لي شيخ الأزهر خمسة من سيوفه البتارة: الدكتور محمد السعدي فرهود رئيساً للجنة الرد، والدكتور محمد الأحمدي أبو النور، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور مصطفى علوش، والمستشار عبد العزيز هندي.. أعضاء للجنة الرد على شهادتي، فكتبت هذه اللجنة تقريرها في خمسين صفحة فولسكاب وأرسلته إلى المحكمة"

هكذا هي سيوف الحق، وهكذا هي حشرجات الباطل.

يقول الشيخ غامطاً قيمة شهادته: "وكنت أظن أن الشهادة قد نسيت، ولكني وجدت مطالبة الجماهير في كل مكان تلاحقني بضرورة طبع هذه الشهادة".

إنها رعاية الله لكلمات الحق ومواقف الحق والصبر.

من قرأ هذه الشهادة وتأملها رآها من لسان رجل يفهم ما يراد منه، ويفهم كيف يدير معركته في ساحة تحتاج إلى حكمة القول وصوابه، ورأى كيف يضع الحق موضعه الذي لا يرده منصف.

لقد كان موقف هذا الرجل في شهادته سبيلاً لتحصيل مقصدها في هدم مراد الجاهلية إراقة دم الصالحين والعباد والمجاهدين، فأنقذهم الله من هذا المراد الخسيس، فالدعاء أن يكون مقام من أحيا الناس جميعاً بإحياء هذه النفوس.

كلمة العالم كلمة ثقيلة، يعدل ثقلها السماء والأرض، وتعطي ثمارها كأحسن ما تكون الثمار، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذويه.

لقد خرج الشيخ رحمه الله ورفع درجته في الصالحين من المحكمة بهتاف أهلها وراء القضبان حتى خرج منها مودعاً بها.

الشيخ لم يكن صاحب شهادة دراسية عليا، بل كما أجاب هو عن شهاداته الدراسية قائلاً: "أنا خريج كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، قسم الشريعة الإسلامية، وخريج كلية التربية للمعلمين بجامعة عين شمس، لكن إنما الكبير بموقفه لا بشهاداته".

كانت كلماته وهو يقول: "ليس بعد كلام الله كلام، وليس بعد حديث رسول الله حديث، وليس بعد إجماع العلماء حكم"، رداً على من أراد أن يتخذ كلمات علماء السلطان وسيلة لنقض دين الله وتمرير الباطل.

لقد كان الرجل يفهم مهمته.

الكتاب ليس فيه الشهادة ووقائعها فقط كما نشر بعد ذلك، لكن فيه تقرير لجنة الزيف الأزهري التي ذكر الشيخ أسماء أعضائها، فقام جماعة من أهل العلم بالرد على تقريرهم، تراجع كلها في هذا الكتاب التاريخي لواقعة فيها جلال الحق وصدق الأمانة.

حين يقول العلماء كلمتهم تتعرى ألبسة الباطل القبيحة، وإن من معاول هدم الدين تلعب الفقهاء والعلماء بدين الله تعالى، ومسايرتهم أهواء الحكام، وتلعبهم بالدين من أجل تمرير شرور الشيطان.

قبل مدة كان أحد المشايخ على الراديو، فسئل مباشرة ليتكلم عن انتشار الخمارات ودور اللهو والدعارة في بلده، فرد بصلف وخيانة: هذه أمور كانت موجودة قبل تعييني في هذا المنصب!!!

إن تولي شباب الإسلام زمام المبادرة لقيادة التغيير سببه تلكؤ المشايخ عن أخذ مقود القيادة للسير في سبيل تحقيق معالم الدين في الأرض.

هذا أمر ليس على إطلاقه، فإن في الزوايا خبايا، وفي الأمة خير عظيم، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة.

هذا كتاب يستأنس به السائرون أنك لست وحدك، وأن الحق لن يعدم من ينصره.

كليمة في كتاب (٢٣):

أسطورة العنف الديني

لوليام ت. كافانو

[٢٤ شباط ٢٠١٨ – ٩ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

الأيدلوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث

عبارة العلمانيين: إن الدين سبب العنف في الوجود، وبالتالي إبعاد الدين عن الحياة يصنع الألفة والسلام.

كافانو يسمي هذه الكلمة أسطورة، أي أكذوبة، وتوهم، ومخادعة، فيذهب للتاريخ ليستنطقه، وإلى الواقع ليستعلمه، ليقول بأن الحداثة، والعلمانية التي هي أصل الحداثة، هي من تصنع العنف المؤلم والقاسي والمدمر كذلك.

هذا شيء بالنسبة لنا مسلمة قرآنية، وذلك في قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ)، ولكن هذه الأسطورة غالبة في الغرب، ومسيطرة على عقول المثقفين وكتاب الأعمدة في الصحف، وهي الأكثر تأثيراً في حياة الغرب، ويسوقونها لا لطرد الدين من حياتهم، فهو مطرود واقعاً، ولكن لنزع الإسلام من صدور المسلمين، ولتجييش السياسيين والعسكريين والخبثاء منهم للضغط على طواغيت بلادنا بنزع الدين ليتوقف الإرهاب. وعندنا ولا شك مجموعة من الجهلة الأغبياء، لو حبسوا مع الدواب لفرت منهم تقذراً وإباءً من أن يحشروا ويجمعوا معهم في قيد واحد، هؤلاء المجرمون يطيعون هؤلاء، فيبدأ القصف ضد الدين، بتعديل المناهج التربوية الخاصة لتدمير العقيدة، ويحبس العلماء المناوئون، وتراقب المسجد لمنع ما يسمونه الكراهية، وتفتح الأبواب للشواذ، وتشجع الرذيلة تحت اسم الفن، وتقيد كلمات الناس ضد مغتصبيهم وسالبي حقوقهم، وهكذا يقومون بأقصى أنواع العنف لإيقاف ما يسمونه العنف.

الدولة المعاصرة بقوانينها تمارس أقسى أنواع العنف وما يسمونه الإرهاب، وتحت اسم القانون وتطبيق الشرعية، والفارق بينها وبين خصومها في هذا الباب ليس سوى الألبسة فقط، ومنطق المنازعة والمدافعة تتخذه الدولة لسلب الناس وسرقتهم، وحبس الناس وقتلهم، كل هذا كذباً وزوراً يسمى القانون وحكم الشرعية.

الكاتب يلاحق أنفاس الشر في الغرب، ممن يمارس عملية التجييش وبث الكراهية ضد المسلمين من أمثال برنارد لويس، وهو الذي يصنع معادلة الغرب العلماني المتسامح، ضد الشرق الديني المتعصب الإرهابي، والكاتب يفكك هذه الأكذوبة.

ثم يأتي على غيره ممن يصنع هذه الثنائية الباطلة.

هناك تجييش كبير ضد الدين في الغرب، ليس ضد اليهودية، ولا ضد صورة المسيحية الساذجة، ولكن ضد اللاعقلانيين من المتدينين المسلمين. تفجرت هذه القضية بعد أحداث أمريكا وضرب البرجين والبنتاغون، وما هي في حقيقتها؛ أي الحادثة، إلا سبب لتفجر ما في القلوب، وليست صانعة لهذه الكراهية.

هذا التجييش يقابله حشرجات تدافع بقوة ضد هذا الأكذوبة، منها ما يكتبه كافانو، ولكن هذه العقلانية التي يتبعها ضعيفة أمام السياسي والصحفي والعسكري.

هذا الغرب المتسامح ليس كذلك، وهو مع نفسه ليس كذلك، ولكن تدبير شؤون الصراع على نحو ما غير المجابهة العسكرية هي التي أوحت بهذه الأكذوبة.

وهذا لا يعني عدم إمكانية العودة للصراع المسلح بين هذا المختلف من الغرب العقلاني العلماني.

بالنسبة لنا المسألة محسومة، فكل هذه الدورات التي تعلم كيفية مسخ الدين وتحويله لمشايخ الدجل مع القوات الأمريكية، وكل هذا الضخ القذر لفقه الذلة وعدم كره الآخر المشرك الذي يسب الله ورسوله، وكل هذه الدعوات القذرة لإزالة الفوارق بين المسلم والكافر، وكل هذا التزوير بأن خصومنا بشر محترمين، وكل هذا السجن والقتل لكل من ينظر شزراً لعدونا= يذهب كريح قذرة أمام صرخة شاب مسلم ضد دولة إسرائيل، وأمام صورة امرأة عجنها غبار طائرات إيران وروسيا والنصيريين في الغوطة في سوريا الشام.

نحن لا نحتاج مع كلمات القرآن إلا لهذه الصور التي تقتلنا لنعرف (الآخر)، كما تسمونه؛ هروباً من كلمة الشرك والكفر كما يطلقها القرآن.

وها هنا لا بد من رسالة: لسنا نعتب على عدونا أن يقتلنا؛ فهذا دينه ونفسه القذرة، وحقيقة وجوده ليسرقنا ويهيننا، والعتب ليس إلا بين الأصدقاء وهم أعداؤنا، ولكن القلوب ملأى على بني جلدتنا، ممن ينتسبون لأمتنا وهم كلاب حراسة لهؤلاء الكفرة المشركين.

من الخير أن يشكر كافانو، وهو يدافع عنا، ومع ذلك نرى بعض الطرابيش القذرة تسبنا وتلعننا، وتلتحق بالمشركين من أعدائنا.

كنا هذا نراه والإخوة في السجن، يخرج الشيخ ليزيد عليك الأكاذيب والتضليل، وتجد من غير بني جلدتنا وليس من أمتنا يصارع وهو يدافع عنك.

ومن التحدث بنعمة الله أن أرى اليوم هذا الخسيس المسمى بكمال الهلباوي وقد التحق بصف أعداء الدين، وهم يهينونه ويستقذرونه، وقد كان يستخدم لسانه الكاذب في سبه على المظلومين من المساجين من المسلمين، ويزعم أنهم مجانين.

اليوم لم يلتحق بصف من يقتل المسلمين في بلده، بل هو مع صف المشركين الزنادقة الذين يقتلون المسلمين في بلاد الشام.

للأسف هذه معادلة مؤلمة، لكنها الحقيقة، والله يرحمنا، وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**).

نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

بين كتابين (٢٤):

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي

للبقاعي، وللسيوطي

[٧ آذار ٢٠١٨ - ٢٠ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

بين كتابين

ابن عربي الطائي المكي صاحب "فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية" شغل الناس، واختلف فيه أهل الإسلام اختلافاً كبيراً، والأكثرون يقولون إن الفقهاء يغلب عليهم تكفيره وتضليله والحكم عليه بالزندقة، والآخرون ممن يميلون لطريقة الصوفية ويعملون بمذهبهم يحكمون بولايته، والمعاصرون ينقسمون فيه على طريقة التعصب للمذهب والطريقة، وبعضهم يسلك مسلك الجمهور والأكثر فيجمع عدد القائلين ليرجّح، والناس لهم أهواء وميل نفسي أكثر من النظر العلمي الفقهي.

وهذان كتابان، أولهما كتاب البقاعي، وسماه بهذا الاسم الصادم القوي "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، وهذا العنوان الشديد خففه محقق الكتاب عبد الرحمن الوكيل، بعنوان يسبقه: "مصرع التصوف". وعبد الرحمن الوكيل كان رئيساً لجماعة أنصار السنة، وسبق أن كان متصوفاً، على طريقتهم، ويتحدث عن رحلته مع التصوف حديث العارف المعاني، وله مشاهدات لمشايخهم يصرحون فيها بالوحدة الشركية، القائلة بعدم التفريق بين الحق والخلق، وقد بينت مذهبي في تغيير عناوين الكتب، وأنه ليس مسدداً ولا صحيحاً.

البقاعي فقيه محدث، من تلاميذ ابن حجر، وصار كتابه هذا عنواناً لهذا الشيخ، فإنه جمع فيه أقاويل أهل العلم والفقهاء الذين حكموا على ابن عربي بالكفر والردة، وكان أشد ما في الكتاب: تكفير من حاول أن يؤول كلام ابن عربي الناطق بالوحدة المطلقة، ففي (ص١٣٨) جاء أن قاضي المالكية في زمانه محمد البسطامي الملقب بشمس الدين قال عن كلام ابن عربي: يمكن تأويله، فقال له علاء الدين البخاري الحنفي: كفرت. أي بمحاولتك تأويل كلام الكفر الصريح، وكان حاضراً لهذا المجلس جماعة من أهل العلم من أساطين رجال المذاهب، فما ردوا

بكلمة، وانتهى الأمر على العفو على البسطامي بشرط البراءة من اعتقاد الاتحاد، ومن طائفة الاتحادية، وتكفيره من يقول بقولهم.

في هذا الكتاب غير عرض أقوال الفقهاء في تكفير ابن عربي، ومن ذلك عرض أقوال الرجل، وخاصة من كتاب "الفصوص"، والذي زعم ابن عربي أنه أخذه من النبي صلى الله عليه وسلم كشفاً، وأداه كما أخذه عنه.

من الأقوال التي ذكرها عن ابن عربي:

القول بالوحدة المطلقة، وأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق.

القول بإيمان فرعون، بل بسبق إيمانه على إيمان موسى، ومعرفته مقدمة على معرفة النبي عليه السلام.

عدم افتراق الناس في الإيمان، بل الكافر والمؤمن حال واحد.

القول بالتثليث كالنصارى.

وأمور أخرى خطيرة في بابها.

جاء السيوطي بعد البقاعي ليبرئ ابن عربي كما هو العنوان، وهكذا يظن الناظر لظاهر العنوان دون الدخول في جوفه.

السيوطي يعرض أقوال الناس في الرجل، ويأتي بمن حكم بولايته، مع أنه يذكر في المقدمة افتراق الناس فيه، لكنه -أي السيوطي- وهو الفقيه لم يقدر على تأويل النصوص، ولم يعدل كتب ابن عربي، فحكم على ابن عربي بالولاية، وحكم بمنع قراءة كتبه!

هذه ثنائية (عندي) إرضائية فقط، إرضائية للنفس في الميل والهوى، وإرضائية للنحلة والمذهب؛ فهو الفقيه الذي لا يستطيع الانسلاخ من هذا الإهاب، وهو الذي لو نوقش في كلام ابن عربي في فصوصه و"الفتوحات المكية" لبان لكل فقيه أنها الكفر الصريح الذي لا ينتطح فيه عنزان، ولكن للسيوطي هوىً آخر غير عقل الفقيه.

في كتاب آخر للسيوطي وهو "التحبير في علم التفسير" يحكم على ابن عربي الطائي بالبدعة، وعلى كتابه "الفصوص" بالكفر الصريح، إذ قال ص ٥٣٧: ويحرم تحريماً غليظاً أن يفسر القرآن بما لا يقتضيه جوهر اللفظ، كما فعل ابن عربي المبتدع الذي ينسب إليه كتاب "الفصوص"، الذي هو الكفر كله. انتهى.

ما يحاوله الصوفية ومن على نحلتهم، ومن هو على هوى مخالفة بعض أهل العلم وبعض الأسماء المعينة فيجتهد في درء تكفير ابن عربي، وأهم وسائلهم في ذلك:

أولاً: محاولة تأويل كلامه، حتى لو خرجت عن حدود العقل.

ثانياً: دعواهم أنّ ما في كتب ابن عربي وأمثاله مدسوس عليه.

وهاتان وسيلتان اتخذهما السيوطي في التبرئة.

والمنصف يعلم أنّ القوم من أحباب ابن عربي يقولون بقوله في الوحدة المطلقة، وتتخذ دعوى الدس من أجل العوام، والتقية، والتقية دين الصوفية تغنوا بها حتى ثملوا، وإذا كان الأمر كما يقولون من الدس، فلماذا لا تحمل هذه الكتب التي امتلأت بالكفر والزندقة فيعلن للناس كفر ما فيها.

أما القول: إن هذه عبارات لا يفهمها العلماء؛ فالجواب: لا خير في علم لا يفقهه الفقهاء، ولا يعلمه العلماء، وشرط الرقية أن تكون بالعربية، وأن تكون بكلام مفهوم، يمكن للعالم أن يحكم عليه.

كتاب البقاعي نموذج من حرص العلماء على عقيدة المسلمين، وعدم الخوف من إطلاق حكم الله تعالى على من يستحقه، ودال أن بعض الناس يركب شره وشيطانه ويأبى اتباع العلماء في قول الحق في رموز النحل الدخيلة على الإسلام.

هذا الجمع الغفير لعلماء المسلمين الحاكمين على ابن عربي بالزندقة، أو على كتبه بالضلال والتخريف، يعني أن سلف هذه الأمة يقولون الحق ولا يخشون سلطة العوام؛ فابن عربي له سلطانه على العوام، وله قبر يزار ويحج إليه، وما زال الناس يفعلون معه هذا.

زعم من زعم أنّ ابن تيمية هو المناوئ الأكبر للصوفية زعم باطل، وفي هذا الكتاب إبطال هذا الزعم، فهو لم يذكر ابن تيمية إلا في سياق مساوٍ لبقية أهل العلم في حربهم لكفر هذا الرجل.

هذا الكتاب –كتاب البقاعي– مرجع جامع لبعض أسماء الكتب التي سلكت مسلك النصح للأمة، وفيه الجمع الكثير في الباب المطلوب.

كتاب السيوطي لا يستطيع الوقوف أمام حقائق كتاب البقاعي، ويكفي أنه حرم النظر في كتب ابن عربي، وأما الحكم بولايته فهذا يوجب جمع ما كتب الناس من سيرته وحياته، ومن قرأ كلام الناس في هذا رأى ما لا يقوى لتحقيق هذا القول.

لا تقرأ كتاباً منهما حتى تقرأ الآخر، وفي ذلك تتعلم النظر وتدريب الحكم على الرجال والمعاني.

كليمة في كتاب (٢٥):

انتقاض الاعتراض

لابن حجر العسقلاني رحمه الله

[٩ آذار ٢٠١٨ - ٢٢ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

حين تقرأ لزاهد الكوثري عليك أن تستخدم المهدئ، لأنك عرضة لارتفاع الضغط من ظلمه وإجحافه وتعصبه، وأنا لا أظن أنه يوجد في تاريخ المذاهب ورجالها من هو أكثر تعصباً لمذهبه من زاهد الكوثري الحنفي؛ فالرجل حين يكتب ينسى العلم والتاريخ والإنصاف، ولو أراد أحد أن يقذف الشافعي كما قذفه بالطعن الكوثري في ترجمة محمد بن الحسن الشيباني فلن يستطيع، ولو أراد أحد أن يقذف ابن حجر العسقلاني فوق قذفه في ترجمة البدر العيني لما استطاع، فزاهد الكوثري أعجوبة في هذا الباب لا يسبقه أحد.

ابتداءً: فإني أطلب من كل طالب علم يقرأ كلماتي هذه أن يدلني على كتاب واحد ألفه حنفي في فضائل الأئمة الثلاثة، ذلك لأني -ومع عدم استقصائي التام- لم أجد عالماً حنفياً كتب في فضائل غير أبي حنيفة رحمه الله كما كتب رجال المذاهب الأخرى، فالباقلاني وابن عبد البر ويوسف ابن عبد الهادي والسيوطي وابن حجر الهيتمي وغيرهم من رجال وعلماء المذاهب غير الأحناف كتبوا مصنفات خاصة وعامة في فضائل الأئمة من غير مذهبهم، ولا نجد هذا عند علماء الأحناف، والدخول في أسباب هذه الظاهرة يطول، ولكنها ظاهرة ولا شك في تاريخ المذاهب الفقهية السنية.

حين تقرأ كتاب ابن حجر في انتصافه من بدر العيني، والذي لاحقه في مصنفه الشهير "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، فأظهر بعض سطوه على ما كتبه في "فتح الباري"، وأظهر خطأ وظلم مراجعته لما كتب، والتاريخ يثبت مقالة ابن حجر فيما كتبه من تظلم ورد الظلم، ولكن زاهد الكوثري لا يرضى هذا، بل ذهب في الطعن في ابن حجر ظلماً وعدواناً.

لا بأس أن يذكر أن ابن حجر أخذ بعض الفوائد من العيني، لصغر سنه كما ذكر في ابتداء تلاميذه، وحين يؤلف المرء سيرته وعمن أخذ فإنه ربما ذكر تلاميذه كذلك، لكن لماذا هذه الأحكام الظالمة:

– وتعصب ابن حجر على البدر ينجلي بصورة بعيدة عن الذوق في أدوار حياته.

– ولعل سبب ذلك –أي تحامل ابن حجر المزعوم– أنه نشأ على الأدب، وعلى معاناة المديح والهجاء، وعلى ذلك شب ودرج، ولا تسل عمّا يجري إذا كان هناك شيء يمس التعصب المذهبي.

– وابن حجر مع جلالته مقداره في العلم له تراجم في معاصريه ومن تقدمه من شيوخه وغيرهم خطة عجيبة في التحامل.

أما حين أتى على المقارنة بين شرحه للبخاري وشرح ابن حجر؛ فإنه أطلق قلمه يقصب في ابن حجر كما يشاء، ويرفع من شأن العيني وشرحه ما يشاء، ثم ختمه بقوله: ويجد فرق ما بينهما فرق ما بين البدر والشهاب، ويحكم للعيني بأنه هو القائم بقضاء هذا الدين –دين شرح البخاري– بلا ارتياب.

ويقول: لكن الظاهر أن للعيني الحظ الأوفر في ذلك –أي التقدمة والبروز في العلم– عند من أنصف ولم يتجبر.

ما يراه المرء من تعصب البعض لمذاهبهم ما زلنا نشهده اليوم، بنفس الحال والأقوال والمواقف، للرجال والمذاهب والأحزاب، ولو رأى المرء سوء التعصب في غيره على ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: «**السعيد من وعظ بغيره**»، لابتعد عن هذه الخصلة المذمومة، والتي من مساوئها ضياع العقل والدين والعدل، وفساد النفس واللفظ والرؤية.

ثم إن واقع القدر لم يخضع لكلام هؤلاء ولا لتقريراتهم، فأين مقام "فتح الباري" منذ أن كتبه وانتشر وشاع بين الناس، ومقام "عمدة القاري"؛ فإن رفعة الأول لا يجهلها أحد، ومقامه لمن تأمله وأنصف قال فيه الحق والعدل والإنصاف، ولم ينفع الكوثري شيئاً كتاب العيني، بل هو من كتب أهل العلم، ينتفعون به، ولكنّ لا يجعلونه في مقام الفتح قط.

من قرأ كتاب ابن حجر "انتقاض الاعتراض" وتأمله أنصف ابن حجر، ورأى فوق ذلك أدباً جماً، وتواضعاً طيباً، وتعقباً عادلاً، وتعلم منه كيف ينتصف المرء لنفسه بالعدل ولا يثرب، ويقول الكلمة الطيبة باللفظ الطيب، فرحمه الله رحمة واسعة.

في زماننا هذا يوجد من يريد إحياء جهالات التعصب، ويتعامل مع الناس والعلماء والجماعات على هذا السياق المذموم، أي على طريقة أسلافه من المتعصبين أمثال الكوثري، وهؤلاء في واد والأمة في واد، وما ذكرت هذا الكتاب وهذه الكلمة إلا تذكيراً بالعدل والحكمة، ووجوب ترك التعصب، والسير على منوال من أعذر العلماء، وأحبهم، ورآهم على خير من السنة والحق، يخطؤون ويصيبون، ويقولون ويرد عليهم بعلم وإنصاف، ومن أنصف سار على دربهم.

رحم الله الأستاذ المعلمي، والذي انتصف بحق وعلم وعدل من الكوثري وهو يصف تعصب المتأخرين بقوله: هذا التقليد الذي نرى عليه كثيراً من الناس منذ زمن طويل، الذي يتعسر أو يتعذر الفرق بينه وبين اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله. انتهى.

كليمة في كتاب (٢٦):

وقفة مع اللامذهبية في شبه القارة الهندية

لمحمد أبو بكر الغازيفوري

[١٢ آذار ٢٠١٨ - ٢٥ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

ألف رجلان هما سيد طالب الرحمن وأبو حسان الأنصاري كتاباً بعنوان "الديوبندية، تعريفها وعقائدها"، واتهم الكاتبان أتباع المدرسة الديوبندية الحنفية الماتريدية بتهم شنيعة، أقبحها تزلفهم للبريلوية، هذه الفرقة التي انشقت عن الديوبندية وبقيت على حنفيتها، ولكن شطت بعيداً في أقوال هي الشرك بعينه.

هذا الكتاب دفع مؤلف "وقفة مع اللامذهبية" لتصنيف هذا الكتاب، رداً على هذه التهمة الخطيرة وتهم غيرها.

هذا الكتاب يقدم له شيخ ديوبندي آخر، هو نور الدين نور الله الأعظمي، والحق أن المقدمة صادمة أكثر من الكتاب، وإليك السبب:

هناك ثلاث شخصيات مهمة، تعتبر ممن أرسى الدعوة لترك المذهبية، والالتزام بالدليل، هم:

صديق حسن خان، وهو رجل معروف بين طلبة العلم المعاصرين، لاهتمام كثيرين بنشر تراثه، والذي أراه قليل الإبداع الذاتي؛ إذ عامة كتبه مسلوخة من شيخه الشوكاني، ينقلها بلفظها، ثم يكتب عليها اسمه، وإن شئت الدليل فعليك بالمقارنة بين كتابه "الروضة الندية شرح الدرر البهية"، وبين كتاب الشوكاني "الدراري المضية شرح الدرر البهية"، و"الدرر البهية" هو متن فقهي للشوكاني كذلك.

أما الرجل الثاني فهو الشيخ نذير حسن المدني والذي يسمونه شيخ الكل في الكل!!! وهو رجل قليل الحضور خارج القارة الهندية، والقليل من أهل العلم من يعرفه ويعرف كتبه.

وأما الرجل الثالث فهو تلميذ الشيخ نذير المدني الدهلوي، وهو الشيخ محمد حسين البتالوي، وهو أشد غربة من شيخه خارج القارة الهندية.

الصراع بين المقلدين الأحناف الماتريدية وبين دعاة عدم التقليد شديد في تلك الديار، وكل يستخدم أدواته في الانتصار من خصمه والظهور عليه، بل هناك الكثير من تجاوز العدل في هذه الخصومة، والكلمة القليلة هذه ليست للفصل بينهما، ولا لإعلان انتصار أحدهما؛ فكاتب هذه الكلمات يستفيد من كل كلمة قالها عالم، ويغض الطرف عنه في خصوماته ضد المخالفين له في منهجه وطريقته.

لكن هناك أمر هو دافع هذه الكلمة، وهو صادم للبعض حقاً، وهو أن دعاة اللامذهبية -كما يصفهم مقدم الكتاب- كانوا من أحباب الإنجليز، وممن مدوا لهم يد الصداقة والود، بل جالوا وصالوا ضد أي حركة جهادية أو معارضة ضد الاحتلال الإنجليزي للهند!!

حقاً هذا أمر صادم، ومؤلم، وكأن الحركات الإصلاحية في أبواب العلم كانت غير طاهرة في باب تولي المستعمر والتماهي معه، لا يعني هذا جميعها، بل يعني أن رفع لواء الكتاب والسنة ومعاداة المذهبية والصوفية ليس عاصماً من انحطاط الفهم والموقف مع أعداء الله تعالى، وهو أمر يظنه البعض حادثاً جديداً فيما يراه من قبول من يسمى بالدكاكين السلفية أن يكونوا مطايا سافلة لطواغيت مرتدين.

حقاً، إن الأمر ليس جديداً، وعلى المرء أن لا يحسن الظن بدعاة العقيدة السليمة في لفظها، والخاوية من جوهرها في البراءة من المشركين وسلطانهم.

هناك كتاب لصديق حسن خان اسمه "ترجمان الوهابية"، تكلم فيه بكلام خطير، وصادم، يقول فيه: "ولا يكون ناقماً على الحكومة البريطانية ومبغضاً لها إلا من يبغض الحرية المذهبية، ويتقيد بمذهب خاص متوارث أباً عن جد." انتهى.

وهو كلام فيه التزلف للبريطانيين بصورة بشعة مستقبحة، لا يحب المرء أن ينساق مع نفسه في الحديث عنها.

ويقول: "إن استقلالنا هذا عن المذاهب المروجة إنما هو عين المطلوب والمراد بقوانين الدولة البريطانية". انتهى.

أتركك معها دون تعليق.

وحين قام الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي بإعلان أن الهند دار حرب تحت الحكم البريطاني، يرد عليه صديق حسن خان بقوله: "وإنه لا يجوز للمسلمين أن يخالفوا الحكومة، وأن حالة الهند الموجودة لا تبيح لهم أن يشكوا في كونها دار أمن وسلام، ودار إسلام". انتهى.

وأما الجهاد ضد الإنجليز، فيقول فيه: "ولما ثبت أن هذه البلاد بلاد إسلام وداره، فما معنى الجهاد فيها! بل من نوى الجهاد في مثل هذه الدولة فإنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر"!!!!! انتهى. (علامات التعجب مني).

ويذهب محرضاً ضد الأحناف، جامعا بين جهادهم ومذهبهم في عين المحتل الإنجليزي قائلاً: "إن محاولة الجهلاء بحكم مذهبهم!!! ودينهم، في محو الدولة البريطانية والقضاء عليها وسعيهم في أن يذهب الأمن والأمان، ما هو حاصل اليوم بسبب فسادهم الذي سموه جهاداً، إنه من الحماقة البالغة ومن الجهل الشديد". انتهى.

أما الشيخ نذير المدني، فإن موقفه في إعلان الجهاد سنة ١٨٧٥ ضد الإنجليز كان عجباً، إذ اجتمع العلماء على توقيع وثيقة فتوى فيها الجهاد ضد الإنجليز، فطلب منه التوقيع أسوة بغيره، فرد عليهم : "لم يكن ذلك جهاداً، إنما هو شغب وشر وفساد"، وتابع قائلاً راداً على طلبهم التوقيع منه: "فنحن لم نوقع على تلك الفتوى فضلاً أن نختم عليها بختمنا".

ومن علله في تحريم الجهاد قوله: "ونحن المعاهدون!!! وقد عقدنا العهد مع الحكومة (أي الإنجليزية) فكيف نخالف هذا العهد، وقد ورد في الحديث ذم كثير لنقض العهد".

كانت النتيجة أن قلد الإنجليز الشيخ لقب: شمس العلماء!!!

وكذلك كان موقف الشيخ الثالث كسابقيه إن لم يكن أسوأ، فانظر إليه وهو يتزلف للحكومة المحتلة الكافرة: "أي فرقة في علمنا ليست هي أشد إخلاصاً ونصحاً للحكومة (الإنجليزية) ونشداً للأمن والعافية، وأشد تقديراً لنظام الحكم البريطاني وسياسته، وأعرف لمنتها وجميلها من الفرقة التي هي فرقة أهل الحديث والسنة، والتي لا تقلد مذهباً خاصًا". انتهى.

ويتابع تزلفه: "ومن أقوى الدليل وأنورها على كون فرقة أهل الحديث مخلصة ووفية للحكومة البريطانية أن هذه الفرقة ترجح وتؤثر إقامتها في ظل هذه الحكومة على إقامتها في ظل الدول الإسلامية، وقد قرنا هذا بشهادات تاريخية". انتهى.

هذا بعض ما يكشفه الكتاب، والرجوع إليه يصنع الإنصاف في الحكم على مواقف العلماء من نوازل العصر وقضاياه.

القذارة السياسية ليست ضرباً لازماً لمذهب، ولا لتشقيقات كلامية، فالصوفية مطايا الطواغيت، وكذلك السلفيون، وفي كلتا الطائفتين من هو مجاهد، يبيع نفسه لله، فالعلم له حقه، ومواقف الشهادة لها حقها.

هي كليمة، وإلا لأفاض المرء كثيراً في هذا الباب، ولكن في الختام: أستغفر الله تعالى من ذنوب الجهل التي عاشها المرء في صغره، يظن أن الشعارات عاصمة من السفالة.

كليمة في كتاب (٢٧):

المقصلة وجواسيس الشاباك اليهودي

للأسير القسامي عبد الله البرغوثي

[١٨ آذار ٢٠١٨ – ٢ رجب ١٤٣٩]

رصد التحولات الاجتماعية مهمة عظيمة، وبها يتم التعامل الصحيح مع الواقع، وفهم النفوس وتحولاتها، وما هي المؤثرات في التوجيه والتغيير.

والذين يحكمون على المجتمعات كرقم ثابتة يخطؤون، وتفشل تجاربهم التغييرية؛ والذين ينجحون في ثوراتهم التغييرية هم من يرصدون الظواهر النفسية والاجتماعية، ويعرفون دوافعها، ومكامن التأثير في النفوس والمجتمعات؛ فالبداية تكمن في رصد المعاني الاجتماعية والنفسية المؤثرة، ثم الانطلاق منها، وذلك لصناعة نفوس جديدة، وظروف أخرى تصلح للنصرة والتأييد، وبهذا يتم التجييش والتنظيم الذي يصنع التغيير.

الرصد لا يعني الوقوف، ولكن يعني التأثير والتغيير، وهذه مهمة الدعاة والمجاهدين، فهناك عملية دائمة من الرصد والتأثير.

هناك من مشايخنا من يتعامل مع المجتمعات بمدح مطلق أو ذم مطلق، فهم بين مندفع في اتجاهه الفكري الخاص به، وهناك من هو مقيم على شط اليأس والقنوط، وكلاهما يظن أنه يتعامل مع قطعة حجر صلبة، لا يمكن تحويلها، ولا تغيير اتجاهها.

هذه قضية لو جمع فيها بعض الباحثين أقوال اليأس من المشايخ، أو أقوال المدح المفرط في المجتمعات= لتكونت لديه صورة قاتمة عن فهم التحولات والتغيير الاجتماعي والنفسي، ولرأى بوضوح كمية الفجأة التي تنتابهم عند حدوث الوقائع التي تخالف نظراهم وتحليلاتهم.

عندما قرأت لغسان كنفاني "عائد إلى حيفا" صدمتني الرواية، لأنها كشفت تحولاً خطيراً في بنية النفس العربية الفلسطينية نحو العدو اليهودي الصهيوني، وذلك بسقوط جدر الكره والمفاصلة والبراءة.

العيش في داخل الآخر، ونفسيته، وتفكيره، وهمومه وقضاياه يعني انسلاخك من ذاتك وقضيتك.

العربي صار يهودياً.

ما حاوله النصراني الشيوعي اليهودي صاحب "المتشائل" أميل حبيبي هو صورة قذرة من صور تبرير تحولات الحالة بين الذئب والضحية.

تحول الضحية إلى متعاطف مع الذئب، يعني أن العربي الفلسطيني صار يهودي الهوى والجنسية، بل واللغة.

ماتت الفروق، وانتهت الحكاية بأن صار الكل خادماً للشيطان.

تبرير هذه التحولات تصنع من خلال واقع دسم الدلالات أن المقاومة لعبة يتخذها الخونة لصناعة المجد الذاتي، وأن الآخر الذي نموت من أجله ليس أحسن حالاً من المحتل الغاصب.

إذاً: لماذا نموت ليحيا الطاغية، ولماذا نعرق لتنتفخ جيوب اللص، ولماذا نعيد فلسطين ليحكمها الأوغاد والعملاء واللصوص؟؟!

هؤلاء يلعبون في الليل على جراحاتنا، فلماذا لا نؤدي نحن هذا الدور؟!

هكذا تبدأ سلسلة التغير والتبدل، بل والعمالة.

الكبار هم كذلك، فلن أذهب رقماً في رصيدهم، بل سأذهب مباشرة إلى سيدهم، سيد التاريخ المعاصر!

هذه الرواية التي كتبها الأسير القسامي عبد الله البرغوثي، وهو بنفسه رواية عجيبة، تروى لسمر الليل وصناعة البطولة، وتزيل –أي روايته الذاتية– رطوبة الجنوب الطرية المائعة، أقول: رواية المقصلة، هي رصد لظاهرة انقلاب المرء من صف (نحن) إلى صف الآخر، عميلاً خسيساً، متماهياً بعواطفه معه، ولا يحتاج إلى من يقنعه بهذا التحول سوى رصده لظاهرة الوسخ الكبير، والمتمثل بالسياسي القائد، والذي با ع الوطن والأرض والعرض.

لماذا أموت؟!

ولماذا أقاتل؟!

ينشأ هذا السؤال التبريري للسقوط بعد أن يخون الكبير.

حينها يذهب للسقوط والتغير.

هذه ظاهرة تنشؤها النفوس التي لا تذهب للقضية إيماناً بالله ولذكرى الدار الآخرة.

وهي ظاهرة تحصل عند من لم يعلم حقيقة الراية التي يجب أن يقاتل تحتها.

هذه وضعية دعاة الوطنية، تلك الكلمة التي صنعت لتطمس معالم الإيمان والشهادة، ولتصنع بطولات الكذب من خلال رموز الرجال الساهرين مع الكأس اللعين المملوءة بخمر الخيانة والدنس.

تكررت هذه الحال منذ حروب الاستقلال إلى محاولات استقلال من بقي جعلت الناس يذهبون مباشرة لبيع النفس لكل دافع، يعني صناعة الجاسوس.

هذا منطلق رواية عبد الله البرغوثي، لكن هل ذهبت القصة أكثر من ذلك، كما هو المطلوب؟

وقفت القصة عاجزة عن متابعة هذه القضية إصلاحاً وتنويراً، لكنها ذهبت نابشة في تطورات هذه الظاهرة، وإلى أي مدى يمكن حفر هذه الظاهرة في المجتمعات.

كمقاوم، ورجل جهاد، أي البرغوثي، ساقته الرواية مرغماً لبطولة إسقاط الجواسيس، وتعقبهم والقضاء عليهم.

في الحقيقة هذه الخاتمة ليست واقعية، أي إلى يومنا هذا، فما زال هؤلاء هم القادة، وحالهم من يصنع الجاسوس، بل هم مادته ورجاله وكباره.

الذي حدث أن الناس يحاولون إصلاح الراية، وإصلاح النية، وما زال الطريق قائماً، وفيها من الأوساخ ما يحتاج لجهد كبير.

لست معنياً أمام رواية مقاومة أن أتكلم كثيراً عن الناحية الفنية فيها، فمجرد وجود رواية مقاومة يعني الكثير، وتستحق الشكر والتنويه.

كليمة في كتاب (٢٨):

عقيدة (السلفيين) في ميزان أهل السنة والجماعة

لمحمد بوالنيت المراكشي

[٢٨ آذار ٢٠١٨ - ١٢ رجب ١٤٣٩]

الأستاذ الشاب الشهيد، نحسبه والله حسيبه، محمد بوالنيت له حق في رقبة من عرفه وعاشره أو قرأ كتبه أن يعرف به، وينشر ذكره وعرفه؛ فهو رجل حمل فكراً كبيراً، وعقلاً سابقاً على غيره، ومن رأى ما كتب ظن أنه لو عاش طويلاً لأتى بالسابغات العلمية الكبيرة من التحقيق والفهم والفوائد، ولكن قاعدة الطواغيت دوماً: الصغار ينسون والكبار لهم القبور، ولذلك عاجلوه فقتلوه، بل عذبوه حتى مات، ثم حملوا جثته الطيبة فألقوها في طريق صحراوي بعيد.

هذا الشاب المغربي العالم لم يكن يملك إلا القلم، ولم يكن عنده القلم إلا أمانة يؤدي حقها، فلا يلقيه ليصدأ، ولا يؤجره لينحرف، بل والله قلّما رأيت عقلاً مستقلاً مهتدياً كعقله في هذا الزمان من الشباب والباحثين.

كان له عقل وقلب: عقل يبحث ويتقصى وينظر ويراجع، وقلب معلق بالشرع وهدايته؛ فلا يزيغ زيغ من سلك طريق الوعي على العقل المجرد عن الهداية، فهو شاب تخصصه في الفلسفة، يبحث فيها، ويسير في دروبها، ويتقفر معالمها، لكنه لا يلقي زمام قيادته إلا لهداية الشرع ونوره.

كان خياره أن يكون سنياً أثرياً قحاً، لا يداهن، ولا يتجمجم في بيان ما يؤمن به.

ينصحه أستاذه الجامعي، وهو أستاذ فلسفة مشهور، وإسلامي النزعة والمشرب: لماذا هذا الاختيار... يقصد الجهاد والتوحيد السني؟!!

كان يغض الطرف حياءً من أستاذه، فلا يجيبه، بل يمضي في طريقه كاتباً، محققاً، مهتماً بملاحظات النفس والعقل.

لقد عرف الطاغوت في بلده سر قوة العقل، وأنه هو الأخطر، وأن صناعة العقول هي الأهم في سبيل نهضة الأمة وتحقيق وعد الله بالنصر، فعاجله بالتعذيب حتى مضى إلى ربه، نسأل الله أن يجعل مقامه في الشهداء، وفي الفردوس الأعلى.

هذا الشاب لا ينبغي أن يغيب عن عقل طالب العلم، ولا على السالكين للتغيير مع وعيهم وعقلهم واتباعهم، بل يجب حضوره بالدعاء والتذكير به كما يذكر الكبار ويتخافت بذكرهم الأحبة.

هذا الكتاب "عقيدة (السلفيين) في ميزان أهل السنة والجماعة" طبع بهذا العنوان الصادم، ثم طبع بعنوان آخر بعيداً عنه، وفي حياته باسم "عقيدة أدعياء السلفية"، وقد علمت منه أن لم يرضَ بهذا العنوان الجديد، والذي به اشتهر، وللشيخ رحمه الله وتقبله في الصالحين تبريره:

فهو يرى أن اسم السلفية اليوم فاقد لمعناه اللغوي والتاريخي، بل هو اليوم صار علماً على طائفة محددة، لها شيوخها ورموزها ومؤسساتها واختياراتها الفقهية والعقدية، بل لها مسالكها في التميز من جهات أخرى كثيرة، كاختياراتها في الأسماء والأحكام، بل والمواقف الحزبية والسياسية.

هذا الواقع يعني أن السلفية (طائفة) جديدة، وتصر على سرقة هذا المصطلح، وتصر على قصره عليها دون غيرها، إذاً فليكن لها ما تريد، ولنتعامل معها كجماعة حادثة، وبهذا المصطلح، مع إقرارنا بأنه مسروق.

الأستاذ في هذا الباب يرى غنيمتهم له، ويذهب بعيداً عنهم في منازعتهم له.

فليهنؤوا بهذا الغنيمة، ولنذهب نحن في مناقشة دينهم وعقائدهم على ميزان مستقر وأقوى، هو مصطلح أهل السنة والجماعة.

الناشر للكتاب باسمه الجديد "أدعياء السلفية"، ذهب إلى كل كلمة في الكتاب فيها لفظ السلفيين، فأبدلها بكلمة "أدعياء السلفية"!! والسبب أن الناس لم يسلموا لهؤلاء (الطائفة، أو المتجر، أو المؤسسة) بهذه الغنية، ذلك لأن لهذا الاسم تاريخ من الصراع، وتاريخ قديم، له عبقه ومعناه الصحيح الذي يمنع عندهم إطلاقه على همج كذابين جهلة.

لا شك أن هذا الاسم له عبقه، وله معناه المحترم، ولكن لا شك أن قريشاً كانت تنتسب لدين إبراهيم عليه السلام، والقرآن يقول: (إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ).

إقرار اللص بما سرق يؤلم النفس، ولكن المشكلة في توابع هذا التنازع؛ فالشيوخ والدعاة الأكثر هم في حضن هذه الاختيارات المنحرفة، ومن خالف فيها منهم خفف وطأتها، وبرر وأول وجهها، فالجماعة يرقع بعضهم لبعض حتى خرجت الفتوى صارخة أن فلاناً مبتدعاً بدعة عظمى هي بدعة الإرجاء، ومع ذلك يبقى في داخل المتجر يسرق ويتلعب ويزور، ويقتات من هذا المصطلح الجليل.

ما العمل إذاً؟

هناك من حسم اختياره، ورحل بعيداً عن هذا المصطلح، لأن واقعه مشبوه وقد قذره أصحابه، وهناك من بقي يؤكد أن السلفية منهج وليست رداءً يلبس من قبل الناس، فيستدفئ به المبتدع، ولذلك ستبقى معركتنا مع خصومه، حتى مع المتلبسين به كذباً.

الأستاذ محمد بوالنيت يناقش رموزاً ضالة في مسألة الإيمان، ويكشف عوارها وكذبها، ويبين خلافها مع عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو كتاب جيد في هذا الباب.

في ظني أن سبب هذا الاختيار من قبله في موضوع الاسم والمصطلح هو واقع المغرب الذي عاشه، وأن هذا المصطلح صار وسماً بلا مثنوية على قوم، ولم يعش المغرب في ظني، وأرجو أن يصحح لي العالمون بالأمر إن أخطأت، أقول: لم يعش المغرب فتنة انشطار السلفيين، أو فتنة البحث عن السلفية ومعناها الصحيح، بل ربما وصلت إليهم اليوم محددة المعالم من خلال رموز اختارت وجهتها على معنى من الغلط في انشقاق السلفيين.

وللتنبيه؛ فأنا أعلم انشطار السلفيين الجرثومي، وتفرقهم في كل البلاد شذر مذر، يلعن بعضهم بعضاً، ويقذف بعضهم دين بعض، ولكن أقصد محنة الاختلاف بعد التشوف في المراحل الأولى.

في المشرق عاش الشباب فتنة البحث عن الوجهة السلفية الصحيحة في أبواب متعددة، منها موضوع الإيمان وتنزيل أحكامه على الواقع والنوازل والناس والأحداث، ولذلك بقيت كل جماعة تدعي أنها الأحق بهذا الوسم الجميل.

هذا جزء من محنة هذه الأمة في خروجها من التيه.

رحم الله محمد بوالنيت، الذي خسرناه، فرحل جميلاً يشكو إلى الله إجرام من عذبه وظلمه.

كليمة في كتاب (٢٩):

قصتي مع الحياة

لخالد محمد خالد

[١ نيسان ٢٠١٨ - ١٦ رجب ١٤٣٩]

بعد أن تقرأ هذا الكتاب تصطدم بكلمة واحدة، تجبه مسراك رغم أنفك: التيه.

قصة حياة هذا الرجل الأزهري تمثل قصة جيل (مشيخي) فرّغ من علم قويم، ومن درب سني سليم، ومن رؤية مهدية بالشرع، فخرج هذا الجيل حاملاً زقوماً، ينثره بالقلم فيسبغه في الكتب والمقالات والخطب.

لعل ثاني كتاب اشتريته في حياتي بعد قصة أرنست همنغواي هو كتاب "من هنا نبدأ" لخالد محمد خالد، وما أن انتهيت منه حتى علمت أن الشيخ محمد الغزالي رد عليه في كتاب "من هنا نعلم"، فسعيت للبحث عنه في الرصيفين المعلومين لي ببيع الكتب، فقرأته، وتبينت لي محنة الفكر حول إسلامية الدولة.

أستاذ الفلسفة الشيوعي، ومدرسها في الجامعة، وقع بيني وبينه حوار طويل حول حق الشرع بحكم الدولة، فرد عليّ بأن الشيخ الأزهري خالد محمد خالد يرى أن سلطان الإسلام على الدولة لا دليل عليه، فرددت عليه أن خالد محمد خالد تاب عن كتابه "من هنا نبدأ"، فرد علي: هكذا كبار السن! يتوبون عند اقتراب الموت خوفاً من الموت وما بعده!!

عند بداية الالتزام، والنفس متطلعة لكتب الشرع، شغفت بكتاب "رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد، وقرأته مرات ومرات... أتقول عشرين مرة مثلاً، أقول: بل أكثر، ثم هجرته، وكم من مرة أعود إليه لأحس ما كنت أحس به في قراءاتي الأولى له فلا أراه شيئاً.

وشأني مع أصحاب الكتب التي أحبها أن أتطلع لسيرة أصحابها.

وخالد محمد خالد وجد كثيرين يتكلمون عنه، يسبونه، ويقدحون بتوبته، ولم يكن هناك من علاج لمعرفة شأن الرجل والخروج من التناقض إلا أن تقرأ سيرته، وهكذا كان، ومن قديم وسنين طويلة خلت.

حقاً، حين تقرأ مذكراته تأسى له، وتعلم أن الرجل فاقد للبوصلة، وأما زعمي لأستاذ الفلسفة أن خالد تاب من غيه في موضوع الدولة فلست مخطئاً، ولكني لست مصيباً كذلك.

كانت صدمتي وأنا أفتتح قراءة هذه المذكرات إشادته بتلاميذ له، صنعهم كتابه "من هنا نبدأ"، ذلك الكتاب الذي جرى على منوال "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، من أمثال شاكر النابلسي، وهو رجل تصاب بتلبك معوي وقشعريرة تدفعك للهروب بعيداً عن موطن ذكره، ومع ذلك يصفه بالأديب الباهر، ويشيد بكتابه (أعوذ بالله) "ثورات التراث"، وأنه سار فيه على منوال "من هنا نبدأ".

ووجدت في بداية المذكرات ما هو صريح بموقفه من الكتاب، إذ وصفه بأنه أحب الكتب إليه، هذا مع ما ذكره في آخر المذكرات بالإنتاج الوسخ الذي أنبته هذا الكتاب، وكيف صار نموذجاً للتخفي تحته بالباطل، وهو ولا شك يحاول أن يتنصل من قاذوراته، ولكن تأبى عليه نفسه أن يتوب توبة الصدق، فيسر ويخفي، ويتقدم ويتراجع، وهو عالم بأن هذا الكتاب هو من صنعه، لا أنه صنع الكتاب.

لا يخفي خالد محمد خالد أنه كتب الكتاب ليشتهر، بل لم يشتهر الكتاب إلا بعملية تسويق قذرة، مارسها باقتدار، وهو يعترف بلسانه أنه مارسها، وصاحب فكرتها.

طلب خالد من صديق له أن يرد على الكتاب بأقذر الكلام، وذلك بعد أن نشره فلم يحفل به أحد، وهكذا كان، فكانت الأصداء، وكان أسعد لحظات حياته أن صودر الكتاب، فصار طلبه ملحاً، فكانت شهرته.

صناعة الضجة بالكذب، والأسماء المستعارة، وادعاء الصدى، وكل ذلك أكاذيب كهان.

في رحلته مع كتابه الثاني لم يفلح بما أفلح به مع الأول، فحزن، واعتبر أن سكوت الخصوم عنه مؤامرة صنعوها حتى يموت وينسى.

هكذا نفوس هؤلاء القوم.

يحبون الشهرة بسب أمتهم، وبقذارة ألفاظهم، وبصدمة مغايرتهم للسائد، وكلما رأوا أن الناس لا ينتبهون زادوا العيار، حتى يسبون الله والرسول، وهم في كل هذا يبحثون عن شهرة الأعرابي الذي بال في ماء زمزم وقت الحج ليشتهر ذكره بين الناس.

أما أن الرجل يعيش التيه؛ فلا يمكن أن تعرف هذا المعنى إلا بقراءة المذكرات، فتراه كيف يتقلب بين الأحزاب والأفكار والمواقف، وتراه كيف يحاول جاهداً الخروج من أزهريته ليكون شيئاً آخر، وكيف يرغب بأن يكون صديقاً لسيد سابق ومحمد الغزالي، ولآخرين من الضفة المقابلة، أوسخهم عبد الله القصيمي الملحد، والذي يفتخر صاحبنا هنا أنه عرض عليه كتابه "من هنا نبدأ" فمدحه وهش له، وشجعه على نشره.

مع هذه الذكريات ترى كيف انتهى الكاتب إلى الحيرة، وإلى الاضطراب؛ فهو يقدح في شخوص مجدها، وليتك تنظر إليه وهو يعتذر اعتذاراً بارداً على مقال له في يوم موت أخبث رئيس مر على التاريخ المعاصر من كل وجه: جوزيف ستالين، بعنوان "طبت حياً وميتاً يا رفيق".. أستغفر الله رب العالمين.

الرجل مسكين يريد أن يكون كل شيء: شيخاً، وسياسياً، وعلمانياً، وديمقراطياً، واشتراكياً، بل يحب أن يدعى يوماً أنه من أوائل بناة جماعة الإخوان المسلمين، ومع ذلك هو الصوفي الذي بلغ أعلى مقامات الولاية، وحصل له الكشف مراراً، وصار يستطلع المغيبات بالرؤى والعرفان.

وهو كذلك السياسي، والفيلسوف، وكل شيء، فانتهى إلى لا شيء، ولم يبق له ذكر إلا من جهتين: علمانيون يستشهدون بأنه الأزهري الذي أصل لهم معارفهم في نقد الدين، كما فعل شاكر النابلسي، وبعض المبتدئين الذين يقرؤون كتابه "رجال حول الرسول"، فيسعدون به.

(هذا المقال يحتاج لمقالات حوله ليتم معناه، ولكن هذا باب كليمة فقط).

كليمة في كتاب (٣٠):

إذا هبت ريح الإيمان

للشيخ أبو الحسن الندوي

[٣ نيسان ٢٠١٨ - ١٨ رجب ١٤٣٩]

هذا كتاب يُحب صاحبه، ويُحب من كتب عنه، ومن عنوانه تذهب إلى رحلة تعود منها بحمل الحب والامتلاء.

أبو الحسن الندوي رجل أدب فوق أنه رجل تفسير وعلم وفكر، وهو رجل ذواقة لفاعلية الإيمان في الحياة، وفيه شغف لرجال الإيمان في تاريخنا، ترى كل هذا في كتبه، ولا أظن أن كتاباً له لا يحسسك بهذه المعاني فيه، وهي خصلة يكاد يختص بها إذا كتب وإذا خاطب.

الشيخ رحمه الله يعرف تماماً بما تحصل الفاعلية في الوجود، وبما يدخل المرء سلك التجديد والتغيير، وبما يحصل على وسام (وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ).

إنه يذهب لداخل المرء: من محبته للآخرة، وعمله بالطاعات السرية، وتعلقه بالقرآن، وإخباته في صلاته، وتواضعه مع إخوانه، ودوام ذكره لربه.. هذه وما كان في معناها تشغل عقل الشيخ رحمه الله إذا تكلم عن رجل أو خبر، أو علق على قضية.

في كتابه المتعدد "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" هذا نظره وهذا ميزانه، وفي ترجمته للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي لمقدمة حياة الصحابة، وفي تقديمه لكتاب الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في شرحه على الموطأ،، وفي رسائله الكثيرة، وفي أخباره لرحلته الطويلة للشرق، بل والمتعددة، تراه يذهب لما ذكرت لك.

تزكية الذات هي محط نظر الشيخ، وبمقدار تحصيل المرء لمعاني التزكية يحصل له القبول في الأرض.

الآن سيقول البعض: لكن، وأنا أعلم مائة "لكن" بعد هذا الكلام، ولكن أقول لك: دع "لكن"، ومئات "لكن"، واهتم بهذا الجوهر النفيس في رحلتك مع الله، ورحلتك للدار الآخرة، فما من أحد كتب مثلما كتب الشيخ، وقال كثيراً كما قال، وصنف كما صنف إلا ولحقته "لكن" هذه، إنما المهم ما قبل "لكن"، هل الأصل هو

الخير، ثم "لكن" التي هي لازمة للبشر، لأنهم يخطؤون، أو أن الأصل هو الشر، وبعض الخير يلحق ببعد "لكن"؟؟.

إذا هبت ريح الإيمان.. تأمل هذا العنوان الرائع، واذهب ببصرك بعيداً فيه، وردده على لسانك كثيراً، فإن لم يقشعر بدنك فأنت مريض.

إذا هبت ريح الإيمان...

مع هذا العنوان ترى عالماً يسير ويفعل ويغير، وترى رجالاً تنبسط لهم الأرض طولاً وعرضاً لاستقبال خيراتهم وزرعهم، ثم أنت ترى حركة وصخب، هذه الحركة تقضي على الإيمان السكوني الذي يعيشه إيمان الهنادكة الذي غزى التصوف الهندي، فجعل أعظم فاعلية إيمانهم هو: أريد أن لا أريد.

هذا إيمان فيه هبوب، وهذا الهبوب فيه فاعلية النهي عن الفساد والقضاء عليه، ولا يقبل مساكنته.

في هذا الكتاب قصة الشهيد أحمد عرفان، وصاحبه الشهيد محمد إسماعيل الدهلوي، رجلان لهما قصة هي العجب، وإرادات تطاول الجبال، مبعثها الإيمان بالله وحب الدار الآخرة، في غمرة شر متواطئ من كل باب: صوفية فاسدة، ملأتها معالم الجاهلية، من شرك وسكون وتواطؤ مع الشر الداخلي والخارجي؛ وتفرق أمة، شرط دخولها مسمى الأمة لتقود العالم أن تكون متحدة؛ وعدو غازٍ، هو قليل، لكنه بدخول الطوائف الجاهلة والكافرة معه صار كبيراً، فهو يستخدم آخر جندي عميل معه للوصول إلى أهدافه، إنه المجرم البريطاني، أو قل الإنجليزي فهو أصوب؛ وأعداء داخليين من هنادكة وغيرهم، هي فرصتهم لأخذ القيادة من ملوك المسلمين؛ وملوك مسلمون رأوا مصالحهم بالتواطؤ مع العدو الخارجي.

كان همّ هذين الرجلين إصلاح الإيمان، فكتب الشيخ محمد إسماعيل الشهيد، رفيق أحمد عرفان كتاباً هو من أفضل الكتب في بابه "تقوية الإيمان"، وكتاب "الصراط المستقيم"، وغيرها، وله "رد الإشراك والبدع.. عبقات في الفلسفة والحكمة".

قال عنه الشيخ الندوي في تقدمة كتاب "تقوية الإيمان" الذي ترجمه الشيخ إلى العربية نقلاً عن الشيخ محسن بن يحيى الترهتي: كان أشدهم في دين الله، وأحفظهم للسنة، يغضب لها، ويندب إليها، ويشنع على البدع وأهلها.

ويقول عنه الشيخ أبو الحسن هناك: كان كالوزير للإمام، يجهز الجيوش، ويقتحم المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد في بالاكوت.

هذا الشيخ هو حفيد العلامة شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى.

أما ترجمة الإمام العظيم أحمد بن عرفان البريلوي الشريف الشهيد، فتستطيع قراءتها في مقدمة كتاب "إذا هبت ريح الإيمان"، وهي مأخوذة بحرفها من كتاب والد الشيخ أبي الحسن الندوي "نزهة الخواطر"، وأنعم به من كتاب.

هذه الهبة الإيمانية كانت كإشراقة الصباح، تأتي لترفع أقواماً وتضع آخرين، ولتقوم سوق الإيمان فتكون سبباً لنيل الشهادة ورفعة المقام، وتكون سبباً للحوق الخزي بأقوام.

في مثل هذه الهبات يكون عبق الإيمان الذي يأتي في سياق غلبة الكفر وزمانه، ليحصل فضل أهل الأخدود، لا يذهبون له استسلاماً ولكن جهاداً وتضحية، فتقوم الحجة، وتتواصل سيرة الصالحين، ويقع اتصال السند بين سلف عظيم وخلف من معانيهم تحصل له العظمة.

في مثل هذه الإشراقات لا يسأل عن النتائج الدنيوية إلا من ضعف نظره وخف دينه، ذلك لأنها رحلة إيمان في زمن الجاهلية، فمعيارها معيار الإيمان فقط، وذكرى الدار الآخرة، وحصول النذارة للوجود.

نعم، لا يعدم المرء الدارس من معاني الظاهرة كفعل بشري يقوم، فيدوم لأسباب ويفشل لأسباب، فهذا مطلب سنني عظيم؛ لكن الأمر عند البعض هو جلد وتقزيم وتحطيم لظاهرة الفعل الإيماني، والذي يأتي في سياق غلبة الجاهلية ليحقق معانٍ ربانية، ليس فيها إلا معنى الصبر واليقين والثبات، والتي هي أبواب دخول الجنان، مطلب العبد وحبه وشغفه ورغبته.

هذا الكتاب لا يحسن نقل اختصار له، لأنه كتاب كتب على معنى الحب، وفي لغة الحب، وحين يكون الأمر كذلك، فإن أي خبر يساق بلغة أخرى يفقد معاني صاحبه، والشيخ أبو الحسن ذكر في بداية الكتاب أنه أحب أن يكتب سيرة رجل عظيم بلغة شريفة، تشغل الروح قبل العقل، وتسرق القلب قبل الفكر.

والعبد ينصح أن يشجع الشباب على هذا الكتاب، لأنه يصنع صور البطولة الإيمانية، مع عقل يعي كيف يسلك سبل الجهاد، فيعتبر مع شغف، ويفكر مع تعلق.

رحم الله عظماء هذه الأمة، من صنعوا التاريخ، نحبهم لفعلهم، وغفر الله لناقليه ليحفظ ويروى.

كليمة في كتاب (٣١):

شرح دعاء السحر

للخميني

[١٢ نيسان ٢٠١٨ – ٢٧ رجب ١٤٣٩]

الصوفية دين اخترق ويخترق كل الأديان، ولو درسه المرء بعيداً عن الأزياء الإسلامية الملحقة به لرآه على حقيقته كما هو عند أصحابه المؤمنين به، بعقيدته التي يؤمن بوحدة الوجود، وبطريقته وهي طريقة العرفان والشهود كما يسمونها.

في التاريخ الإسلامي تجد الفيلسوف الصوفي، والرافضي الصوفي، والدرزي الصوفي، والفقيه الصوفي، بل والسلفي الصوفي –كأبي إسماعيل الهروي–، والإباحي الصوفي، والنصراني الصوفي، واليهودي الصوفي؛ فالصوفية دين يسمح لأهله اجتماع كل هذه التناقضات، وذلك تحت جواز المخالفة بين الظاهر والباطن، ولعقيدة التقية، والتي هي أصل دين الصوفية.

هنا نموذج لعرفاني رافضي، وهو آية الله الخميني، يشرح تجلياته وكشوفه من خلال كتابه "شرح دعاء السحر".

دعاء السحر منسوب لعلي رضي الله عنه، ولا شك في كذب هذه النسبة، فألفاظه ليست على سنن الصحابة في دعائهم ونجواهم.

في هذا الكتاب الذي نشر في حياة الخميني، كشف العرفاني الصوفي الرافضي عقيدته الحقيقية؛ أي الباطنية، مع بقاء عقيدته الكلامية الظاهرة، هذه العقيدة هي وحدة الوجود، والتي تعني أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ولا بين المقدس والمدنس.

هذه العقيدة الباطنية يلبسها الخميني لباس الرفض والتشيع، فهو يقول (ص٢٣-٢٤): "فحفظ مقام الكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة لم يتيسر لأحد من الأنبياء المرسلين إلا لخاتمهم بالأصالة، ولأوصيائه بالتبعية".

وفي هذا النص استطاع هذا الرجل تفسير العقيدة الصوفية من خلال العقيدة الرافضية.

فهو يقرر عقيدة الوحدة، ويقرر العمل بالظاهر، وهو الذي عبر عنه بالكثرة، أي إن مظاهر الواحد كثيرة متعددة، بل ربما متعارضة، يعني هناك حلال وحرام، وشر وخير، وحسن وقبح، ثم جعل تحقيق هذا المعنى بمعناه الأجلى والأقوى في شخص الرسول (نعوذ بالله من نسبة الكفر إليه) وإلى آل البيت كما يراهم في معتقده.

طريقة هذا العرفاني طريقة السلوك في المقامات، وليست طريقة الفلاسفة، ولذلك هو يقول (ص٢٦-٢٧): "واعلم أن السالك بقدم المعرفة إلى الله لا يصل إلى الغاية القصوى ولا يستهلك في أحدية الجمع، ولا يشاهد ربه المطلق إلا بعد تدرجه في السير إلى منازل ومدارج ومراحل ومعارج من الخلق إلى الحق المقيد، ويزيل القيد يسيراً يسيراً، وينتقل من نشأة إلى نشأة، ومن منزل إلى منزل حتى ينتهي إلى الحق المطلق".

خلال السير الصوفي يقع للرافضي الصوفي تجليات خاصة بمعتقده، ومن ذلك ما يعتقده الكثير من الصوفية، وهي ما يسمونه الحقيقة المحمدية، ومعناها أن مادة الكون هي من نور محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه كرافضي يخلط الحقيقة المحمدية بآل البيت كمكون واحد، ويستشهد لهذا بحديث عندهم عن كذابيهم: قال (ص٣١): "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا ليس معنا أحد غيرنا، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه".

المرور في عالم التجليات وقف عنده الخميني طويلاً، وأسهب في شرحه، وهو في هذا كأنه لا يعاني مع خصم في إثبات الحقيقة الواحدة، ولكن يحب أن يسمع الآخر تجربته، وأنا لا أشك أن تعاطي الخميني للحشيشة أعانه على شرح وإدراك هذه التجليات، فالصوفية استخدموا الحشيشة لبلوغ ما لم يستطيعوا بلوغه عن طريق الرياضة الصوفية الشاقة من السهر والجوع والعزلة.

من مفردات الرافضي الصوفي أن تجليات الحسن لأسماء الله وقعت على آل البيت، فتحت عنوان: الموجودات كلها أسماء إلهية، يقول (ص ٨٤): "سلسلة الوجود ومراتبها ودائرة الشهود ومدارجها ودرجاتها كلها أسماء إلهية". ثم يورد نصاً رافضياً فيه أن جعفر الصادق قال بعد قراءته (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا) قال: نحن والله الأسماء الحسنى".

يتمادى الخميني في شرح الوحدة المطلقة، ويكثر فيه من ذكر ما يسمونهم العارفين من أئمة الرفض الصوفي، ومن ذلك قول بعضهم (ص٢٠٨): "العالم خيال، فلا ظهور إلا ظهورها، ولا شأن إلا شأنها".

ومنها: "إن لنا مع الله حالات هو هو ونحن نحن"، وفسرها الخميني بقوله (ص١١٣): "إنها إشارة للكثرة في عين الوحدة، والوحدة في عين الكثرة".

خلال الكتاب كله وفي كل ثناياه يشرح الخميني طريق الوصول، وهو التخلي عن الشهوات والذات، ومقاومة رؤية النفس، وذلك للوصول والشهود والتحقق بالوحدة. ومن علم سيرة الرجل العملية، واستطلع خبره من خلال معارفه= علم تلبس الرجل بالشهوة حتى غمرته، وعاش الكبر والغرور حتى الثمالة؛ مما يدل على أن هذه الحالة – إن شهدها الخميني كشفاً وعرفاناً– إنما هي خيالات ككل خيالات الصوفية، ودعاوى كاذبة ككل دعاواهم؛ إذا لا يعلم عنهم إلا ولوغاً في الشهوات، وإعراضاً عن ترك المحرمات، وهم في ذلك يسيرون على وجه التحقق أن الأسماء موانع عن رؤية الحقيقة الواحدة، فلا يوجد حلال ولا حرام، ولا شر ولا خير، إذ كلها مظاهر لحقيقة واحدة.

الصوفية ركن من أركان الفساد العقدي والسلوكي في جسد أمة الإسلام، ومن الخطأ الظن أن التصوف حالة تقابل بالدعاوى والشعارات، إذ الكثير من دعاة الإصلاح يحملون الكثير من فيروسات التصوف وتجلياته.

كليمة في كتاب (٣٢):

مذكرات موشى دايان

[٩ أيار ٢٠١٨ – ٢٤ شعبان ١٤٣٩]

هدية إلى أخ يشعرك دوماً أنه ما زال لك في هذه الحياة بعض أنفاس

يمكن للمرء أن يقول الكثير عن شر هذا الرجل، وعن إجرامه كونه عدواً لأمتنا، ولكن ليس لهذا السبب تقرأ الكتب، ولا من أجل ذلك تناقش؛ إنما تقرأ للعبرة والعظة والفهم، ويمكن أن يصدقك العدو فتنتفع، ويكذبك القريب فتخسر، وهذا شأننا مع قادة هذه الأمة منذ أن دخلنا طور الدولة القومية، ثم القطرية، ثم الجهوية، لا يفتحون أفواههم إلا بالكذب، ولا يقدمون لأمتهم إلا الخيانة، ولا يصدقون في أي كلمة يقولونها، هذا إن تكلموا مع الأمة؛ لأنهم حين يتكلمون يتكلمون للاشيء، فقط لتخط كلماتهم في الصباح على واجهات الصحف، أو تتغنى بها وسائل الإعلام، باحث الشعب عن ورقة أخرى فيها ذكر الأموات لينشغل بها، أو مقالة غريب يحدثنا عن بلادنا وما يجري فيها.

لا يوجد مذكرات رجل سياسي صادقة، هذه قاعدة نافعة لك حين تسير في دروب التاريخ المعاصر، ولكن يمكن لك أن تجمع الكثير من الأخبار الحقيقية من خلال خصومات القرناء وأصحاب المذكرات، فتوازن، وتدقق، وتختبر.

هذه مذكرات رجل جامع لمسارات الحياة المتعلقة بدولة غريبة وضعت على وجه تضاد التاريخ من كل وجه، وتختبرها عوائق الزمن من كل وجه، ومع ذلك كانت وصارت، ولذلك واجب على كل عامل في مساقات الحياة والتاريخ وله انشغال بهموم الوجود أن يقرأ عن هذه الدولة، وكيف قامت، وكيف حاربت، وكيف انتصرت.

مجابهة السنن الظاهرة يعني وجود عمل خفي، مخالف لكل ما هو ظاهر؛ فإن كان الظاهر يعني وجود أمة جهادية مقاتلة، تجابه قوماً ضربت عليهم الذلة والمسكنة، ثم تنتصر الجهة المخذولة= فهذا يعني وجود عمل باطني خبيث.

هذه قضية يكشفها هذا الرجل الجامع لمسارات حياة دولة غريبة.

للذكر؛ موشى دايان، بلا كذب على تاريخه كما يكذب هو، هو رجل أدب وتاريخ، وعسكرة، وآثار، وكذلك له صولات عشق، ورجل سياسة، يتحمل في سبيل الوصول لأهدافه أن يضرب بأحذية أصدقائه القدامى كما ذكر ذلك في كتابه "أيبقى السيف الحكم"، هذا الكتاب الذي كشف فيه مسيرته لصنع الصلح مع السادات، وكيف انتقل للحصول على حقيبة وزير الخارجية في حزب الليكود، رامياً اتصاله الأول والقديم مع حزبه الأصلي حزب العمل.

ولمن لا يعرفه؛ فهو أول من أدخل في جرابه جماعات وشخصيات معادية له فصاروا أصدقاء له، يجتمعون به للمذاكرة والمشاورة، وهو كذلك كان من أهم الشخصيات التجارية التي تورد إليها الآثار في فلسطين ليقتنيها ويدفع لهم الثمن.

مع هذه المذكرات تعيش خيانة بني جلدتك، وتعيش كذلك عوامل دوام هذا الغريب في هذه البلاد المحيطة به والتي تخالفه، وكيف أن هذه الدولة تكلف الكثير من الخيانات، والكثير من الدعم الدولي، والكثير كذلك من سهر أصحابها عليها، والكثير من الذكاء، والكثير من الدم.

مع أن هذا الكتاب يباع في بلادنا، وفيه الكثير من العجائب، لكن لتعرف مقدار ألمنا، فلك أن تتصور: ما إن تقتبس منه جملة ما حتى تدفع الثمن.

هذا شيء لا يثير عند أي عاقل إلا الضحك والسخرية.

وكذلك لتعلم أننا ونحن في هذه الأيام الكاشفة عن حقائق حياتنا أننا ما زلنا على وجه ما نعيش البحث عن تاريخنا المعاصر.

ربما لا تقدم لك هذه الذكريات أكثر مما تعرف عن رجل عاش العسكرة والجندية والسياسة، ينتصر ويخفق، ويعادي ويوالي، ويبرز شيئا يسيراً عن حياته الشخصية، ويذهب جاهداً في إبراز خصاله الخاصة، حتى لو كان في الحقيقة كحال مقاتل من الصحراء لم يجد في تاريخه العسكري وهو في طور التجنيد ما يفتخر به إلا أنه كان يهرب من الكلية ليقضي نهمه في الطعام والتسكع والرذيلة؛ ومع ذلك، هو رجل مقاتل، ومن الصحراء، والتي لا يعيشها المرء إلا في القصور المتخيلة في ألف ليلة وليلة.

جانب آخر، وقد أتيت عليه في مواطن أخرى من الحديث عن ذكريات يهود في بنائهم لدولتهم، وهو أن القوم لم يقصروا في سبيل هذا الحلم، والذي لن يعيش طويلاً بعد اليوم، لكن مما يميز مسيرتهم هو الرعاية التامة لهم؛ وفرق بين رجل يمشي عاملاً جهده في سبيل مراده، ولكنه يجد الرعاية من محيطه، بل من خصومه، وبين رجل يسعى جاهداً لتحصيل هدفه، ولكنه مع كل خطوة يخطوها يجد ألف عدو من أمامه ومن خلفه، لا شغل لهم إلا قتله والانتهاء منه.

لقد اعتنت بهم الدول والإمبراطوريات، والبنوك، وممولو الأسلحة، ولم يكن جهدهم في هذا الباب إلا توسيع الحلم أو استعجاله، فليس تفجير فندق داود في القدس إلا على هذا المعنى، مع دولة حملت لهم الحلم حقيقة، وقراراً أممياً.

بعد الانتهاء من هذا الكتاب، تحس أن الكثير من السر ما زال مكتوماً في قضية هذه الدولة المسخ، ولكن تذكر أن التاريخ لا يجوز أن يقرأ مختصراً، ولا يجوز بالتالي أن يقرأ كتاب مذكرات من خلال كليمة.

وبقي بعض الألم: ما زلنا نقرأ ما عندنا، ونفهم تاريخنا من كلمات خصومنا.

كليمة في كتاب (٣٣):

في مجال العقيدة

للأستاذ غازي التوبة

[١٠ أيار ٢٠١٨ – ٢٥ شعبان ١٤٣٩]

رصد تطور العقائد موضوعاً وأسلوباً علم مهم في تاريخنا، به قام كبار الأئمة، وهو نوع من عملية التجديد الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمة، وذلك يؤدي لزوماً إلى عملية الإحياء؛ ذلك لأن ارتباط التوحيد وعلم أصول الدين بنهضة الأمة، وتحولها من الغياب إلى الفاعلية= حقيقة قدرية لا ينكرها منصف، وبها تحدث القرآن الكريم.

عوامل التبديل والتحريف ليست قاصرة على الأمم السابقة ولا على عقائدهم، بل هذه الأمة هي تكوين بشري سنني يصيبها ما يصيب كل أمة، وكما كان يبعث الأنبياء لتصحيح مسيرة الأمم السابقة، فهذا في هذه الأمة من مهمات العلماء والمجددين.

والعقائد لا يعتريها التحريف والتبديل في موضوعها فقط، بل يقع هذا في الأسلوب، وفِي طرق الاحتجاج لها؛ ولذلك نهى علماء السنة الكبار من الفقهاء والمحدثين عن علم الكلام، حتى لو كان هذا العلم سبيلاً في تقرير العقائد أو الرد على المخالفين، ثقة منهم أن هذا الأسلوب يحمل جراثيم الباطل الخفية، والتي ستغزو العقيدة نفسها، وهذا الذي وقع.

هذا الكتاب يقوم بمهمة الكشف لهذا الموضوع، وهو تغير العقيدة من خلال غزو الأسلوب، وهو مع تواضعه مقارنة بكتب كثيرة، لكنه موجه للمثقف العادي أو للشاب المبتدئ، ليعرفه هذا العالم المتلاطم وشديد التعقيد، فيبسط له بسيطاً هيناً قضية تاريخية تشغل الصف الإسلامي، بل والفكر الإسلامي كله.

ولذلك يمكن للمبتدئ، أو لمن لا خبرة له في هذه القضية، أن يبدأ بهذا الكتاب ليعرفه عمق هذه المشكلة.

الأستاذ غازي التوبة رجل مميز في أفكاره، فهو يبنيها بناءً رياضياً محكماً، وإذا حاورته وجدته على هذا المعنى؛ فلا يقبل جماهيرية الفكرة، ولا يغره الكثرة التي تصرخ، بل يذهب بنفسه ليصنع عالمه الفكري، ولكن مما يلاحظ في كتبه، غير كتابه "الفكر الإسلامي المعاصر"، أنها أشبه بالكتب المدرسية، يخالها المرء لا عمق فيها، وذلك لأسلوبها، مع أنها في داخلها فيها ما هو صناعة خاصة تدل على قراءة خاصة، والأستاذ قارئ مميز، وناقد مميز كذلك.

الأسلوب الذي يمارسه الأستاذ كلاماً وكتابة لعل مرده لطول سنينه في التدريس المدرسي، والذي يطيل النفس حديثاً عن القضايا البديهية، مما يجعل الكثيرين ينصرفون عنه، استماعاً وقراءة، بل ربما وجدوه غير مقنع في أحيان كثيرة.

الكتاب يعري كتب الكلام العقائدية، ويثبت خروجها عن الجادة، وفِي المقابل يشيد بطريقة المحدثين في هذه التقريرات، وينبه إلى قيام أهل العلم في ملء هذه الساحة بالعلم الضروري، وهو رد على الزاعمين أن علماء الفقه والحديث تَرَكُوا مهمة الدفاع عن العقائد للمتكلمين، ورصد عملية التحريف من خلال كتابين، هما مرجعان للأشعرية والماتريدية، "شرح العقائد النسفية" للتفتازاني و"شرح جوهرة التوحيد" للبيجوري، ويبين مزالق هذه الكتب: أسلوباً، وتغيرًا، وتبديلاً.

عندما حاول الأستاذ بيان طريقة القرآن في موضوع التوحيد شرح هذا من خلال آيات قرآنية، وهنا تستطيع أن ترى أسلوب مدرس التلاميذ في ذلك، وكأنه يخاطب طلاب صف مدرسي، يقدمها لهم بأسلوب سهل، يخاف صاحبه الخروج عن هذا السهل فلا يفهم الطلاب، فتقع الطامة.

هذا الشرح مع هذا الكتاب نفعه قليل، مع أن عبارات الأستاذ في شرح مهمات القرآن في توجيه الخطاب، وفِي اهتمامه بالنواحي البعيدة عن اهتمام علم الكلام، كالبناء النفسي والسلوكي قمة في الوعي والإدراك.

للأستاذ كلمات وتقريرات في الكتاب طيبة، وبعضها لا تسمعها من غيره؛ فموضوع عدم الاهتمام القرآني في إثبات وجود الرب لعلم الفطر بها مسبوق ومشهور، ولكن كلمته حول الخصومات الكبرى حول الصفات رائعة ومبدعة، وفيها التوفيق.

وأنت تسري مع هذا الكتاب، والكتاب قديم الطبع، ومضى على قراءته سنون طويلة، تشعر أن الكاتب ترك في نفسه بعض الكلام في بعض الرجال، وخاصة الكلام في أبي الحسن الأشعري، وكأن له فيه حكماً خاصاً.

كليمة في كتاب (٣٤):

ما هي الشريعة؟

لوائل حلاق

[١٢ أيار ٢٠١٨ — ٢٧ شعبان ١٤٣٩]

يحسن دوماً هذا الباحث الذهاب إلى أس المشكلة، وسبب الظاهرة، وهو أشبه بباحث اجتماعي في إتقانه لهذا الحفر منه إلى شيء آخر؛ ولذلك حين تقرأ مشكلة الكلمة في مقدمة كتابه هذا تشعر أنه وصف حالات الخصومة كلها في التاريخ الإنساني، وما سببها، ولماذا ينتصر خصمك عليك في بيئة لا تتقن غوصها بمشاعرك وكلمتك.

من الذي ينتصر في المناظرة حين تحاور الآخر في أرضه، وأمام من يحس بروح كلمات خصمك أكثر من جوهر كلامك الذي تعيشه غريباً بينهم.

في الخصومات العقدية التي تجري اليوم في داخل الصف الإسلامي ينتصر الجمهوري، والذي يسوق عباراته على نحو مبتذل، ويهزم من حاول شرح كلمات العلماء على نحو من رقيها، بل ومعناها الذي صاغه رجل كبير، له لغته، وله نفسه التي تتلاقى مع لغته العظيمة.

هذه القضية هي مشكلة أي خطاب حين يخرج من بيئته، فيكسر كما يكسر شعاع الضوء الذي تتغير عليه البيئة وكثافتها.

حين تعاني هذه المعاناة مع الجمهوري ستفهم كثيراً ما يريده حلاق في كتابه هذا، والذي يحاول أولاً أن يخرج لفظ الشريعة، بما فيها من معاني البيئة التي نشأت فيها، وهي بيئة التعبد وطاعة الله وصوغ الحياة، أن يخرجها من لفظ ومعنى القانون كما هو في نفس الأوروبي، وفلسفته مع القانون والأحكام.

حلاق، ليست فائدته حين يكتب تسري إلى الأوروبي فتفهمه الآخر على نحو من الإنصاف، بل ونحو من الفهم الصحيح، وهي مهمة كبرى في عالم الاستشراق، والذي يصيغه الكثيرون على نحو من التزييف المقصود، لصناعة حواجز الاتباع والاحترام.

فائدة حلاق هي في مقصدها تدور حول تفهيم الآخر، بصدق وعلمية منصفة، لكن الأمر بالنسبة إلينا حين نقرأ وائل حلاق أهم من هذا بكثير.

فائدته بالنسبة إلينا، تكمن في قضايا خافية عنا، وفي زوايا معتمة، لا ندركها، لأننا لم نعش تلك البيئتين، ولا ما فيهما من فرق كثافة كبير.

كل خصوم سلفيتنا الجامدة -كما يسميها البعض- تعني حين تقرأ حلاق أنها من روائعنا، بل هي سمات وجودنا، الملتصقة بلون بشرتنا، وبسواد رموشنا، بل هي أكثر من ذلك، هي جوهر روحنا في هذا الوجود.

حين يشهق الواحد منا شهقة ما، فتسري في نفس الآخر على نحو من معنى عميق، يعني هذا أن لك لوناً من هذه الحياة له خصوصيته وميزاته.

إن لموضوعنا المختلف عن الآخر صبغة تحيط به، وتجعل له ميزة، تختلف كلياً عن الآخر، فيجب أن تصبغ موضوعك بصبغة لغته الخاصة، والتي هي وعاء هذا الدين من ثقافة مصنوعة ضمن سيرورة الحياة لهذا العالم الخاص بنا.

كلمة الشريعة لا تعادل كلمة القانون، هذه كلمة يمكن أن يقولها الكثيرون على نحو من الفهم لبعض الخلاف، ولكن وائل حلاق يذهب إلى أعماق هذا الخلاف ليبسطه بسطاً فلسفياً، يمكن أن لا يقبل من غيره، خاصة إذا قاله شيخ له لحية تخرجه وسائل الإعلام على وجه التنفير والاستهزاء.

موضوعاتنا وأفكارنا صناعة القرآن والسنة، وصناعة التاريخ الثقافي لنا، فكل اختراق، ولو بدا أنه لفظي، يعني سقوط المعاني التي يفتخر بها هذا اللفظ.

حين تقرأ حلاق، وأنت تريد أن ترى وجهة تعليمه لعالم الاستشراق طريقة فهم الآخر، عليك أن تفهم سر قوتك، وسر خصوصيتك، وسر ما هو كامن في نفسك، تظنه بيناً عند الآخر، فيمكن التقاء المعاني باتحاد اللفظ، وهو اللفظ الذي يفرضه الآخر، لا أنت.

حين حاول محمود شاكر أن يشرح خفاء معنى كلمة (ثقافة) بين حضارتين، غاص منقباً لينتهي إلى جوهر ما، هو السر الذي يحوم المرء حوله فيدرك بعض الضوء منه، ولكن على وجه من خفر وحياء.

من تره من علمانيين العرب، وتره يرطن برطانة الغرب ليصيغ الحكمة القرآنية والنبوية من خلال لغتهم التي استقى منها مصطلحاتها= تعلم أنك أمام مهرج، لص، حاوٍ، بل هو في أجلى صوره جاهل مغرق في جهله.

بالنسبة إلينا، ما قاله حلاق تعرفه جداتنا الأميات؛ فالشريعة وضع إلهي، تبدأ حين تبدأ بحبك، ورضاك، وتسليمك، لا ترضى منك تسليم الخوف من السوط الذي يعاقب تخلفك، ولكن تبدأ بأنك عبد الله، لا يرضى منك إلا تسليم قلبك له: حباً، وإخباتاً، وشوقاً، وحنيناً، تصاغ في هذا الجانب الأوامر مع الخوف وطلب الرضا، ويكون امتثالك لها في النجوى أشد من العلن.

القانون.. شيء آخر، من أراد فهمه في الخطاب الأوروبي فليعد لكتاب حلاق "ما هي الشريعة" ليدرك جفاف هذا اللفظ، وما فيها من قصور عن معنى: الشريعة.

لا تذهب لكتاب حلاق لتعرف الآخر كيف يفكر، فهذا ستجنيه في عرض الطريق، بل اذهب لتعرف أنك مسلم لك خصوصيتك، وحين تخضع لعملية التجميل!! يعني أنك صرت مسخاً، بل مجرد دابة تقضي حوائج الآخرين.

كليمة في كتاب (٣٥):

عقيدة الصدمة

لنعومي كلاين

[٣١ آب ٢٠١٨ – ٢٠ ذي الحجة ١٤٣٩]

هذا الكتاب صنع ضجة عند صدوره، لأنه لامس بخشونة وحوش الاستثمارات في الكوارث والمصائب، فهبوا للدفاع عن أنفسهم، كما هب آخرون لفضح ممارساتهم ودعم هذا الكتاب.

هذه كاتبة كندية، هي ضمن مجموعة تؤمن بضرورة التصدي لعالم خفي من السياسيين والعسكرين والاقتصاديين يقومون بكل ما هو إجرامي وقذر لتتضخم مؤسساتهم وأموالهم، ولتنتشر أفكارهم، وليصنعوا عالما من طبقتين: العبيد والسادة، بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى سيء ومؤلم.

الكتاب يتحدث كيف يستغل هؤلاء الطفيليات المتوحشة كوارث الدنيا لصناعة عالم جديد، فيه تكريس للرأسمالية، وتكريس لتفوق مؤسسات معينة، وضرب كل مقومات الاستقلال السياسي والاقتصادي، سواء تعلق هذا الاستقلال بدول أو مؤسسات أو أفراد.

ما يهم عالمنا هنا أنها كشفت الحقائق المؤلمة لغزو العراق، وكيف أنهم أرادوا بهذا الغزو صناعة عالم جديد، محكوم لهم، من رأس الدولة إلى أقل فرد فيها.

حكت الكاتبة القصص المؤلمة المتعلقة بتدمير الثقافة، وتدمير الذاكرة، وفتح البلاد كسوق استهلاكي لمؤسسات غربية تكرس الثقافة الغربية، والتي قوامها سادة وعبيد، فالسادة هم العرق الغربي، والعبيد هو كل من كان غيرهم.

ماذا تعني كلمة "عقيدة الصدمة"؟ تعني أن الشعوب عندما تصاب بصدمة كارثة ما، مصنوعة أو طبيعية، فإنها تصبح حالة سهلة للتشكيل، لأن الصدمة الكارثية تدمر البنى التقليدية، وتخلخل الموجود مهما كان قوياً وتقليدياً، ومعتمدا على الإرث والعقيدة.

ما تكشفه الكاتبة هو أن منتفعي الكوارث هم عصبة مؤسسية، لهم قائد روحي، وجماعة تتغلغل في كل مفاصل الدولة، تسللوا رويداً إلى مصادر القرار في الولايات المتحدة حتى أتوا على كل مغرز فيها، فهم أشبه بالعصابة، بل عصابة دموية لا رحمة فيها.

هذه المؤسسة أطلقت عليها الكاتبة: مدرسة شيكاغو، وعرابها رجل اسمه: ميلتون فريدمان؛ وقد بدؤوا صناعة أنفسهم منذ حكم نيكسون، يتقدمون بثبات نحو أهدافهم، دون نظر لأي قيم الحياة الإنسانية؛ فكل مصائب الوجود بالنسبة إليهم هي فرصة للتمدد والتقدم والازدهار، وحين توقف الكوارث الطبيعية يسارعون هم لصنع هذه الكوارث.

الكتاب ضخم، لكن ما قيمة قولك: هؤلاء دمويون، وقذرون، وشركاء شيطان، دون أن تعرف كل تفاصيل هذا الكلمات لتزداد بهم بصيرة، ولتعرف عمق هذه الكلمات في الواقع؛ ولذلك فكل كلمة في هذا الكتاب ضرورية لشرح هذه الظاهرة.

كنت أريد أن أكتب عن هذا الكتاب باتجاه آخر، وتحت عنوان: "صراع إرادتين، العمل من خلال خطة العدو"؛ ذلك أني بعد أن سرت في الكتاب إلى وسطه، خرجت من حالة الصدمة المروعة برؤية هؤلاء المجرمين، وتخليت من حالة الذهول التي صنعتها دموية هذه المؤسسات إلى حالة أخرى، وهي رؤية عالم ما بعد هؤلاء، إذ هو العالم الذي يرتقبه الناس، وسيكون هو التالي لظلمهم وإجرامهم.

لقد رأيت بعد ذلك يد الله تدمرهم من خلال تدميرهم لغيرهم، وتفسد حياتهم من خلال إفسادهم لعالم غيرهم، والعالم اليوم على حافة الانهيار بسبب أن هؤلاء قد سارعوا بممارساتهم هذه نهاية عالم الغرب.

عندنا ما يجب الإعلان عنه، وهو وجود مغفلين، يؤمنون أن في الغرب بعض خير (أقول: يؤمنون بوجود بعض خير، وأما المؤمنون بأن الخير في التغريب فهم ملاعين مأجورون، وأما من آمن ببعض خير فهم مغفلون كأولئك الذين وضعوا بعض الزهور الكلامية على قبر جون ماكين)، ذلك لأن هؤلاء لا يعرفون من الذي يسيطر في الغرب، وكيف تدار ماكينة الحياة، والمواقف، من سلم وحرب، ويحتاجون لهذا الكتاب حقاً.

هذه الفئات التدميرية تريد صناعة عالم خاص بهم، ومن خلال هذا الهوس في البلوغ للمآرب تكون يد الله حاضرة أن يوصلهم لمراده دون مرادهم، ومن خلال خطتهم تكون إرادة الله هي الغالبة لتدميرهم، مع تدميرهم لأنفسهم (**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**).

حتى تلك الكوارث الصناعية التي يحدثونها تنقلب عليهم، وتتحول بأيديهم إلى مصدر كوابيس مؤرقة، ومن خلالها تهتز معالم الثبات في الجاهلية، لتكون الفرصة سانحة للشعث الغبر في حرية التحرك، وصناعة واحة جهاد يحسن بها التحرك، ارتقاباً لمزيد دمار داخلي في البنية الغربية، ليكون لهم الوراثة التامة بإذن الله.

إرادتهم دوام الشر، وحصول الغلبة، ومن خلال إرادتهم هذه، والتي تصنع عالماً يسهل اختراقه، يكون لعالم الإيمان وجود.

ما من كارثة حصلت منهم، إلا وكان فيها النفع لصناعة حالة جهادية، لا يفهم وجهها البعض، بل ربما فسرها الجاهلون أنها جزء من صناعة العدو، كما يحلو لمحللي (البول) أن يفسروا الظاهرة الجهادية التي تتمدد وتصنع نفسها لوراثة الأرض.

من خلال خطتهم تبرز يد الله، ليكون كيده أشد، ويكون تجدد الفعل الإلهي بصناعة موسى عليه السلام في بيت فرعون.

وجود هذه الطوائف نعمة إلهية، كما كان يقول بعض الصالحين: لو جاز لي أن أشكر من ظلمني لشكرته على ظلمه لي، لما حصل من خير عظيم لي.

لا أحد يتمنى البلاء، ولا الكوارث، ولا المصائب، ولكن ليس القدر تابعاً لأمنياتنا، فقد ولدنا في كبد: نأتي بالألم والصراخ، ونموت بالألم والبكاء، وننتصر بالألم والفراق، وتصنع انتصارات الأمة بموت حمزة وغربة جعفر، وبخراب البنيان وهلاك الثمار وخسران الأموال.

فلذلك؛ للكتاب قراءتان: قراءة اليأس وقراءة الأمل (**فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**).

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٣٦):

استعادة الخلافة: تفكيك الاستعمار والنظام العالمي

لسلمان سيد

[١٠ أيلول ٢٠١٨ – ٣٠ ذي الحجة ١٤٣٩]

ابتداءً لا بد من كلمة جوهرية وضرورية: كل هم أعدائنا هو منع تحقق الخلافة، وكل جهودهم العدائية تجاهنا تسير في اتجاه واحد، وهو منع تحقق هذا الأمل الإسلامي العظيم، وكل جهودهم سابقاً ولاحقاً إنما منصبة حول منع حدوث هذا الكائن المرعب العظيم.

في كتاب جيمس بار "الصحراء تشتعل" نقل المؤلف كلمة للورنس كتبها لما كان طالباً، فأعجب به المدرس ونصح باتخاذه رجل مهمات صعبة، يقول لورنس: "إذا تمكنا من إجراء التسويات اللازمة، ليكون هذا التغيير السياسي عنيفاً، نكون قد قضينا على خطر الإسلام، بتقسيمه وزرع الفتنة في عقره، سيكون هناك خليفة في تركيا، وآخر في الجزيرة العربية.. يتنازعان فقهياً، ولن يكون الإسلام على قدر كبير من الأهمية، مثلما كانت عليه البابوية يوم كان البابوات يعيشون في أفينيون" انتهى.

هذا النص، كثيف، غزير، مليء بالألم من جهتنا، مليء بالتخطيط من جهتهم.

الخلافة هي عدوهم، وتوزيعها كان منتهى أملهم، فتحقق بسبب عوامل التعرية الداخلية أكثر من هذا.

ولذلك من وجّه قصده نحوها فهو العدو، ويجب أن يموت، ومن وافق على الحياة بدونها أمكن التعامل معه مع الاحتواء.

هم ينشغلون بأي قضية حين تتعلق بالخلافة، ويغضون الطرف عن أي قضية لا علاقة لها بهذا الأمل الإسلامي المنشود.

هذا الكتاب لا يتحدث عن وقائع، ولا يتحدث عن سياسة بمفهومها الخاص، بل يتحدث عن تفكيك مصطلحات الغرب تجاه دعاة الخلافة، وحملة رايتها هنا وهناك.

هناك مصطلحات تبدو في بعض الأحيان مغرقة في المعنى السياسي، أو العسكري، أو الاقتصادي، بعيدة عن الوعي الإنساني، أي في الغرب؛ ولذلك نظن أن الرؤية سياسية أو اقتصادية بحتة، ونبتعد عن أعظم قضية قرآنية في موضوع الحرب مع الأعداء من المشركين من الغرب، وهي قضية الوعي المعرفي؛ أي الإيمان.

هل الذي يسوق الحركة العسكرية والسياسية والاقتصادية رجل لا دخل له بالمعرفة العقلية عندنا وعندهم، أو هو فيلسوف يذهب أولاً إلى تفكيك المعرفة في النفس البشرية، ليصنع معرفة ويقضي على معرفة، ويقيم إنساناً، ويدمر إنساناً؟؟

هذا ما يجيب عنه هذا الكتاب عن طريق جهة ذكية، وهو تفكيك المصطلحات ودلالتها، بل والأحداث وما قصد بها مطلقها.

هنا نحن نغرق في التفسير والنظر الذري الفردي القاصر، وهناك يتم بناء معرفة إنسانية، وجهتها الكلية تدمير روابط الأمة، ونزع جوانب اللقاء، وتغييب الأمل حتى وطأة اليأس.

يبدأ الكاتب بعنوان عجيب "الأسماء"!!

هناك بنية معرفية عميقة لصناعة واقع الأسماء، مصوغة من خلال الهجوم الاستعماري، فلابد من الوعي على مؤسساتها ورجالها، ومآلاتها في الذهن الغربي أولاً، باعتباره حربة تدمير، وبالذهن المسلم باعتبار مفعولاً به في هذه الساحة.

تجر القائمة، حول هذه البنى المعرفية، وهذه الصياغات الاصطلاحية، ليكشف لك الكاتب ما هي عندهم، وماذا يراد منها، فهي تفكيك للبنى المعرفية عند هؤلاء: الليبرالية، العلمانية، النسبية، الديمقراطية، علم المستقبل، الشتات، الخلافة، النظام، التأويلية، الأخلاق

هذه (أسماء) ليس لها دلالة معرفية ذهنية فقط، بل لها وجود واقعي يترجم على الأرض.

انظر إليه وهو يتحدث عن الفارق بين ما نفهمه من الكلام كوعظ ديني، قد نستغرب خصومة مؤسسات الأمن عندنا لها، وكذلك قلق الغربي منها، لكونها ليست كذلك عندهم، بل هي في النهايات وجود مقاتل، يصارع وجودهم من كل وجه:

يقول: "إن تأسيس الأمة لدولة ستعتبر ممثلة للإسلام لا يستلزم مزيداً من المواعظ المعيارية، بل وسيلة لترجمة المبادئ المرتبطة بأفضل مفهوم يمتلكه المسلمون عن دولة مثالية كهذه إلى آليات الإدارة والحكم". انتهى.

وانظر لقوله: "إن إثبات الذاتية المسلمة يقدم تحدياً جدياً لفكرة الدولة القومية" انتهى.

هذا الكتاب يكشف لك، وربما دون دراية كاتبه، عقم وفساد الذين يحاولون جهدهم استخدام المصطلحات الغربية للتعريف بالإسلام، فهم وإن يقع قبولهم سياسياً في مرحلة، للضرورة، إلا أن المشكلة هي الحشوات الداخلية لهذه المصطلحات، ومن الخير أن نفهم أن القضية الواقعية في الصراع هي صدى لهذا الخلاف المعرفي (العقدي والمعرفي).

المشكلة صراع دموي حول إيمان مقابل إيمان، ويجسد هذا الإيمان من خلال أمة، ومن خلال كيانات متعارضة، وليس مجرد مماحكات لفظية.

يجب علينا أن نفهم الكفر من خلال بناه الفكرية، لنعرف عمق العداء الدموي بيننا وبينهم، بل بيننا وبين المؤسسات القومية والوطنية التي بنيت على ضفاف الغرب، وعلى عينه، ومن خلال عقيدته.

هذا الكتاب قد لا يغري البعض، لخلوه من الأخبار والحوادث والأسرار، لكنه مهم لأنه يفكك العقل الغربي، ومن خلاله تكتشف أزلامه عندنا، وبهذا تصبح (مثلنا) تؤمن أن الإسلام نور لا يلتقي مع الجاهلية، وأن الموضوع لا يتعلق بتغير هياكل، بل بجرفها كلياً ليكون هناك إسلام حقيقي، بنيته ولحمته وسداه هو الإيمان بالله.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٣٧):

اعترافات القديس! أوغسطينوس

[١٣ أيلول ٢٠١٨ – ٣ محرم ١٤٤٠]

كيف ندخل على الله؟

حاورت مفكرين، وقرأت لتائهين زعموا الوصول للهداية وطريق الخير، فوجدت أغلبهم يتيهون في معرفة الحق كما كانوا تائهين في طريق الشهوة.

هل هذا الرضا القلبي، وهذه الراحة التي نحسها في أنفسنا، وهذه السكينة التي نرتاح على أعتابها= هي دليلنا للحق؟

هل يكفينا أن نستدل لأنفسنا قبل أن نحادث غيرنا أن نقول: ها قد اطمأننت، وحصلت الراحة والرضا فأنا على الحق والطريق الصحيح؟

كلما نظرت في كتاب حائر زعم الوصول إلى الصواب جاءنا منه هذا الجواب: اسلك معي وستعرف بالذوق ما عرفت، وستدرك الحق فيما أقول.

والله سمعتها من مشايخ صوفية.

وسمعتها من نصارى كبار في دينهم.

وسمعتها من مشايخ جماعة التبليغ.

وقرأتها في سد هارتا.

وقرأتها لغنوصيين، وبوذيين ووو.

كلهم يحيلك إلى هذا الذوق الذي يجدونه على أعتاب دياناتهم.

وهاهنا يأتينا القديس! أوغسطينوس على ركاب هذا الفكر، ليقول لك بلسان الذوق: هنا الحق.

كان هذا الرجل مانوياً!، وعليك بمجرد ذكر هذا الدين أن تبسط رداء فكرك على كل شهوة في الأرض، وتتخيل كل لذة يعرفها البشر، لترى أهل هذا الدين يعبون منها حتى الثمالة، طلباً لإشباع حاجة النفس ورغباتها، حتى إذا اكتمل الكأس لذة وشهوة كانت الحيرة.

فبعضهم يبحث سادراً عن شهوات أخرى، كمن ذهب لقضاء وطره مع الحيوانات، أو مع الأطفال، أو في أمور يصعب تخيلها، لشياطينهم الخاصة تخيلات لا تأتي لآحاد الناس.

وبعضهم يفر من هذا كله إلى ما يسمونه الروحانية!!

ما هي ضوابط هذه الروحانية؟ الجواب: لا ضوابط؛ هكذا قال دهاقنتها الكبار، فكل معبود في الوجود معبودي، وكل ما في الكون هو مظهر الجمال الإلهي ذاتاً وصورة، وهذا هو نهاية العشق عند الغنوصيين (يسمونهم عندنا الصوفية).

وبعضهم يحط رحله على مذهب فيه التأمل والعرفان والتجرد، فتتلقفهم البوذية أو غنوصية النصارى في العزلة والتجرد، أو الصوفية والرقص والغياب الذهني وهكذا، حينها يصرخون صرخة أرخميدس: وجدتها.

هذا التضاد يدل العاقل أن هذا هروب وليس الحل.

فما الحل إذاً؟

الحل هو أن تعرف الحق وأنه حقيقة واحدة غير متعددة، تحضر لها عقلك كله وفطرتك كلها، وتجردك عن الهوى كله، لتعرف الله والرسول، وما يحب الله وما يكره، وبعد هذا تعرف إن وافقك ذوق من هذه المعرفة العلمية العقلية أنها ذوق صحيح ورضىً قلبي حقيقي.

كل دين يذهب به بعض أتباعه إلى الانحراف، متجهة في بعض ظروفها للمادية، كما حدث مع النصرانية عندما خالطت أفكار البشر، فأن يأتي قديس! كأوغسطينوس ليجعل العرفان القلبي هو مقصدها لا يعني أبداً أنه أصلح الدين وجدده.

تجديد الدين هو إعادته لصورته الأولى التي جاء بها النبي، ثم حمل الناس على العمل الصالح الذي هجر، وليس تجديد الدين بقلب القلوب من ضد إلى ضد، أي من مادية لروحانية! أو العكس، ليقول قائل: هذا أحيا الدين.

الدخول على الله قبل كل شيء بالعلم، أي بإصلاح الكلمة والمعنى والمحتوى، ثم حمل الناس على هذا العلم، ليصاحب العلم العمل، فهذا هو الباب الصحيح في الدخول على الله.

الإصلاح ليس مناجاة رؤيوية، ولا كلمات عرفانية، ولا ذوبان في الرمز، بل الإصلاح صناعة صخور علمية قاسية، يصحبها بناء نفسي على ظهر هذه الصخرة العقلية القوية.

تأمل الشافعي وعلمه، وكيف يصيغ الحق كلمات ومعانٍ علمية عقلية تامة، ليدخل مجدداً للحق والرسالة.

تأمل عقل ابن تيمية كيف يقارع عقلاً بعقل وكلمة بكلمة، ثم تراه ذاهباً لحمل السلاح، وعزلة مع الله وتأملاً قلبياً يسابق به كل زاعمي التأمل العرفاني.

ليس كافياً لتدلل على شيء أنه الحق أن جاء إليه رجل شبع من الشهوات، واقترف كل أنواع الهوى، فزهد في ذلك كله، ليقول لك: إن ما أحس به من رضىً ونعيم هو خير من الشهوات تلك كلها.

لا، هذا ليس كافياً، ولو كفى لكان كل دين فيه منع الشهوات والزهد فيها هو الحق، وتحت هذا الباب الكثير من الأديان المتعارضة المتحاربة.

ليعترف هذا القديس ما شاء، وليخاطب إلهه الذي زعم الاهتداء إليه كما يحب، ولكن يأبى الحق إلا أن يكون له دليل الحق، وهو العقل والفطرة والإحسان.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٣٨):

١٩٨٤

لجورج أورويل

[١٩ أيلول ٢٠١٨ – ٩ محرم ١٤٤٠]

عندما تعيش الرواية

عرفت جورج أورويل مبكراً من خلال قصته "مزرعة الحيوانات"، والتي كانت من ضمن المنهج الدراسي للمرحلة الثانوية، ثم زادت هذه المعرفة من خلال ارتباط أكثر مع "مزرعة الحيوانات" ربما أذكر قصتها في ظرف آخر.

روايتاه "مزرعة الحيوانات" و"١٩٨٤"، دخلتا في القاموس السياسي، وصارتا كالدلالة الاصطلاحية على معنى سياسي وثوري، بل وإنساني، ولذلك تشعر مرات بالعجز عن الإبانة عن حالة ما إلا من خلال استخدامك لإحدى هذين الاسمين، وإن حاولت الشرح بعيداً عنهما شعرت بالضعف والعي.

جورج أورويل أراد أن يشرح مآلات الحكم الشيوعي لبلد ما، وكيف يصبح مجتمعاً مأسوراً لرؤية الزعيم والحزب، وكيف يتم إلغاء الإنسان، بل والتاريخ، ويوجب عليه العيش ذهنياً بعيداً عن واقعه، وإن حاول التفكير أو الاعتراض فالحل الوحيد إعدامه.

عندما تقرأ هذه الرواية تحس في عالمك الإسلامي أنك تعيشها، وأن كل مفردة منها تحيط بك، وأنك حقاً تعيش رعب اكتشاف الحقيقة.

هنا في هذا العالم تمنع حتى من قراءة التاريخ، فكم كتاب منع لأن فيه إشارة ولو يسيرة لتاريخ الزعيم أو جد الزعيم فيها معنى الخيانة ورائحة الفساد؟!

ممنوع عليك أن تقرأ كلمة خارج السياق، وممنوع أن ترى هذه الأمة قبل ظهور إبداع الحاكم، وممنوع عليك أن تحاول الفهم خارج سلطان إرادته.

كم من كلمة نقولها ونتكلمها بصوت خافت، وإن تشجعنا قلناها مغلفة بألف تورية وكناية وتعريض؟!

كم من حقيقة نعرفها لا نسردها إلا لصديق اختبرنا أمانته ألف اختبار، وربما أخطأنا في حسن الظن هذا؟!

كم من مرة استدعيت لدائرة أمن لأنك لم تظهر الحزن وقت حزن الزعيم والحزب، أو لم تظهر الفرح وقت فرحهما؟!

تأمل وزارات السلام والرفاهية في بلدك وماذا تحتها من حقائق مقلوبة، تضاد الاسم من كل وجه.

كم من مركز فيه عنوان كبير: الحكومة في خدمة الشعب، وفي الحقيقة هي لعذاب الشعب؟!.

جورج أورويل كتب قصة سياسية من وحي خياله لما سيؤول أمر بريطانيا لو حكمت بالشيوعية، لكن السؤال: كم سيكتب الواحد منا من رواية لما عاش وشعر وأحس، ثم ما هي نتيجة كتابة هذا كله؟

في بلاد الواق واق، حيث يزور التاريخ، فكأننا أمة لا نلد إلا بولادة الزعيم، ولم نعرف معنى الحياة إلا لما أشرقت أنواره على دنيانا المظلمة.

في بلاد الواق واق فساد يجب عليك أن تسميه نماءً، وجريمة يجب أن تعتقد أنها لحمايتك من نفسك.

كل رواية أورويل هذه لم تشعرني بالغرابة قط، ولم أتصور أنها صنع خيال، لأنها أصغر بكثير من روايات المساجين والمعتقلين في بلاد الواق واق.

ماذا تصنع رواية أورويل هذه أمام "البوابة السوداء"، أو "خمس دقائق فحسب"، أو "السجينة"، أو "شاهد ومشهود"، أو تلك الروايات الشفهية التي يكتنزها الناس تاريخاً تحت جلودهم؟

هذه رواية سخيفة حقاً أمام بعض ما عاشه الناس في قارة الواق واق.

أنت لا شيء، ومجرد ذرة مهانة، بل حشرة يمكن لأي بسطار أن يسحقك لمجرد أن قلت: لا، أو فكرت بلا.

بلاد الواق واق طاردة، يرقب أهلها فيزا سفر، أو عقد عمل، أو مشروع هجرة.

في بلاد الواق واق يسجن فيها المرء لمجرد أنه عالم يدعو ربه أن يوفق الناس لصلاح أمرهم.

في بلاد الواق واق يطلب الإعدام لمجرد أن رجلاً كتب كتاباً.

من أين أتتنا كل هذه القاذورات، والتي تصاغرت أمامها حكايا الليل وروايات الخيال؟!

حقاً، رواية أورويل سخيفة، وفيها تصغير لحقيقة واقع بلاد الواق واق، فلا تهتموا بقراءتها إلا بكونها تعلمك مصطلحاً تحتاجه عند التدليل على وضع سياسي مؤلم، بل وقذر.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٣٩):

عالم ما بعد أمريكا

لفريد زكريا

[٢٥ أيلول ٢٠١٨ – ١٥ محرم ١٤٤٠]

هذا كتاب مليء جداً بالمعلومات، وهذا شأن الصحفي، والرجل يشعر أنه لا يصلح في الدخول إلى عالم الفكر والفلسفة، ولذلك يكثر جداً من الشواهد، وهذ فائدة مهمة في الكتاب؛ لكن لا أدري لِمَ أشعر بالاشمئزاز لما أقرأ لواحد يشعر بالهوان من أصله، وهو يحاول أن ينصح أهل بلده الجديد؛ فهو يتكلم باستحياء، وبضعة نفسية مهانة، تنبعث من خلال وفرة المعلومات وضعف الألفاظ الموازية لها، هكذا يثير فيك هذا الكاتب مع موضوع هذا الكتاب.

لا تحتاج لكبير عناء لتعرف تصور الكاتب عن عالم ما بعد أمريكا، فهو عالم يزيل عن أمريكا قطبيتها الواحدة المسيطرة، ويذهب إلى سيطرة متعددة في العالم، يفرضها إيقاع الحياة الجديد من خلال الفكر والإرادة، لا من خلال القوة العسكرية فقط.

العالم الجديد كتبه فريد زكريا وهو يعيش أيام أوباما، وينذر فيه، بل يصف واقعاً أن العالم بدأ ينزلق من السلطان الأمريكي الذي يحكم العالم من خلال قوة الاقتصاد والسياسة والعسكرة، وأظنه الآن لو كتب، وقد فعل، ورأى عصر ترامب لقال شيئاً آخر، لا تعلق به في وجود سلاطين جدد، ولكن أعداء لأمريكا جدد، مع أنه في الكتاب أنذر بحصول هذه التحولات.

ضعف الكاتب أنه ما زال يعيش ضمن نهاية التاريخ، ولذلك لا يلامس التغيرات ملامسة قوية، ولا ينظر للجوانب الخطرة التي بدأت تنشأ في العالم؛ فتحول الصراع أبعد من كونه حول المال والسياسة، ولكن فيه صوت البارود، لأن النفوس ممتلئة وجاهزة للانطلاق، فعالم توزيع الأدوار وتوزيع الممتلكات بدأت خطوطه تنهار وتتحول التفاهمات إلى خرق بالية قديمة.

في الكتاب الكثير من الفوائد التي يكشفها الكاتب للقارئ العربي، والذي في أغلبه لم يفهم التركيبة الأوروبية والأمريكية، لا في تاريخها ولا حاضرها، ولذلك من الجيد الاطلاع عليه؛ لكن من المهم الحذر من سياقه الكلي، وهو أن التاريخ صناعة الغرب، يتحول من طرفيه الأوروبي والأمريكي، أو الشرقي ممثلاً بروسيا والصين وغربيه ممثلاً بأوروبا وأمريكا، فهذا فيه بعد عن سيرورة التاريخ وصراع الحضارات، وأن الحضارة لا تتقلب بين هذين القطبين الشرقي والغربي، بل بين الشرق الإسلامي والغرب الوثني.

البعض يمكن أن يشير إلى كون الكاتب في جذره العقائدي رافضي شيعي، وهذا يجب العناية به حين النظر إلى تفسيراته في الصراعات التي تحيط بأمتنا مع أقربائها؛ ذلك لأننا عهدنا دوما أن الوحيد الذي يتخلى عن عقيدته حين يصبح علمانياً هو المسلم السني، وأما غيره فهو يكيف عقيدته الجديدة لتخدم عقيدته وبني جنسه الأصليين.

في سياق الكلام عن واقع الحضارة الغربية مع ما يسمونه الإرهاب، يعرج الكاتب تعريجاً مهماً على هذا الباب، ولا بد من قراءة هذه الجوانب التي تري المسلم رؤية الغربي لعالم الجهاد، ومناهضيه ممن حمل السلاح وواجهه.

يوجد الكثير مما يؤلم في كلامه ويصدم بعض الرؤى الصغيرة، والتي تحب أن تعيش الحلم أكثر من الواقع، فهو يصف وضع (الإرهاب) كما يسميه مع بني جلدته ما بعد أيلول، ومن استطاع ابتلاع الآخر أو تقزيمه والتعامل معه ليحاول تهوين شأنه وإضعافه؛ ذلك لأن البعض لا يحب المحاسبة، ولا مراجعة الذات، ولا قراءة الواقع، بل يحب أن يرى المشهد نفسه في كل وقت، فليست تلفزيونات بلادنا هي التي توقف الحياة على صورة الزعيم، تعرضها طوال الوقت، بل الناس يفعلون ذلك حين يوقفون الحياة مثلاً على حادثة هدم البرجين، وكأن هذا الفعل يصنع كل لحظة، وأن الغزوة ما زالت مستمرة.

لما قرأت كلام الكاتب في قدرة الغرب على استيعاب الخصم تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم عن الروم، وأنهم أسرع الناس إفاقة بعد مصيبة، وللأسف فإن هذا الحوار ممنوع عندنا لأسباب، وهو أن هذه البيئات الإسلامية طاردة للفكر، لا أقصد الجماعات ولا التنظيمات ولكن أنظمة الحكم، فهي التي تمنع الحوار حول هذه القضايا المهمة، وتوجب على الجميع أن يدخل في سياق التصفيق والرقص لما تمليه أجهزة الأمن، والتي تفقد البحث العلمي ولا تقبله، لأنه من الممنوع أن تؤيد ما لا يؤيدون، أو تفسر الحياة على غير ما يريدون.

الفعل الجهادي وسياقه بعد أيلول لم يقرأ إلا على وجهين: إما في سياق السب للفعل وتجريمه، وإما في بقائه حلماً متصلاً كبقاء صورة الزعيم في التلفاز، وهذا جريمة في حق الواقع نفسه.

على كل حال هذا باب مهم، ولكن في الفم ماء كثير، ليس فقط يضعه في فمك حالة الأمن، ولكن لأن التاريخ ما زال متصلاً، فمجرد البيان يعطي دلالات غير مستحبة في هذا الباب.

هذه فائدة بالنسبة لي أكدت قضايا لدي، فمدحت للكتاب أنه قدمها بأرقامها وأخبارها لا مجرد الرؤى الفكرية.

فريد زكريا في كتابه هذا حاول أن يكون مفكراً فبقي صحفياً، وفقط.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٠):

الطبقة الجديدة

لميلوفان دوجيلاس

[٥ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٢٥ محرم ١٤٤٠]

هذا كتاب لم أشأ دوماً أن أنساه، وأستحضره في مفاصل حياتي كثيراً، وذلك لأنه كتاب مهم، يستطيع أن يبلع آلاف الكتب وآلاف التجارب، وكم أحتاجه لتقريب مسارات تحاول شرحها للبعض، فتعجز إلا من خلال هذا الكتاب وأمثاله.

حسين مؤنس كتب هذا الكتاب بنكهة مصرية وسمى كتابه "باشوات وسوبر باشوات"، وحاول تقريب فكرة هذا الكتاب الروائي جورج أورويل في "مزرعة الحيوانات"، ولو أردت أن أسرد قائمة الكتب التي تصلح تمثيلاً لفكرة هذا الكتاب لاتسعت هذه الكليمة بعيداً عن حقيقتها.

ميلوفان دوجيلاس رجل ثورجي من الطراز الأول، لم يفهم الأفكار إلا بكونها أفكاراً، لكنه لا يفهم سيرورتها حين تتحول إلى واقع، وبالتالي هو فيلسوف كلمة لا فيلسوف حكمة، وأظن –وهذا ليس من الإثم– أن الرجل صاحب مزاج حاد، يذهب بعيداً في عقائده دون النظر إلى مفاهيم العمل السياسي والتي هي التي توجد في النهاية، لا الأفكار.

لينين مسح كل الفكرة الماركسية وأدخل نفسه في جوفها لا أرجلها فقط، واستطاع تحويرها لتصبح: ماركسية لينينية، وما إن مات هذا المخادع حتى تسلم وراءه من أوصى الرفاق من بعده بعدم تسليمه الحكم، وكتب لهم كلمة واضحة: إياكم وأن يستلمكم ستالين، ولكنه استلمهم وتحكم فيهم حتى مسح اسم لينين، ومسح كل من عارضه، حتى مسح زوجاته المتعددات حين يصطدمن مع عشقه المتجدد.

الأفكار البشرية أكذوبة كبرى، مهما بدت منمقة جميلة، ليست هي عند أصحابها الحذاق إلا وسيلة للسيطرة والقوة، ولذلك يتبناها خبثاء وأغبياء، فقط، ولا ثالث لهما. فأما الخبثاء؛ فيتحولون بعد السيطرة إلى طبقة حديدة،

وأما الأغبياء؛ فإما أن يصحوا من غبائهم كميلوفان دوجيلاس هذا، صحوة جزئية، وإما أن يرضوا الغباء حياة لهم فيبقوا أدوات شر لتطبيق رؤية الزعيم (الطبقة الجديدة).

صار عنوان هذا الكتاب تعبيراً سياسياً، ليس فقط ضد دعاة الحرية والعدالة والمساواة، ولكن ضد كل الأغبياء الذين يموتون من أجل كلمات أرضية، أو جنة دنيوية، لأن معناها أن هؤلاء بعد أن يستولوا على السلطة يصبحون صورة أقبح وأقذر من الذين أزيلوا عنها بحجة الفساد ونشر الفقر وتحقيق المساواة.

حسين مؤنس في كتابه "باشوات وسوبر باشوات" رصد ظاهرة الضابط المصري (الجائع الفقير) وكيف كان قبل ثورته ضد الخديوية مستخدماً أخبار جشع وترف الخديوي لتحقيق الثورة، ثم بعد أن استلموا تحولوا إلى كلاب بل ذئاب جائعة، فكان هناك قبل الثورة: باشوات مترفون، وبعد الثورة صار هؤلاء الضباط وعائلاتهم: سوبر باشوات.

قراءة حياة المؤلف وما كان فيه من المناصب ثم الصعاب والمصائب تدلك أنه ثوري في داخله، فقد أشار لتشكل الطبقة الجديدة وهو نائب جوزيف تيتو في رئاسة الدولة، ومع ذلك نقد هذه الظاهرة، فسجن ثم خرج، وحوكم مرة أخرى وسجن، وهكذا.. حتى انتهت الشيوعية من بلده يوغسلافيا، والتي تكسرت وانتهت إلى دويلات متعددة.

الرجل لم يفهم أن الثورية الشيوعية لعبة كاذبة، لم يصدقها أحد إلا الأغبياء أمثاله، اتخذتها كل طائفة للوصول للسلطة والسيطرة، ثم البذخ وسرقة مقدرات الشعب لتنعم به لوحدها، ولذلك وجد اليهود بغيتهم في هذه الفلسفة في كل وقت؛ لأنها تصلح أن يطبق من خلالها أن اليهود شعب الله المختار (الحزب الحاكم) والبشر بهائم خلقوا لخدمتهم (وهم بقية عموم الشعب)، وكذلك اتخذتها الأقليات للوصول إلى مبتغاهم في كل حالة.

مع كل منعطف تغييري، حتى لو كان قدرياً، يوجد طبقة جديدة، كما شرح هذا في كتاب "عقيدة الصدمة"، هذه الطبقة تستغل الظرف والثورة لتصنع تجار دم وحروب ومناصب، ولم يخل كل وقت من هذه الظاهرة.

مع العمل في الإسلام يوجد هذه الظاهرة، فهناك من يستغل العلم ونشر الكتب ليخرج من قاع المدينة ليكون الشيخ المقدم، ويصبح طبقة جديدة تسلم الرعاع لها رقبتها، وترضى أن تستخدم مطية للخدمة.

في عالم المشيخات كلها كذلك، فيها هذه الظاهرة، سواء كان في المتصوفة أو غيرها، حتى السلفية لا تخلو من هذه الظاهرة، ونقول: الظاهرة، لأنها حالة غالبة غير خفية، بل تصبح الأصل.

في العمل السياسي وجد من اتخذ الحزب وسيلة للوصول للسلطة ثم نبذ الحزب وعاداه، وصار في صف أعدائه.

مع العمل الجهادي: الحالة مختلفة، فلا تنتظر سوى الشهادة، وهذا له تفصيله، ولكن ليس هنا.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤١):

قواعد الشيوخ

لغسان محمد دوعر

[٦ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٢٦ محرم ١٤٤٠]

هذا الكتاب يكشف لك تشوف المسلم للجهاد، ولتشوفه أكثر إن كان الجهاد من أجل الأرض المباركة فلسطين، وأن المسلمين لم يألوا جهداً في تحقيق هذا الجهاد؛ وقد تختلف معهم في الأسلوب وإدارة هذا الجهاد، وقد تختلف معهم، ولكن في النهاية تقر أنهم أهل صدق وأهل إرادة، وأنهم لتنفيذ عزائمهم ينحتون الجبال، ويأتون كل ممكن يستطيعونه.

يمكن لك أن تضع ألف تساؤل وألف اعتراض على سلوك طريق الجهاد الذي سلكه هؤلاء، ولكن يمكن لهم كذلك أن يقولوا ألف ألف تفسير لما فعلوه، وهذا هو إعذار الصادقين لبعضهم، وكذلك هو فتح باب العلم الذي لا يجوز أن يغلقه أحد.

في هذا الكتاب يروي صاحبه، ومن خلال المقابلات الشخصية لشهود تلك المرحلة، ومن بقي حياً منهم، من فاعلين وشهود، وآثار، حقيقة ما سمي بقواعد الشيوخ، وهي التجربة التي خاضها رجال من جماعة الإخوان المسلمين لتحقيق قتال اليهود، ضمن ظروف ضيقة صعبة، يمكن لبعض الباحثين أن يحمل قيادة الإخوان بعض مسؤوليات التقصير، حين آثرت الجماعة –كما قال المؤلف– السكون والابتعاد عن مجريات الفعل والتأثير، وخاصة تلك المتعلقة بقضية فلسطين، تستدعي وقفة موضوعية تدخل في باب النقد والمحاسبة (ص٢٢).

وهذا اعتراف بهذا التقصير، وباتخاذ القرار الخطأ، وهذا مما يوجب بيانه ونشره.

هذا القرار الخطير، والذي ترك الساحة للحركات القومية واليسارية تنمو وتملأ الفراغ، هو الذي أدى إلى بعض نتائج هذه القواعد، وهو اضطرار شباب الجهاد في تنظيم الإخوان إن أرادوا الجهاد في فلسطين أن ينضموا تحت

راية تنظيم فتح العلماني، وهو قرار أدى لبعض القيادات بترك الإخوان والذهاب إلى فتح والعمل معها، حتى قال مؤلف الكتاب: لقد كان المؤسسون الأوائل لحركة فتح من الإخوان المسلمين باستثناء ياسر عرفات.

طرفة: جمعتني جلسة مع صديق إخواني قديم، وجاء ذكر أحدهم وأفعاله السوء، فقال متأسفاً: هذا رجل مكث إخوانياً ثمانية عشر عاماً، فقلت مازحاً: أخاف أن يخرج علينا خبر أن آرسين لوبين كان إخوانياً يوماً ما.!

أقول هذا لكثرة من كان إخوانياً ثم انقلب وتغير، وجاءت منه العجائب.

نعود إلى الكتاب:

بعد جريمة حرب وخيانة الـ ١٩٦٧ صار تملل شبابي إخواني بوجوب المشاركة بالجهاد، فكان أن اجتمع بعض قياديهم وتفتقت رؤيتهم أن تنشأ قواعد لهم (أي للشيوخ أصحاب اللحى والمصلين) تحت راية فتح، فتمدهم بالسلاح والتدريب، وتخرج لهم عمليات، تنسب سياسياً وإعلامياً لحركة فتح، كما أصر عرفات.

اتفق الطرفان على هذا التشكيل، فنشأت قواعد (أي معسكرات) الشيوخ، وكانت تراثاً يجب قراءته والاستفادة منه، ورؤيته بعين علمية ونفسية مهدية، بلا تشنج يرفض النصح، كما هو بلا نقد لا يراعي الحال والمقام.

الكتاب فيه جانبان جيدان ومهمان:

أولاهما وهو المهم أنه لا يبرئ القيادات من أخطاء تلك المرحلة في كل ظروفها وقراراتها، بل هو يؤيد ما قاله الشيخ عبد الله عزام في شرحه لميثاق حماس أن الحركة الإسلامية (وهو الاسم الذي تحب جماعة الإخوان المسلمين استخدامه وقت المحن لتجلب الأنصار إليها) قصرت من ناحيتين: أولهما أنها تأخرت في التحرك للجهاد من أجل فلسطين، وثانيهما: قلة عدد المشاركين في قواعد الشيوخ مما جعل أثرها ضعيفاً وغير مهم (انظر الكتاب ص١٣٦) والمرجع هناك لكلام الشيخ.

فهي تجربة غير مكتملة ولا هي نموذجية، وعليها ما عليها من ملاحظات تتعلق بالقيادة وإدارة الصراع، وللأسف فإن بعض الأحياء ممن قابلتهم يتحدثون بشيء من الألم لتعامل قيادتهم مع هؤلاء المجاهدين وهذه القواعد.

أما الجانب الثاني في هذا الكتاب، وهو كتاب يشكر عليه صاحبه، فهو كشف طاقات الأمة، وطاقات المجاهدين، وحماسهم، وقدرتهم على العمل ضمن الممكن والمتاح، وتحديهم الظروف، وهي حالة إسلامية مبدعة، يصنعها القواعد وتتحنط أمامها القيادات، فهذا الكم من الشهادة والتفاني يعني أن هذا الجهاد لو فتحت أبوابه كما ينبغي لصنع العجائب، ولحقق المراد، لكنه دوماً يقزم حتى يباد، ويحاصر، ليس فقط من خصوم الإسلام ولكن حتى من قيادات ترتبط بعض الأحيان بمصالح ذاتية أو متوهمة مع الواقع الخسيس.

الكتاب شهادة مهمة لهذه المرحلة، ولم يألُ جهداً في كشف كل الجوانب التاريخية والنفسية لما يحتاجه الباحث.

هذا الكتاب يضم إلى مثيله الذي كتبه الأستاذ كامل الشريف عن دور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، وذلك على الجبهة المصرية، ولا شك أن في هذا الكتاب بعض المنافع.

في العالم السجالي لدور الإخوان وحقيقة تفاعلهم مع القضية الفلسطينية خلاف كبير بينهم وبين خصومهم، وهؤلاء الخصوم ليسوا من لون واحد، بل هم من ألوان متعددة، والكثير منها يقوله على جهة تصحيح التاريخ، فلا يجوز اتهامه، وبعضهم على جهة خلاف الدين والعقيدة، وهؤلاء لن يرضوا عنك قط حتى تتبع ملتهم.

حتى وهذا الكتاب يمدح هذه القواعد، ويربط وجودها بالقيادة، إلا أنه يعلمك أن كل تجارب الجهاد التي قامت بها هذه الجماعة؛ أي الإخوان المسلمين، وهي كلها ضد أجنبي محتل، كان قرار الجهاد صادراً من الأسفل للأعلى، أي ينشأ هذا الجهاد بضغط القواعد على القيادات.

لست مستبعداً هذا الاضطراد في مراحل الجهاد القادمة، حتى وهي تتسع، وتصبغ العالم الإسلامي بلون واحد، وهو الجهاد في سبيل الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٢):

صائد الجواسيس

لبيتر رايت

[١٠ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٣٠ محرم ١٤٤٠]

لعل هذا الكتاب هو أصدق كتاب يحكي عن عالم الجاسوسية من داخلها بلا تزيد، بل كما هي، أو قريباً منها؛ وأنا هنا أتكلم عن الكتب الغربية، وأما الكتب العربية فهي تهريج وكذب واستخفاف بالعقول، وخاصة لما تحكي هذه الكتب العربية عن نشاط ومهارة المخابرات في الدول العربية، ثم تزداد الأكاذيب وينطلق الخيال حين تتحول إلى السينما والتلفزيون كما فعلوا بأسطورة الدجل: رأفت الهجان؛ فحينها ترى سمادير المحششين تنفلت بلا عقال. فإياك أن تصدق أن عملاً مخابراتياً في ديار العرب كان يعمل بجد ونشاط إلا على أهل البلد فقط، إذ هذا مجال نشاطهم؛ وحين تعلم أن طرق البحث عن الحقيقة تتم بوسيلة واحدة هي الضرب والسحل وشراء الذمم= تعلم مقدار الإبداع الذهني الذي يصل إليه هؤلاء في هذه الأجهزة. ولذلك كل القضايا التي ترسل إلى المحكمة ممهورة بدليل واحد: الاعتراف، وفقط، أو ما يسير في ركابه، أي الاعتراف على نفسه، واعترافه على غيره.

ومع مكوثي في السجن في بريطانيا لمدة تزيد عن إحدى عشرة سنة ميلادية تامة، لم أر حادثة واحدة أن كان الدليل المرسل للمحكمة هو الاعتراف، بل غيره، وإن حصل اعتراف بالجريمة من أحد، إنما يكون في قاعة المحكمة، وضمن مقايضات بين المتهم والادعاء، يخفف عنه العقوبة، وذلك عندما يشعر المتهم أن الدليل ضده لا يمكن الطعن فيه.

في عالمنا العربي كلمة واحدة: واعترف المتهم بكل التهم المنسوبة إليه، وقد يزيدون: من غير إكراه ولا ضغط، وليتهم زادوا: وهو يشرب العصير!! ولو أخذت المحاكم بأن الاعتراف خارج المحكمة لا قيمة له لما أدين أحد إذا كان القضاء عادلاً.

نرجع لهذا الكتاب المهم:

من الصعب الحديث عن هذا الكتاب بكليمة، بل لو قرأه المرء فإنه بحاجة لدليل خارجي عنه ليفهم القضية التي يتحدث عنها بيتر رايت، وخاصة ما يسمى بمجموعة الخمسة؛ وهي مجموعة مخابراتية للسوفييت كونت في جامعة كمبريدج، ووصل أفرادها لأعلى المناصب، وبعضهم صار مسؤولاً مخابراتياً عالياً كفيلبي -وفيلبي هذا هو ابن عبد الله فيلبي الذي ادعى الإسلام وكان يعمل في قصور بعض العرب، ومن الخير الاطلاع على مذكر فيلبي الابن ففيها الكثير-، وقد تم كشف أربعة منهم، وبقي الخامس؛ وبيتر رايت يرى أن الخامس هو رئيس المخابرات البريطانية الداخلية MI٥ واسمه روجر هوليس؛ لأن المخابرات الخارجية هي MI٦.

هذا الكتاب يحكي مسيرة بناء المخابرات البريطانية خلال حقبة الحرب الباردة، وكيف كان الصراع المخابراتي على أشده، وكل طرف يسجل نقاطاً ضد الآخر، وإن كان السوفييت في ذلك الوقت أكثر تسجيلاً للنقاط بسبب انبهار الشباب الأوروبي بالفلسفة الشيوعية.

في هذا الكتاب وصف تفصيلي لتطور التجسس الإلكتروني، حيث بدأ كل طرف يبدع في صناعة الأدوات التجسسية، وكيف كان السباق في هذا الميدان على أشده، كما يبين بعض أعمال المخابرات ضد المؤسسات والدول، بل محاولات القتل؛ كما يشير إلى محاولة المخابرات البريطانية الخارجية اغتيال عبد الناصر، وكما يكشف اتهام الأمريكان لرئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون أنه مجند للمخابرات السوفياتية.

منذ الكلمات الأولى لبيتر رايت وهي تظهر نقمته على المؤسسة الحاكمة من جهة عدم رعايتها لمنسوبيها، فقد أظهر قبح فعالهم مع أبيه، ثم تخلل هذا الشعور في كل ورقات الكتاب وحتى الكلمة الأخيرة، بل اعترف في المقدمة أن الدافع لكتابة هذا الكتاب هو محاولته أخذ حقه في التقاعد الكامل ليعيش هنيئاً بقية عمره في أستراليا مربياً للخيول، والحق أن هذا الكتاب أدخل عليه الملايين، وجعله يختم حياته في جزيرة تاسمانيا، إذ مات سنة ١٩٩٥.

لخطورة اتهامات رايت ضد رؤسائه، وخاصة جزمه عن رئيس المخابرات الداخلية أنه مدسوس روسي في الدائرة، منعت تاتشر دخول الكتاب لبريطانيا، فأحدث المنع ضجة، صنعت هذه الضجة شهرة كبيرة للكتاب، وهذه الشهرة يستحقها الكتاب بما فيه من غزارة معلومات، مع ما فيه من تبجح نفسي لكاتبه.

عندما تقرأ هذا الكتاب تعيش عالماً احترافياً، يتعامل فيه ضابط المخابرات بوطنية مخلصة لبلده، وأنه جزء من نظام الحماية، كأي سلطة أخرى وطنية، مع أن بيتر ينفي أي معنى للوطنية في العمل المخابراتي، لكن كذلك مع شيء من الشخصانية، والصراع الداخلي بين الأفراد ليكون هو دون غيره.

المخابرات التي تعتمد على تجنيد أبناء بلدها القوميين تختلف عن تلك المخابرات التي يأتيها العقائدي ليقدم خدمة لبلده العقائدي، وبالتالي كان شأن اختراق السوفييت في مرحلة ما بعد الحرب الكونية الثانية سهلاً لأن الكثيرين من شباب الجامعات كانوا شيوعيين، ومثل هؤلاء كانوا يحملون المظلة إذا نزل المطر في موسكو، لكن الكثير منهم كذلك ارتد وهرب من الاتحاد السوفياتي ليقدم معلومات خطيرة عن بلده، لما رأى من أكذوبة اليسار والاشتراكية ودعاويهما، ولكن كان مما يوقع التخبط في الدوائر الغربية هو الشك في هؤلاء المنشقين، هل هم حقاً كذلك، أم صنائع استخباراتية للإفساد؟

هذا يتحدث عنه بيتر رايت في كتابه.

كما يكشف الكتاب الصلات الغربية المخابراتية، كما يكشف التنافس بينها في تلك الحقبة.

يعترف رايت أن الأدوات اليوم عندما استقال وكتب الكتاب بعد ذلك قد تغيرت، فما كان ممنوعاً من تجنيد الفتيات مخافة سوء الأخلاق وغضب الزوجات صار أصلاً، وما كان شاقاً الحصول عليه صار سهلاً ميسوراً، فقل إبداع العاملين في هذه الدوائر.

من المهم قراءة هذا الكتاب، والتنعم فيه، وملاحقة همة هذا البريطاني الذي هو سليل عائلة عاشت في عالم المخابرات أربعة عقود، للتعرف على هذا العالم من داخله وما فيه، في حقبة ذهب أكثرها وبقي بعضها.

في هذا الكتاب الكثير من التفاصيل الصغيرة، لكنها مهمة، ففيها يمكن نزع الكثير من التصورات الوهمية حول هذه الدوائر.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٣):

محمد عبد الخالق عضيمة: سيرة حياة

لتركي بن سهو العتيبي

[١١ تشرين الأول ٢٠١٨ – ١ صفر ١٤٤٠]

قال أبو بكر بن مجاهد إمام من صنف في القراءات: كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال لي: يا أبا بكر؛ اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو (أي بعلم النحو)، فليت شعري ما يكون حالي في الآخرة؟! قال ابن مجاهد: فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس مني السلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. (انظر السير ووفيات الأعيان).

هذا الخبر يستشهد به شيخ النحاة في هذا العصر الشيخ الدكتور عبد الخالق عضيمة رحمه الله خائفاً على نفسه، دون أن يذكر الرؤيا، وذلك على طريقة الكبار في ترك ما في الخبر من تزكية. (انظر كتاب محمد عبد الخالق عضيمة، ص ٤٠).

بعض الخلق يظن أن الإسلام به ابتدأ، وعند علومه وقف؛ وذلك لضيق أفقه، وقلة عقله، وعدم علمه بفضائل الخلق، ولا هو مطلع على تنوع فضائل الشرع، ولا معارك الدين؛ فكل خير لا يأتي من وجه ما يعلم فليس بعلم، وإن أحسن فهو من ملح العلم عنده لا من أصله، وكل فضل في الخلق ينزل عليه أولاً ثم يتوزع في الناس، وإن قيل له: اذكر فضائل الخلق في الوجود لم يربطهم إلا بما معه من علم، ولا يقول فيهم من خير إلا وازنهم بميزان عقله وعلومه وموافقتهم له؛ فكأنه قطب الوجود، وعينه، وما أوتي إلا من قبل جهله بالعلوم وتنوعها في الشرع.

وقد يبلغ المرء فيما هو فيه من العلم ما يبلغه غيره من علم يرتبط بالشرع وأحكامه، وذلك لأن الله نوع الأبواب في الدخول عليه، وجعل فضائل الدين متفرقة بين العلماء والعاملين.

أقدم هذا الكلام تنويهاً لفضل هذا الشيخ الذي أفرغ حياته مع النحو، وخدم كتاب الله خدمة عظيمة، وذلك في كتابه العجيب "دراسات في أسلوب القرآن الكريم"، وقد استغرق في كتابته ما يقارب ستة وثلاثين عاماً، رحمه الله تعالى.

عاش مع القرآن، ولغة القرآن، ثم لما أخرج هذا الكتاب نوه الشيخ محمود شاكر أن هذا الكتاب ليس كتاب فهرسة، بل كتاب يصلح للدخول في علم إعجاز القرآن الكريم، والذي ما زال مفتوحاً لكل مجتهد.

كتاب "محمد عبد الخالق عضيمة، سيرة حياة" لتركي بن سهو العتيبي كتاب رائع، وكاشف عن جوانب عظمة هذا الشيخ الجليل، يعرف به وبمقالاته وبحياته، وبشيء من سيرته، وحين تغوص فيه تشعر أنك أمام إمام عظيم خرج من التاريخ ليحيا في هذا الزمان، ينافح عن العربية والنحو فيها خاصة باقتدار عجيب، فهو لا يرد على المعاصرين فقط، ممن ابتلي بهم هذا الزمان، وما يطلقونه من أحكام سريعة بلا تدبر ولا فكر، ولكنه يرد على الكبار، من أمثال ابن مضاء الظاهري في كتابه الشهير "الرد على النحاة"، وفي هذا الكتاب من المقالات العظيمة، وذلك لجمعه بعض أخبار الأحنف بن قيس، وبعض فوائد أبي حيان الأندلسي في تفسيره، وهكذا، يجمع مقالات كثيرة للشيخ، لعلها توصلك إلى قيمة هذا الجبل الكبير.

عندما يرى المرء تنوع العابدين ومسالكهم، يرى قيمة نفسه، ويرى قيمة العظماء، ويصح ميزانه في الرجال، وتتسع آفاقه في معرفة مساحة المعركة التي يحياها هذا الدين.

لقد حورب ديننا في لغته، وحورب في تاريخه، وحورب في قيمه، وحورب في استقراره في قلوب أهله، وفي أرضه وأمواله، وفي وجوده كله، وحين ترى المجاهدين في كل ميدان يتعبدون ربهم في الدفاع تعرف أن الذين يحصرون البطولة بميدان دون غيره مخطئون، ويصح عندك قول من قال: من قل علمه كثر اعتراضه؛ وحينها يكون الغرور، ويكون الظلم، ويحصل البلاء.

هذا كتاب أنصح به كل طالب علم، فجزى الله جامعه خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٤):

فتور الشريعة

لأحمد عاطف أحمد

[١٥ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٥ صفر ١٤٤٠]

أفهم معاناة المفكر وضع أي علوم لها ارتباط عضوي بقوالبها التي صيغت فيها في سياقات أخرى مخالفة، وقد أتسمح في الحكم عليه إن وقع منه الخطأ المقارب للجهد في بذل الصدق والحق مع هذه العلوم، كما أفهم أن يخطئ المرء في الفروع في فهمه لكلام تاريخي غابر إن استقامت له أصول هذا الكلام؛ لكن يصبح المفكر خائنا حين يزور المعاني لتستقيم مع الأطر الفكرية الجديدة، ويصبح المفكر خائنا أو خائبا حين يجهل أصول الفكر الذي يبحث فيه.. وهكذا حال صاحب هذا الكتاب مع الشريعة الإسلامية.

كل طالب علم يعلم الخلاف القديم والدائر بين فقهاء الكلام والأصول في مبحث جواز خلو الزمان من مجتهد، وهذا أمر يسير بوضوح في ذهن المبتدئ الشادي لعلم الكلام والأصول، ولكن كل هذا يفهمونه ضمن إطار القدر، وضمن إطار الجواز القدري الكوني لا الشرعي، وحين يقول طالب العلم الذكي: إن هذا الأمر هو من باب القدر فهو يخرجه من دائرة الإثم، كما يخرجه من دائرة الحب الإلهي، ويعني هذا أن وقوع الشيء قدراً لا يعني أن هذا جائز في الشرع.

وحين يختلف الأصوليون والمتكلمون في باب خلو الزمان من مجتهد لا يعني جواز الحكم بغير الشريعة، كما لا يعني أبداً جواز التحكم بالشريعة لنبعدها عن الحياة بحجة أن الأصوليين يجيزون خلو الزمان من دين أو من مجتهد؛ ثم إن خلافهم بعد ذلك فيما يمكن قدراً أن يزول، لمن رأى إمكانية خلو الزمان من مجتهد، أو فيمن يبقى لمن أوجب بقاء المجتهد قدراً= لا يعني جواز ترتيب الحياة وفقاً لعقولنا، ثم –وهذا مهم في تفهيم هذا الرجل– إن قول المعتزلة بالتحسين والتقبيح العقليين لا يعني أن المعتزلة يجيزون استقلال العقل بالتشريع.

كل هذا الذي يجوزونه، ثم لا يرتبون عليه هذه الترتيبات العلمانية الجاهلية، يأتي إليها كاتب هذا الكتاب ليفسدها، مع سبق الإصرار والتعمد كما يقولون.

عنده:

وجود الخلاف يعني جواز الانتقاء، لكن بغير هوى وشخصانية، ولا ندري من الذي يخلو من هذا الهوى وهذه الشخصانية؟!.

وجود من أجاز خلو الزمان من مجتهد يعني جواز الأخذ من مصادر أخرى غير الكتاب والسنة.

وجود خلاف حول ما يبقى قدراً ولا يمكن زواله قدراً يعني عنده أن الناس اختلفوا، وبالتالي الحل هو العقل في التشريع تحليلاً وتحريماً.

تزوير وكذب على التاريخ، حيث يصيغ أفكار الماضين بعمومية تخضعها لرؤى علمانية معاصرة؛ فابن رشد الذي يرى اتصال الوحي بالحكمة يعني عنده إمكانية تحصيل الشريعة من العقل، ومع أن هذا لم يقع في التاريخ قط، إلا أن هذا كذب على ابن رشد، لأنه هو واضع "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، وشارح مصادر الشرع والتحليل والتحريم، وإنما يقول ابن رشد، مع عدم موافقته لكليات ما يقول: إن كليات الوجود بتعقل الإله والحق يمكن إدراكها من خلال العقل الفطري، واستخدام أدوات العقل الصناعي.

عندما يقول الجويني بجواز خلو الزمان من سلطان شرعي يجمع الناس تحت مفهوم الأمة، ويضع حلاً إبداعياً قد يوافق عليه وقد يخالف، إلا أنه لا يجيز البقاء على هذه الحالة باعتبارها وجهاً شرعياً مقبولاً.

عندما يختلف الناس حول ما هو محفوظ من القرآن: أهو نصه أم موضوع الحق فيه، فهذا لا يعني ترك القرآن بلا استفراغ وسع لمعرفة حكم الله فيه.

كل هذه التركيبات التي يأتي إليها هذا الدرعمي (نسبة لدار العلوم) تعطي الناظر إليها أن صاحبها إما جاهل جهلاً مركباً، وإما صاحب قصد السوء والشر، والثانية هي الأقرب؛ لأنه في حوار له يجعل موضوع كتابه بقوله للسائل عن خلاصته: هي حالك!

يعني نفس كلام العلمانيين: أي شريعة تريد حين تدعو لتطبيق الشريعة.

يا لخسارة انتظار هذا الكتاب، ويا لخسارة الوقت معه، فالمرء بالكاد يجد وقتاً أن يقرأ ما هو واجب حتى يضيعه مع هذه تفاهات.

ومع ذلك فأنا أجزم أن هؤلاء لا يكتبون لأمتهم، بل يكتبون استدعاء الدخول في رضا الأعداء.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٥):

حروب العهد القديم

ليزن ملكونيان

[١٧ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٧ صفر ١٤٤٠]

أنبياء الحرب في التوراة

من يتابع الحالة الدينية للنصارى عندنا يلاحظ اهتماماً ما حول قضية تبرير القتل الدموي الذي ينتشر بين الجماعات ضد المخالفين، وأن هناك تهمة ضدهم أن هذا الذي ينتشر ويحدث شيء يسير أمام أخبار أنبياء التوراة ودمويتهم ووحشيتهم كما يقولون، والنصارى معنيون بالعهد القديم (التوراة ولواحقها) كما الإنجيل، ولذلك هم يشعرون بالحرج أمام انتقادهم هذا العنف الدموي كما يسمونه؛ إذ يجادلهم المخالف أن أنبياءكم التوراتيين فيهم شهوة القتل، وفعل الذبح أكثر من هذه المشاهد المعاصرة، والحديث لا يدور حول اليهود، فهم لا يدعون المحبة ولا حب السلام، ولا هم معنيون بحب الآخر في أزمنتهم كلها، ولا في زماننا هذا؛ ولكن المشكلة في النصارى حين يحاولون إبداء ثوبهم الأبيض ومحبتهم التي لا يقهرها شيء من ظلم وعنف وسوء المخالف.

لم أكن أظن أن هذا يحرج اللاهوتيين من النصارى –كما يسموهم– إذ ينصبون أنفسهم لرد التهمة، وتبرير القتل التوراتي العجيب؛ حتى أهداني قس نصراني كتاب صاحبه واسم الكتاب "حروب العهد القديم ما بين الوصف والوصفة" ليزن ملكونيان.

ومع أن العنوان سيء من جهة عربيته إلا أنني لا أتوقف أمام هذا في الحوار معهم؛ لأن من أعظم مشاكل اللاهوتيين النصارى العرب هو ضياع تذوقهم للغة العربية، بدءاً من كتابهم ونهاية في طرق تفسيرهم للكلمات، ولذلك لا تجد منهم أحداً يتكلم العربية الفصيحة؛ لأنها ليست مهمة في فهم تأويلات الكتاب عندهم.

هذا الكتاب أخذني للتجوال حول تفسيرات يقولها غير هذا المؤلف، فوجدت أن الكل يسير نحو التأويل الموهم والمموه لحقيقة أفعال أنبياء التوراة المقاتلين، ومقدار عنفهم ضد الخصوم، حين يتجاوزون قتل البشر إلى قتل الطير والطفل والدواب، ولا يقفون عند القتل بل يتجاوزونه للحرق والإفناء.

الله محبة.. هكذا شعارهم، ويجعلونها طبعاً لا فعلاً، يعني أنه لا يقدر تجاوز الحب، فلم يغضب حتى يرسل أنبياءه لقتل خصومه؟!

الجواب: لأنهم فعلوا الشر في عين الله، حسب عبارة الكتاب الديني عندهم.

وحسب هذا الكتاب: حروب العهد القديم، لأنهم فسدوا دينياً وخلقياً، فاستحقوا الإزالة والإفناء.

كان خصوم هؤلاء الأنبياء من الكنعانيين مثلاً على الوصف التالي كما يقول المؤلف بعد رحلة استدلال من الكتاب نفسه (ص ٧٦): إذا نظرنا إلى ممارسات شعوب كنعان وأسلوب حياتهم من منظور تاريخي، ومن منظور روحي بحسب الكتاب المقدس! وقد كان استمرار تلك الشعوب في ممارسة انحطاطها الأخلاقي والديني يعد خطراً على الأنظمة الكونية والطبيعية والأخلاقية والدينية، فيما يرى هو شر متفاقم وانحلال خلقي آخذ بالازدياد.

ثم لنتجاوز شرحه لمَ كان اليهود شعب الله المختار، والذي يتخذهم الله لقتل وإفناء خصومه، بل وحرقهم، لكن يبقى السؤال: على كل قواعدكم النفسية، وأتجنب العقلية؛ لأن حالة الإيمان المسيحي حالة عاطفية بحتة، لا علاقة لها بالعقل والتعقل، ولا الفكر ولا التفكر، هل كان هذا هو الحل الأمثل في إزالة الشر من هذه الأمم التي خالفت اليهود، لا بسبب فعل الشر كما يحاول قصرها هذا المؤلف وغيره، ولكن بسبب أنهم ليسوا من ذرية إسرائيل، فالحالة النسبية حاضرة بحسب النص التوراتي؟

هل كان إزالة الشر يقضي هذا الإفناء للشجر والدواب والأطفال والنساء كما يصرح العهد القديم؟!

أليس للعقلاء الذين يذوبون حباً في البشرية تمثلاً لحب الله للخلق أن يجدوا وسيلة تخلص المظلوم من الظالم غير هذه الوسيلة العجيبة؟!

لماذا تؤولون كل هذا التأويل العجيب لحالة هيجان سفك الدم وحرق الآخرين، ولا تحاولون تصور الحالة النبوية المحمدية في ضرب الزعيم وطائفته حتى يخلو للناس حرية اختيارهم؟!

ثم إن الكتاب يقرر خروج الشعب اليهودي من لازمة شعب الله المختار، فهل هذا يعطي الشعب الآخر الذي حمل الرسالة أن يفعل بهم ما فعلوه بمن مارس ممارساتهم، فيحرق اليهود ويفنيهم ويقتل رجالهم وأطفالهم ونساءهم، أو أنكم لا تقولون بدوام الشرع الإلهي في الجمع بين الحب والغضب كما يشرح الكتاب؟

على كل حال؛ فإني أشعر برهق هذا الكاتب حين يصير إلى هذه الكلمة، وهي كلمة هروب بعد محاولة الدفاع والتفسير، يقول (ص ١٥٤): وأخيراً أود أن أشير إلى أن إحدى أهم النقاط الواجب اتباعها في حوار الأديان هي أنه يجب مقارنة النصوص بنصوص، وليس مقارنة بأفعال.

ويمكن لك أن تتسمح له حتى لا يكثر عرقه ويلهث مبتعداً، لكن أسمعه كلمة واحدة، وهي أننا أمام كلام لرب اليهود كما يتصورونه، هو الذي يأمرهم بالحرق والتدمير والإفناء، فهذه كلمات ونصوص، وما الفعل إلا ظل لها.

كليمة في كتاب (٤٦):

الأصولية الإسلامية في العالم الإسلامي

لريتشارد هربر دكمجيان

ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد

[٢٩ تشرين الأول ٢٠١٨ – ١٩ صفر ١٤٤٠]

هذا الكتاب مهم جداً، وضروري من جهات متعددة، من أهمها أنه من أوائل الكتب التي أظهرت رصد الغرب للصحوة الإسلامية؛ ذلك لأن القراءات التقليدية في أذهاننا في تعامل الغرب معنا إنما هو من خلال نظرة الاستشراق التقليدية القديمة، والتي في جوهرها جانب ثقافي أكثر منه جانب سياسي عملياتي، وجانب فكري تجريدي أكثر منه دراسة للجانب الاجتماعي والحركي لواقع الحركات الإسلامية؛ وهو كتاب متقدم الدراسة لمجتمعاتنا التي بدأت تصحو على إسلامها، لا النسكي في جانبه العام، ولكن بكون الإسلام حركة فاعلة في الوجود، لها رؤيتها وطموحها وقدرتها على تحقيق مكاسب واسعة، وعندها القدرة على تحقيق خطوات عملية ضد خصومها، ونحو أهدافها.

كما يعترف الكاتب بأن هذا الجانب من الدراسات الأمريكية خاصة، والغربية عموما، بدأت بعد ظاهرة تأثير الإسلام في واقع المجتمع، وأخذه دوراً مهماً في صناعة الأحداث، من حركة جهيمان، إلى حركة الخميني، إلى الجهاد الأفغاني، إلى قتل السادات، وبداية العمليات الاستشهادية ضد اليهود في فلسطين؛ وبالتالي تنبه الغرب لهذه الظاهرة، والتي سميت يومها أكاديمياً وإعلامياً بالأصولية الإسلامية، والتي تطورت بعد ذلك إلى الإرهاب الإسلامي.

ريتشارد هذا أرمني عاش في حلب، في وسط عربي وإسلامي، وبالتالي هو يتكلم عن ثقافة ليست أجنبية عنه، ويقدم خدماته للدوائر الأمريكية، على المستوى الرسمي والأكاديمي، ومن نظر إلى كلماته ونتائجه رأى مقاربات

داخلية قريبة جداً، بغض النظر عن تعليقات المترجم، والتي لا تخدم في بعض جوانبها الفائدة للداعي والمجاهد، وذلك بأن يقرأ دون البحث عن جوانب النقد، بمقدار البحث عن رؤية الآخر لنا.

في رصد محكم من صاحب الكتاب يتحدث عن ظاهرة البروز العلمي أمام الانهيار السياسي، في أعمدة رياضية توصل إلى معانٍ مهمة في هذا الباب، وربما نحتاجها في تفسير ظاهرة الصعود الذي لا ينتهي لهذا الدين، وذلك حين يظن الآخر وبعض منا أنه تلاشى أو ضعف، أو خف تأثيره.

يرصد الكاتب ظاهرة عجيبة لحصول (الغضب) وامتداد الصحوة، والتأثير الإسلامي على الحوادث، وذلك بوجود أمرين:

- قيادة آسرة، وفي هذا يلتقي مع صاحب كتاب "الحرب العالمية الرابعة".

- وجود مجتمع مضطرب.

والرجل يرى أن هذين الشرطين قد تحققا، وبالتي بدأت مسيرة التغيير.

خلال مسيرة شرحه أن المجتمع المضطرب قد تحقق (وكلامه هذا سنة ١٩٨٤) يرصد التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت على الأمة منذ سقوط الخلافة، وأن كل الأفكار القادمة والغريبة وغير الأصيلة، كانت تعاني دوماً من عدم الشرعية، وأنها بالتالي أفسدت أكثر مما أصلحت، والنتائج التي أفرزتها هذه القوى الحاكمة كانت كارثية على هذه الأمة.

أما موضوع القيادة الآسرة؛ فهو يرصد حركة (العلماء) تاريخياً، ودورهم في إحداث التغييرات الكبرى، وبحسب لفظه فإن رواد القيادة دوماً كانوا هم العلماء.

من عجائب ما يقرره أن الحركات الإسلامية مع تنوعها إلا أن هناك ثمة قاسماً مشتركاً بينها، هو المضمون والهدف، هذا مع اعترافه بالخلافات الكبرى بينها، ولذلك فالأصولية خط جامع لكل من أراد عودة الأمة لجذورها، ويريد تحقيق الدولة المسلمة العادلة، ويؤمن بالأمة المحمدية الواحدة.

المقدمات الأولى للكتاب مهمة جداً، لأنها تستعلي في شرحها عن الدخول في الجماعات والتنظيمات الزمنية الصاعدة والذاهبة، ولكنها تشرح أسس تقييم الفعل وردة الفعل، ومساحات العمل وكلياته، دون الدخول في

تفاصيل متشعبة استمرأنا بحثها في داخل الصف المسلم؛ لأنها سمة التفرق الذي نحب العيش فيه، ذلك لأن التفرق عندنا يعطينا خصوصية الفرقة الناجية دون بقية أهل السنة، المجتهدين في زمن الاستضعاف والخروج من التيه.

كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أشعرت العامل للإسلام أنه دخل في مرحلة التأثير العالمي، وأن خط البداية للصعود الإسلامي من مرحلة الغياب إلى الحضور، ومن مرحلة الرصد للمشاركة إلى مرحلة الوراثة، لا بما يتوهمه البعض أنه كبير وهو لا شيء، ولكن هذا يقوله من يهتمون بحركات التاريخ.

هذا الكتاب يعلمنا رصد الظواهر، لا باعتبار خلق مرضي يتلبس به أفراد، ينشر به صاحبه ثقافة اليأس وأننا أمة ميتة ولا أهمية لها؛ لأن فينا من يكذب، وفينا من يسرق، وفينا من يكتب هراءً لا قيمة له، فيظن أنه يكتب علماً، وما هو إلا زرع لليأس، وجاهل في دراسة الظواهر.

الظواهر ترصد الحركة من خلال وجودك على خارطة الفعل الكوني، ومن خلال التوجه الكلي لحركة الأمة، لا من خلال الذهاب للفعل الذاتي لصديق غضبت عليه، فذهبت تسب الأمة جمعاء.

هذا كتاب مهم، مع أنه قديم، وأكرر: فأهميته في تقرير قواعد رصد ظاهرة عظمى، كانت يومها تتنفس بصعوبة، وهي اليوم تشغل بال العالم، كما أنه يعلم كيف ترصد الظواهر الكونية.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٧):

مكايد يهودية

لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

[٩ كانون الأول ٢٠١٨ — ١ ربيع الثاني ١٤٤٠]

كتب حبنكة كلها نافعة، وفيها فوائد، وفيها تنوع وإثارة للعقل، كما فيها رصد للواقع، وهي من الكتب الضرورية لتشكيل عقل المسلم المعاصر لإحاطته بواقعه وما يدور حوله، وما دار في التاريخ القريب، والذي شكل واقعه الحالي، فرحمه الله وأجزل مثوبته، وجزاه الله عن أمة الإسلام خيراً.

الحديث عن اليهود ودورهم في الفساد يكتنفه حدان خطيران:

التعظيم الذي يصنع القنوط، ويؤدي ضرورة لتخيلات خارج السنن؛ وبالتالي يكون الوهم الذي إن وجد معطلاً للطاقات، بل ربما صار حال الواهم كاليزيدي الذي عبد الشيطان اتقاء شره؛ وهذا حدّ وقع فيه الكثيرون، خاصة من السياسيين في بلادنا إذ باعوا أنفسهم لهم، فاستسلموا وجلسوا عباداً لهم، يأتمون بأمرهم، ليقينهم أن بوابة حكمهم ودوام سلطانهم متعلق برضا اليهود عنهم، فباعوا أنفسهم لشيطان اليهود.

وحدّ آخر: هو عدم النظر الصحيح لفساد اليهود في العالم، واتهام من يقول بهذا بالسذاجة والوهم وقصر النظر، رداً لما يسمى بالمؤامرة، والكثيرون يعلمون أن الاستهزاء بحقيقة المؤامرة هو جزء من المؤامرة نفسها.

فهؤلاء يبرؤون اليهود من كل تهمة، ولا يرون علوهم المسيطر على أركان القوى في العالم، سواء من جهة سياسية أو مالية أو إعلامية، وما جرى على هذا المعنى.

ولذلك وجب النظر الصحيح القائم على البحث والدليل الصحيح، ومما لا شك فيه أن محاولة حمير اليهود ومطاياهم دفع التهمة عن فساد اليهود للعالم هو نوع من أنواع الفساد الذي يمارسه اليهود وأتباعهم.

عند اليهود قضيتان متعارضتان، إن فهمهما المرء استطاع تفسير الكثير من ممارساتهم ومقدار علوهم العجيب؛ فالمسألة ليست عقليات عبقرية يختص بها هذا العرق البشري، ولا لذكاء خارق يمتازون به كما يحاول الجهلة من الأمة ترويجه، آخذين إياه من دوائر الدعاية اليهودية في العالم:

القضية الأولى: عقيدة متحكمة في نفوسهم، تصنعها التوراة، ويتربى عليها الأطفال من خلال حكايا الليل والمدارس وأساطير الأجداد؛ هذه العقيدة: إنهم شعب الله المختار، والبشر جوييم (بهائم) خلقوا لخدمتهم، وأن الأرض يجب أن تكون تحت سيطرتهم.

القضية الثانية: هي واقعية هذا العرق وأتباع هذا الدين، وهو حجر العثرة أمام هذه العقيدة المتكبرة المغرورة؛ وهي قلة هذا الشعب من جهة أفراده، مع التقاء هذه القلة مع عقلية حب الحياة الدنيا والتعلق بها.

الحد الأول اندفاعي، والحد الثاني انسحابي، فكيف يتوافقان معاً في مسار واحد؟.

خلال الزمن الطويل من هذه الثنائية المتعارضة نتج فقه الجاسوسية اليهودي، وهو القائم على اتخاذ الشعوب مطايا لتنفيذ معتقداتهم؛ أي: نصر يحققه الخصم من خلال عقيدة الخصم نفسه، وهذه هي قمة الجاسوسية.

وأنت تستطيع تحت هذا الباب أن تضع كل الإنتاج اليهودي هنا، وتحت هذا المخرج من التعارض والتصادم.

فتحتها تجد التحالف مع الأقوياء، وتحتها تجد أهمية إفساد الشعوب، وتحتها تجد تدمير الأديان لتتوافق مع عقيدة اليهود التنبؤية لا التصورية؛ وهذه بنفسها تحتاج لشرح طويل، وشرح دلائلها التاريخية والمعاصرة. وهكذا صارت السرية تشكل عقل اليهودي، ذلك لأن دينهم ليس تبشيرياً كالإسلام مثلاً، فالمسلم ما إن يعتقد اعتقاداً حتى تجده فزعاً لنشره، ولذلك لا تجده يحسن السرية كما يحسنها اليهودي، والذي عاش تحت عقدة التعظيم للذات، مع مص دماء الشعوب، والذي ينتج بغضاً دموياً من قبل الشعوب ضدهم، وبالتالي يهرب للسرية والإخفاء، ولذلك لا يوجد أحد من غير اليهود، وإلى يومنا هذا، قرأ التلمود واطلع عليه تاماً.

هذا الكلام صغير جداً، بل هو قطرة ماء مما يجب أن يعرف عن فساد اليهود في الحياة، تاريخياً ومعاصرة.

هذا الكتاب يشرح نماذج مختارة من مكايد اليهود ضد العالم، وضد غيرهم، قديماً وحديثاً، وهو ضرورة لكل شاب لم يقرأ تاريخ خصومه جيداً، وهو كذلك يعيد وضع العقل المسلم في إطاره الصحيح ضد اليهود، وذلك في زمن يحاول الكل تبرئة اليهود من جرائمهم الكبرى.

هذا وقد صاروا أصحاب البيت، ويستقبلون كراماً في بلاد المسلمين، ويحمون من الكل، والكل يسعى لطلب رضاهم؛ ذلك لسلطانهم من علو الفساد في الأرض، والتخفي تحت شعارات الديمقراطية والتي أوصلتهم إلى أعلى المناصب، وجعلت مقادير الشعوب بيدهم.

ما زال اليهودي هو هو، كما وصفه القرآن، وكما هو في ذاكرة الشعوب، كما حكى عنه شكسبير في "تاجر البندقية"، وكما حكت عنه جدتك؛ فلا تنسى هذا، وإياك أن تسرق منك معالم استقلالك، ولا بقايا عقل نقاتل فيه لنحيا سعداء، بل بشراً، وليس حميراً لتمتطى من أجل قضاء حوائج أعدائنا.

بقيت كلمة، وهي مهمة جداً:

هناك بعض اليهود في العالم قرؤوا تاريخ أبناء جلدتهم ودينهم، فاكتشفوا أن هذا الطريق يوصل لتنفيذ الكثير مما يريده اليهود من خصومهم، ولكن النهاية بالنسبة لليهود مأساوية، وفي كل تجربة تنتهي القصة بمحرقة ضد اليهود، وأن نهايتهم حين تكتشف الشعوب حقيقتهم دموية حمراء قانية؛ فهم يدعونهم بأن لا يغرهم الواقع بما حققوا من إنجازات.

ولعمر الله، إن هؤلاء نصحة صدق لهم، ولذلك ستكون العاقبة فيهم قريباً كعاقبة إخوانهم من بني قريظة، وسيذهب معهم للجحيم أبو رغال، وهو من قال الله عنه: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ).

والله يحكم ولا معقب لحكمه..

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٤٨):

الاستثنائية الإسلامية

لشادي حميد

[٢١ كانون الأول ٢٠١٨ – ١٣ ربيع الثاني ١٤٤٠]

كيف يعيد الصراع حول الإسلام تشكيل العالم؟

دائماً يشكو المرء الباحث من التنميط، ووضعه في قوالب جاهزة وقديمة، ولكن هذا لا مفر منه حين يتم التبويب الكلي للأفكار؛ والباحثون يحبون لمحة الخصوصية الغائرة في ثنايا الفكرة، حتى لو بدت في ظاهرها قديمة الأصل، لكن عشقهم للتميز يدفعهم إلى رجاء القارئ أني هنا لأعلل تعليلات خاصة بي، وأدرس ما استقر ظاهراً بباطن مختلف عما يقوله القدماء.

قبل كل شيء، أعجبتني كلمة المقدم لهذا الكتاب، أقصد كلمة الدكتور مشاري حمد الرويح، وذلك أنها صنعت شيئاً من الضجيج لجذب أنظار الناس أن هذا كتاب مهم، بل يصلح أن يكون هرماً! رابعاً مع كتاب فريدمان "سيارة اللكزس وشجرة الزيتون"، وكتاب فوكوياما "نهاية التاريخ"، وكتاب هنتغتون "صراع الحضارات"؛ وللدكتور الحق أن يقول هذا، لكن الدكتور يعلم أن سبب شهرة هذه الكتب ليس لأنها تعالج علاقة الإسلام بالعالم، بل لأنها تصنع رؤى توراتية دموية بين عالم الغرب والمسلمين، ولأنها صريحة في كشف نوع هذه العلاقة وأنها دموية، ومنتهية بتنبؤاتها أننا تبع وعبيد لهذه الحضارة الغالبة في الغرب، وخصوصاً أمريكا.

ما علينا، ويكفي أن أقول: أعجبت بالمقدمة، حتى ظننتها جزءاً عضوياً من الكتاب، ولأنها أعطتني التعامل معه من خلال التنميط والقولبة، وهو شيء مشكور.

العنوان يوحي بشيء من الحياء أن المطلوب لحصول علاقة قادمة ومتناسقة، بل وعضوية، بين الإسلام والعالم هو قبول الإسلام، كقدر لا انفكاك منه، ولأن هذا الجزء من العالم محكوم بقيم الإسلام وشعاره؛ ولكن الكتاب في

سياقه الكلي يجري حول صيغة الإسلام التي تصلح لقبول العالم له، ولهذا هو -أي هذا الكتاب-، شاء صاحبه أم أبى، صرخة جديدة لتجديد الإسلام في رؤاه الكلية ليأخذ الرخصة كجزء من منظومة العالم الحالية.

الموضوع في هذا الكتاب ليس بحثاً في طريقة التحويل، بل هو دخول في عملية التغيير، وهذا تجاوز لقضية فهم الإسلام نفسه، ووجود من أدخل الإسلام في جوف الحداثة، أو وجود من جعل الإسلام نفسه ليبرالياً لا يحل المشكلة، حتى لو كانت على مستوى العقل فقط، فكيف لو دخلنا فيما هو عملي.

قبول الصياغة القومية للدولة، وتجاوز صيغ الدولة وهياكلها، بل وفلسفتها الداخلية، هو المشكلة؛ ولأن الخلاف بين الإسلام وبين هذه المكونات، وهو خلاف جذري عميق، لا يمكن أن نصنع إسلاماً يوافق هذه الصيغ الجاهزة الموجودة في عالمنا.

هذه التجارب العملية المطروحة على الساحة، من داعش حتى حزب النهضة التونسي، لا تمثل نهاية العلاقة مع العالم، وليست هي الصيغ التي يمكن تكييفها أو تعديلها لتصنع قبولاً من عالم الجاهلية المعاصر، لأن الخلاف عميق وجذري؛ وهذا ما تجاوزه الباحث، وكأنه يتعامل مع مركز بحثي، يهمه أن يتحدث عن خطوات دمج الإسلاميين في خطوط صياغة العالم فقط.

هذا الكتاب في نهجه عندي أشبه بنهج مراكز التوبة التي تنشئها النظم لتغيير عقائد السجناء وتأهيلهم للخروج من دائرة التطرف، فحتى لو وقع أن تاب هؤلاء فصنعة بدائل لهم أكبر بكثير من خروجهم بسبب ظروف السجن والإكراه؛ لأن العالم في صياغة، والدولة العربية ومثيلاتها اليوم هي رافد تكوين بدائل أخطر وأقوى وأصلب.

وما يطرحه الكاتب من مطالب يحصل بها تشكيل إسلام جديد، ليحصل تشكيل عالم جديد= غير سديد في واقعيته، ومحاط بنفي التاريخ، وكذلك المستقبل؛ فالعلاقة مصنوعة بالدم تاريخياً، ومعاصرة، والمشكلة تتعلق بالوجود والثروة وفلسطين واليهود، وليست في أفقها التشريعي والفلسفي.

من هنا، فأنا معجب بالكتب التي ذكرها الدكتور المقدم، لأنها تتكلم عن الواقع، حتى لو تخلى أصحابها عن النبوءة التوراتية الوارثة للأمم، لكنها أبقت صورة حروب العهد القديم حاضرة في الأذهان، والكتاب يذهب عن هذا كله؛ فلسنا فلاسفة تنظير لتحل المشاكل فكرياً، بل نحن نتحدث عن عالم يمشي الفيلسوف فيه وراء السياسي وصانع اللكزس والصاروخ والدبابة ليحمل له أوساخه.

هي كليمة: كتاب ممتع للقراءة، وهادئ، لكنه خادع في تصوير حقيقة الصراع بيننا وبين العالم.

كليمة في كتاب (٤٩):

حكم الإسلام في الاشتراكية

للشيخ الشهيد عبد العزيز البدري

[١٣ كانون الثاني ٢٠١٩ – ٧ جمادى الأولى ١٤٤٠]

الشيخ عبد العزيز البدري نسمة سلف صادقة هبت من تاريخنا لتكون في زمان معاصر.

قال الحق، وعمل به، وجاهد من أجله، ثم ختم له بكرامة الشهادة في سبيل الله تعالى في سجون حزب البعث العراقي، يوم أن كان أحمد حسن البكر رئيساً، وصدام له سلطة القتل وسفك الدماء ضد من يعارض دينهم البعثي وسلطانهم الطاغوتي.

هذا الرجل العظيم لم يأخذ حقه من التنويه والنشر والتعريف، والقليل من الناس حتى الشباب المسلم من يعرفه أو يعرف سيرته، وهو الشيخ الذي عرف من خلال كتابه "الإسلام بين العلماء والحكام"، وفيه سير العلماء في قول الحق والصبر على البلاء، وسنة الامتحان والصبر؛ ومع ذلك لم يشتهر هذا الكتاب كغيره.

وأنا أعتقد أن عدم شهرة الرجل إنما هو لأسباب تتعلق بعدم اعتناء التنظيمات به؛ ودور التنظيمات مرافعة للرجل، ومبرزة له لا ينكر ولا يجادل فيه، والرجل لم يكن من ذلك التنظيم الذي يشهر كتب رجاله، ويعرف حتى ما ليس من العلم في شيء.

ثم إن ضعف الأمة في اعتنائها بعلمائها خارج المراكز المشهورة تصنع هذا التغييب، وهذا لا يجوز لطالب العلم، ولا للداعي إلى الله تعالى.

هذا الكتاب لعدم شهرته سبب آخر غير ما تقدم؛ وهو أنه رد على الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى على كتابه "اشتراكية الإسلام"؛ والدكتور السباعي رجل دعوة عظيم، لكن كونه المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا يمنع الناس من نشر كتب مخالفيه والرادين عليه، وهو سبب يمكن إضافته لما تقدم من أسباب.

هذا الكتاب –كما تقدم– رد على كتاب الدكتور السباعي "اشتراكية الإسلام"، وفيه بيان مخالفة الإسلام للاشتراكية من كل جانب، وربط الجوانب الشرعية بالجانب العقدي، وقد قدم للكتاب شيخ العراق وعلامته أمجد الزهاوي رحمه الله، وذلك ببيان كفر من آمن بالاشتراكية، وضلال من ظن جواز استخدام هذا اللفظ، أي كون الإسلام فيه اشتراكية، تجعل استخدام هذا اللفظ جائزًا.

وطريقة السباعي هي طريقة قديمة، معلنة في كتاب ابن رشد "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال"، وهو منهج مرفوض من كبار الأئمة والمحققين؛ فعندهم أن دين الإسلام نسيج رباني، فروعه مستمدة من تصوراته الإيمانية، وتجزئة هذه الفروع بهذه المقارنة إفساد للدين ولحقيقة هذه الفروع، بل في النهاية غزو الجاهلية للدين، وحالة وسطية تنتهي بإلغاء الدين كله.

مما لا شك فيه أن طريقة السباعي سيئة في أسبابها، فهي لم تقم إلا استجابة لضغط الجاهلية، وكأن هذه النظم الجاهلية تحمل دلالات مدحية، فنحن نركض لهذا الجمال الجاهلي لنجعل أنفسنا حاملين له، متزيين بصبغته؛ وهذا مما لا شك فيه حالة تنزل بدرجات خطيرة عن شعور المؤمن بعزته وعظمة ما عنده، وأن دين الله أعظم من كل هذه الخيالات الذهنية الزائفة؛ فحين تنتشر مدائح النظم الجاهلية، وحين يقال في الناس عنها: هذا هو الحق، يسارع أمثال الشيخ السباعي رحمه الله بالقول: وهذا كذلك عندنا!!

الإسلام صبغة الله، وهي صبغة وإن التقت ببعض معانيها العظمى مع غيرها، ولكن خصوصية الصبغة التامة لهذا الدين تمنع إنزال هذا الفرع ليعادل الفرع عند الآخرين، وهذا قد أتى عليه كتاب الشهيد البدري بجلاء ووضوح.

أرجو من عنده علم بردة الفعل عند الدكتور السباعي على كتاب الشهيد البدري أن يذكرها، فلست أستحضر شيئاً من هذا الأمر.

لا شك أن الدكتور السباعي كان صوتاً مجلجاً في الذب عن السنة، كما في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع"، فهو أول من رد على المستشرقين في بابه، وكانت حياته جهاداً عظيما، انتهى به قراع المجرمين مشلولاً؛

وذلك لأن الرجل كان صاحب عزة نفس، وأوذي إيذاءً شديداً، فصبر، ثم قتله الصبر حتى شل، وكان في شلله كما يذكر العارفون نموذج الصبر حين هجره تلاميذ الأمس، وأصدقاء الحزب والطريق.

أقول هذا حتى لا يقع نقد العلم على معنى إسقاط الرجل، فهذا زمن العجائب.

كتاب "حكم الإسلام في الاشتراكية" نموذج التعامل الفقهي الأصولي مع هذا الاختراق الذي حمله كتاب الدكتور السباعي، والدكتور السباعي لم يزور فروع الشرع لتتلاءم مع الاشتراكية كما يفعل بعض الشيوخ والمفكرين، فيسلخون باطن الإسلام ليحشوه بقيم الجاهلية، ارتماءً في حضن الفساد والضلال، لكن حاول بيان التقاء فروع الإسلام مع فروع النظام الاشتراكي، فبهذا الفعل لم يصب، وأتى بعظيم من القول والفعل، فكيف بمن زور الدين وأبطل أحكامه لتلائم مراد الضلال، ورحم الله سيد قطب حين سمى فعل هؤلاء "إسلام أمريكاني."

رحم الله الشهيد عبد العزيز البدري، ورفع درجته في الصالحين، وسيكون لي كلام عن كتابه "الإسلام بين العلماء والحكام" في سلسلة (ألف كتاب قبل الممات)، والله الموفق.

كليمة في كتاب (٥٠):

عماد عقل: أسطورة الجهاد والمقاومة

لغسان دوعر

[١٤ كانون الثاني ٢٠١٩ – ٨ جمادى الأولى ١٤٤٠]

من أعظم ما يقوي ثقتك بالله وحسن تعبدك له، وتقوية مواصلتك طريق الثبات والصبر والتحمل هو قراءتك لسير الرجال العظماء الذين مضوا على هذا الطريق؛ فتاريخ الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى موصول لا ينقطع، يختار الله له رجاله من طين الأرض ومن قاموس الأمة ومن رحم النساء الطاهرات، فيرقى بهم العز والرجولة صعداً لمدارك الشهادة والثبات، حتى يتحول طين الأرض إلى رمز يحدو للسائرين فلا يكلوا.

وما أحسن أن تفتتح يومك بقراءة سير الرجال وتاريخهم، وهم منك وأنت منهم، فهم بشر لهم معاني الإنسان في أفقه العظيم.

هذا كتاب لا يزيد أن يكون كلمة تسمعها ثم تمضي، فلا يهمك ما يقال بعد استشهاده مما يضخم الكتاب، بل لا يهمك تلك الوصفات الكلامية التي تصاحب الحدث كأنها موسيقى تصويرية يحاول الكاتب فيها أن يؤثر فيك فوق ما يؤثر فيك الخبر وكلماته المجردة.

لا أحب في قراءة سير الرجال إلا الخبر والوصف والكلمة كما هي، بلا زيادات الكاتبين وتشقيقاتهم، لتمضي مع الصدق فقط، وكان من الأحرى أن يفعل الكاتب هذا مع رجل وشاب عظيم كعماد عقل، وهو بفعله فقط، وبإرادته فقط، يستطيع أن يأسرك، وأن يحدث فيك تصميم السير على الطريق.

أجمل ما في هذا الرجل الشاب، عماد عقل، أنه صنع الكثير من لا شيء، وعاش قدره بلا أحلام خيالية، ونثر على هذا كله مقصداً واحداً هو الشهادة، فصنع عظيماً، واستحق الرفعة والشهادة بإذن الله.

سيرة أمثال عماد عقل بواقعيتها من غير تزييف، ومن غير أحلام، تعطي شباب الإسلام القوة وحسن القصد أن يسيروا معه، وأن ينسجوا على منواله، فيتحقق لهم رضوان الله، والدخول في سلسة الشهادة التي لا تنقطع، لأنها وقود الرجال والقلوب والإرادات.

حين تقرأ سيرة هذا الشهيد العظيم تشعر بحب لكل أولئك الشباب الذين تمر بهم، بلحاهم السوداء الزغب، فتعرف أن هذه أمة لا تموت، وأن أرحام أمهاتنا لن تعقم، وأنه بقليل من التربية الإيمانية في درب الجهاد -والجهاد وحده- يتحول هذا الشاب إلى مشروع شهيد، يؤدي دوره في هذه الحياة بأكمل وأجمل ما يكون.

ما نراه اليوم من سقوط الشباب المتدين في مصائد شيوخ الدجل والكذب، سببه الوحيد أن درب هؤلاء الشيوخ يضعك في موطن ما تأخذ لا ما تعطي، ودرب المتاجرين بالدين، ودرب الكلمات الجميلة عن سلف عظيم مع شهوات الدنيا وترفها ولذائذها؛ فتنشأ هذه المسوخ الضائعة، أو انصراف هذا الشباب لدروب الشهوة لأنها هي وحدها ما فتحت له.

والشاب هو الشاب، فيه عاطفة مستعرة، وشوق عارم، وإرادات لا تضبط في الكثير من صورها؛ فينشأ شاب يتسقط الدنيا بالدين، أو شاب يعيش شهوته، ولو ربي هؤلاء الشباب في درب الجهاد وحب الشهادة لصنعوا التاريخ الذي يصلهم بتاريخ أجدادهم؛ ولذلك من الواجب بث صور وتاريخ وسيرة أمثال هؤلاء المجتبين الأخيار، من ترفع عن كل هذا، ولم يفهم الدين إلا عطاءً، وبذلاً، وقضية، وتوحيداً لله، ورغبة في تحصيل الشهادة.

المسافة قصيرة بين انتقال المرء من المعصية إلى الولاية، شرط الولوج في درب الجهاد وسبيل الشهداء، والذين يحاولون تمطيطها وتطويلها، بل بث اليأس من بلوغها، هم من يرميك في حضن الكسل، والدنيا، والشهوة.. كما يصنع أولئك الذين يسبون الشهادة وسبيلها؛ فتنشأ هذه المسوخ المتدينة، بلا عقل، ولا إرادة، ولا طاعة، ولا بذل، بل هي طويلة اللسان عقيمة البواعث الإيمانية.

رفعة الجيل الأول، والذي هو سبيل أمثال هؤلاء الشباب كعماد عقل، إنما يقع بهذا الطريق، وهو طريق الجهاد والبذل، ورغبة تحصيل الدار الآخرة.

في ختام كل سوق لا يربح إلا هؤلاء، ولا يصيب أعظم الغنائم إلا الشهداء، وفي حسابات الخاسرين أن هؤلاء وقود غيرهم لتحصيل المناصب! فيا لهم من مساكين بذلوا أرباحهم لمناصب وغنى غيرهم!؛ وهذا إنما يقال في غير

سبيل الله، وفي غير درب الشهادة، وفي غير باب التجارة مع الله تعالى؛ فأعظم الرابحين هم الشهداء، وأعظم الخاسرين من نال بعد عز الجهاد دنيا رضي بها، وجلس على مزبلتها يقتات من زقومها، ويستروح أخبث ما فيها.

اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، وألحقنا بأعظم من اخترتهم في هذا الدنيا ليكونوا لبنات العز لأمتهم ولدينهم.

رحم الله الشهيد عماد عقل، وجزى الله كاتب الكتاب لحفظ سيرة الرجال.

كليمة في كتاب (٥١):

الأخلاقيات والحرب

لديفيد فيشر

[١٧ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١١ جمادى الأولى ١٤٤٠]

هذا الكتاب مهم جداً، ليس لكون كاتبه عمل بمجالين مهمين في الحياة: حيث مارس فكراً سياسياً، وذلك بدراسته المتقدمة في أكسفورد، ذلك الصرح الذي يتخرج منه عامة رؤساء الوزراء في بريطانيا، ويتخرج منها عامة القادة والسياسيين هناك؛ وكذلك قضى حياته موظفاً في وزارة الدفاع! البريطاني، لينتهي كما يقول مقدم الكتاب البريطاني الأكاديمي مايكل هوارد، أقول: لينتهي مستشاراً رفيع المستوى في رئاسة الوزراء، ومستشاراً عسكرياً في حلف الناتو= ولكن تكمن أهمية الكتاب في أنه يرجع رؤية الإنسان الغربي لمفهوم الحرب لتلك الجذور القديمة من حروب اليونان والرومان، والتي بنيت على أساس عظمة القوة، واضمحلال المبادئ الأخلاقية كالعدل أمام هذا المنطق القدري الغاشم.

الكاتب يحاول صياغة رؤية أخلاقية للحرب، وينتهي إلى لا شيء، وينتهي سؤاله المرادف للعنوان الأصلي: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الواحد والعشرين؟ إلى "لا"، جواب حاسم؛ ذلك لأن العالم المعقد، والمختلط بالرؤى القيمية المختلفة، لا يمكن حبسه من خلال مستشار لوزارة، ولا من خلال أحد الأطراف إن كان أخلاقياً.

كنت أحب، لولا ضيق المساحة هنا، أن أنقل هذا الحوار الممتع والذي جرى قبل الميلاد بما يقارب أربعة قرون، حين قامت الحرب بين أثينا وخصومها، وكيف جرى الحوار حول دوافع الحرب، وما منطق الغرب في هذا الباب؛ فهذا الحوار يشكل رؤية الغرب لشريعة الحرب.

وليت كل من فكر بانتهاج الصدام مع الغرب وثقافته أن يستحضر دوماً هذا الحوار، وما يفرضه المنتصر على الضعيف أو المنهزم؛ لكن يكفي أن أنقل بعض المبادئ التي تكلمها القوي أمام الضعيف:

في محاولة لتأصيل المبدأ ومرجعيته يقول القوي: إن رأينا في الآلهة ومعرفتنا بالرجال تقودنا إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن ثمة قانوناً عاماً وجودياً في الطبيعة يحكم المرء أينما يكون، ولا يتعلق الأمر بقانون وضعناه بأنفسنا أو كنا أول من بعمل به، حيث إننا وجدناه قائماً، وسنتركه ليبقى بين أولئك الذين سيأتون بعدنا.

أما ما هو القانون الطبيعي الموروث كما تقدم وصفه، فهو التالي: عندما تناقش الأمور من قبل أشخاص عمليين فإن مستوى العدالة يتوقف على المساواة في القوة لفرض أمر ما، ويعني ذلك من الناحية الواقعية أن يقوم القوي بعمل ما تبيحه له القوة فعله، في حين يتقبل الضعيف ما يجب عليه أن يتقبله.

هذا المبدأ في أخلاقيات الحرب عند الأوروبي تجيبك عن سؤال يشغل البعض، وهو: لماذا يجرم المقاوم للقوي؟ والجواب هو هذا: ذلك لأنه مخالف لمبدأ قبول سلطة القوي.

الكتاب يجيب عن سؤال الأخلاق في الغرب، وما هو مدى سلطانها هناك، والجواب: إن سلطان الأخلاق يتعلق بالفرد فقط ولا يتعلق بالدول والتجمعات، وهذا التوزيع يجيبك عن كثير من تعامل الغرب مع الشخص، أو تعامل الغربي شخصياً؛ إذ ترى حديثاً خالصاً فيه اعتراف بالقيم، وبين تصرفات الدولة ككيان اجتماعي عام، يقوم على مبدأ القوة والسلطان.

الكتاب في رؤيته العامة فيه محاولة فرض قانون الفرد على الجماعة، لا عند عمل الحرب؛ فهذا لا يمكن نسخه لأنه مبدأ الحياة عندهم، لكنه يرفع من الرؤية الفردية خلال الحرب، من وجوب التصرف فيها أخلاقياً على مستوى الشعوب المغلوبة.

المترجم اعترف بأن الكاتب لم يجب عن السؤال، ولكن الكاتب لم يضع السؤال ليجيب عنه، ولكن أراد تغيير رؤية الجندي في ممارساته، والسبب هو أن الجندي الغربي لم يعد مترىباً أخلاقياً، لا من بيته ولا من مدرسته ولا من بيئته، كما يعترف أكبر قائد للجيش البريطاني في حوار تلفزيوني معه.

عرض الكتاب لتاريخ الحرب وزمن الحرب المعاصر مهم جداً، لا لتقره على مطالبه ودعواته، لكن لأن هذا الكتاب مهم جداً في معالجة هذه الحروب من وجهات نظر متعددة، ينتهي الأمر بها أنها واقع وقدر لا انفكاك منه؛ فالذهاب إلى الحرب ليس قراراً يمكن مناقشته في النفس البشرية والتاريخ، بل هو آت كما تأتي الموجة، ولا ينفع اتخاذ موقف التحليل لإيقافها، بل هي الحرب، لا يوقفها إلا مثيلاتها.

ومن المهم أن تعلم إن لم يقدر لك قراءة تاريخ القوي أثينا التي فرضت قوانينها يوماً على الضعيف، أنها هزمت هزيمة نكراء، وهذا في معنى المسكوت عنه أن القوي سيأتي يوماً يهزم، وسيفرض الجديد أحكامه ضدهم.

الكتاب يقول لك في نهايته: إن الحرب في بعدها الجمعي صارت ضرورة لا مفر منها، ولكنه يطلب من بني قومه أن يخوضوها بنوع من الفضائل الشخصية، يعني خذوهم وخذوا حقوقهم بشيء من الأنس والرحمة.

كليمة في كتاب (٥٢):

ألمانيا والشرق الأوسط

منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام ١٨٩٨ حتى الوقت الحاضر

لرولف شتاينغر

[١٨ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٠]

بعض الكتب تحتاج حقاً حين مصاحبتها حبات تمنع الجلطة، وتوقف ارتفاع ضغط الدم؛ وليس السبب واحداً، لكن بعض ما يصيبك من ألم وهم سببه واقعية الحياة وقسوتها، ومعرفة السر والخبايا لما جرى لك ولأهلك وأمتك. وبعضها لكثرة ما في هذه الكتب من أكاذيب وفساد وجهل، ولأسباب أخرى يعرفها أهل صنعة القراءة؛ وهذا الكتاب يحتاج لمهدئات للسبب الأول، فلا تدري من أين يأتيك الألم، ولا تدري كم هي عدد الموجعات في تاريخنا المعاصر، والتي تكالبت علينا، حتى أوصلتنا إلى هذا القاع من الهوان والذلة.

للعرب تاريخ مهم مع ألمانيا، وما زال للألمان تأثير في مجريات أحداثنا المعاصرة؛ ومما يذكر أن الاستخبارات الألمانية كان لها دور مهم في غزو أفغانستان، وكان لها دور أكبر حين طرد صدام كل الأوربيين وأبقى الألمان في الساحة، ظاناً أنهم خارج حلبة الصراع بينه وبين أمريكا وأوروبا، فكان الألمان مع مخالفتهم السياسية لأمريكا وجورج بوش الابن إلا إنهم دعموه بالمعلومات التي كانت عندهم، ويحصلون عليها.

أول معلومة جديدة في هذا الكتاب هو أنك تعرف منه وعداً جديداً لليهود في فلسطين؛ فما كدنا نظن لوقت أننا أمام وعد واحد لهم من بلفور، حتى علمنا أن أول وعد كان هو وعد الفرنسي نابليون، واليوم يكشف لنا الكتاب أن الإمبراطور فيلهلم لم يقصر ببذل وعد لهم كذلك، وذلك ضمن رؤيته السيئة لليهود، من أجل التخلص منهم، وقد سعى لإيصال هرتزل لباب السلطان عبد الحميد ليقدم الطلب بنفسه.

فيلهلم لما قارن بين مصلحتيه في القرن التاسع عشر –أي بين مصلحته مع اليهود، أو مع السلطان عبد الحميد ودولة الخلافة– انحاز لمصلحته مع الخلافة، وخاصة أنه يمقت اليهود، ويراهم نتوءاً مرضياً في خاصرة بلده وأوروبا.

ثم تمشي رويداً مع الكتاب، فترى الحاج أمين الحسيني رحمه الله وهو يبحث عمن يخرجه من ورطة بريطانيا ووعدها لليهود في فلسطين، يذهب ليطلب المعونة من هتلر، ولكن لم تكن النهاية سعيدة لهتلر ولا للحاج أمين الحسيني؛ بل إن الحاج أمين الحسيني ذهب بعض أمله لما ناصر ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ليتخلص العراق من هيمنة بريطانيا، ويتحالف بعد ذلك مع ألمانيا، ولكن فشلت الثورة، واضطر الحاج رحمه الله للهروب من العراق، ثم التوجه للقاء هتلر.

ثم تمشي مع الكاتب لترى ابتزاز اليهود لألمانيا، من أجل تحصيل التعويضات ثمن دماء آبائهم التي أراقها هتلر فيما يسمى بالمحرقة، وهي أكذوبة كبرى، ولكن من قال لك إن السياسة تسير على سكة الحقائق!!

سنة ١٩٥١ أعلن المستشار الألماني استعداد بلاده للبدء في المحادثات في شأن التعويضات، وانتهى الأمر بإعلانه أنه سيدفع ثمن الدية للمحرقة.

وجد في الألمان من اعترض، وكان عدد الألمان الذين قتلتهم أمريكا لوحدها بعد دخولها الحرب الثانية ستة ملايين ألماني!

استهزأ بعض الألمان بالتعويضات قائلاً: من حق النازيين مطالبة أمريكا بالتعويضات بدل ستة ملايين ألماني.

للذكر: أظهرت الوثائق مؤخراً أن عدد النساء الألمانيات اللواتي اغتصبن ثم قتلن على يد الجنود الأمريكان بعد دخول بون يتجاوز مليون ونصف امرأة.

ثم ثانياً للذكر: عادة لا يذكر عدد جرائم الاتحاد السوفياتي، فجيشه من دخل برلين، وذلك لعدم وجود وثائق في مجتمع شمولي دموي.

من غرائب لعبة اليهود أنه نشأ لوبي ضاغط في إسرائيل يعترض على أخذ المال ثمناً للدم والشرف!! وكان شعارهم: "شرفنا ليس للبيع، لا يمكن لأي شيء أن يعوض دمنا، دعونا نمح الآر!".

هل هذا من توزيع الأدوار؟ أظن ذلك.

لماذا؟ عندما أخذ اليهود المال، وفرضوا التعويضات، رفضوا تسميتها بهذا الاسم "التعويضات"!! وأخذوها تحت اسم "شيلرميم"، وتعني القصاص!

أرأيت؟!! كان التعويض قصاصاً!!!!

توالت المعاملات الأمنية والعسكرية بين ألمانيا الاتحادية -أي الغربية- وإسرائيل؛ فأمدوهم بالدبابات، وحتى لا يغضب العرب لم تشحن هذه الدبابات مباشرة، بل من ميناء مرسيليا في فرنسا إلى الدولة اليهودية.

هذه الطريقة من عدم الرضا الظاهر بين ألمانيا وإسرائيل، والعلاقة الباطنية الجيدة، شكلت جسراً يستخدمه العرب واليهود لتمرير الكثير مما يشكل بينهما عن طريق ألمانيا؛ فأنت ترى أن أهم الشخصيات التي تدير المحادثات غير المباشرة في صفقات ما بين إسرائيل وأي جهة عربية يقوم بها ألمان، كما جرى بين حماس وإسرائيل، وبين الحزب الرافضي الإيراني وإسرائيل.

الكتاب مهم جداً في فهم السياسة جملة، وفي فهم العلاقة العجيبة بين الشرق الأوسط! وألمانيا، وهو جزء من الهم الذي نعيشه، وهو جزء كذلك من تاريخنا المعاصر الذي نتقلب في جمره.

بعد الرحلة الضرورية والمؤلمة مع الكتاب تنتهي لقضايا مهمة، أعظمها: لقد كنا أمة ساقطة، وجاهلة، وذليلة، ولم نكن نستحق سوى الموت والخروج من التاريخ؛ فنحن لا نملك شيئا من عوامل الصراع والبقاء، وكان حكامنا هم الأسف والأحط والأقذر في هذه الأمة.

وحين أقرأ تاريخ ألمانيا مع الخلافة العثمانية، والتي شهدت زمانها الأخصب زمن السلطان عبد الحميد، والذي قال عنها في مذكراته الكثير، وكان يخطط لزمن طويل، تصل فيه أوروبا لصراع دموي داخلي، يصنع فرصة لدولة الخلافة لالتقاط أنفاسها، لكن كان قدر الله أسبق. وحين شعر الغرب وخاصة بريطانيا أن اكتشاف النفط في العراق سيجعل المال قوياً في يد الخلافة، مما يخرجها من سيطرة أوروبا الدائنة، وبالتالي سيتم إعادة قطار الخلافة لسكة القوة والصراع= سارع رجالها لعزل السلطان عبد الحميد، وإني أظن أن أعظم سبب كان في عزل السلطان هو هذا الأمر.

أدعو كل رجل مهتم بتاريخنا المعاصر أن يطلع على هذا الكتاب، لأنه يؤرخ بصدق دون انحياز، ويكشف الكثير من تاريخنا مع جزء مهم من أوروبا، ويعرفنا بواقع التاريخ الأوروبي المعاصر وصراعاته الداخلية، والتي يمكن أن تفيد في تحييد الخصوم أو تقليل عدائهم.

كليمة في كتاب (٥٣):

الله والمنطق في الإسلام

خلافة العقل

لجون والبريدج

ترجمة: تركي المصطفى

[٢١ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٠]

هذا الكتاب قد خدعني تماماً، خدعة حسنة مشكورة؛ فحيث ذهبت إليه متخوفاً من قنابله التي اعتادها المرء في قراءته للمستشرقين الغربيين، إذ يكتنف كلامهم خطران: الجهل والخبث؛ لم أجد الكثير من الخطر الأول، ووجدت البراءة من الخطر الثاني. فهذا كتاب قيم في تاريخ العلم، ولو ترك الكاتب فسحة من النظر في نفسه لمقرراته النهائية التي قذفها داخل الساحة الفقهية والعلمية المعاصرة لكان الكتاب يستحق الإشادة بالعلامة الكاملة في بابه، وذلك من كل الجهات.

الكتاب وإن كان عنوانه يتحدث عن المنطق في تاريخ الإسلام، لكنه يتسع لأمور أخرى خارج المنطق وتاريخه؛ وإن كان أتى على التاريخ ورجاله في هذه الأبواب بلوحات سريعة، لكنها تدل على استيعاب قوي، ورؤية منصفة ذكية، ربما هو أرادها بهذا الطرح لتتلاءم مع رؤيته أن تكون محطات للدراسة في معاهد البحث والتدريس، وهذا عذر جيد.

ما دل على أن الكاتب يريد العلم للعلم، فإنه وإن وقع في أخطاء محتملة –كونه خارج تاريخ هذه الأمة إلا بالاطلاع والقراءة، والقليل من الصحبة كما يظهر من الكتاب– إلا إنه حين أتى على دور الآخر في العلم وتدريسه ومعاهده أتى عليها بإنصاف، وعدّ أن مناهج المستعمرين لبلاد المسلمين أفسدت علوم الناس وعقولهم واهتماماتهم.

حين يعرض لتاريخ هذا العلم، والذي عليه الكثير من الكلام –أي علم المنطق–، فإنه يعرضه من خلال مسيرته التاريخية، والتي تنطلق من الداخل والتعامل مع الخارج، كون هذا العلم ليس أصيلاً في موضوعاته، والرجل يشيد برجال هذا العلم، ويقف باحترام أمام ابن تيمية وموقفه منه، والذي يقرر فيه أنه استوعب هذا العلم استيعاباً خطيراً وتاماً.

للذكر: إن مصطفى الطبطبائي الذي أشاد بابن تيمية ونقده للمنطق في كتابه "المفكرون المسلمون في مواجهة المنطق اليوناني" خرج من الرفض، وترك لبس الملالي الشيعة، ولما كتب كتابه هذا كان قد خلع التشيع تماماً، وبدأ الدعوة للإسلام، وقد تأثر منه الكثير، منهم البرقعي كما ذكر هذا في "سوانح الأيام".

الكتاب وهو يعرض لأثر المنطق اليوناني في الفكر لم يعرضه إلا من زاوية تاريخية، كان ببراعة على الحياد من أن يكون ضد أو مع، ولكنه حين يلتقي مع النهايات لتاريخ هذا العلم، وخاصة المدرسي منه، حين تدخلت دوائر الغرب في القضاء على المدارس الإسلامية التقليدية كأنه يشير إلى قضية مهمة، وهي قضية تجيب على صراخ البعض هذه الأيام: اتركوا المسلمين لوحدهم فسيحلون مشاكلهم، وما تنتج المشاكل الدموية إلا بعد تدخل الآخر فيه.

هذه الكلمة مصيبة من جهة تاريخية، فما تفجر إجرام الأقليات في بلادنا إلا بسبب إغراء الأعداء لهم، وسعار هذه الطوائف بتحريض العدو أن يغلبوا على الأغلبية ويسيطروا عليها، ولو قبلوا بكونهم أقلية تحترم نفسها لما كانت الدماء والمصائب.

هذه القضية، لا أدري أرادها الكاتب في خاتمة كتابه، أم أنها قفزت إليّ خارج الموضوع، وإن كانت بإيحاء منه.

كنت مع عرضه التاريخي كأني أمام قصة روائية جميلة، بدأت بشيء من القلق ثم تمادت بانسياب جميل داخل عموم الكتاب، حتى انتهى للأسئلة الصعبة، وهي تلتقي مع مقولة: اتركوهم لوحدهم، فعندهم من التراث ما يجيب على أسئلتهم؛ لكنه كذلك يقذف أمام العقل المسلم أسئلة كونية كبرى، تدل على إدراكه العميق لعقم العقل المسلم اليوم بسبب تركه لتراثه الغني.

أهم هذه الأسئلة –وهي بنفسها اعتراضات على واقع مأزوم– هي:

– لماذا هذا اليقين الذي يكتنف البعض اليوم في قضايا هي مجرد ظنون عند الأقدمين، وتحتاج للأجوبة، والحوار، وقبول الآخر؟

وهذا عند الكاتب كلي في عموم القضايا، وهو عند المسلم السني مقبول في موضوع الفقه، لكنه ليس مقبولاً في فوارق السني عن البدعي.

ولكن بمجرد أن تقرأ كلام جون هذا تستحضر يقينيات الشباب المبتدئ على قضايا لا يستوعب معناها، وأخذها لمجرد شيخ معاصر محبوب عنده قد تبناها، مرجع هذا اليقين هو التقليد، ولو خرج إلى دائرة العلم لأنصف وأعذر صاحبه.

– أين الأجوبة الإسلامية على مسائل حادثة كبرى؟ ولماذا توقف الإبداع في العقل؟

وهذا السؤال عنده خليط من ضعف التصور الصحيح للفقه الإسلامي ودائرته، وما هو نص وما هو في مجال السياسة والحكمة.

– عندما يعرض موضوع التسامح، تكون ما زلت تحت تأثير كلامه في تدخل الخصم بتثوير الأقليات، وتفريغ الناس من ثقافة أمتهم، وتغيير مناهج التدريس، وبالتالي إن كنت متابعاً لما تصنعه الطوائف والأقليات في زماننا تدرك هذا التماهي بين هؤلاء والعدو الخارجي.

– بلمحة سريعة تحس أن الكاتب يؤمن بإسلام وطني، كما يدعو إليه بعض الخبثاء، بل بعض أتباع طواغيت الحكم، وبعض العنصريين هنا وهناك؛ وهذا مبحث لوحده يحتاج لكتاب كثير الورقات، ولكن ولا شك هو يناقض أصل الدين الذي جاء به الأنبياء.

لولا تلك الأسئلة الأخيرة التي عرضها الكاتب لكان كتاب الرجل نظيفاً نظافة تفقدها من بعض من يتكلم عن الإسلام ممن ينتسب له، لكن للرجل عذره، ويكفي أن تمشي مع الكتاب متخوفاً من قنابله، فتنتهي إلى فرح غامر أنك عشت لحظات جميلة.

كليمة في كتاب (٥٤):

شعار أصحاب الحديث

للحافظ أبو أحمد الحاكم

[٢٢ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٠]

أبو أحمد الحاكم ليس هو أبو عبد الله الحاكم، بل غيره، وهو شيخه كذلك، وكلاهما سمي بالحاكم لتوليه القضاء، وهو من جبال العلم في هذه الأمة، حتى قال عنه تلميذه أبو عبد الله الحاكم ابن البيع: هو إمام عصره في هذه الصنعة (أي الحديث).

تولى القضاء ثم تركه، ولزم المسجد متعبداً، ورفض تولي القضاء مرة أخرى حتى قضى.

قلت: لعله على مذهب الشافعي، فقد ألف كتاباً: "المخرج على كتاب المزني".

هذا الكتاب "شعار أصحاب الحديث" فيه نفس رجل يعلم الناس على طريقة القدماء المتقين؛ فحين تذهب لهذا المصنف لترى أي شيء أراده شعاراً لأصحاب الحديث، تجد نتفة من الاعتقاد تتعلق بأن الإيمان يزيد وينقص، وأن القرآن كلام الله؛ ثم تجد الجمع الطيب للوضوء والغسل والصلاة وسننها، وكأن الرجل يقول لأهل هذه الصنعة الجليلة أن شعار العلم هو التقوى والإخبات والعبادة، ولزوم الصلاة وسننها؛ فالصلاة هي شعار أهل الحديث، لا غير، بها يتميزون حين يغفل الناس، وبها ينشغلون عن سفاسف المقالات وضياع الأوقات؛ فليس أهل الحديث وصنعته مجرد متكلمين في العلم والحديث بلا عبادة، وبلا تقوى، وبلا التزام بهذا الشعار الذي هو شعار كل تقي؛ لزوم سنن الصلاة، وفي هذه الصلاة من دعاء فيها وبعدها، لتكون سمته الذي يعرف به.

أما أولئك الذين يظنون أن أهل هذا العلم الجليل هم من تقفر السوء، وتابع السفهاء، وأراد الشهرة بالغش والكذب والتدليس وسرقة الجهود، وقلة التقوى والسعي بالباطل والنميمة، وغشيان مجالس الغيبة، لا ترى له سمة المتعبدين، ولا الأتقياء= فهؤلاء في الحقيقة لصوص لا علماء، وشعارهم شعار السراق والفجرة، لا شعار أهل الحديث الذين شهر الله ذكرهم الطيب في العالمين؛ لا بما قالوا من علم فقط، ولكن بما نشروا من طيبات الفضائل

والأعمال، فعرف عنهم دينهم، إذ لا تجد في أئمة هذه الصنعة إلا عباداً لله، ذاكرين له، أتقياء في السر والعلن، في ألسنتهم وأعمالهم، لو نظرت إليه أو جلست مجلسه لكان مقيماً لك على الحق والهدى والدين، لا دافعاً له لهاثاً أن يبلغ مبلغه في سرقة الكتب، أو مشاركاً له في الغيبة والنميمة، فتقفر السمت كان مقصد الطالبين عند جلوسهم لأولياء الله من أهل الحديث.

أي كذب هذا الذي يمارسه من نسب نفسه للحديث وهو يسرق جهود غيره، أو يتابع النميمة والغيبة في كل حين، أو يسود قلبه بالحسد والحقد؟!! فأين هو من شعار أهل الحديث الذي يقوله هذا الإمام، أو يقول بعضه؟!!

شعار العلماء هو التقوى، كما قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)؛ وهؤلاء هم من يرفع الله مقاماتهم في الآخرة، ويجعل لهم لسان صدق في الآخرين، كأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

لا يغرنك ترديد كلمات مقتنصة، يسرقها ليجلس بها سارقاً للناس والشباب، يغرهم أنه من أهل العلم؛ ولا تلتبس عليك هذه التمويهات التي يتشدق بها البعض، مع قلة حياء، وسفاهة كلام وعقل= بل انظر إلى دين الرجل، وعمله، وسمته، والتزامه بشعار سلف هذه الطريقة العظيمة. والقرآن والحديث إن لم يغيرا أصحابهما إلى ما حضا عليه من مكارم الشمائل والفضائل فاعلم أنهم كذبة فيه، ومتطفلين على أهله.

انظر إلى ما كتب الإمام البخاري من "الأدب المفرد"، وانظر إلى ما كتب الإمام الترمذي من "الشمائل النبوية"، وغيرهما الكثير كـ"الآداب" للبيهقي و"قيام الليل" لمحمد بن نصر و"الدعاء" للطبراني.. والكثير الكثير، تعلم أن هؤلاء القوم كانوا أهل قلوب، وأهل سلوك وتزكية، لا كما ترى الكثير ممن انتسب لهذه الصنعة وهي عري عن شعارها.

إن هذا العلم دين، فمن لم يأخذه كذلك أصابه الوعيد بأنه سيدور في الجحيم كما يدور الحمار في الرحى.

اللهم عفوك ومغفرتك ورحمتك.

كليمة في كتاب (٥٥):

التوهم

للحارث المحاسبي رحمه الله (ت٢٤٣)

[٢٣ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٠]

للعلماء الكبار قول في الحارث، يفصلون بين علمه وعمله؛ وهذا شأن الفصام الذي سرى في أمتنا بعد العصر الراشدي وعصر الصحابة رضي الله عنهم ومن جاورهم، فنشأ فصام بين الفقه والحديث، وبين العلم والعبادة؛ وهو شيء لا يخرج عن سياقه السنني في تنوع الخلق، وسنة جريان الحياة. والمحاسبي له الكتب الوعظية النافعة، وحيثما تكلم في العلم جرى منه ما يجري من العابدين في كلامهم من قلة ضبط تام لقواعد العلم، وليس هذا خاصاً به بل في الكثير من أمثاله؛ لكنه إمام سني عظيم، مداركه في الرأي تصيب كثيراً، ويقتبس منها السني علماً مهماً في التأصيل، فقوله في ماهية العقل شيء كامل السلامة والفهم والتدقيق، وحيث يهتم أمثاله في الزمن المتقدم بمثل هذا المبحث وهو ماهية العقل، وخوضه فيه يعني أنه جبل مكين، ورجل مرحلة.

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل أنكر على المحاسبي كلامه في الخطرات والوساوس، وهو علم صار له رجاله وكتبه، وانتشر حتى عند الحنابلة أنفسهم، كما عند عبد القادر الجيلاني، وابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" لم يخرج عن هذا العلم –علم الخطرات والوساوس– قيد (بكسر القاف والياء) أنملة، وإن كان المحاسبي التزم بكلام أحمد، فهجر الناس وتحديثهم والتزم بيته.

لم يكن كلام أحمد في المحاسبي إلا التزاماً من أحمد بطريقته التي كان يرى أن لا يكتب سوى القرآن والحديث، ومع ذلك توسع قليلاً مع بعض ما وصل إليه، فقد أعجبه كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث وأمر ابنه عبد الله بحفظه، كما كان معظماً لكتاب الشافعي "الرسالة"، وذلك لأن هذه الكتب تخدم الحديث، والذي هو العلم.

كتب المحاسبي تؤصل لعلم النفس التعبدي، وهو علم لا يجلى بصورته التامة إلا في هذه الأمة، وهذا الاسم أطلقه اليوم دون سبق لهذه التسمية؛ لأن معالجة النفوس في تعبدها أمر خاص بهذه الأمة، وهو مهمة قرآنية عظيمة، ولكن ما ينكر هو التقفر الذي يبدو وكأنه مجرد تخمين أكثر منه حقيقة، وربما يشتد الرجل فيه حتى يشط ويوسوس بدل علاجها.

دائماً أتساءل: هل شعر الحارث من العابدين ضياع تأثرهم من الكتاب والسنة مباشرة، فجعل وسيطاً لتحصيل هذا التأثر، وخاصة أن الحارث لم يتهم بالتصوف الذي يذم وقيل فيه الترهيب، هذا مع أن الصوفية أخذوه لحجرهم وطريقتهم، وصار من يترجم له يسميه شيخ الصوفية كما وصف في كتب السير والرجال، لكن لا نجد أي كلمة نابية عن الشريعة في كلامه كما نجد لغيره، حتى الجنيد شيخ الطريقة كما يسمونه أخذ عليه كلام لا يمدح فيه، ويضاد الشريعة، هذا مع مدح الفقهاء له؟.

ما الذي أراده هذا العقل الكبير؟ والمحاسبي من نظر في كتبه رآه عقلاً محضاً، وخيالاً خصباً، وديناً مكيناً؛ ولذلك كانوا يسمون صنيعه: الدخول في الكلام، وذكر له ردوده على المعتزلة والرافضة، حتى قال الخطيب البغدادي: وكتبه -أي في باب الرد على هؤلاء وأمثالهم- كثيرة الفوائد.

هذا الكتاب ذو خيال خصب، وتصور أخاذ، أراد منه المحاسبي رحلة المرء لدار القرار، ليتوهم (فقد سمى كتابه التوهم، وإنما أراد التخيل، لا الوهم الذي يعني ضد الحقيقة) أقول: ليتوهم المرء رحلة إلى الدار الآخرة، من القبر والبرزخ والوقوف بين يدي الديان، ليحاسب فيرى نفسه أين مستقره.

تبدأ الرحلة عند الموت، ثم تمشي مع النصوص لا على جهة روايتها، ولكن على جهة حمل المرء أن يكون هو صاحب الرحلة، وهو من يعيشها، فيتخيلها أو يتوهمها كما يقول الحارث، وهو يريد منك أن تحقق التأثر من معنى النص في هذا السياق الأدبي الجديد، وعلى طريقة يصنعها كل الوعاظ، وكل من تحدث بصيغة اللفظ الذي يخرجه المتحدث عن لفظ الرواية إلى لفظه هو.

هذا الكتاب لا يكشف لك عقل المحاسبي كما هو، بل يكشف لك لغة المحاسبي، ومحاولته الوعظية من خلال الكتابة، لكن إن أردت عقله وعلمه فعليك بكتابين له: "الرعاية لحقوق الله" و"رسالة المسترشدين".

جميل أن نرى كلام علمائنا بعين العلم، خاصة أنها صارت قدراً لا مفر منه في تاريخنا وفهمنا لتراثنا، فهل يقدر أحد أن يستوعب أصول الفقه كما كتبه الأسلاف دون المرور على علوم قد تجد ذمها في كتب الأقدمين؟!!

عندما وجدت وأنا في لحظات الحبو الأولى مع الطلب كيف يأخذ ابن تيمية من الحارث قوله في العقل وماهيته، أدركت أن ما يريده البعض منا من رمي بعض تراثنا تمثلاً لكلمات أهل زمانهم فيه= ضياع لبعض ما يقضي حاجاتنا التي تلائم حالنا وقدراتنا.

كليمة في كتاب (٥٦):

تعليقة على العلل لابن أبي حاتم

للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الهادي

[٣ شباط ٢٠١٩ — ٢٨ جمادى الأولى ١٤٤٠]

من أهم العلوم في زماننا أن يسعى طالب العلم للبحث عن مدرك أحكام القدماء من العلماء، فمنهجهم الكامن في أحكامهم خفي شديد العمق، ويحتاج لعلوم القوم ونبطهم للوصول إلى ما يسمى بالمنهج في الحكم والتعقل، وإن لم نفهم مدرك أقوالهم خبطنا في الرد أو المتابعة؛ وعامة الفساد اليوم منشؤه جهل الناس بمنهج القدماء، وهذا الجهل عام في كل العلوم، من حديث أو فقه أو لغة، ولذلك كان حقاً على أهل العلم الانشغال بتعليم الناشئة طرق البحث عند السابقين من خلال أحكامهم وكلامهم، لا استقلالاً عن هذا.

ولذلك لو أخذ طالب العلم أصول الفقه من "التمهيد" أو "الاستذكار" لابن عبد البر مثلاً، لحصل علماً عظيماً في أصول الفقه أكثر مما يحصله من كتب الأصول التي تميل عند الأكثرين إلى التجريد، كما أصل لذلك الغزالي في "المستصفى".

وعلم الحديث علم النص والعقل والمتعة، يجمع هذه الخصال في ائتلاف عجيب، وتظهر عظمته في خاتمته التي تتعلق بعلم العلل؛ إذ هو خلاصة علم الحديث، وبه تتسع دوائر التعقل والبحث والجمع والمدارسة حتى تستوعب عقل المرء كله، والاحتمالات العجيبة، والتي هي أعلى من كل أدوات التحقيق للوصول إلى الأحكام النهائية في مثل هذا الباب، ولذلك فلا يمكن للمرء أن يدخل في هذا العلم على وجهه الصحيح دون الاتصال والمعايشة لهذا العلم العظيم؛ أقصد علم العلل.

من أعظم كتب علم العلل كتاب "العلل" لابن أبي حاتم الرازي، إذ أطلق أحكاماً خاطفة على أحاديث نبوية، آخذاً إياها في أغلبها من أبيه، العالم العظيم أبي حاتم الرازي، ومن غيره كذلك كأبي زرعة الرازي؛ وهذه الأحكام لا تنشأ بلا امتلاء فروع وقواعد، منها ما يتعلق بالجمع الذي يقارب الاستيعاب، ومنها ما تعلق بمنهج الفرز

المؤدي للحكم النهائي، وهذا الفعل الباطني لظاهر جبل الحكم الظاهري خفي داخلي، يظهر حيناً ويختفي كثيراً، ولذلك لا يصح دخول الرجل في علم الحديث بمجرد نقله الحكم النهائي على الحديث، بل لا بد من معرفة باطن الخفاء من أداة الجمع والفرز والتمحيص، ليكون الرجل عالماً بمنهج الحكم، وبمادة الحكم السابقة لهذا كذلك.

هذه التعليقة من محمد بن عبد الهادي رحمه الله هي لبيان هذا المعنى في أحكام المحدثين على الأحاديث التي عللوها، وجمعها ابن أبي حاتم الرازي في كتابه عنهم، فهي خوض في الجمع لاستيعاب المادة، وفرز واستقراء لهذه الفروع، وذلك لكشف مادة الحكم، ليعرف طالب العلم مدرك العالم في هذه الأحكام النهائية؛ فذهب ابن عبد الهادي يجمع، ويستوعب، وينقل، ثم يحكم، ليصل بك إلى قول السابقين من علماء هذا الفن.

ابن عبد الهادي هذا تلميذ لابن تيمية وللمزي، وكان يضطر إمام علم الحديث في عصره –أي أبي الحجاج المزي صاحب "تهذيب الكمال" و"تحفة الأشراف"– إلى مضايق علمية؛ ذلك لدقة هذا العلم واتساعه، مما يتعلق بالرجال والأسانيد والعلل.

وقد كتب هذا الإمام كتباً نافعة أجلها "الصارم المنكي في الرد على السبكي"، وهو كتاب دال على فقه الرجل، وعلمه بالعلل والرجال والحديث.

وهذا الإمام مات في شبابه، رحمه الله، وكل فعله في هذه التعليقة في الأساس هو الكشف عن مادة الحكم عند الأقدمين في الحكم على الأحاديث.

هكذا تفهم أن الرجل العظيم لن يكون كالسابقين حتى يدرك من أين أخذ السابقون، وكيف أخذوا، وما هي طرق نظرهم وبحثهم؛ وأما حفظ أقوالهم، أو الرد عليها، بجهل دون استيعاب، فباطل من أعظم الباطل، وفساد للعلم كله.

كل الجهل اليوم مبني على قاعدتين وصورتين: تقليد السابقين بلا علم، أو الرد عليهم بلا علم؛ وكلاهما أس فساد العلم. واتباع منهج السلف في العلوم واجب لا مفر منه، وهو لا يعني تقليد أقوالهم في الفروع، بل يعني سلوك طريقتهم ومنهجهم في العلوم التي رفعهم الله بها.

هنا أقوام يردون أقوال السابقين زعماً أنهم فهموا أكثر، واطلعوا أكثر؛ وهي مجرد أوهام. ومعهم أناس سلموا في النهايات ولم يعرفوا مقدمات الطريق، فلم يحصل لهم فضل العلم، ولا النسبة إليه، إذ المقلد لا يسمى من أهل العلم قط.

هذا العالم الكبير –ابن عبد الهادي– رأى أن العلم هو إدراك مدرك أهل الفن، فأراد نشره لما رآه، فكانت هذه التعليقة العجيبة، لكتاب أشبه بالمتن الذي يلقيه العالم على أهل العلم فيتذوقونه لعلمهم بكل سحر العلم الذي قاله، من جمع مستوعب، وحكم مكين عظيم.

تنبيه: ابن عبد الهادي هذا، رحمه الله، غير يوسف ابن عبد الهادي المشهور بابن المبرد؛ فابن المبرد متأخر، وهو من أهل التقميش بلا تفتيش، وهو سيوطي الحنابلة كما يسميه بعض أهل العلم، بل في الحقيقة هو أقل منه بكثير في بابه.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٥٧):

صرخات من سجون أمريكا

للصحفي تمام البرازي

[٧ شباط ٢٠١٩ – ٢ جمادى الأخرى ١٤٤٠]

الصحفي تمام البرازي نشط، وحين يعمل صحفياً يترك وراءه الكثير من الشظايا والغبار، وما من مقال يكتبه أو لقاء يجريه إلا ويستحق القراءة، خالفته أو وافقته، وللأسف فإن الكثير اليوم من يعرف اسمه، ولكنه ولا شك يحمل ذكريات ودراسات كثيرة تستحق الاستماع.

كتابه هذا اقتحام لعالم الظلم والإجرام الأمريكي، ومن داخل سجونها، حيث يجري الصحفي تمام البرازي لقاءت وحوارات من داخل السجون الأمريكية، ومع شخصيات مثيرة، وخطيرة، وكذلك مؤلمة؛ هذه الشخصيات ظلم بعضها بسجنها أساساً، وبعضها ظلم في داخل السجن وتعامل معه القانون بالمقلوب، فانتكس تمثال العدالة لأسباب تتعلق بكون الرجل يخالف أصحاب القرار من أهل الثراء، أو أنه خرج عن سكة هؤلاء فاستحق اللعن.

يبدأ هذا الكتاب باللقاءات الطويلة التي أجراها تمام البرازي مع محامي الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن رحمه الله، أي رمزي كلارك، وهو رجل قد تقلد يوماً وزارة العدل الأمريكية، ثم صار محامياً لقضايا خطيرة ومهمة، حتى كان آخر ظهور عالمي له في محاكمة صدام حسين، وكان قد تطوع للدفاع عن الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن، وخاصة في محكمة الاستئناف.

في هذا اللقاء يكشف كلارك عن فجاجة التهمة، ولعب المخابرات، ودناءة القضاة، وانتكاسة الشعارات. كما يكشف عن واقع سجن الشيخ وأحواله المؤسفة، والتي هي القهر والظلم والعذاب، وذلك مع رجل كبير السن، ومريض، وضرير.

ثم يأتي إلى مقابلاته اللاتي تعددت مع نضال عياد، المتهم بمحاولة تفجير برجي التجارة، وفي هذا اللقاء تكشف إنسانية هؤلاء الشباب وروحهم العظيمة، وكذب القضاء الأمريكي، وهذا كله في سياق نفس التهمة ضد الشيخ عمر عبد الرحمن، وتكشف صعوبة حياة الشتات والتيه والبحث عن المخرج.

كان أغلب اللقاء مع نضال عياد، الشاب الفلسطيني، يدور حول تلفيق الأدلة، وتلاعب الادعاء، وتواطؤ القضاة. كما تكشف شيئاً عن سيرته الإنسانية العجيبة.

ثم يأتي الكتاب على أمر آخر، وهو اللقاء مع سرحان بشارة سرحان، والذي أدين بقتل روبرت كيندي سنة ١٩٦٨ في لوس أنجلوس، والذي انتهت مدة محكوميته ويصر القضاء الأمريكي على عدم إمكانية إطلاق سراحه، إذ يسجل بطريقة غرائبية مداولات القضاة، والتي امتدت فقط لثلاث دقائق، تداول فيها القضاة الكلمات القذرة، والنكات السمجة، ثم خرجوا ليعلنوا اتفاقهم بعد التداول الشديد! على عدم صلاحيته للخروج من سجنه.

ويأتي الشخص الرابع، وهو أدوين ويلسون، والذي دخل السجن سنة ١٩٨٢، وهو ضابط المخابرات السابق، والذي أدين بأكثر من خمسين سنة سجن لاتهامه بتزويد ليبيا بأسلحة ممنوعة.

قصة من قصص الفساد العربي، والقضاء المسيس في أمريكا، والخداع المخابراتي، بدون خيال ولا تزوير، بل بقصة حقيقية،فيها العجائب.

يختم تمام البرازي كتابه بلقائه مع هنكلي، وهو المتهم بمحاولة قتل ريغان سنة ١٩٨١، ولم يمض على استلام ريغان الحكم خمسة عشر شهراً.

شخصية عجيبة، لا تكاد تجدها إلا في عالم الخيال، فالرجل يعترف بمحاولته، وعند ذكر السبب تأتي لعالم غرائبي أسطوري.

يلتقي به تمام البرازي، ويحاوره بهامشية ضيقة، كعالم الخف، وزنزانته الضيقة، والتي هي غرفة في عيادة طب عقلي، حيث انتهى به المقام.

تمام البرازي يرى أنه ثمة جامع واحد لكل هذه الشخصيات: كره دولة إسرائيل، وعدالة قضية المقاوم لها؛ فهم مع كل تفرقهم في الاتجاه والدوافع، لكن لهم وجهة نظر، هي خارج سياق السياسة الأمريكية.

كتاب صغير في حجمه، لكنه شيق، وغزير المعلومات، بجلسة واحدة تستطيع الولوج لعالم السجن القاسي لأناس إما ظلموا في الاتهام أو ظلموا داخل السجن، فكانت لهم صرخات كما سماها الصحفي تمام البرازي.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٥٨):

أمير الظل: مهندس على الطريق

لعبد الله البرغوثي

[٩ حزيران ٢٠١٩ – ٦ شوال ١٤٤٠]

هذا كتاب أشبه بمخطوطة قادمة من زمن بعيد، كتبها مسافر وكأنه على جناح قلق، تتعبك قراءتها لكن تحس بقيمتها وروعتها وأصالتها، وصدق انتسابها، فحين تنتهي منها تدرك أن الكلمات مقصوصة لا تكاد تبلغ الفعل، وقاصرة لأنها أقل بكثير من الحقيقة؛ ولكن يكفي أنها تكشف لك مقدار عظمة هذه الأمة، وقيمة رجالها حين يفعلون.

كان زمن هذا الرجل، أي السجين البطل عبد الله البرغوثي، أمير الظل، قصيراً، والمكان ضيقاً، والاختيارات معدومة؛ لكن مع ذلك كله كان هناك فسحة واسعة للنفس، لها أمل عظيم، يعلم صاحبه أنه مجرد رقم، وأي رقم! على الطريق، يأتي ويذهب، ثم يأتي غيره حتى تنتهي الرحلة برحيل المجرم الغاصب، وكذلك رحيل العميل الفاسد.

صورة هذا الإنسان هي صورة كل نفس ترفض الذل، ولكن فيها طاقة الفعل، فالنفوس ليست تُعرف من خلال ظل أمانيها، ولكن من خلال تصوراتها على الفعل من خلال ضيق الزمن وضغط الجغرافيا، وهنا تظهر العبقرية، وتظهر مدارك النفوس والعقول، وبهذا يقع التمايز.

عبد الله البرغوثي ليس عالم مختبر تمده المؤسسات بالمال، ولا خبير شركة تدفع له مقابل عبقريته في التصنيع والإبداع، وليس مديراً فاعلاً وراء مكتب مريح؛ لكنه كل ذلك في مكان يحيط به ألف جاسوس، وألف جهاز ما صنع إلا لمنعه من التنفس والحركة، وآلاف الجنود يلاحقونه، فزمانه ضيق يلاحق بعضه بعضاً من خلال الثواني لا الدقائق، ومكانه بالكاد يقدر على الحركة، ومع ذلك يأتي هذا الرجل بالعجائب.

هو يقاوم، ويفكر، ويدير، ويتحرك، يرفس كل هذه الجدر المحيطة به، كحصان يعشق حرية الجريان مع الرياح، وبهذا كانت عظمته، وكان واقعه صورة الرجل العظيم الذي يفلت بقوة من إسار عدوه وعدوه، من هنا ومن هناك، من غريب أو قريب.

بعد أن تخرج من الكتاب تصرخ: هذا واحد من أمتنا، به يتم الجواب على كل أسئلتهم: ما الذي يصنع المقاوم (الإرهابي!)؟

فيأتيك الجواب من سطور فعل عبد البرغوثي وأمثاله: أنتم أيها القاذورات، أيها المحتلون، أيها الفجرة الملاعين.. وجودكم بكل نتنه يصنع عظمة رجالنا ونسائنا، ووجودكم بكل سلطانه الجاهلي يأتي بالبطل الذي يكسر غروركم وتبجحكم، فحيثما تكونوا تكن أمثال هذه البطولة، ولن تنتهي بذهاب مهندس على الطريق، لأن هذه الطريق مسلوكة، ولها رعاية من رب السموات والأرض.

قصيدة هي حياة أمثال أمير الظل، لا تحتاج لتكون أغنية إلا بأن تقرأ وتهدي وتعلم، وترسل أجمل رسالة لجيل الأمة القادم: إن سبيلكم لم يزل حياً، وإن وجودكم ما كان ليكون لولا أمثال هذا الرجل وسابقيه ولاحقيه، في كل البلاد، وكل مجالات الجهاد، وكل دوائرها، وكل شعاراتها وتنوع أسمائها، فهم طينة واحدة: النصر أو الشهادة.

هذا الكتاب من الكتب التي لا تجيبك عن كل الأسئلة، لأنه يتركك مع جريان النفس في خيالاتها مع الجوانب الدقيقة؛ فهو كتاب اختبار لنفسك كيف تفرق بين الدر والحجر، وبين الجمال والقبح، وبين الزيف والحقيقة، فهو كتاب ضروري لاختبار نفسك في حب العظماء، إذ النفوس تحب على وفق المشاكلة.

مع هذه الكلمات من صاحب الفعل عبد البرغوثي تكتشف الإنسان كما هو، عظيم في نفسه، وإنسان يحب ويرضى، ويعشق، ويتألم، وهو في ظرفه الزماني والمكاني يثير عالماً صنع لصد دول وحضارات من أجل ملاحقته، ومع ذلك هو من يحضر الخبز لبيته، وهو من يحمل ابنته للطبيب ليعالجها، ذلك لأن الزمان لا يسعفه.

هذه حلقة لا بد أن تعيشها الأمة، ولكنها ضرورية ليعرف الناس معنى البطولة، ومعنى الفداء، ومعنى العقل.

فك الله أسرك أيها البطل، وجعلك من أهل العافية، وما ذلك على الله بعزيز.

طينة عبد الله البرغوثي من طينة الرجال الذين يحبون اللحاق بإمام هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي زماننا مثله، فعلوا العجائب في زمن الهوان.

والحمد لله رب العالمين

كليمة في كتاب (٥٩):

الإسلام في الليبرالية

جوزيف مسعد

[٢١ تشرين الثاني ٢٠١٩ – ٢٤ ربيع الأول ١٤٤١]

ما يهمني من هذا الكتاب شيء واحد فقط، وهو ما سأنوه به دون بقية مهماته؛ ولا يعني هذا في شيء كموقف من المؤلف، فهذه قضايا أخرى تحتاج لبحث ودراسة، وتعقب طويل، خاصة أني كرهت كتابه السابق وهو "اشتهاء العرب"، ولا أدري لِمَ اهتمام الكاتب بما يسميه الغرب بالمثلية، وهو اللوطية والفاحشة الخبيثة، وجعلها محوراً يتحدث عنه ما وجد لذلك سبيلاً!.

ما يهمني في كتابه" الإسلام في الليبرالية" ما تحدث عنه كعمدة لكتابه، وهو كيفية نشوء الأفكار في الغرب، لا تأثراً بالإسلام على وجه سلبي، ولا على وجه إيجابي، ولكن على وجه ضدي؛ يعني بحث الغرب عما يناقض الإسلام ليتبنوه، لشدة بغضهم لهذا الشرق المسلم، ولبنيان ثقافة الغرب على تصور ما يقدسونه من الليبرالية هو نقيض الإسلام.

هذا المعنى في هذا الكتاب يخدم تصور المسلم الصادق في أن مُثل الشيطان تخالف الفطرة، وأن قيمه تعاند الدين، وأن أتباع الشيطان يهديهم إبليس لما يخالف ما يحبه رب العالمين، وعلى معنى هذا تقع قيم التضاد بين الإسلام وضده من كل الأديان.

لكن تصور وجود فعل وضعي مسبق لدى الغرب في مخالفة ما يأتي به الإسلام، فهذه قضية يخدمها هذا الكتاب، مع الحذر من كل أفخاخه.

الليبرالية خيار الغرب، لكن ماذا تعني من قيم كلية يجمع عليها أهلها؟ جواب هذا هو كل ما هو ضد الإسلام، وعمل دعاة الليبرالية هو تخليص المسلم من إسلامه ليكون ليبرالياً، يسبق هذا تخليص الأوروبي من كل قيم الإسلام ليكون شيئاً مميزاً.

لا يجد معنىً محدداً لقيم الليبرالية في ذاتها، كما لا يوجد إرث خاص يذهب إليه الباحث، فكان دينها كدين الرافضي الذي يقول لسائله: خالف دين السني تصب.

هذا الكتاب بهذا الاتجاه يعرّف المسلم بقيم الحق التي جاء بها الرسول، وأن المعركة قيمية قبل كل شيء، وأن الموضوع فيها هو القيم والمثل والأخلاق؛ ومن تابع أدلة الكاتب في هذا الاتجاه عجب لوعي الفيلسوف الليبرالي الغربي على هذه المسألة، وعندنا أقزام لا يرون في حياتنا ما يستحق الإشادة.

هذا الضعف الذي يعيشه المسلم، وهذا الرعب الذي يعيشه المشرع الغربي من قيم الإسلام= يهديك إلى لب القضية، وهي الصراع بين جنود الله وجنود إبليس، وأن الموضوع صراع إيمان ضد كفر.

لا يعنيني توجيه الكاتب، ولا مراده في البحث، وهو تلميذ إدوارد سعيد، لكن يهمني دائماً كيف أرى ما وراء القضية مما يخدم قرآني ومعركتي.

بعد أحداث أيلول كان سعار السياسيين كطوني بلير: إن المسلمين يكرهون قيمكم، وإن هؤلاء الجهاديين يبغضون مُثل الغرب، وهذا دافعهم لمهاجمتنا! وقد وقع بعض المسلمين في إسار الرد على هذه التهمة، وذلك بالطعن فيها، ومعهم حق في توصيف زمن المنازلة، ذلك بأننا في جهاد دفع، فوصفه غير ما يقولون، ولكن فهم الفيلسوف الغربي لحالة العداء بيننا وبينهم أجلى في وصف القضية، وهي صراع القيم والمثل، ولهذا يتحقق معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا).

طريقة القراءة مهمة، وهي في جوهرها تقوم على القراءة الشاملة، لكنها حين التوظيف يقع التجزئة، وهو ما يصلح هنا لتقريب الموضوع؛ فهذه نقطة جوهرية في توظيف هذا الكتاب في قضية الصراع بيننا وبين الغرب، إذ أن بعض مفكري الغرب يرى أن موضوع صراع القيم وهم، وكذلك يقول بعض ما عندنا، ويمثل لهم بالغرب باليساري فريد هاليداي، وقد كان مسعوراً في تكريس هذه النظرة، كما نرى سعار بعض ما عندنا لهذا المقصد، لكن لا بد من قراءة عميقة ليقع الفهم على جهة صحيحة.

هناك كلمة يسيرة، لكنها مهمة في طريقة قراءة هذه الكتب، إذ البعض ينفر من ضخامتها، ومعهم حق، ذلك لأن داخل الكتاب لا يعدو شرحاً قد يصل إلى الملل لما قاله الكاتب في المقدمة، فيكفيك النظر في جوانبه التي

تتعلمها من خلال قراءتك لهذه الكتب، وهي طريقة لا تعرف بالتنبيه بل بالممارسة، فعليك بتعلمها تعباً في الابتداء ثم يسهل عليك الأمر، وتجني خيرات القراءة.

كليمة في كتاب (٦٠):

الحلولية ووحدة الوجود

للدكتورة هبة رؤوف عوف

[٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٩ — ٢٧ ربيع الأول ١٤٤١]

رؤية الدكتورة هبة رؤوف عزت في مشروع الدكتور المسيري

الكلام في مقدمة كتاب "الحلولية ووحدة الوجود" للدكتورة هبة، والكلام في مشروع الدكتور عبد الوهاب المسيري طويل جداً كطول ذنب درب التبانة وهي تسرح في الفضاء رامية وراءها الكثير من أجزائها؛ لكن ها هنا نقطة تتعلق بها وبغيرها ممن يتحدث نفس الحديث، وفي إطار مقولة الثقافة الإنسانية وموضع الإسلام منها، فهي تقول في مدح مشروع الدكتور المسيري في مقدمة الكتاب (ص١٠): ويمكن اعتبار هذا الكتاب إضافة جديدة إلى الموضوع الذي نراه الخيط الناظم في فكر المسيري، وهو السعي لبناء رؤية إنسانية عالمية من منطلق عقيدة التوحيد كإطار معرفي يدور حول مكانة الإنسان في العالم، حتى وإن لم يستخدم المسيري المفاهيم المألوفة، أو يفرط في الاستشهاد بالآيات والأحاديث، والإحالة على أقوال الفقهاء.

ثم تتابع الشرح والتفصيل، ولا بد من عودة القارئ للمقدمة كلها لتتم له المعرفة المطلوبة لفكرتها.

أولاً: فهذا كلام ممتع حقاً، والكلام الممتع ذهنياً -بحسب تجربتي مع الفكر والكلام- يكون أقل فاعلية؛ وهذه نظرة صنعت عندي الخوف من الكلمات الكبيرة، فما يهمني الواقع والحقيقة، ولذلك حيث جاءت الكلمات الممتعة تحسست عقلي جيداً وبكثرة.

تحول الخطاب الفقهي التقليدي، والمتعلق بالحق والباطل، والإسلام والكفر، والحلال والحرام= إلى كلام فكر، وتفكر، وحديث وحديث مضاد، وتأمل وتنوع، وتتمة، وتشارك، واجتماع يثير كوامن التعاطف والقبول.

تأمل هذه الكلمات الرنانة: رؤية إنسانية عالمية من منطلق عقيدة التوحيد كإطار معرفي يدور حول مكانة الإنسان في العالم!.

السر كله يكمن في كلمة (إطار معرفي) يترتب عليه سلوك وموقف واعتقاد، به يتم تجريد الموقف الديني من أركانه، كالولاء والبراء والحب والبغض، وحكم الضلال والهدى، واعتقاد مأوى النار والجنة لحكم الكلمات المقولة.

أنا أفهم تماماً مذاق هذه الدعوة الجميلة، فهي دعوة في نفوس أصحابها تحمل ذوق الكلمات الكبيرة والطرح العقلي المجرد، وربما يلقى عليها غلال نقالة تطوير الخطاب الديني، وجوهره تطوير المفاهيم لا أسلوب الكلام، وهذا يلاقي لدى الكثيرين قبولاً ورغبة واستماعاً؛ لأن هذه النفوس لا تحسن استماع كلمات الخطاب الفقهي والعقدي، المملوء بالأمر والموقف والعمل والسلوك، وهو في جوهره يصنع المواقف، وبصراحة يصنع الخصومة، على قاعدة القرآن: (هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ).

نعم، من الخير والعلم تحقق معاني القرآن للمفاهيم، والأسئلة الكبرى، الفلسفية وغيرها، ولكن هذا سبيل وواسطة لتحقق العبودية على ما يقوله الفقه والاعتقاد، لا لمجرد الطرح المعرفي المجرد والذهني الذي به يتحقق الخلاف المعرفي الذهني المجرد.

هنا بوصف المواقف فلا جدال أن فقه السلف أعظم، وخطابهم أسد، ومواقفهم تحقق العبودية، فلهم فضل لا يبلغه خطاب آخر؛ فحين تمتع نفسك ذهنياً في جواب سؤال عن أمر ما، فالموقف الديني يسير بعدها لكلمة أخرى وموقف متقدم وهو: كم ازددت عبودية لله؟ يعني كم سبحت ذاكراً، وكم حمدت شاكراً، وكم تلوت بعدها آية متفكراً، وكم قرأت حديثاً مجتهداً في فهم معناه.. وهكذا تكون الكلمة مهدية؛ فإن لم تصنع شيئاً من ذلك وما كان في معناه فالقضية لا تعدو سماع نشيد أطربك فقط، ثم خملت عينك، وتبددت إرادتك لفعل لا تعبد فيه.

الدين موقف ودعوة، لأن شأنه يتعلق بمصير عظيم، إما جنة وإما نار؛ فهو لا يحتمل تهويناً، وتلون الخطاب مهما كان جميلاً ليخرج عن هذه القيمة هو ضار ومرفوض؛ فنحن لسنا في مساق عرض لأفكار ولكن في مساق الدعوة إلى الله وإبطال الأديان كلها إلا دين الإسلام، وخسف القدوة إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ وهذا خطاب الفقه والعقيدة، وهو الحق، وحين نحتج بالعقل لنصل إلى خطاب القرآن والسنة، لا للوقوف على الأطلال المعرفية المجردة.

الأفكار عقائد، فهي دين المرء، والأديان تحمل حكم الإيمان وذلك لدين واحد هو الإسلام، وحكم الكفر

لكل دين آخر، وحين تعرض فإنها تعرض في سياقات الإبطال من جهة العقل الفطري، ليصل الأمر إلى جهة الإبطال الديني، والذي يترتب عليه الحكم.

المشكلة في بعضهم أنه يقف حول حوار الفكر، بل يراه نهاية المطلب، ويقع في دوامة تحسين هذا الاتجاه في تقبيح موقف الفقيه والعقائدي، وهذا هو المحذور الشديد، والخطأ الجسيم، بل يقدم موقفه مستهزئاً بموقف الحكم الشرعي في تسمية العقائد (الأفكار) بالكفر والزندقة، والأفعال بالحرام والحلال.

نحن في عرضنا لما قاله القرآن والسنة لا نعرض فكراً إنسانياً، بل نقدم ديناً فيه سعادة الدنيا والآخرة.

قد يقول قائل: هذا الطرح الإنساني لا يتناقض مع الموقف الشرعي. فأقول: للأسف جعلوه (الطرح الفكري الإنساني) أفضل، وزينوه، حتى صار هو الجمال كله، والذكاء كله، وصار كلام الفقيه متخلفاً قديم الصنعة، لا يصلح في عالم الفكر والحوار الراقي، ولهذا الخطر نحذر .

وبقي الكثير من الكلام في هذا الباب، ويكفيك ما يفتح لك النظر والتفكر.

كليمة في كتب (٦١):

كتب توشيهيكو إيزوتسو عن القرآن

للكاتب الياباني توشيهيكو إيزوتسو

ترجمة: الدكتور عيسى العاكوب

[٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٩ – ٢٩ ربيع الأول ١٤٤١]

بين محمد شحرور وتوشيهيكو إيزوتسو

إيزوتسو كاتب ياباني توفي سنة ١٩٩٣ ميلادية، كتب كتباً عدة عن القرآن، وافتتح مشروعه بكتاب سماه: "بين الله والإنسان في القرآن، دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم"، وكتبه بالإنجليزية، وأصله مجموعة محاضرات كما ذكر المؤلف، ثم صيغ في كتاب بعد تعديلات وزيادات.

ثم تتابعت كتبه في نفس الاتجاه؛ فكان الثاني: "المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن"، والثالث: "مفهوم الإيمان في علم الكلام الإسلامي، تحليل دلالي للإيمان والإسلام".

وكلها بترجمة الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب.

وللمؤلف رسائل أخرى في هذا الاتجاه، كتبت باليابانية.

كُتب في هذه الكتب بعض مقالات، ونوقشت بعض نقاشات، وكلها مهمة، وفيها فوائد، ولكن بقي الكثير مما يقال فيها.

وهذه الكتب كما يرى الناظر في عنوانينها، وهي معبرة عما فيها، تبحث في علم الدلالة، وهو يعني علم المعنى، وكيف تتطور دلالات الألفاظ من حقل إلى حقل، ومن زمان إلى زمان.

وهو علم إسلامي بحت، وأعتب على من قال من الناظرين إلى هذا الكتاب وغيره أن المؤلف يدلنا على هذا

العلم، أو أنه يتكلم عن علم جديد خلت منه كتب أسلافنا؛ ولو أردت رداً طويلاً على هذا القول لفعلت، لكن أحيل المتسرع لكتاب الرافعي "تاريخ آداب العرب"، فلينظر في أول بحث فيه، والذي يدور حول حقول كلمة (أدب)، وكيف تطورت، وكيف استخدمت، وكيف بقي ارتباطها بأصلها في كتب المعاجم، مع كل تنوعات استخدامها.

وهذا البحث من الرافعي نموذج لكل دراسات المتقدمين حول هذا الباب، لكن الرافعي فصل؛ لأنه يتحدث معنا نحن العجم، والسابقون نفثوا نفثات سريعة تدل على مرادهم، تاركين الكثير لعلم رجال أزمانهم الكبار.

الكاتب الياباني عبقري حقاً، وذكي جداً، وهو بما أتقن من لغات كثيرة جداً تدل على عقله وإرادته لا بد أنه اكتشف في اللغات هذا السر، وهو أن اللغات ثقافة، وهي فوق اللفظ، بل تسير مع المتكلم سيراً حاوياً في كل مرحلة دلالات جديدة، ولما كان القرآن عظيماً في المعاني، فقد سار باللفظ العربي إلى حقول معرفية فوق ما عليه أصل اللفظ، مع بقاء ارتباطه به، بل كيف تسير الألفاظ إلى غيرها بعد أن تكون واسطة مثقلة بحمل جديد.

وكأني بإيزوتسو ينبه كل أمم الأرض من غير العرب أن فهم القرآن على الوجه الصحيح خاص بالعربي، لأنه هو من سار مع القرآن هذا السير باتجاهيه: تطور دلالة اللفظ، وجعل اللفظ واسطة للفظ آخر أعمق منه دلالة على المراد، وهو نتيجة الأول كذلك.

الكتاب الأول لإيزوتسو يتحدث عن كلمات كثيرة، لكن أهمها الكلام عن أعرف المعارف، وهو الله، وكيف كانت دلالة هذا الاسم قبل القرآن ومع القرآن، مع تعريجه على قضايا أخرى في هذا الاتجاه.

هذا أمر يعرفه كل من قرأ كتب إيزوتسو، وهو يراه منصفاً، ذكياً، أميناً جداً في سيره ونتائجه، وبعض تلاميذه يجزم أنه أسلم، ولا يستطيع المسلم إلا أن يرى صدق الرجل وهو يمشي الهوينى في عرض قضيته.

القضية هي علم الدلالة، وهي قضية المفسر الأولى، وباب فهم القرآن الكريم هو هذا العلم، وكل انحراف في ذلك يعود على التأويل بالفساد، فجهل العبد بكلمة الإيمان ودلالتها أو كلمة الكفر ودلالتها يعني انحراف في فهم القرآن، ومن العلم ربط دلالة الكلمة بأمرين: الأصل اللغوي، وفهم الشرح لها، من خلال تفصيلات القرآن والسنة لذلك، والثاني هو المهم.

الكاتب مشغوف بتاريخ الكلمة وتحولاتها من الأصل إلى الاصطلاح، وقد أصاب.

هذا رجل ياباني يحترم عقله، وأمين على العلم والكلمة، ما إن تقرؤه حتى يقفز في ذهنك ما يقابله، وأصرح القوم في هذه المقابلة الضدية هو محمد شحرور، فكتابه "الكتاب والقرآن" هو بحث في علم الدلالة لهذين الكلمتين وغيرهما مما يعرفه القارئ، وما أن تدخل في طريقه لترى سيره حتى تدرك أنك أمام مشعوذ يسير في سراديب الخيانة والمخاتلة والفساد.

هو نموذج لخيانة الكلمة، وسوء القصد، يرتشف الرحيق ليرجعه سماً قذراً، ويحتز من دلالة الكلمات معاني سوقية لا تلتزم بعلم ولا منهج، بل هي الكذب والفساد.

أرجو من طالب العلم أن يقرأ كتاب إيزوتسو الياباني، والذي تعلم العربية، فهي ليست لغة رضاعته، ومع ذلك يقدم لك غذاءً نظيفاً، صادقاً، يلتزم بأخلاق العلم، ومنهج البحث الأمين، يتحقق به (**يحذيك أو تشم منه ريحاً طيبة**) ثم يعرج على شحرور ليرى ما يحقق (**يحرق ثيابك أو تشم منه ريحاً خبيثاً**).

ولله في خلقه شؤون.

كليمة، وهي هدية لصديق وأخ عرفني بهذا الكاتب الياباني، وأهداني كتبه.

كليمة في كتاب (٦٢):

الدواهي المدهية للفرق المحمية

للعلامة جعفر بن إدريس الكتاني الحسني (١٢٤٦ – ١٣٢٣)

[٢٩ كانون الأول ٢٠١٩ – ٣ جمادى الأولى ١٤٤١]

هذا كتاب كما يقول عنوانه الفرعي، والذي وضعه المحقق: في الولاء والبراء.

ويقصد بالفرق المحمية، أي التي خضعت لحماية الكفار المستعمرين لبلاد المسلمين وخاصة في المغرب الإسلامي؛ من أخذ جنسياتهم، أو العمل تحت سلطانهم بما يقويهم وينصرهم.

والكتاب مهم جداً، وفي كل وقت، ويزداد الاهتمام به في كل موقعة يقع فيها الإخلال بهذه العقيدة الربانية، عقيدة الولاء والبراء، والتي أسها هجر الكفر وأهله، ومحبة الإسلام وأهله، ولا قيد لها كما يقول المؤلف رحمه الله تعالى: إذ حاصله مقاطعة الكفار من جميع الوجوه، ومباينتهم في كل الأحوال، فلا مواصلة بيننا وبينهم قط.

وهو يجعل الكتاب كله شرحاً لهذه المقولة التي افتتح بها كتابه.

وهذا التصنيف مهم لطلبة العلم ودارسي تاريخ العلم والعلماء في أمتنا، كما هو مهم في رصد طرق أهل العلم في التصنيف والكتابة.

نحتاج هذا الكتاب وأمثاله في كل ظروف معركتنا العظيمة ضد غير المسلمين، وخاصة القذرين منهم من مستعمرين وخونة، وفي كل عيد لهم يسوق فيه محبة وولاء غير المسلمين.

نحتاج هذا الكتاب ليعرف شباب الإسلام أن حديث التوحيد وتفصيلاته في العصور المتأخرة لم يكن قاصراً على فرقة مسلمة دون بقية طوائف أهل السنة في المشرق والمغرب؛ ففقهاء المذاهب العظماء تكلموا عن التوحيد وفسروا أمره وواقعه، ولم يخلُ مذهب من هذا الحديث وهذا التفصيل؛ فلا يربط التوحيد بواحدة دون البقية كما يسوق بعضهم، فهذا عالم مالكي يقول في هذا الباب من الكلام العظيم، ومن كتب المذاهب، ليشرح هذه القضية التوحيدية العظيمة، وهي ميزة لهذا الكتاب، من نقله المتسع الكثير من كل الكتب، حتى كتب الأذكار، والتواريخ،

وغيرها، مما يدل على استحضار عظيم لمواطن العلم في هذه الكتب، والتي تكاد اليوم لا تعرف ومهجورة، لاقتصار الطلبة على نوع معين من الكتب، أو على مدرسة واحدة.

ولذلك فليس البراء من الكفرة خاص بجماعة، بل هو خصيصة لأهل الإسلام كلهم على مختلف مدارسهم الفقهية، وكذلك التربوية، وأهل الشر يظنون أنه بنشر كتب فقهاء المذاهب الأربعة يطمسون فقه الولاء والجهاد، هذا ظنهم وجهلهم، فبئس ما ظنوا.

كما أن هذا الكتاب يعرف المؤرخ مواقف العلماء الذين وقفوا لنصرة الدين، فلم تخلُ نازلة من قائم لله بالحق وللحق، يجهلهم من يجهلهم ويعرفهم من يعرفهم.

والحق أنه في تاريخنا الإسلامي العظيم، فإنه كان لأهل المغرب الإسلامي من علماء المالكية من مواقف الشهادة والجهاد، فمن درس سيرتهم في جهادهم ضد الباطنيين الإسماعيلية وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يرى العجب العجاب من ذلك، وهكذا كان أحفادهم عند هجوم الكفر الشمالي على المغرب الإسلامي.

طريقة المصنف في كتابة هذا الكتاب هي طريقة المتأخرين في هذا الباب، وهي طريقة تجمع فقه الدليل وفقه المذاهب، واستقصاء الأقوال السابقة في الباب، وهي طريقة كثرت في كتب المالكية، وتجد مثيلاتها عند فقهاء القارة الهندية كذلك.

يبدأ المصنف بذكر الآيات والأحاديث في الباب، مع تفسيرها وشروحها ما قيل، وخلال هذا التفسير والشرح يكثر نقل أقوال أهل العلم، والأخبار والتواريخ؛ مما يشكل موسوعة تكاد تكتمل في الباب.

وهذا الكتاب تكاد تعجب من كثرة النقل فيه، حتى لا تحتاج لغيره.

وكما تقدم؛ فهو يعرفك بكتب غائبة لا تكاد تعرف، ومن خصائصه تعريفك بكتب مغربية عظيمة، تتشوق لها.

كما أن فيه جمهرة واسعة من الفتاوى، والقول في النوازل، وهو فقه يكاد المالكية يستحوذون على قمته ورعته، وفي ذلك كتب كثيرة لجماعتهم.

من يقرأ هذا الكتاب يعلم معنى ولاية الله، ومحبة الدين، وتعظيم الشرع، ثم هو يتفكر ما آل إليه الحال من أهل

الفتوى، وما أصاب الناس من هوان بترك شعيرة توحيد الولاء والبراء.

كليمة في كتاب (٦٣):

وقفات هادئة مع فتوى إباحة القروض الربوية لتمويل شراء المساكن في المجتمعات الغربية

للدكتور صلاح الصاوي

[٣٠ كانون الأول ٢٠١٩ – ٤ جمادى الأولى ١٤٤١]

في الصغر كنا نظن أن الكبار عندما يجلسون فهم يتحدثون كلاماً عظيماً، وما يخرج من قرارات إنما تكون بعد عمق نظر وبحث وإعمال عقول.

وكانت الألقاب تفهم عندي (هكذا فهمت) أنها حقيقة، حتى إني كنت أمر على دكان يبيع صاحبها اللحم، وعلى بابها عنوان كبير: ملحمة النصر، فأبقى زماناً وأنا أفكر متسائلاً: ما هو النصر الذي صنعه صاحب المحل ليستحق هذا اللقب؟!.

كنت أفهم أن كل كلمة هي حقيقة، لا مجرد شعار، وكل لقب يطلق فهو عن استحقاق؛ فإذا قيل لنا في الأخبار: اجتمع الرؤساء وقرروا، فهذا يعني حقاً أنهم قرروا، وسيكون العمل كله لما قرروا، وهم لم يقرروا إلا بعد أن فكروا، وبذلوا الوسع لذلك؛ وكنت أفهم أن العلماء سادة الحكام، فكلمة عالم عندي كبيرة جداً.. هكذا بدأت الأمور عندي، وربما عند الكثيرين معي.

ثم بدأت الانهيارات لهذه كله، لبنة لبنة، وانتهت تلك الأوهام كلها، وصار من أحب القراءات لي أن أكتشف أن هذا الضاحك في الصورة قد مات منتحراً حزيناً، وأن هذا الثري لا يجد صديقاً وفياً، وأن هذا الاجتماع بعد طرد الصحفيين تحول لسيرك من النذالة والسباب وسوء الألفاظ.. وهكذا تعاظمت عندي صورة السلف للحقائق عندهم، وانهارت أكاذيب زماننا، ولم يبق فيها من الحقائق إلا القليل من الدعاة والمجاهدين والعلماء.

الاجتماعات أكاذيب، والخطب أكاذيب، والصور خادعة مزورة، والبسمات لا تعبر عن شيء؛ فهذا توني بلير يبتسم مع نائبه جوردان براون عشر سنين أمام الكاميرات ثم يتبين أنه خلال هذه المدة لم يتكلم أحدهما مع الآخر،

للخصومة الشديدة بينهما.

وسقطت الألقاب، فلا كلمة (سماحة) ولا كلمة (فضيلة) بنافعة لرفع جهالة الرجل، إذ قد لا يتقن هذا صلاته، أو لا تعرف عنه تقوى.

حتى جلسات القضاء والمحاكم أكاذيب، فهي مجرد ديكور؛ فلا القاضي يسمع، ولا هو يقرر، بل هناك مطبخ آخر يقوم بهذه المهمة، والحوادث كثيرة لإثبات ذلك.

هذا الكتاب للدكتور صلاح الصاوي يكشف لك أيها القاريء خدعة التجمعات العلمية المشيخية، فحين تسمع كلمة: قرر مجمع ما، فلا تظن أن الجماعة تعبوا في البحث، وقاموا الليل وقد استخاروا الله في المسائل، وتناقشوا نقاش الفقهاء، بل الأمر في الكثير منها غير ذلك.

لعلي ذكرت هذه القصة من قبل، وقد ذكرها لي الشيخ الدكتور أبو المنتصر البلوشي، وهو مهتم -كما هو معلوم- بقضية أهل السنة في إيران، فكان إذا سمع بتجمع علماء حمل صوره ونشراته وذهب إليها، وهو نشيط نشاطاً طيباً في عمله كما خبرته، فكان أن حضر جماعة من الشيوخ الى لندن لأمر ما، فذهب إليهم حاملاً صوره وعارضاتها، فطلب منهم الإذن ليشرح، فأذن له، فبينما هو يتحدث وإذا هناك حوار جارٍ بين سماحتين! يتحادثان عن طعم سمك الفندق الرائع في الليلة السالفة!.

فلا صور القتلى ولا أخبار الدماء تهمهم، ولا حال المسلمين يشغلهم، إذ المهم: طعام السمك وأشياء أخرى.

لا يهمك من هذا الكتاب إن لم تكن معنياً بما ناقشه الدكتور الصاوي من الفتوى الجاهلة بما يسمى حل (الموركج)، وهي فتوى أتوها من كل جانب لتكتسب صفة التجويز، بتلعب وتلفيق، لكن ما يهمني ما شرحه الدكتور الصاوي من لعب كواليس التجمعات، وإصدار القرارات الجماعية بالكذب والتزوير.

هذا الكتاب قدم له الشيخ الدكتور علي السالوس، بل نشره كذلك في كتابه الذي سماه "فقه البيع والاستيثاق والتطبيق المعاصر"، فيه تم نشر مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، وقد ذكر ما عرض به الدكتور الصاوي من تجاوزات! إجرائية أثناء استصدار الفتوى، حتى إنه لما وقع تزوير القول صرخ الدكتور وهبة الزحيلي باكياً: لنا معكم موقف يوم القيامة!.

انظر إلى هذا الاسم جيداً، ثم انظر كيف صدرت الفتوى تلك، تعلم ما تقدم ذكره، وأن المصيبة قد وصلت إلى العمق.

الاسم هو: المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ومؤتمر علماء الشريعة بأمريكا الشمالية!

الفتوى صدرت بهذا الكلام: نظر المجلس في القضية! ثم ناقشها!.

والموضوع لا نظر ولا ناقش، بل هو تمرير لقول الزور.

تحتاج قراءة الكتاب لتعلم كيف نظر وناقش!.

كم من هذا الصنيع قد وقع، والقوم سكوت، ولو كان وراء هذه الفتوى من سلاح وجيش ما علمنا كيف يقع التزوير.

إضاءة: بعض الأفاضل علق متألماً على انضمام (شبه) لمجلس علماء، وهو لا في العير ولا النفير، وليس العجب من انضمامه، ولكن العجب أن يتعجب من ذلك.

كليمة في كتاب (٦٤):

نمط صعب ونمط مخيف

للأستاذ الكبير محمود محمد شاكر

[٣١ كانون الأول ٢٠١٩ – ٥ جمادى الأولى ١٤٤١]

ما كنت لأجرؤ هذه الجرأة بأن أضع هذا الكتاب ضمن سلسلة (كليمة في كتاب) لولا توريط صاحب لي في ذلك، بأن أكثر الطلب، وألح ونازع؛ ذلك لأن هذا الكتاب فوق الكتب، فماذا ستقول عنه كلمات، والأمر هنا أمر كليمة فقط، كليمة فقيرة عاجزة، لا تملك أدوات صعود هذا الجبل، بنمطه الصعب ونمطه المخيف؟!!

يستطيع قارئ كتب شاكر القول بلا تردد أن هذا من أفضل كتب الأستاذ في كشف منهجه، وكشف نفسه، وكشف قدرته، مع أن العارفين بالأستاذ يجزمون أنه كان أكبر بكثير مما كتب.

والحق أن هذه الكلمة صادقة على كل علماء الإسلام، فليس هناك من كتاب لعالم ولا كل كتب هذا العالم محيطة بعقل وعلم هذا الرجل، لكنها ولا شك تكشف الكثير من علمه ومنهجه وعقله، بل ربما الورقات القليلة لتدل على هذا كله، وتبين عن معدنه وثرائه.

ابتداءً؛ فكتب الأستاذ لم تنشأ برغبة له أن يكتب كتاباً إلا كتابه "المتنبي"، وإلا فكل ما كتب هي مجرد لحظات غضب من الشيخ ينفس فيها عن علمه ونفسه وعقله، حتى تلك المقدمات التي أبدع فيها، وهي أكثر ما أنتج في باب الكتابة، فهي مجرد تعبير سريع عن معانٍ كبيرة في نفسه لا ينفع معها إلا الاندفاع المتوالي بالتقسيط لتبلغ مداها، فإن جاءت على دفعة واحدة لم تكن إلا سريعة قصيرة، ولذلك فكتبه -إلا "المتنبي"- هي دفعات من هذا النوع المتوالي الذي يتم على وجه التقسيط حلقة حلقة، ومنها هذا الكتاب.

الأستاذ يحتاج لمحرض عالي الضغط ليستجيب خارجاً من عزلته، فهو عاشق للمعاني وهو يجنيها، ولحالة نفسية خاصة، وزهد بهذا الزمن الذي لا يرى نفسه ابناً له، لا يأنس للعطاء على طريقة الكتب كما صنع غيره، وهي حقاً ليست مما يمدح الأستاذ فيه، وكل أعذاره التي قدمها في كتبه ليست ذي شأن وقيمة، وكأنه كان يعلم هذا؛

فكم تحدث عن نفسه وكأنه يعتذر، وأنت الذكي فإياك أن توافقه وهو يطيل الكلام عن نفسه في كل موطن، ثم يخبرك أو يخبرك قبل هذا أنه لا يحب الحديث عن نفسه، فالأستاذ مغرم بشرح نفسه، حتى خطراتها الخفية.

قلت: إن الأستاذ يحتاج لمحرض عالي الضغط جداً لينشط، فكانت مقالاته وكتبه على هذا المعنى ردود فعل لفعل خارجي، وكأنه لا يحس بحاجة داخلية عنده ليكتب. ولعلي أقول هنا كلمة عن تجربة: إن بعض الناس إذا تكلم عن موضوع وشرحه فهو من أبعد الناس همة بعد ذلك أن يكتب فيه، وأظن الأستاذ من هذا النوع، هذا مع علمي بقوله إنه لم يتعود الوقوف ليتكلم، بل تعود أن يجلس ويكتب، ولكن هنا الحديث عن حديث داخلي مع الإخوان والخلان، وهو حديث يحمل دوماً النقد والغضب والإنكار، فهو إن خرج منه شيء لا يقدر أن يعيد إخراجه مرة أخرى، وقد رأينا هذا في تصلبه في منع طباعة ما كتب من حلقات "أباطيل وأسمار"، كما كتب ذلك.

يا لطول الحديث عن هذا الرجل، فلم أر معاصراً مثله ترك الناس ليقولوا فيه بلا سكوت ولا انتهاء.

لنهرب من الحديث عن الأستاذ، شادين الخطا لكتابه، لنستطلع المنهج فيه:

يحيى حقي صاحب "القنديل" صديق الأستاذ، وعاش معه في بيته زمناً طويلاً، قرأ كلاماً للشاعر الألماني الكبير جوته، يشيد فيه بقصيدة جاهلية مشهورة في حماسة أبي تمام الكبرى، منسوبة للشاعر تأبط شراً، الاسم المخيف كما يقول شاكر، فتساءل حقي أسئلة حيرة دارت حول القصيدة، وقد ترجم جوته القصيدة، ثم ترجمت هذه الترجمة إلى العربية، فهي ترجمة الترجمة، ومن تلك الأسئلة التي سألها حقي: ما سر اهتزاز جوته لهذه القصيدة؟ يخفي هذا السؤال تحت تساؤل يجعل النظر للترجمة هذه داعية بحث حول جمالها الذي لا يبصره المعاصر لو قرأ القصيدة بلغة صاحبها!.

هذا كلام فجر الألم في نفس شاكر، وأنا أجزم أنه لولا أن ليحيى صداقة معه لأقام له سيركاً من الهجو كسيرك لويس عوض في "أباطيل وأسمار"، ولكن جعل الأستاذ يطنب في اللف والدوران حول كلام يحيى، زاعماً عدم وضوحه، والحق أن كلام يحيى بين وظاهر.

شعر شاكر أن يحيى يستفزه لهذا الأمر، ليقول بعض ما يعلمه عنه من بصره بالشعر الجاهلي، وقد اعترف يحيى أن لشاكر الفضل عليه في فهم لغة الشعر العربي.

لا ينكر الناظر أن شاكر (سلخ) يحيى سلخاً شديداً، لكن بخفاء وذكاء، وشاكر سيد هذا الفن بلا منافسة.

المهم يا سادة: وقع شاكر في فخ يحيى، فتكلم وكتب حول هذه القصيدة.

هذا هو الظاهر.. وأما الباطن؛ فقد كتب شاكر تحت هذا العنوان: "نمط صعب ونمط مخيف" منهجاً سامقاً في دراسة الشعر الجاهلي، وأفاض كثيراً، وظني أنه لم يبق في نفسه شيء حول منهج التذوق (الدراسة) للشعر الحاهلي إلا قاله هنا، فأسهب بلا تخوف من ملال، وشرح ولم يخش تنمر قارئ عليه أنه لم يفهم، لأن لغته وحديثه دلّا على أنه خاطب الأساتذة فقط، من شعراء ونقاد، ولذلك لم ينزل قط لا في لغته ولا في موضوعه.

كتب حتى استوت عنده سبع حلقات أكملت كتاباً هو أفضل كتب شاكر، وأعظمها، وأبسطها لمنهج شاكر مع الشعر الجاهلي بل الشعر كله.

شاكر تعرفه في هذا الباب من أول كتاب له، وهو "المتنبي"، يذهب إلى النقد الداخلي (يسميه تذوقاً، وإياك أن تخلط هذا المصطلح بما يقوله الآخرون عن التذوق، والذي يأتي على معنى إحساس الجمال والحسن، فليس هذا مقصده هنا) ومن خلال التدسس الجاسوسي الخبير تحت الكلمات يستطلع نفس وحياة وآلام وأنعام الشاعر، وهو يذهب أبعد من اللغة؛ لأن الشعر أبعد منها، فهي وإن كانت مادته لكنه فوقها بكثير، وهو لا يكتفي بالنقد الداخلي على طريقة من التخصص والدهاء والإبهار، بل يذهب للتاريخ، يستنطق رقمه العادية، وحجارته التي أعمل فيها الزمن جرائمه، هذا ليقول لك أجوبة الأسئلة التي تنشأ عند الناظرين، فالذي استنطق شعر المتنبي حتى أقام وجهته على علوية الشاعر وحبه لأخت سيف الدولة، ثم تظهر الرقم العادية صدق الأولى لتبقى الثانية محل تساؤل يجعل مصطفى صادق الرافعي يسمي هذا الخلاف علامة على الإبداع.

وهنا يبدأ الحديث حول صاحب القصيدة، من هو؟ حتى كأنك أمام محقق يكشف خطرات النفوس وتلفت العيون، ويرسل بصره تحت كل كلمة وورقة، ليصل إلى قرار لا ينفعك أن تعرفه بمقدار معرفتك منهج البحث نفسه للوصول إليه.

لم يكن يعنيني يوماً قرارات شاكر حول أي قضية، بل منذ عرفته من خلال "أباطيل وأسمار" وأنا أتطلع لمنهجه، فهو ما يستحق الاعتناء.

شاكر هنا هو نفسه وهو يستطلع خبر دير الفاروس في "أباطيل وأسمار"، وهو شاكر الذي تربى على منهج

النقد الحديثي مع "تفسير الطبري"، وهو نفسه وهو يكشف معلقاً على "مختصر تفسير ابن كثير" حول كلمة: كفر دون كفر.

شاكر رجل واحد، لأن منهج العلم في النقد يلتقي في الأصول.

يمضي شاكر حول مطالب القصيدة، ويجيب على أسئلة يحيى وغيره، وعلى أسئلة نفسه، كان أعظم ما فيها هو تفسير كلمة نمط صعب والتي قالها البكري واصفاً بحر المديد، فما هو وجهها، وهنا يلقي الأستاذ رحاله ليصنع ملحمة علم عجيبة، يقاتل فيها الكبار، ليصل إلى معنى خاص رائع لا ينفعك قط أن تعرفه موصوفاً دون أن تراه بنفسك.

يناقش الأستاذ رحمه الله مقالات عدة حول الشعر، منها عدم وحدة القصيدة، وهي قضية مهمة، يفتح لك في نقاشه معالم علم المناسبة، والذي هو عند أهل الإسلام خاص بأهل التفسير، لكنك تراه بلا عنوان هنا مع القصيدة الجاهلية، ذلك لأن اللغة ومنهجها واحد.

مع الشعر المنحول وقضيته يأتيك من الأستاذ نفحات منهج راسخ، لو استنطقتها لعلمت أن مقاله في هذا الباب هو سر معرفة العربي للقرآن أنه كلام الله؛ ذلك لأن الكلام سر عظيم، وأهم معالم عظمته أنه إبانة عن نفس، فمن الكلام تعرف صفة قائله، وهذا العربي عرف نفس الرب في كلامه، حتى قال عن غيره كما هو مشهور عن الصديق: **هذا كلام لا يخرج من إل**؛ أي إله، وهاهنا يقول شاكر كلمته أنه لا يحق لأحد القول في هذا الباب حتى يصل إلى مرتبة تذوق كلام عن كلام، أي نفس عن نفس، لتعرف من قاله، وما المنحول وما الصادق.

لو تأملت هذا المنهج على هذا المعنى لعلمت أنه ذات منهج النقد الحديثي، لوصول أهل العلل فيه تذوق الكلام النبوي الشريف عن غيره، فبذلك نطقت علومهم بعد هذا التذوق.

لم أرد من من كلمتي هذه إلا الرمز فقط، فهذا ما علي، لأسوقك لهذا الكتاب سعياً يليق بمحب العلم والعلماء، ولذلك أختم لك بهذه الكلمة:

عرف الناس شاكراً شاعراً في بعض قصائده، وإن لم يكن من عبيد الشعر كما يسمون، فكتب قصيدته الرائعة "القوس العذراء"، معارضاً بها قصيدة الصحابي الجليل الشماخ بن ضرار رضي الله عنه، ولكن هل كان شاكر عالماً بنفس الشاعر؟

وجد في تاريخنا من نقد الشعر، ولم يكن شاعراً، حتى قيل لابن المقفع: تنقد الشعر ولا تكتبه؟! فقال: أنا كالمبرد، أحد ولا أقطع.

لكن هذا التدسس من شاكر حول بناء القصيدة حتى تكون، وكيف تنشأ حتى تستوي، يعرفك أنه صاحب وقوف على معاني النفس البشرية، وقد كتب في هذا الكتاب كلاماً غائراً في الكشف، ذاهباً لنفسه هو، ليجعل ما يعانيه صورة لمعاناة كل شاعر، وبهذا تعرف لشاكر قيمته، رحمه الله.

لم أكن يوماً شاعراً أن ما قلته هو أضعف وأسوأ ما عندي كما هو اليوم الذي أكتب هذا الكلام في حق كتاب شاكر، ولولا ملامة صديق وتقريعه لما جرؤت هذه الجرأة أن أكتب عن محمود شاكر تحت باب: (كليمة في كتاب)، لكنها الحياة وأقدارها، والله يغفر لي.

كليمة في كتاب (٦٥):

كنوز الأجداد

للأستاذ محمد كرد علي

[١ كانون الثاني ٢٠٢٠ - ٦ جمادى الأولى ١٤٤١]

يحسن ببعض الكبار أن يكتبوا كتباً تحت عنوان: هؤلاء تعلمت منهم، أو: هؤلاء أفادوني، أو: هؤلاء أساتذتي، أو: هؤلاء عرفتهم.. وهكذا، يشرحون فيها مزايا رجال ما، حصل اللقاء بينهم بشخوصهم أو بأخبارهم، وهذا فن قديم، له وسائله وفروعه.

وهذا الكتاب لمحمد كرد علي من هذا النوع، إذ يقول: هذا التصنيف سيرة من طالت عشرتي لهم، واغترافي من معين أسفارهم من رجال الإسلام. لكنه لم يكتب فيه عن أحد قابله إلا الشيخ طاهر الجزائري؛ أستاذه الذي نشأ عليه، وتربى على أسلوبه وفكره، وهو الذي اشتهر بين طلبة العلم بكتابه المهم "توجيه النظر". فبدأ كتابه بترجمة هذا الشيخ، وأتى على ذكر أمور مهمة في خصاله وحياته وفكره، وعدت هذه الترجمة مرجعاً من أهم مراجع حياة الشيخ طاهر الجزائري، لا يخدشه شيء كبير إلا تلك الرسالة التي وجهها إلى صديقته المستشرقة المس بل أمينة سر حاكم العراق، والتي نشر صورة بخط الشيخ لها، وأعاد نشرها في مذكراته (٣/٧٢٩).

وهذه الرسالة أذاعتها إذاعة الاحتلال الإنجليزي في فلسطين (إذاعة القدس) داعية اقتفاء أثر الشيخ طاهر الجزائري في جمع مصلحة بريطانيا المحتلة مع مصالح العرب!

من غرابة هذه الرسالة أن ختمها الشيخ بهذا التوقيع: المخلص للأمة العربية والدولة البريطانية العظمى طاهر الجزائري.

وفي الرسالة مطالب رجل عربي من بريطانيا الحاكمة، على وجه من التحنن والصداقة.

ولعل محمد كرد علي توقع إنكار الناس لهذه الرسالة فنشر صورة عنها بخط الشيخ، هذا مع زعمه آخر الرسالة

أن نشر الصورة مهم لما بعدها! وإذا تابع المرء ما بعدها لم يجد شيئاً مذكوراً.

على كل حال، كما يقولون، هذه قضية فرعية هاهنا، لعل يعود المرء لها في موطن آخر.

الأستاذ محمد كرد علي مهتم بالناشئة، وبتقريب التاريخ ورجاله للمبتدئين؛ فكتب هذا الكتاب، وأتى على جماعات علم وأدب وتاريخ وفنون، يترجم لهم ترجمات يسيرة، تنبه على مهمات علومهم، وآثارهم الكبيرة على تاريخ هذه الأمة، مبتعداً عن التصنيف الفقهي أو المذهبي، بل يسطر صفحات يسيرة في أهم خصال الرجل، وكلهم قدماء كما تقدم، ولذلك أنت تحتاج إلى مذكراته لتعرف مقالاته في معاصريه، وهي مذكرات مهمة، لا تجري على سنن تتابع الأخبار بل فيها من الرسائل والمقالات الكثير.

هذا الكتاب تستطع حمله لابنك، وتستطيع إهداءه لصديق لا يقدر على المطولات، أو لرجل يحب أن يحمل بعض حمل يسير من تاريخ أمتنا، ليتعلم ويفهم، فهو أشبه بسيرة علماء، وبتعريف كتب، وبكشف خصال.

عدد المترجم لهم في الكتاب إحدى وخمسين ترجمة، بدأ بابن المقفع وختم بابن خلدون.

حين تنظر إلى مهمات ما يبحث عنه تجده يهتم بالتربية وأساليبها، فهو معني بهذه الأمور، كما يهتم بفضل العلوم وأهميتها في أبوابها، كما له اعتناء بخصال الشعوب وما امتازوا به، وكذلك سكان المدن واختصاص كل بلدة بخلق.. وهكذا، فجانب التربية أهم ما ينظر فيه، حتى وهو يترجم لشيخه طاهر الجزائري يشيد به لاهتمامه بهذه القضايا.

بقيت ملاحظة مهمة في حال زمن المؤلف وما قبله وما بعده، وهو أنك تكاد تجابه دوماً برجلين: رجل إصلاحي يتجاوز الحدود ويأتي بما تنكر، أو بتقليدي فيه خير ولكن فيه تعصب زمن الانحطاط؛ وقلما تجد جامعاً بين خصلتي التجديد والتنور مع الالتزام السليم في المنهج بل والسلوك؛ وهذا يجعلك في حيرة من أخذ الكلمة النهائية في القوم، فلا التقليدي ينفع لمجابهة فساد الزمان والتصورات والمواقف، ولا الإصلاحي أخذ بسنن الإصلاح على وجهها الصحيح، ولذلك من ظن أنه انتهى إلى كلمة فصل في هؤلاء فهو مخطئ؛ إذ المنصف سيبقى مرة

موافقاً، ومرة مخالفاً، فكل هؤلاء في هذا الزمن يكاد المرء يتعب ليقول فيهم كلمة الفصل، والله عالم الغيب والشهادة، وهو الهادي سواء السبيل.

كليمة في كتاب (٦٦):

خفايا المعركة

لأيمن شوربجي

[٩ كانون الثاني ٢٠٢٠ – ١٤ جمادى الأولى ١٤٤١]

مع هذا الكتاب لا تحاول الخروج عن عواطفك لتبحث عن قواعد عمل، بل استغرق بكلك مع كل خبر، ومع كل رجل، ومع كل حادثة؛ فأنت في بساط منمنم رائع من نفوس الشهداء ورجال المرحلة في فترة تاريخية هي أشبه بقبس النور وبزوغ الفجر، تأتي على غير سياق يتبعها من نوعها، ولا مع سباق هو منها، بل هي كشعاع رائع، تحتاجه غداً، وتقيمه على معنى الذكرى في كل حال، وتجعله ورداً لك لتواصل الطريق لتلحق الرجال، بل الشباب الذين هم سود الذوائب وأسود النوائب.

الكتب التي يكتبها رجال خاضوا حدثاً لم ينته إلى مستقره الأكبر يكون عادة اعتذارياً، أو اتهامياً؛ ليسوغ صاحبه الفشل، مبرئاً نفسه منه، ملقياً على غيره تهماً لا تنتهي؛ لكنك هنا مع نوع آخر، وكاتب فريد، لا يهمه إلا أن ينصح أمته ويلقي لهم جراب التجربة، ويلقي على مسامعهم معاني الذكرى لفعل تم في الخفاء، ولرجولة صنعت تاريخ الإخلاص في زمنها، ولشهداء لم تنصب لهم نصب المشهورين من القوم.

هذا كتاب لا ينفعك أبداً أن تقرأ عنه، ولا أن يحكى لك ما فيه، لأن ما فيه كتبه رجل عاش المعنى، وتألم مع كل اسم رحل من حوله، هو شهيد شاب، وعظيم ازورت عنه أنوار المعرفة الدنيوية، كما يحكي لك كلاماً عظيماً لا ينفع المتحمسين ممن يحبون (الخذف) –ذلك الذي لا يقتل عدواً كما في الحديث–، بل هو يتعامل مع الجدوى والفاعلية؛ لأنه يتحدث عن صراع عقيدة مع خصومها، وعن جهاد أمة ضد أعدائها، ويبني لتاريخ سيحتاجه الناس من بعده، يستقون منه الماء الزلال والحكمة العملية العظيمة ليأخذها من بعده، لا حذو القذة بالقذة ولكن للنظر إلى العلل المؤثرة دون المعزولة المطرودة.

مع هذه التجارب تمر على أسماء رجال عظماء، نحتوا في صخر الموانع، واستطاعوا العمل مع كل المعوقات، ليتعلم منهم كل جيل أن العمل ممكن، وأن في تاريخنا المعاصر عظماء؛ فليس عند الروم (أرطبون) ليس عندنا، بل والله ما عندنا أعظم وأكبر وأعلى؛ ولذلك من لم يقرأ جهاد هذه الأمة المعاصر، ومن لم يعش حياته= فليس له حق القول في هذه الأمة ولو كلمة، وليس له كذلك أن يقول عن الجهاد، وذلك بكلام منفلت من زمام العقل والفهم والحكمة.

تتعلم من هذا الكتاب كيف يفسد الطارؤون على الجهاد جهاد الكبار، وكيف تصنع كلمات الغرابة عن العامل ظلماً وجهلاً وإفساداً، فليس لهذا الطريق إلا الرجل المكيث الصابر المجرب، ومن حمل قلبه أن يبني القواعد، لا الكلمات الجميلة، ولا الزخارف المزركشة، لأن هذا لزمن تال، لا لهذا الزمن، والذي يبنى فيه صخور القوائم الخفية.

من المهم مع رجل يكتب لك الأحداث الفرعية، كصاحب هذا الكتاب، أن تعيش مع قلبك تماماً، يتأثر فتدمع العين ويقشعر البدن، فهذا لا بد منه إن كنت تريد بناء الإيمان، وقراءة التزكية؛ لكن بعد ذلك طف طواف المعاني العقلية، لتستقي من رجل كبير علم الحروب على معنى من معانيها، ولا يقدر عليها إلا رجل على معنى كاتبها أيمن الشوربجي، ومن كان مثله، هذا مع محاولته القاسية أن يذهب شريط الحدث عن شخصه، فهو بالكاد يقول: أنا، أو فعلت، بل هو مشغول بسحر جيرانه وشركائه وأصحابه، فتعرف عظمته بتذوقه عظمة هؤلاء.

يمكن لك أن تقرأ بوضوح عصرك هذا، وما يفعله أعداء الأمة من خلال ما كتبه القائد أيمن الشوربجي؛ ذلك لأنه يحكي لك عن روس ونصيريين وشيوخ عملاء ومخبرين فاسدين، فتعرف من حولك بتاريخهم المدنس، فتدرك أن قضيتك هي قضية تاريخ الأنبياء، وتاريخ الأمة، وتاريخ الشهادة؛ إذ تذهلك كمية الشهداء، وصبرهم، وشجاعتهم، وكمية ما نحتاجه من نزع وتطهير لكثرة الأوساخ.

هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ مضى وفقط، بل تاريخ زماننا، لأننا منه وهو منا، وما نعيشه من أحداث هي ظلال لتلك الحوادث؛ فعليك به، فهو مبذول في النت تستطع التطواف معه، لتحكي لنفسك عنه ما تراه فهو أجدى لك من قراءة كلماتي هذه.

والله يحفظنا وإياك.

كليمة في كتاب (٦٧):

ما الديمقراطية؟

لآلان تورين

[٢ شباط ٢٠٢٠ – ٨ جمادى الأخرى ١٤٤١]

هذا عالم اجتماع فرنسي، له حضوره القوي، ولكلمته أهمية في بابه، ورصده للظواهر معتبر عند أصحابه.

هذا الكتاب من أشهر كتبه، وله كتاب آخر بشهرة هذا الكتاب، وهو "نقد الحداثة"، والقارئ سيجد فيها لمحات تفيده في باب الفكر والإجتماع.

هذا الكتاب يستحق عنوان: نذر سقوط الديمقراطية؛ وتورين لا ينقد الديمقراطية في بعدها الفلسفي العام، لكنه ينعى واقعها المعاش، ولذلك يحاول البحث عن مخرجات ديمقراطية جديدة بعيداً عن واقعها الذي وصل إلى حالة مجرمة، أدت بسلوكها إلى إعراض الناس عن ممارستها، فلم تعد تشكل صورتها المطلوبة منها من حكم الأغلبية التي تحقق السعادة للشعوب.

تورين كتب كتابه هذا محذراً من الفرح الجارف الذي أعقب سقوط الاتحاد السوفياتي، باعتبار هذا السقوط انتصاراً للديمقراطية، وهو يرصد أن الديمقراطية في البلاد السعيدة! لم تعد ذلك الحلم الذي قام الثوار من أجله ضد الأنظمة التي سبقتها.

يعني كلامه هنا المحاولة الجادة في الغرب لإعادة تفعيل الديمقراطية، لتكون ديمقراطية تحرير، وهو يعني بهذا المصطلح فتح باب الحريات أوسع أمام طغيان المؤسسة الممثلة، والتي استطاعت استغلال الديمقراطية للوصول لمقاصد خاصة بها.

هو يرى الديمقراطية قرينة الليبرالية وليست مجرد عمل إجرائي، مع أنه يحترم هذا الإجراء، لكنه يرى أن هذا العمل الإجرائي المجرد يمكن تحويله لحالة خنق للإنسان؛ ولذلك يستطرد طويلاً في بحث علاقة الحرية وقيمها مع سلوكيات الديمقراطية الإجرائية، كما هو يربط الديمقراطية بسلوك زائد عن الإجراء؛ فحرية الاقتصاد دون مزيد من

الضوابط والقيود شرط الديمقراطية، وهكذا في كل باب.

هناك قضايا فلسفية كثيرة يناقشها تورين، تتعلق بمفهوم الديمقراطية، وبسلطانها، ومنتجها، وهو يبحث بين سلطة الديمقراطية الخاصة للدولة وسلطتها ضد الآخرين.

ربما يبحث المرء في بلادنا عن فكرة هذا الكتاب في تعريف الديمقراطية: أهي مجرد إجراء ووسيلة، أم بنية عقائدية تتعلق بمفهوم الإنسان ومدى حريته؟ والرجل هنا لا يعنيه واقعنا، بل يعنيه الغرب؛ ذلك لأن بلادنا على الحقيقة لم تعش الديمقراطية قط، ولم تخط فيها خطوة واحدة، وكل ممارسات الدول هنا في بلاد المسلمين هي قطعة لحم فجة خربانة سامة، فلا أدري لم يقتل المسلم أخاه لمخالفته في مفهومها، ويكون السؤال أوضح: لمَ يقبل المسلم التعامل مع هذه القطعة السامة وهو يراها فاقدة لكل مفاهيمها الفلسفية، سواء بكونها إجراءً أو بنية عقائدية؟.

الغرب يعيش الفكرة، وتنمو في بيئته هناك، ثم تتطور فيقع فيها الشر والخير بالنسبة لهم؛ وهنا لا يزيدون سوى أخذها فاسدة، قبيحة، على أسوأ ما تكون حتى بعد تطورها عندهم، أو ظهور عوارض فسادها، ومن غبائنا يقع الخصومات على شيء معنوي في النفوس، وعدم تحقيقه في الواقع.

المشكلة أنه لا يوجد إجراء بلا تصور عقائدي، وحال البعض هنا هو تركيب رأس خنزير على بدن خاروف، ثم يقع مشايخنا في حكم هذا المشيأ، وبعضهم يرضى نصفه فقط وكأنه يمكن الفصل بين المكونين.

آلان تورين لا يتصور ديمقراطية داخل سلطة تتحقق من خلال المشيئة الإلهية (ص١٣٥)، ولكنها تكون كما هي إذا كان القابض على السلطة ممثلاً للشعب، وهذا ما ينبغي فصله في ذهن المناصرين للديمقراطية أنها إجراء فقط؛ فحتى لو افترضنا أن الشعب مسلم، يريد ممثلاً له حاكماً بالإسلام، فإن مرجع هذه السلطة ليس الإسلام، ذلك لأن سلطة هذا الحاكم ليست فوق كل شيء، بل هناك سلطة فوقها.

كتاب هذا المفكر هو تنبيه لتغول المفهوم الديمقراطي بعيداً عن مقاصدها، وهي التحرر من سلطة تنشأ داخل البنية الديمقراطية لتزيل سلطان حرية الإنسان.

المشكلة عندنا مختلفة، فلا ديمقراطية، ولا حرية، ولكن مجرد ديكتاتوريات لا يعنيها إلا السلطة وتغولها، ترى أن

عدو هذا السلطان المتغول هو الإسلام، وتستخدمه شماعة لكسب تأييد الآخرين أن البديل عنهم هم المتدينون، وأن بقاءهم في الحكم هو ضمانة عدم تحقق الإسلام في عالم القيم السياسية.

كليمة في كتاب (٦٨):

خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس

لعبد العزيز الثعالبي

[٣ شباط ٢٠٢٠ – ٩ جمادى الأخرى ١٤٤١]

لا يمكن أن تعرف واقعك حتى تعرف مقدمات تاريخه، وكيف كانت وصنعت؛ فاليوم وليد الأمس، وحالك الذي تعيشه تحلل أفراده من خلال قراءتك لما مضى.

عليك بحب معرفة هوامش الذكريات، والتي تركها المهزوم، أو كتبها من تنافر مشروعه مع مشروع شريكه فغيبه؛ فهذا الثعالبي رجل كبير في عقله ونضاله، غاب لأن مشروعه لم يلتقِ مع مشروع منافسه بورقيبة فغيبه من غيبه، ثم هذا كتاب يتحدث عن محاولة كبيرة لصناعة بدائل عن الحكومات التي تمالأت على قضية فلسطين، واشتغلت بتنافسها غير الشريف على تركة ليست في يدها ولكنها في يد عدوها، بعد أن صنعوا من الدولة العثمانية (ولا تقل تركيا) رجل أوروبا المريض.

سنة ١٣٥٠ هجرية الموافق ١٩٣١ ميلادية دعا القائد الفلسطيني الحاج أمين الحسيني لمؤتمر في القدس، اشترك معه في هذه الدعوة والنشاط لها بصورة عظيمة القائد عبد العزيز الثعالبي، المسلم التونسي، وذلك لحماية فلسطين من المشروع الصهيوني، وأرادوه مشروع أمة، وقضية كبيرة تصنع واقعاً يمكن أن يحمّل الأمة قضاياها وقد تخلى عنها الحكام والقادة.

الشيخ الثعالبي تحدث في هذا الكتاب عن خفايا –والتي سماها جامعو الكتاب خلفيات– ما جرى من مؤامرات لإفشال هذا المؤتمر، ولكن الموتمر عقد، وسمحت به بريطانيا المنتدبة على فلسطين، وحاول شيئاً لم يقدر عليه، لأنه مؤتمر بلا مخالب.

هذا الكتاب يفيدك في اشتغال الساسة بصراعاتهم الداخلية، وتنافساتهم الخسيسة دون اعتبار لقضية عظيمة يصرخ المخلصون لها، استنفاراً للناس حتى ينتبهوا لها، وهو يكشف لك انهيار المؤسسة الدينية الرسمية، وغيابها عن

تحمل دورها المهم في هذا الباب، بل شغلها أن تستجيب لأمر الساسة وخباياهم.

هذا هو الظاهر من الكتاب، ومراد كاتبه وجامع أوراقه، وهو يدلك أن أمتنا غير قابلة للاستعمار، وأنها لم تقصر بما تقدر عليه، بل قدمت ونبهت، وكشفت، وصرخت.. ولكن هذا لا يجدي في عالم السنن.

لكن المخفي هو ما يهمك، وهو ما يجب أن تبحث عنه:

صراخ الشعوب والمخلصين لا يغير اتجاه ريح العواصف، وحين تحضر الصراعات على مستوى الأمم فهناك أسلحة مهمة يجب استحضارها لتلك المعارك، ليس هو الوعي وحده؛ فالأمة في كل أطوارها وتاريخها المعاصر لم تجهل، ولم يغب عنها الوعي في قادتها العلماء والمفكرين، إذ يظن البعض أنه بقراءة كتاب سياسة وتاريخ صار أستاذاً في تلقين الأمة ما غاب عنها وما فقدته من الوعي.

ومن قرأ تاريخ قيام دولة يهود، ومن ذلك هذا الكتاب= علم من هم أهل الفكر يومها، وما هو مقدار وعيهم على الحياة والسياسة ومكر الأعداء، والبصيرة في الدين؛ فمجرد مرور على القادة العلماء والمفكرين الذين حضروا هذا المؤتمر تعلم كثرة وبروز الأسماء العظية في باب الوعي.

الأمة بمسيراتها ومؤتمراتها لن تكون بديلاً عن الجيوش في إيقاف مشاريع الأعداء فينا، والخطب الهادية الكاشفة مهمة، لكنها روافد الفعل السنني المؤثر، وما ينقصنا دائماً هو أن يحمل أهل الوعي والعلم والفكر مادة النصر السننية، وهو السلاح؛ فهذا الفصام النكد بين القوة والفكر هو ما يحقق تخطيط الأعداء ضدنا، وهذه المؤتمرات والندوات والمسيرات يظهر الأعداء الألم منها، وهي مؤلمة لهم ولا شك، لكن ليس ألم الموت والخسارة.

هذا الكتاب والكثير مثله يصرخ في أصحاب الأوهام الذين يظنون أنهم اكتشفوا العربة، وحللوا أكسير النصر، وملكوا حقيقة المعرفة في حل مشكلات الأمة= أنهم واهمون؛ فالناس دوماً كانوا كذلك، لكنهم ظنوا أنه يمكن أن يصنعوا بالأمة وصراعها السياسي جيشاً كلامياً يوقف تخطيط الخصوم فينا.

ما نحتاجه أن تحمل الأمة أداة النصر السنني، وأما القادة فلم تخلُ الأمة منهم قط، وأما الوعي فكثير منه عندنا، وكان في زمن ضياع فلسطين أكثر من يومنا هذا، لكن الجيوش كانت لهم.

لا يعني هذا تقليلاً من شأن هذا المؤتمر، فهو عمل مهم وضروري، وفي زماننا مثله مهم كذلك، لكن ليس به

يتم إيقاف مشاريعهم فينا.

كليمة في كتاب (٦٩):

مقالة التجسيم؛ دراسة نقدية لخطاب خصوم ابن تيمية المعاصرين

للدكتور فهد محمد هارون

[١١ شباط ٢٠٢٠ – ١٧ جمادى الأخرى ١٤٤١]

ابن تيمية انعاطفة كبرى في تاريخ العلم، ترك آثاره على كل عالم وطالب علم بعده، وما من أحد قرأ له إلا وتنشق منه، حتى المخالفين له؛ ولو ذهب باحث يستقصي أثره على الشيوخ ودروسهم وكتاباتهم لوجد شيئاً كثيراً. وحاله في الوجود كحال الكبار، يقف في طريقهم حساد وجهلة، لهم نقيق ضفادع، لا يقدرون بها على رد شلاله العلمي الغزير، ووجودهم قدر لا مفر منه، حتى مع قلته ونزورته؛ وهكذا فخصوم ابن تيمية الذين فجروا في خصومتهم قلة، ولا يدخل فيهم من خالفه في مسألة علمية أو مسائل، فهذا أمر محمود من الراد، بل هو حق العلم، والرجل ليس معصوماً، يخطئ كما يخطئ الخلق من المجتهدين الكبار؛ ولكن الحديث عن خصوم يتجاوزون حد العلم والعدل والنصفة، فيقولون فيه الباطل، ويكذبون عليه، ويتجاوزون حد التعامل مع مثله من أهل العلم والديانة والتقوى والزهد.

من المعلوم للناظر أن ابن تيمية من رؤوس العلماء الذين اعتنى الناس بكتبهم، واهتموا بتحقيقها ودراستها، فكان لها الانتشار في زمانه وبعد زمانه؛ فحق المتكلم فيه أن يقرأ ابن تيمية من كتبه لا من كتب غيره، وهي مبذولة كما تقدم، يستطيع الناس قراءتها والاطلاع على معانيها وما فيها. ولذلك لا يقبل قول رجل في آخر حتى يعرف الرجل من نفسه هو، وهذا حق العلم في بداهته، وربما يقول الرجل في غيره كلاماً، لنقل من يثق به فيخطئ، ويعذر في هذا بعض إعذار، لكن مما لا يعذر الباحث فيه التقول في الرجل مع حضوره، أو حضور كتبه، وابن تيمية حاضر في كتبه أحسن حضور وأجمعه.

الشيخ فهد محمد هارون في كتابه هذا يمسك الخيط من بدايته، ويرتقي مع القارئ خطوة خطوة، يصل معه إلى فك خطوط كلام شيخ الإسلام في موضوع التجسيم، وما هو عند الناس، وهذه التهمة رمي بها شيخ الإسلام

قديماً، ولم تعلق بذهن العلماء لعلمهم بفسادها، لكن طار بها بعض المعاصرين لاختلاف المشارب، وراقت لهم للتنفير من الشيخ، فظلموه وبهتوه؛ فكان من حق العلم ردها وبيان فسادها، وقد فعل هذا الشيخ فهد حفظه الله، وأحسن أيما إحسان، والكتاب نافع جداً، حتى لمن هو خالي الذهن عن هذه المسألة، أو استصعب خوضها مع لجة الكلام في المطولات، أو المتخصصة بالجدل والبحث الموسع، فإفرادها بهذا اللون منقبة تقيد للشيخ فهد محمد هارون.

يمكن القول إن الأمة بحاجة لما هو جواب لواقعها، أو لما ينفعها في وحدتها أمام خصومها من المجرمين؛ زنادقة ومرتدين وكفرة، ومثل هذا نبش للتاريخ لإيقاع الفرقة! وهذا كلام مبعثه حسن القصد؛ ذلك لأن الأمة بكل أقسامها من المسلمين بحاجة للوحدة أمام معركة استهداف الهوية والوجود، ولكن هناك من يصنع هذه المعارك، وهم بين غبي وسيء القصد من مستخدمي الأعداء، وحيث ذكر الشر والبدعة فيجب رده، لا يشغل مصادمة الأعداء عن ذلك، حتى لا يقع الشر بلا رد عليه، ليعلم الناس الحق وما يضاده، فكيف إذا تماهى أهل البدعة مع خصوم الأمة، حينها يكون الرد أوجب وأهم.

ونحن لا نقول إن البدعة شر من الكفر كما يقول بعضهم، فالقائلون بهذا في عمى عن معركة الأمة في هويتها ووجودها، ومن الشر حمل السلاح ضد بعضها بعضاً؛ ولكن نقول: إن واجب الوقت هو خوض معركة الإسلام ضد أعدائه من المجرمين الزنادقة والمرتدين، لكن إذا وجد الغلط رد بمقداره، وهذا صنيع الشيخ فهد؛ فقد تأدب وترحم على المخالفين، ولم يثرب متجاوزاً الحد، فجزاه الله خيراً.

أعتقد أن حق هذا الكتاب أن يدخل في عداد الكتب الطيبة النافعة، بل من رؤوس الكتب في تجلية موضوع التجسيم ونسبته لابن تيمية رحمه الله، وهو كذلك أوسع من هذا.

كليمة في كتاب (٧٠):

لغز عمره ثلاثة آلاف عام

لإيغر شفريفتش

[١٩ شباط ٢٠٢٠ — ٢٥ جمادى الأخرى ١٤٤١]

بعض الكتب لا يصلح معها كلمة شارحة (هكذا يسمي المنطقيون الحد والتعريف)، ذلك لأن كل كلمة فيها ضرورية ومهمة لصناعة وعي القارئ؛ وهذا كتاب له مدة طويلة بين يدي، وكلما نظرت إليه شعرت بأهمية معرفة المسلمين به، ولكن كنت أحس بالظلم له ما لو كتبت عنه كليمة تشرحه أو تشرح بعض ما فيه، وكنت أنتظر أن يوفقني الله للحديث عنه في مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، لما في الحديث هناك من شرح وتوسع فيه وتبسيط، ولكن للأقدار مقالها وحكمها، والله ربنا ومولانا، فها أنا أركب مركباً مكروهاً مع هذا الكتاب، وأنا أقول هذا لئلا يعتب عاتب، أو يقتنص ناقد لبعض خللي وضعفي.

هذا كتاب عجيب، يرصد فيه كاتبه تغلغل اليهود في سياسات روسيا منذ ثلاثة آلاف عام، وكيف قدر هؤلاء اليهود التشكل العجيب والمتلون لكل الظروف والتغيرات، حتى كانوا القاسم المشترك لكل التحولات الداخلية والقيادية للمجتمع الروسي، بل في الذروة في ذلك كله، وفي عصب القيادات والرؤوس.

الدكتور عمر حليق رجل كبير القدر، ومن قرأ مقدمة كتابه "موسكو وإسرائيل" علم ذكاء واتساع عقل هذا الرجل؛ وكنت منذ سنين تزيد عن ثلاثين سنة وأنا أعجب لكلمته عن السرية وذكائها وخطورتها في المجتمع اليهودي في روسيا، وهناك قال كلمة معناها: إن لينين (وللذكر هو يهودي، وكشف يهوديته هتلر نفسه) لما دخل روسيا رأى أنه طفل في العمل السري أمام خطط ومكر اليهود هناك!.

كنت أتوه أمام هذه الكلمة، فلما رأيت هذا الكتاب أدركت بعض ما قاله الدكتور عمر حليق، وهذا الحال أظنه حال اليهود في كل المجتمعات من السرية والمكر والتقية، وكلها تحتاج لدراسة وتنبيه.

مشكلة كتاب اللغز هذا أنه يحتاج لشرح طويل في كل فقرة فيه، لأنه يكتبه للروس الذين يعرفون رجالهم وتاريخهم وحوادث هذا التاريخ، ومن المعلوم ضعف العالم كله بهذا التاريخ؛ فالتاريخ الروسي ليس كتاريخ أوروبا مفتوحاً ومشتهراً، ولذلك تجد الغموض (كم في بلادنا من يعرف راسبوتين)، وقلة المعرفة في هذا التاريخ تلقي بظلالها عليك لفهم أمثلته التي تكشف سيطرة اليهود على مفاصل القرار الروسي منذ زمن طويل.

ربما يعنينا كثيراً معرفة ارتباط الثورة البلشفية (وهو لقب مزور، لأن الحقيقة أن الشيوعيين مناشفة لا بلاشفة، أي أقلية لا أكثرية)، وربما أكثر ما يعنينا معرفة ارتباط ثورة لينين اليهودي باليهود، وكيف دعم الاتحاد السوفياتي دولة يهود، وهو فصل مهم في هذا الكتاب، وموثق توثيقا كبيراً.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كل تحول في السياسة الروسية تنشأ مقولة كاذبة خادعة، فيها أن هذا تحول أزال سطوة اليهود؛ فقد كان الكل يعلم أن اليهود هم عمد الثورة الشيوعية في روسيا (الدكتور عمر حليق يرى ارتباطاً عقائدياً بين الشيوعية والعقيدة اليهودية، وهي عند أستاذنا محمود القاسم رحمه الله أكثر من هذا، ولكن المسيري في موسوعته عن اليهودية والصهيونية يرفض هذا التحليل)، أقول: عند كل منعطف يأتي للناس مقالة تخلص الروس من اليهود؛ فمثلاً يقولون: إن ستالين خلص الشيوعية من اليهود بملاحقة تروتسكي اليهودي، والبروسترايكا خلصت روسيا من اليهود، وهكذا.. والواقع أن اليهود حضور في كل حال، بوجوه جديدة، وبصور مختلفة، وبتوجهات إبداعية؛ وهذا الكتاب يكشف شيئاً من هذا، بل إنه يكشف أنه حتى بفتح الهجرة من روسيا إلى فلسطين بعد البروسترايكا التي قادها غورباتشوف بقيت لليهود سيطرتهم على المفاصل السياسية والمالية في روسيا.

ما يستحق البحث هو ارتباط اليهودية بالسرية، ليس كمطلب اجتماعي، بل كضرورة عقائدية، ومعرفة حالهم في بلد ما يكشف لك حالهم في كل البلاد؛ فهل تخلى اليهود مثلاً عن الدم الغوييمي لعيد الفصح اليهودي؟، وهي الموجودة في التلمود، وما حادثة الدكتور توما في دمشق إلا نموذجاً لهذا الإعتقاد، وهي ليست حالة خاصة فريدة، بل حالة عامة كشفها بعض الباحثين، تجدها في كتاب "الكنز المرصود في أحكام التلمود".

معرفة اليهود كعائلات ورجال في المجتمعات مهمة جداً، لأنها تكشف لك تواجدهم في حياتنا السياسية، وعلى مستوى القيادة؛ فهل من الصدفة! أن يتحول حفيد عبد القادر الجزائري، وهو عبد الرزاق، إلى اليهودية، ليرحل

إلى مستوطنة يهودية يختم حياته فيها؟.

تاريخنا المعاصر في بلادنا له حرمة كحرمة الحديث عن الهولوكوست في فرنسا، بل أشد، ذلك لأن اليهود بيننا، وصار مما يستهزأ به القول: فلان يهودي!.

كليمة في كتاب (٧١):

هذا والدي

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

[٩ حزيران ٢٠٢٠ — ١٧ شوال ١٤٤١]

هذا كتاب العهد به قديم، ولكن لا أدري لم جدت نفسي لقراءته كله مرة ثانية، وأنا أعرف من نفسي محبة قراءة سير الشيوخ، وأتعب نفسي في تقفر مواطن صوابهم وخطئهم، لا أقصد في العلم ولكن الذي أقصده هو معرفة حال وقتنا مع فتنة العصر والحكم بغير ما أنزل الله وموالاة الكافرين، ومحاربة الدين.

ومما أحب تسجيله تأكيداً، لأني أتيت عليه من قبل، وهو أن هذا الخطأ والباقعة من المشايخ لم تكن خاصة بمذهب، كما كنا نتصور ونحن نحارب التقليد والمذهبية والأشعرية والصوفية؛ فقد مضت تلك الأحلام مع أول فتنة لشعار السلفية وخضوع أكابر مشايخه في فتنة المقلدين والصوفية بانحيازهم للحاكمين بغير شريعة الرحمن، وحربهم للمجاهدين والداعين لحكم الله، بل نرى أن حملة شعار السلفية من هؤلاء الفاسدين هم أشد في حربهم هذه من طائفة المشايخ التقليديين؛ فقد بان أنها مجرد شعارات لا تسمن ولا تغني من جوع لدفع الفتن والإنحرافات، وإنما هو الدين وترك الهوى واتباع سبيل الصالحين.

هل من آلامنا ومشاق هذا الطريق أن يكون المختار له والسالك فيه يبدأ فتنته ومشاقه في محاربة الشيوخ، وكشف فسادهم، وبيان انحرافهم؟!

أما كان من سنة ماضية تدل أن الشيوخ والعلماء وأهل الذكر هم من ينير طريق الجهاد، ويكشف سوأة الباطل، ويقود الجموع، ويرد الأهواء؟

أنا لا أتحدث عن صاحب دنيا لبس اللفة والجبة كما قال الكوثري عنهم: جبة كالخرج وعمامة كالبرج؛ وإنما أتحدث عن عالم، وذاكر، وللدار الآخرة حضور في قلبه.

الدكتور البوطي مضى إلى ربه، وكتبه شاهدة على مقدار عقله، وليس فيها عندي ما يدل على كبير علم أو عقل، ولم يكن موفقاً في اتخاذه مواقف الحياة والأمة؛ بل انحاز للباطل، وذلك في السر والعلن، وكان إلباً على المجاهدين والدعاة، فليس فيه إلا تعظيم مباحث نفسه، يسميها بأسماء كبيرة فاقعة: كبرى اليقينيات الكونية، وأبحاث في القمة، وأمثالها من فارغ البندق.

والحديث هنا ليس عنه، ولكن عن أبيه الملا رمضان البوطي، وهو موضوع كتابه هذا، أراد أن يمدح والده ويحفظ ذكراه بكتاب يسير بين الناس؛ وقد بدأت قراءته مصدقاً كل كلمة قالها الولد عن والده، وانتهيت ولم أغير قناعاتي التي بدأت بها.

والد الدكتور محمد سعيد البوطي شهد له واحد من خصومه المنهجيين، وهو محمد عيد عباسي في كتابه "بدعة التعصب المذهبي" بأنه صاحب دين وتقوى وذكر، وهو مع مخالفته لكن يعترف بقيمته العلمية والعملية؛ فمن أين يؤتى هولاء المشايخ في باب الحياة والحكم والسياسة؟!

فهذا الشيخ الوالد هو من يؤيد نظر ابنه في عداوة المجاهدين، ويؤيد مسلكه مع حاكم نصيري لا يشك مسلم في حكم الله فيه على جهة شخصية، ثم مع ذلك يحارب ما يسميه التكفير والقتال لهؤلاء، وينقل الابن أن كل ما قاله في جهاد العشرية الثامنة من القرن الميلادي الماضي هو من لسان أبيه وقوله ونصحه.

أهي غفلة المشايخ، أم جهلهم في باب عظيم من أبواب الشريعة، أم هي موازنات غير مصيبة؛ مع أن القول بكونها موازنات لا تشهد لها مقالاتهم ولا استدلالاتهم، ولا طريقة نقاشهم لمخالفيهم؟.

أحاول مرات استطلاع هؤلاء المشايخ من خلال تلاميذهم لأعرف، ولكن لا تسعفني هذه القياسات؛ فالكثير من رؤوس هؤلاء المشايخ الذين ورثوا أسماء هؤلاء الشيوخ أو مؤسساتهم وقفوا عند رسوم العمامات الكبيرة، والألبسة المشيخية، والألقاب الكبيرة؛ فلا علم مؤصل ولا موقف ديني يمدح.

هذا النفس في عبادة وسلوك هؤلاء المشايخ يدعيه الأتباع، لكن عند التحقيق لا ترى زهداً، ولا عبادة، ولا تبتلاً، بل هي الكلمات فقط، يفرح لها الأتباع، ويهربون من خلالها من تكاليف المرحلة وضروراتها.

ينشر اليوم في بعض القنوات أن هذا الوالد كتب في وصيته بهجران المجرمين، ولمح في كلمته إلى ضرورة فهم كلامه، وكأنه يقول: افهموا عني فإني أقصد هؤلاء.. وقال فيها باللفظ كما ذكرها ابنه محمد سعيد في كتابه هذا:

أما بعد؛ فأوصي أولادي وكل من يسمع كلامي أن لا يتخذوا من دون الله ولياً ولا نصيراً، ولا حاكماً ولا قديراً، وأسأل الله تعالى أن يفهمهم معنى كلامي وأن يدبر أمرهم تدبيراً. فهل كان الشيخ بكلماته هذه يعني أن يغير ابنه وحفيده طريقهما في الركون للظالمين؟

إذا كان الأمر كذلك، فهل كلامه لابنه وحفيده يحتاج هذا الخفاء في التلميح، وهما آخر من حضر وفاته، وبقيا عنده حتى اللحظة الأخيرة كما يذكر محمد سعيد رمضان هذا في كتابه هذا؟

الله أعلم، وكلا الأمرين لم يسعفا هداية للابن ولا للحفيد، والله يرحمنا.

زيادة: لماذا عند الفتن يتم تبادل المواقف؟

البوطي عدو السلفية، وهذا واضح في كتبه، بل هو يرى أن اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة، ولذلك وجب عليه المذهبية دون غيرها من طرق الترجيح والبحث وطَرْق طُرِق الخلاف، لكنه انتقل (سلفياً) في هذا الباب لما احتاج لهذا السبيل؛ فهو الشافعي كمذهب أبيه، ولكنه لا يرضى مذهب الشافعي رحمه الله في علة القتل، بل ينتهي إلى التبجح والغرور بأن الشافعي لو قرأ ما كتبه البوطي لصار إلى قوله!.

السلفي اليوم صار مذهبياً لما نوقش، وصار يدعو للتقيد بكلام أهل العلم بلا نقاش ولا جدال ولا مقارنة.

كليمة في كتاب (٧٢):

الشافعي وأصول المتكلمين

لجورج مقدسي

[١٦ حزيران ٢٠٢٠ – ٢٤ شوال ١٤٤١]

سيبقى الشافعي كنزاً يستقي منه الناس معاني كثيرة، وسيبقى كتاب "الرسالة" له محط نبط للفوائد؛ وما لم نعلم الظروف التي وافقت كتابة "الرسالة" فسنبقى في حالة ظلمة في جوانب مراد الشافعي في بعض مراده؛ فالكتاب لم ينشأ بعيداً عن حالة الفقه في زمانه، بل نشأ لظرف موضوعي، العلم به وبدقائقه يسبغ على "الرسالة" معاني عظيمة ويثير فوائد كثيرة.

جورج مقدسي شغوف بالحالة الحنبلية، وهو يحترمها احتراماً كبيراً، وهذا الشغف قاده إلى أصولها، ومن ذلك النظر في الشافعي ومدرسته؛ ولما كان علم أصول الفقه ميداناً للصراع الخفي بين أهل الحديث والمتكلمين، فإن كل باحث سيعتني بالفروق بين "الرسالة" وعلومها، وخطابها، وأدلتها، ومباحثها، وبين كل كتب المتكلمين الذين ينتسبون للشافعية في الفقه، وكيف حدث هذا الفصام بين رسالة الشافعي ومن ينتسب إليه من الشافعية الأصوليين، إذ صارت كتبهم علماً على خلط الأصول بالكلام.

الفصل بين علم الكلام والأصول مطلب لأصولي معتزلي، وإن كان شافعياً، وهو أبو الحسين البصري في كتابه الشهير، وهو مطلب السمعاني في "قواطع الأدلة"، وهو مطلب الغزالي في "المستصفى"، كل هؤلاء ذكرهم جورج مقدسي، ويلحق بهم بعد ذلك الشاطبي في "الموافقات"، بل والجويني قبل.

جورج مقدسي هنا يريد سراً أن يقول التالي:

إن المعتزلة الذين هزموا سياسياً بعد محنة خلق القرآن لم يقبلوا السكوت، ولم ييأسوا من الانتصار الجزئي، فتسللوا إلى الفقه بكلامهم وعلومهم، ولما كان مذهب الحنفية قد اقترن به المعتزلة الصرحاء! فلم يكن لهم إلا أن

يتسللوا إلى مذهب الشافعية من خلال الفقه!.

وهكذا دخلوا عالم الفقه من خلال أصوله، حيث أدخلوا مباحثهم التي لا تمت للأصول ولا للفقه بصلة، وهذا قد اعترف به كثيرون كما تقدم.

ويسر جورج مقدسي بالتالي: إن الرسالة لا تصلح للبناء عليها كلامياً، ولذلك تم استبعادها من المشهد الأصولي حتى من قبل الشافعية الفقهاء والأصوليين، وهو يقول بأن سبب ذلك أن الرسالة فيها تأصيل للرد على المعتزلة، كما فيها تأصيل لأمية الحديث وضبط القياس.

وهذا هو ما أعلنه حورج مقدسي ليقول كلاماً كثيراً تحته.

وأخفى كلام له في كتابه هذا هو التالي: حيث عجز المعتزلة في ميدان معركة خلق القرآن، وهزموا سياسياً، فقد اتخذوا أصول الفقه مطية لنشر أصول عقائدهم، وأهمها ما تعلق بالمسائل الكلامية، والتي وضعت في كتب الأصول كمقدمات، حتى وسم أصلهم الأكبر في موضوع التشريع أنه مقارب للمذهب الوضعي، لقولهم بالتحسين والتقبيح العقليين.

يلمح جورج مقدسي أن بعض الاختراق حصل تحت شعار اقترن فيه الشافعية بالأشعرية، وهو يأتي بنصوص تبين تاريخياً أنه ثمة من فرق بين أصول كل فرقة، وأنه كان هناك من كتب مميزاً بين مذهب الشافعي ومذهب الأشعري في الأصول.

ويشير جورج مقدسي إلى استخدام بعضهم هذا الاقتران ليحصل لهم وظيفة العمل في المدارس التي اشترط واقفوها الإقتصار على مذهب الشافعي مذهباً للعاملين فيها.

هذا الكتاب لا يخلو من فائدة، والتفريق بين مذهب الشافعي في الأصول وبين الأشعرية لم يعد مجهولاً اليوم، ولكن تلميحات مقدسي لقضايا خفية تصل لمعنى المؤامرة هو الجديد في هذا الكتاب، وإن كانت هذه كذلك مسبوقة؛ ونحن نعلم أن ابن عساكر ما كتب كتابه "تبيين كذب المفتري" إلا لرد تهمة المؤامرة التي سلكها بعض

الشافعية، وهي عندي تهمة باطلة فاسدة، يأتي عليها تاريخ الرجال الذين اتهموا بها بالمحو والإذهاب.

لكن هذا الكتاب لا يخلو من إخفاقات الغريب الذي يصف بيت غيره، فمع أن جورج مقدسي ليس متهماً بسيئة من سيئات المستشرقين، ولا متلبساً بأكاذيبهم ووساخاتهم، إلا أنه ليس من أهل هذا التاريخ، ولا من أهل هذا العلم؛ ولذلك وقع في أخطاء يأنف منها المبتدئ، وأسوأ ما في هذا الكتاب تعامله مع مستشرقين ثبت عليهم الفساد في المقصد والخيانة في الفهم والنقل، إلا أنه يتعامل معهم تعامل العلماء والنصحة وأهل الفكر.

هذا كتاب وضع كمقالة لذكرى، ولكنه يعبر عن محاولة لقراءة تحولات العلوم في تاريخنا، ومسألة استيلاء المتكلمين على أصول الفقه هي من أبرز نجاحات المتكلمين في هذا الباب.

سأل أحد الإخوة، حفظه الله، في تعليقه على (كليمة في كتاب جورج مقدسي): هناك من يتهم أهل الحديث بعدم تطوير أصول الفقه كما فعل المعتزلة والأشاعرة، فما الرد على هذا؟

والجواب:

هذا الكلام يحتاج لشرح ليفهم على وجهه، وهو يعني شرح أصول الفقه هنا على وجهه المقصود من الكلام، ثم فهم معنى التطوير، وهذا لو شرح شرحاً تاماً لاحتاج إلى مصنف مستقل، ولذلك سأوجز ما استطعت وأنت تملأ الباقي من عندك.

دخول مفاهيم كلامية واسعة جداً في أصول الفقه أوجد مساحة من الفراغ ليدخل فيها المعتزلة والمتكلمون أصول الفقه، ولو بقي أصول الفقه حلاً للبيان، وهو خطاب الله وخطاب رسوله، لما احتاج أحد لمتكلم في أصول الفقه؛ فإن مادة هؤلاء بإجماع من تكلم في هذه المسألة دخيلة على أصول الفقه، فكلما كان يد للمتكلمين والمعتزلة في باب ما، فاعلم أن هذا الباب أجنبي عن الأصول أصالة، وقد يلتحق به تبعاً.

ولتعرف ما أقول؛ فهذا الشيخ زكريا الأنصاري، وهو من هو في المتأخرين، ذكر في كتابه "غاية الأصول"، والذي هو شرح لكتابه "لب الأصول" مسائل خالف فيها (المتكلمون الأشاعرة) المعتزلة، وجعلها من كتاب أصولي، وهي لو رجعت إليها، وقد تصل لأكثر من ثلاثين مسألة، تجدها لا تمت إلى علم البيان، إلا ما يتعلق

بالتعليل البعيد في درجاته القصية عن الأصول، ومنها موضوع التعليل وما يسمى مقاصد التشريع وفلسفته، وهي على عجز منهم يدخلونها في علم الكلام، ليجعلوا علم الكلام أحد مصادر علم أصول الفقه.

والغزالي جعل علم الكلام أصلاً من علم الأصول كون الشريعة تثبت بالعقل، وهو علم الكلام عنده، ثم لما يقع التمييز الحقيقي يقولون بالمفارقة؛ فالسمعاني يقول في "قواطع الأدلة": وقد رأيت بعضهم قد أوغل وحلل وداخل غير أنه ماد عن محجة الفقهاء في كثير من المسائل، وسلك طريق المتكلمين الذين هم أجانب عن الفقه ومعانيه، بل لا قبل لهم فيه.

وانظر لقول هذا الحنفي وهو أبو بكر السمرقندي (ت ٥٤٠ للهجرة): وأكثر التصانيف في أصول الفقه لأهل الإعتزال المخالفين لنا في الأصول، ولأهل الحديث المخالفين لنا في الفروع.

حتى فخر الرازي قال في "المحصول": إن أهم العلوم للمجتهد علم أصول الفقه، وأما سائر العلوم فغير مهمة في ذلك ،وأما الكلام فغير معتبر.

والنقول في هذا كثيرة، توصل إلى قضية مهمة وهي أن ما احتاجه الأصولي لا علاقة له في علم الكلام، ولا لمباحث المعتزلة، ووضعها في الأصول خطأ استمر الناس عليه، واضطر بعضهم للموافقة كالغزالي؛ مسايرة للناس لأنه كما قال: الفطام على المألوف شديد والنفوس عن الغريب نافرة.

فأصول الفقه في حقيقتها لا تحتاج لمتكلم ولا لمعتزلي، وما زادوه أجنبي عن هذا العلم، ولذلك كانت كلمة رائعة من الزركشي في البحر حين دافع عن وجوب أصول الفقه، وذلك أمام من زعم أن أصول الفقه علم تجميعي من هنا وهنا، فقال: إن الأصوليين دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليه النحاة ولا اللغويون.

وهذا يجعلك تفهم أن قضية أصول الفقه تعود في أصلها وفرعها إلى اللغة، وهذا هو علم الشافعي العظيم في أصول الفقه، فلم يحتج فيه إلا لهذا العلم فقط.

إذا فهمنا هذا علمنا معنى التطوير عند قائل هذه المقولة، إذ يكون التطوير هو الزيادات التي هجمت على أصول الفقه وهي غريبة عنه، وجد بعضهم فيها نهمته، ورغبته في التوسع والتكثير منها، ثم قالوا: ها قد نمى العلم على أيدينا!.

هذه هي القضية فقط.

كليمة في كتب (٧٣):

كتب الحنفية في علم الأصول

لعلماء الحنفية

[٢٨ تموز ٢٠٢٠ – ٨ ذي الحجة ١٤٤١]

سألني أحد الإخوان أن أكتب تحت هذا العنوان بعض كلمات لهمتهم بقراءة كتاب الدبوسي "تقويم الأدلة"، فأقول: لا شك أن كتاب "تقويم الأدلة" هو أول كتاب منهجي لأصول الأحناف رحمهم الله، وما يذكر من كتب قبله فعليها من الأمور ما يمنع إلحاقها بهذه المرتبة، وإليك البيان:

أول كتاب ينسب لأصول الأحناف هو كتاب الكرخي المعتزلي، واسمه عبيد الله بن الحسين (ت٣٤٠)، وقد طبع، وهو كتاب "قواعد المذهب"، وكان لهذا الحنفي المعتزلي تلميذان: الجصاص والشاشي، وكلاهما نسب له كتاب أصولي لمذهب الأحناف.

أما كتاب الجصاص فهو مقدمة لكتابه الفقهي التفسيري "أحكام القرآن"، إذ قال في مقدمة "أحكام القرآن": قد قدمنا في صدر هذا الكتاب مقدمة تشتمل على ذكر جمل مما لا يسع جهله من أصول التوحيد وتوطئة لما يحتاج إليه من معرفة استنباط معاني القرآن واستخراج دلائله وأحكام ألفاظه... إلى آخر كلامه. وهو مطبوع.

وأما ما ينسب من أصول الشاشي؛ فليس لتلميذ الكرخي هذا، وإنما لشاشي آخر كما تدل عبارات الكتاب وما فيه من نسبة كلام لمتأخرين عن هذا الشاشي.

حتى جاء أبو زيد الدبوسي (ت ٤٣٠) فألف كتابه المسمى "تقويم الأدلة"، وقد أحدث آثاره في علمين من أعلام الأصول الشافعية: أولهما أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩)؛ فقد تعقب الدبوسي ومقالاته في كتابه المشهور "قواطع الأدلة"، وأبو المظفر كان حنفياً على سنن آبائه، ولكنه صار شافعياً، وأنشأ كتباً للخلاف بين المذهبين، منها هذا الكتاب وكتاب "الاصطلام في الخلاف".

ومن نظر في كتاب "قواطع الأدلة" رأى عناية السمعاني في الرد على أبي زيد الدبوسي، رحمهما الله تعالى.

وأما الأصولي الثاني فهو الغزالي؛ فقد ذكر أبا زيد في "المستصفى"، وتعقبه في طريقة عرض الأصول، وهذا التعقب يعد معلماً فارقاً بين المدرستين، كالتدليل على القاعدة الأصولية بكثرة التفريع.

والناس يقولون: إن كتاب أبي زيد هذا هو أول كتاب أصولي ألف فيما وراء النهر للحنفية، ومقصودهم بـ(ما وراء النهر) هو نهر جيحون، وهو الفاصل بين أفغانستان والجمهوريات الإسلامية جنوب روسيا.

من قرأ كتب أصول الحنفية وجد ما قاله الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه "حجة الله البالغة" صواباً، وإليك مقالته (٥٢٢/١ من طبعة سعيد البالنبوري؛ وهي موجودة في كتابه الإنصاف ص ٨٢).: ومنها أني وجدت بعضهم يزعم أن بناء الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي على هذه الأصول المذكورة في كتاب البزدوي ونحوه، وإنما الحق أن أكثرها أصول مخرجة على قولهم، وعندي أن المسألة القائلة بأن الخاص مبين ولا يلحقه البيان، وأن الزيادة نسخ، وأن العام قطعي كالخاص، وأن لا ترجيح بكثرة الرواية، وأنه لا يجب العمل بحديث غير الفقيه إذا انسد باب الرأي.. وأمثال ذلك أصول مخرجة على كلام الأئمة، وأنه لا تصح بها رواية عن أبي حنيفة وصاحبيه، وأنه ليس المحافظة عليها والتكلف في جواب ما يرد عليها من صنائع المتقدمين في استنباطاتهم كما يفعله البزدوي وغيره، أحق من المحافظة على خلافها عما يرد عليه. انتهى

وشرح هذه العبارة بالتمثيل بعد ذلك، ومثل بأن بعض ما ينسب لأبي حنيفة هو لعيسى بن أبان، وهو مع حنفيته إلا أنه معتزلي، ولهم في مذهبهم ما يأتونه من قواعد في رد الأحاديث.

والقصد أن تخريج الأصول على الفروع كما هي طريقة استخراج أصول الفقه الحنفي يدل على أمور:

أن هذه الأصول لا تثبت نصاً للإمام ولا صاحبيه، بل هي مخرجة على أقوالهم، ولذلك يرى الدهلوي أن كثيراً من الفقه الحنفي الذي ينسب للإمام هو تخريج على أقوال الإمام وصاحبيه، وهذا ما لم يميز عندهم كما ميز في كتب المذاهب الأخرى.

ويدل كذلك على أن هذا التخريج أوقع الخلاف والاضطراب في نسبة الأقوال لأئمة المذهب؛ فمسألة الحديث مع القياس، فقد يوجد من ينسب تقديم القياس على النص كحديث المصراة، وقد يوجد من ينسب للمذهب تقديم الحديث حتى لو كان ضعيفاً على القياس كحديث القهقهة في الصلاة، وكما وقع الخلاف في رواية غير

الفقيه ومخالفتها للقياس، وهكذا.

ثم لو نظرت لمسمى الاستحسان لوجدت الكثير مما يقال عندهم، وأغلبها ناشئ للرد على دعوى خصومهم أن الاستحسان قول لا دليل عليه من أدلة الشرع.

ومن قرأ كلام الدهلوي رأى عدم اضطراد الأصول، فما تصلح لمسألة لا تصلح لأخرى، فراجعه.

لكن مما يجدر ذكره ما قاله الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "أصول الفقه" من كلمة استقرائية صحيحة، وهي (٢٤): وإنه من الإنصاف أن نقول إن بعض الذين تصدوا للأصول من الشافعية والمالكية والحنابلة قد كتبوا على مناهج الحنفية.

والشيخ وإن كان يقصد موضوع تطبيق الأصول على الفروع، إلا أن واقع الأمر أكبر مما قال، وأقصد أن ترتيب الكتب الأصولية عند الشافعية المتكلمين، وطرق استدلالهم العقلي، ومحاوراتهم الأصولية= صبغت بطريقة كتب أصول الأحناف.

وسبب ذلك أن علم الأصول اقترن عند المتأخرين بعلم الكلام، إذ عد علم الكلام من أصول أصول الفقه، واقترن الكثير من المعتزلة بالمذهب الحنفي لأسباب موضوعية، وأسباب تاريخية، فكان ما كتبه الأحناف صالحاً لما يكتبه أي متكلم أصولي.

كليمة في كتاب (٧٤):

تقويم الأدلة

لأبي زيد الدبوسي

[٢٩ تموز ٢٠٢٠ – ٩ ذي الحجة ١٤٤١]

اسم الكتاب كاملاً هو: الأسرار في الأصول والفروع في تقويم أدلة الشرع؛ وقد جعل الشيخ المراغي هذا العنوان مقسوماً على كتابين لأبي زيد كما في طبقات الأصوليين، وهما كتاب واحد كما يجزم محقق الكتاب.

الدبوسي جعل هذا الكتاب ضمن بناء علمي متكامل، فهو يشير في بداية الكتاب أنه أراده تتمة بناء لكتاب له قدمه تأليفاً، وهو "الأمد الأقصى"، وتصويباً لكتاب له وضعه أيام الشباب هو كتاب "خزانة الهداية"، إذ يقول (١/٧): رأيت اتباع السلف في إثارة هذا النور، ببيان الحجج فرضاً، ثم إنارته بوقود المداد في صحائف الكتب حقاً، رجاء أن أكون من الأشباه، واستعنت الله تعالى، فلا حول ولا قوة إلا بالله، على قصد مني تقويم كتاب خزانة الهداية، الذي زل خاطري في بعضه بحكم البداية، فراراً من التمادي في الباطل، وتخريجاً على الأصول الأربعة التي بها تعلق الابتداء في الحاصل.

وهذا النص فيه معانٍ تسهل الوصول لبعض ميزات كتاب تقويم الأدلة، منها:

جمال عبارة الشيخ، وتميز لغته الأدبية الرفيعة، والكتاب يحمل هذا المعنى في جميعه؛ فالكتاب صاحب لغة مريحة رائقة، وقد انتبه لهذا بعض من كتب فيه كلاماً.

الأمر الثاني، وهو ما غفل عنه الكثير من المتأخرين، وهو وحدة العلوم واتصالها؛ فهذا كتاب أصولي، ولكنه يضعه ضمن بناء التربية والتزكية، وأن موضوع أصول الفقه هو في سياق فوز العبد في البلاء الذي خلق به (لنبلوكم أيكم أحسن عملاً)، وفهم البلاء يعني وجود خلق ملائم له، وكذلك وجود شرع مكلف به، وهذا ما شرحه في كتابه "الأمد الأقصى" كما يظهر من سياق حديثه عن هذا الكتاب، أقصد "الأمد الأقصى".

فعلم أصول الفقه هو لنجاح العبد في رحلة البلاء، ولتحقق الفوز فيه.

وهذا يذكر الناظر بكلمة الشافعي في "الرسالة"، وأن الله ابتلى العبد بالنص وبالدلالة، أي اتباعاً واجتهاداً؛ فهو في سياق التعبد والإخبات.

الأمر الثالث في دلالة نص الشيخ الدبوسي رحمه الله هو تنبيهه على الترقي الذي أصابه بكثرة الاطلاع، فانظر لقوله: ثم إنارته بوقود المداد في صحائف الكتب حقاً.

ومن قرأ كتابه هذا علم ذلك حقاً كما يقول، ففي أكثر من موطن ينسب لنفسه استقصاء المقالات لمن سبقه ما وسعه ذلك، فيقول تحت باب (القول في مطلق الأمر، ماذا موجبه في حسن المأمور به من الفعل): إني لم أقف على أقوال الناس في هذا الفصل، كما وقفت على أقوالهم في حكم الأمر، مع كثرة استقصائي، فما أحد استقصى كل هذا.

ويقول بهذا اللفظ في (القول في النهي المطلق ماذا حكمه).

وهذا منه دليل على جهده في القراءة والنظر والعرض والترجيح، فمادة رقيه القراءة والاستقصاء.

ورابع ما في كلامه رحمه الله تعالى اعترافه بقصور المرء في البدايات، وأن هذا لا يمنع التأليف، كما لا يمنع بعد ذلك النظر والتنبيه؛ فهذا سبيل العلم لا ينتهي لحد مقدر في الوجود، وقوله هذا نصح للأمة لتعذر وتعلم حال الكتب ومنزلتها عند أصحابها.

أما ما يمكن قوله من ميزات هذا الكتاب بالنظر، فإليك بعضها:

أولاً: عنوان الكتاب دال بإشارته على منهج الحنفية في استخراج الأصول من الفروع، فهو يقول عنه: الأسرار في الأصول والفروع في تقويم أدلة الشرع؛ فأدلة الشرع معلوم أصولها، ولكن قواعد استخراج العلوم منها هي ما تقوم هذه الأدلة، ومعرفة العالم بالفروع هو طريق إدراك هذه القواعد في تقويم الأدلة على وجه يحقق الفهم الصحيح، ولذلك يكثر الشيخ رحمه الله وهو يقول: ومسائل أصحابنا دلت على... أي إن الفروع هي ما دلت على الأصول.

وعنوانه يدل على ميزته الأبرز، وهو أن الكتاب شرح لأسرار الفروع والأصول؛ ولذلك أطال النفس في التمثيل

بالفروع على الأصول، وهو ما انتقده الغزالي عليه؛ ولا شك أن طريقة أبي زيد أقرب من طريقة الغزالي في تقريب أصول الفقه للفقه ليكونا علماً واحداً؛ ولذلك مال أبو المظفر السمعاني لطريقة أبي زيد هذه، وانتقد طريقة شيعته الشافعية الذي تقدموه في عزل الأصول عن الفروع، وجعل الأصول عرضاً عقلياً مجرداً.

ثانياً: ما تقدم من ترقي الشيخ في رحلة طلب العلم بكثرة النظر والبحث، يدل عليه هذا الكتاب؛ فهو يذكر مقالات السابقين، وربما تعقب حنفياً مثله كما فعل مع الجصاص في تعريف العام، فقال: وكان هذا منه غلطاً في العبارة دون المذهب.

وهي كلمة تغليط واعتذار، فهو يقصر الغلط على الجصاص لا على مذهبه الحنفي.

وهو يستوفي عرض مذهب الشافعي في الأصول، ويميز بما ذكره الشافعي وما ذكره الأصحاب.

ثالثاً: تميز الشيخ بأدب رفيع مع الشافعي رحمه الله، فهو لا يكاد يذكره حتى يترحم عليه، ولم أجده شذ عن هذا إلا في مواطن قليلة جداً، وهذا لا يفعله مع غيره كالجصاص وابن أبان، لكنه إن ذكر أبا حنيفة ترضى عنه.

رابعاً: لم أره يذكر أبا حنيفة بمسألة أصولية، كما يذكر عيسى بن أبان والجصاص والشافعي، بل اقتصر ذكره في المسائل الفقهية الفرعية.

هذا ما حضرني في هذا الباب، والله الموفق.

كليمة في كتاب (٧٥):

البلاء الشديد والميلاد الجديد (١)

لفايز الكندري

[٣ أيلول ٢٠٢٠ – ١٦ محرم ١٤٤٢]

جزى الله من ألقاه أمام بيتي ثم ذهب، وقدر لي أني لم أر المهدي، وقد عجل لي قراءة هذا الكتاب، ولم أسعَ إليه لظني أنه داخل نمط سمعت منه ما يكفيني، فقلت: يأتي يوم أنظر فيه، وسأجد فيه منفعة لي.

لم أكن أظن أنني سأواجه لوحة عظيمة، فيها كل خطوط الجمال، وكل خطوط الإنسان بكل نزعاته وخواطر نفسه خلال طريق لاهب محفوف بالموت والضجيج والبنادق، والقهر والأسر، والضحك والبكاء، والشدة واللين.

هذا كتاب يليق به لقب: مانفستو الحياة، ويليق به: كتاب جيب على كل قارئ للعربية أن يقرأه، وأن يجلس بين يديه ليرى ويسمع عن حياة أخرى، قد غابت عن نمط حياة المسلمين، هي حياة الجهاد، والرجال، والصبر، والبلاء، والملائكة الذين يمشون على الأرض بزيهم البشري ودمائهم المخضبة لأرواحهم وألبستهم.

نعم؛ هذا كتاب روح، لو تصنع متخيل أن يأتي به على هذا الوجه لعجز؛ ذلك لأن كاتبه يصف أرضاً مر عليها، وصوراً نقشت من بطء الحدث لألمه وسروره وجماله أنه حقيقة آيات قرآنية.

الكتاب الذي يعجبك في هذا الباب هو الذي يريك الإنسان، فحيث وصل لهذه الغاية صرخت: هذا هو. وهذا الكتاب قد وصل الذروة في هذا الباب.

هؤلاء الذين مروا على حقيقة حياة المسلم، كهذا الرجل المسلم الأديب، والمبتلى في سبيل الله، ومثله وليد محمد الحاج= شرحوا بكلماتهم كل حياة الصبر، والبلاء، وطريق الوقوف مع الحق ضد الباطل، وبقيت أرجلهم في عُدوة

أهل الحق، فلم تكسرهم المحنة، ولا خذلهم التوفيق، بل خرجوا ليبسطوا لأمتهم رحلة القرآن العملية في مواجهة الطاغوت أمريكا.

هذا كتاب لا يصلح أن تقول في موطن منه كلمة؛ ذلك لأن كل موطن فيه وصف لدخائل نفس عظيمة، حتى في وصفها لضعف يمر عليها، لكنه ضعف العبد الذي يجاهد لبلوغ المنزلة، ولذلك من المهم أن تعيش معه.

أكتب هذه الكلمة ولم أتم الكتاب بعد، لأنه هزني جداً، وأثار فيّ الحب والبغض، والفرح والرضا، وعلمني الكثير عن... العظماء.

جزى الله الشيخ فايز خير الجزاء، وجعل كتابه هذا سبيلاً للحق، وناهياً عن المنكر، ومعلماً السالكين خطر الطريق وخباياه، فبعد هذه الكتب لا يحق لأحد أن يقول: لم ننتظر هذا!.

كليمة في كتاب (٧٦):

البلاء الشديد والميلاد الجديد (٢)

لفايز الكندري

[٦ أيلول ٢٠٢٠ – ١٩ محرم ١٤٤٢]

لما كتبت كلمتي عن كتاب الشيخ فايز الكندري "البلاء الشديد والميلاد الجديد"، وأشرت فيها إلى أني أكتب عنه هذه الكلمة قبل أن أتمه، علق بعض الأخيار منبهاً أنه لو كتبت بعد الإتمام، ففي بعض الكتاب من قضايا تخالفها!.

ومعهم حق في هذا؛ فكان ينبغي أن أتم الكتاب لأقول كلمتي، فها أنا أقولها، والله الهادي:

هذا كتاب رائع، وهو نافع لقارئه، فهو رحلة إنسان مع فتنة الإيمان، وهذا ما أبحث عنه في الكثير من حياتي وقراءاتي، ومعياري في مثل هذه الكتب، وهي كتب السيرة وأدب السجون، أن أكتشف الإنسان، فكيف إذا اجتمع مع هذا الإنسان قضية الإيمان؟!.

لقد انتهيت من الكتاب، ورشفت كل كلمة فيه، وأحببته، وما زلت على كل كلمة قلتها فيه، بل يستحق أكثر من هذا.

وبعد ذلك فليخالف الناس بعضهم، وليقولوا ما آمنوا به وصدقوه، فليس أحد قيم على أحد إلا بالحق، ورجل عاش المحنة التي عاشها الشيخ فايز من بلاء لجدير بالاحترام والتقدير، وإفساح القلب له بالحب والقبول وسعة الصدر.. لو صار خلاف.

لقد قدر لهذا العبد أن يسجن، وأن يتأمل، وإن كان هناك فرق بين سجن وسجن، وبين بلاء وبلاء، لكن رأيت القدم على القدم في الكثير مما كتبه وعاناه وأحسه وفهمه، فعلمت صدق الكلمات، وهي صادقة قوية التأثير نافعة للمسلمين.

وليعلم الناس أننا عندما نفقد إنسانيتنا وحبنا وبغضنا وتأثرنا وعواطفنا، فقد فقدنا كل المعاني التي تبنى عليها

بعد ذلك، حتى المعاني الإيمانية منها.

هذا الكتاب دعوة للكثيرين أن يكتبوا تجاربهم؛ لأنها تاريخ، ومن حق الأمة حفظ هذا التاريخ، ومن حق الأمة معرفة خفايا البلاء في صنع الرجال، ومواقف الثبات، ولتعلم الأمة تاريخ عظمائها حتى لا يسرقها السفلة الأنذال ممن لا هم لهم إلا رفعة أنفسهم، وإسقاط غيرهم.

هذا كتاب الإنسان في محنته مع الإيمان، وهو كتاب سيرة العظماء، وملف جديد لتاريخ أمريكا وإجرامها في حق الإنسان.

وأما غير ذلك ففي القلب متسع للحبيب إن خالف.

كليمة في كتاب (٧٧):

الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية

للدكتور محمد ضاري حمادي

[٢٣ أيلول ٢٠٢٠ – ٦ صفر ١٤٤٢]

من محاسن كتب المتأخرين الجمع لما تفرق في كتب متعددة، وفي أطوار تاريخية متفرقة في مكان واحد، وورقات متقاربة، فتستطيع النظر في مشهد للموضوع في مشهد واحد.

ومع هذا الفضل، فعلى طالب العلم أن يحذر من التحيز العلمي، حيث يسير الجامع لما تفرق سيراً مخادعاً ليضبط نظرك نحو ما يريد لا ما عليه الأمر، وهذا كثير في أصحاب الأهواء والمقالات، فيظهر ما يريد ويخفي ما لا يحب ويهوى.

فإن خلا الباحث عن هذه التهمة وجدَّ في البحث والتقميش أفادك الكثير، ووفر عليك الوقت والجهد.

هذا الكتاب من محاسن الكتب في هذا الباب، وهو الباب الذي يدل عليه عنوانه، يجمع فيه عاطفة مسلم صادق يدافع عن الأثر، وهو عمدة العلم لهذه الأمة، يقر بذلك كل من قرأ علوم هذه الأمة؛ ومع هذه العاطفة الصادقة ترى استقصاءً جيداً يجعله من نوع الكتب التي تنشأ من القراءة المستوعبة، وهذا شيء قلّ عند المتأخرين إلا من جهابذة صنعوا لكتبهم مجد البقاء والمدح.

الكتب التي تبحث في موضوع هذا الكتاب كثيرة جداً، وكذلك الأجزاء البحثية، وكلها فيها من الخير والفائدة، لكن هذا الكتاب يكاد يستوعب الأبحاث، ويجمع ما سبقه من الأبحاث والدراسات، والكتب التي جاءت بعده قصرت في الدرس اللغوي؛ فبعضها يقيم بحث الاستشهاد بالحديث الشريف على اللغة من خلال نفس حديثي؛ لا يلزم اللغوي، ولا يقطع حجته التي هي ناشئة على كتب اللغة وأهلها لا غيرهم، والعلوم لها مفاصلها الخاصة بها عند أهلها، والباحث يحاول أن يجري بحثه على عقولهم ومناهجهم، وهذا شيء مهم في النظر.

مع أن مباحث الكتاب متعددة، وفيها مراجعات لكتب سبقته، وخاصة مناقشة الدكتور ناصر الدين الأسد في

كتابه "مصادر الشعر الجاهلي"؛ فالدكتور الأسد خلال مشيه في توثيق النص الشعري ذهب يرجح هذا التوثيق على كتب السنة، بل جعل أهل الحديث عالة في ذلك على أهل اللغة، والقارئ يمدح كتاب الدكتور الأسد، فهو كتاب (يرد الروح) كما يقولون، ويسمحون له الكثير لنصرة قضية مهمة في لغة الأمة وتاريخها، لكن في البحث العلمي يكون الحساب دقيقاً في مثل هذه القضايا، وقد عالجها الدكتور حمادي على وجه حسن من العلم، وقسوة لفظ من الصياغة.

وهنا تبرز قضية مهمة في منهج البحث، وهو عدم أخذ القواعد والمقررات من كتب الردود؛ فقد تنشأ الكلمات على جهة الإلزام لا التبني، وهنا نتذكر انتصار الدكتور محمد أبو موسى لقصيدة امرئ القيس التي هاجمها الجرجاني خلال انتصاره لبلاغة القرآن، فأظهرها شوهاء بائسة، وإنما فعل ذلك خلال المقارنة، ولو كانت في ساحة البيان لوحدها عند الدراسة لكان لها شأن آخر، ولأتى عليها كما أتى الطوفي على شعر الملك الضليل في "فوائد الحيس".

أهم مباحث الكتاب بالنسبة لعالم معارك اللغة والحديث النبوي الشريف هو الاستشهاد بالحديث على اللغة، وهي قضية قديمة، وفيها كلام ومقالات، والكاتب يحسن هنا الاستقصاء، ويحسن المناقشة، ويحسن الاستشهاد؛ ومع كثرة ما كتب من المتاخرين في هذا الباب، جمعاً وترجيحاً، فهذا الكتاب عندي -وأستغفر الله- هو خير ما جمع، وخير من ناقش، مع هنات تحتمل من لغوي في باب الحديث؛ ذلك لأن بعض الترجيحات لبعض مسائل المصطلح كانت سريعة لا تغني عند طالب علم الحديث، وللكاتب عذره في ذلك؛ فميزة الكتاب أنه يناقش أهل اللغة، مع ما عندهم من مشاركة في علم الحديث.

هذا البحث، وهو الاستشهاد بالحديث على اللغة، هو أهم ما في الكتاب، وينصح طالب العلم بقراءة هذا المبحث بجد وحسن نظر؛ لأن هناك من لا يعرف هذا البحث إلا من كلام بعض المتأخرين، فيقع منهم التعميم والجزم دون استقصاء.

هذا لا يعني قلة فوائد الكتاب الأخرى، بل كل أبحاثه ضرورية، وتلقي على تاريخ العلوم الإسلامية من علوم القرآن والحديث واللغة بعض الضوء الذي يحتاجه طالب العلم بطريقة سريعة.

هذا كتاب نافع، ومهم، وأنصح طلبة العلم بقراءته تاماً.

والله الموفق.

كليمة في كتاب (٧٨):

كيف عرفت أنه نبي

للدكتور الشيخ أيمن خليل البلوي

[٣ تشرين الأول ٢٠٢٠ – ١٦ صفر ١٤٤٢]

كتب دلائل النبوة كتب عظيمة ومهمة، وهو باب من العلم الذي يحصل به زيادة اليقين والرد على المشككين، وذلك بخصوص نبوة سيد البشر وإمام الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد كتبت في المصنفات، الكثير منها تعلق بالرواية، وذلك بذكر معجزاته الشريفة، ومقاماته المنيفة؛ وأشمل هذه الكتب في هذا الباب الأثري كتاب البيهقي، ولأبي نعيم الأصفهاني ومقبل بن هادي الوادعي.

وهناك من يسميها أعلام النبوة كما فعل الماوردي، وهناك من جعل الرواية مدخلاً للنظر العقلي والحوار العلمي.

وعندي أن أفضلها في هذا الباب كتاب "تثبيت دلائل النبوة" للقاضي المعتزلي عبد الجبار الهمذاني.

وهذا باب لا تنقضي عجائبه، والأزمنة بما فيها من علوم تكشف، ومجتمعات لها قوانينها الخاصة؛ فإنها تكون في كل هذا دالة مع كل هذه الأزمنة وهذه المجتمعات على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنَ الأنبياء مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ فآيات صدقه شاملة لكل علم، وشاملة لكل عقل، وشاملة لكل مجتمع.

وفي زماننا من العظماء الذين يحيون علم الدلائل على وجوه مختلفة من الخطاب والنوع، فقد انتشر ما يسمى بالإعجاز العلمي، وتعاظم الحديث عن بلاغة القرآن، وبقي النور القلبي أقوى هداية وأعظم تأثيراً.

الدكتور أيمن البلوي رجل دعوة كما يعرفه كل أحد، وهو رجل من رجال ساحة الدفاع عن الله وكتابه ورسوله، فهو يعيش هم الشباب وما يقع لهم من فتن، ويعرف مشاكلهم عن قرب ومصاحبة، وترتقي معارفه بالخوض في

هذه القضايا العلمية؛ فحياته وقف لمصارعة الإلحاد وما اتصل به، ولذلك ما يكتبه يكتبه من معاناة ومعرفه، فجزاه الله خيراً.

في كتابه هذا "كيف عرفت أنه نبي" يدخل الشيخ الدكتور في زمرة المنافحين عن سيد ولد آدم وخير الأنبياء، في مدخل دلائل النبوة، فيسلك سلكهم الطيب، ويأتي بالدلائل على وجه من المعاصرة التي تليق بالشباب؛ ذلك لأن كتب الأقدمين لا يقدر عليها إلا العلماء، وهذا وجه مهم في التصنيف في هذا الزمان، يأتيه السني العالم، والذي يضبط القول بعلم له أصوله، وبلغة جديدة توافق عقول المعاصرين وخاصة الشباب، وقد أتى هذا الكتاب بالشرطين فيما قرأت.

هذا الكتاب الصغير يصلح كمنطلق وبداية للرد على هذا السؤال: كيف عرفت أنه نبي؟، وهو يجمع بين جهتي العقل والنقل، بطريقة سهلة لأهل هذا العصر، ويصلح معيناً لكل أب وصديق للجواب على هذا السؤال، ولعل الله تعالى يبارك فيه فيكون سبباً للرد على الملحدين، فيهدي به قلوباً، وينير به عقولاً.

ثم أرجو أن يكون هذا الكتاب فاتحة لمثيله وأمثاله، من الدكتور أو من غيره، ليتسع هذا العلم الذي يحتاجه الناس في زمن الماديات والطعن في دين الله؛ ذلك لأن هذا باب عظيم ومتسع وفيه من عجائب المعارف، كذلك هو علم سيال يدخل في كل العلوم والعقول.

في الختام:

جزى الله الدكتور خير الجزاء على هذا الكتاب، وبارك الله فيه، وجعله في ميزان عمله الصالح يوم القيامة، ومقرباً له من مقام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كليمة في كتاب (٧٩):

لماذا يهيمن الغرب اليوم؟ أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل

لإيان موريس

[٢٣ كانون الأول ٢٠٢٠ – ٩ جمادى الأولى ١٤٤٢]

على الرغم من طلب بعض الأحبة بالكتابة عن هذا الكتاب، وطريقتي في العرض كتابة للكتب هو هذا العنوان، فهي مجرد كليمة، وهذا الكتاب أكبر من كليمة؛ لأنه من الكتب التي شغلتني حقاً، وتحداني مراراً أن أكشف عن وجهه المعرفي كما ينبغي، فالمؤلف ليس عادياً، والكتاب كذلك ليس تقليدياً لتنظر في عمده دون أن يستهزئ بكلمات في تفاصيله المضخمة له؛ ذلك لأن هذا الكتاب مزج فيه المؤلف الحاضر مع التاريخ، وصاحبه يخلط لوحاته، وهذا صنيع الأكاديمي فقط.

الكتاب مقصوده في عنوانه، وهو إجابة السؤال المطروح: كيف حقق الغرب هيمنة على العالم؟ والعالم الآخر الذي يقابل الغرب عند المصنف هو الصين لا غير، فهو مشغول بين هاتين الضفتين فقط، وما بينهما وسيلة توصيل وساحة صراع، ثم هو استشراف للمستقبل من خلال قراءة التاريخ وتحولاته.

ككل الماديين يرى أن المادة والواقع وأحداث التاريخ هي التي تسير الفكر والتاريخ نفسه، فهو يكاد يستهزئ بالذين يظنون أن إنتاج التفوق مبني على فكر أو شعر أو فلسفة، لكن الموقع والجغرافيا هي الحاكمة، وهي التي تفرض حركة الأمم نحو الآخر، فالغرب تحصل سيادته عن طريق الرحلة نحو الشرق ليسرق (النار)، وسينازَع من خلال امتلاك الآخر أساليب السيطرة فيما هو قادم من الأيام.

الكتاب ليس أهميته فقط بقضاياه الكلية كما تقدمت، ولكن جماله بهذه التفاصيل التي يدخلك إليها، فتتيه بوصلتك لتكثف الأخبار والدلالات، ولا ينفعك إلا العلم بهذه التفاصيل، وهو يخوض معك حتى فيما قبل

التاريخ، داعياً ترك خصوصية الأجناس وتفوق بعضها على بعض، لأن ذلك غلط وفساد؛ وهو يعرض هذا من خلال رؤاه الداروينية في أصل الإنسان، كحقيقة يتبنونها مع تغييرات يسيرة في النظرية، وهو لا يسمح لك بالدخول في هذه التفاصيل التاريخية، لأنها فقط كدلائل لمسيرته ليقول بأن جغرافية الغرب، ثم أدواته، هي التي صنعت تفوقه، وهذا أمر تداولي متغير.

هذه الرؤية للتاريخ من أجل اكتشاف المستقبل رؤية علمية عجيبة، لكن ليس المشكلة في صوابها، ولكن المشكلة في تفاصيلها، وقدرة الباحث على الرؤية الكلية للتاريخ.

الكاتب لا يرى عالمنا، أقصد الإسلامي، ولعل وضعنا الحالي يغري بالنسيان، وكذلك الصراع الاقتصادي المستعر بين الصين وأمريكا يستر الكثير من الأحداث، ورؤية عقلية ترى دوام مسيرة التطور هي ما تصنع عدم الرؤية هذه.

الكاتب ينذر بنذر عظيمة، منها الأمراض التي تختبئ وراء هذا الحجاب الاقتصادي، ولا شك أننا كلنا عاجزون عن رؤية مقدار مقبول لأثرها على مسيرة الكون ووضع الحضارات، فكلهم وضعوا الأمراض كمؤثر تاريخي لمسيرة الصراع لكن من الواضح أن الخيال كان قاصراً عن رؤية مقاربة لمقدار هذا التدخل.

مداخلات الكتاب لتفسير ظاهرة النبوة المحمدية مداخلة استشراقية، فهو لا ينظر لها -أي النبوة- كفعل رباني، ولا يفسر حركة الإسلام تفسيراً قرآنياً؛ وللأسف هذا يمارسه كثير من المسلمين، فكيف نطلبه من هذا المؤرخ!، ولكنه يضع هذه الظاهرة ضمن حركة التاريخ، كصناعة عظيمة من رجل عظيم، مع إزالته المفهوم الإيماني له (انظر ٧٣٢ وما بعدها)، مع خطأ عدم اعتبار هذا الحدث مؤثراً على مسيرة سيطرة الغرب واكتشافاته، لكنه يرفض اتهام الإسلام معوقاً للمسلمين باعتباره معوقاً، في نقاش تاريخي جيد.

لكنه مع ذلك يبقي للتاريخ كلمة ربما تقلب الأحوال وذلك بقوله: وإنهاء هذا الركود هو العبء الكبير الذي يحمله الإسلام اليوم، ومن يدري ما المزايا التي قد يكتشفها العالم الإسلامي في تخلفه.

الرؤية العامة للمؤلف في تفسيره التاريخ تقترب من التفسير الماركسي له، فما يهم هو النظر لأدوات الإنتاج، واعتبار الإنسان مسوقاً لسيرة التاريخ كما يقول هيغل، ولذلك يقول: إن الثقافة ليست مجرد صوت في رؤوسنا

يخبرنا ماذا نفعل، بل إنها بمثابة مجلس المدينة حيث نحاجج فيه عن تياراتنا، فكل عصر يحصل على الفكر الذي يحتاجه والذي تمليه عليه نوعية المشاكل التي تفرضه عليه الجغرافيا والتطور الاجتماعي. انتهى.

ويقول: إن الثقافة والإرادة الحرة لن تفوقا أبداً البيولوجي وعلم الاجتماع والجغرافيا لمدة طويلة.

وهي واضحة في قواعد تفسيره لفعل الحياة.

الكتاب صدر سنة ١٩١٠، وطلب منا المؤلف أن نراقب أخطر تحولات التاريخ في أربعين سنة قادمة، تنبأ ببعض هذه التحولات، وجعل بعض ما هو قادم حاكم على ما يمكن تخيله من أحداث.

ملاحظة: الكتاب أكبر بكثير جداً مما ذكرته في هذه الكليمة، وأنصح من يهتم لعالم الأفكار، وسبل قراءة التاريخ بوجوه مختلفة، أن يهتم بقراءة هذا الكتاب المهم، فسيجد متعة القراءة والتفكير.

كليمة في كتاب (٨٠):

قصور الاستشراق

لوائل حلاق

[٢٦ كانون الأول ٢٠٢٠ – ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٢]

من النصائح التي تحتاجها في قراءة مثل هذه الكتب أن تكتشف ما يسمى عمود الكتاب، وهو أشبه بقولك: بيت القصيد، مع ما على هذا الكلام من نقد معلوم؛ فمن دون معرفة أساس الموضوع ستبقى أسيراً للعبارات المتوزعة، وستبدو لك كل كلمة نابية عن أختها، وهذا شاق لكنه مهم، لأنه يريحك في ترتيب الصورة، وجمع الكلام.

هذا الكتاب صرح كاتبه في مقدمته العربية بكلام مهم، وهو أنه موجه لشباب المسلمين والعرب الصاعد (ص١٦)، وبالتالي يهديهم هذا الكتاب.

والمعلوم أن أغلب الكتبة بالفكر من منظور حداثي أو ضد حداثي يتوجهون بكتبهم للعقلية الغربية، لأسباب كثيرة تحتاج لبسط وشرح مستقل، لكن هذا الفلسطيني ذا الأصول المسيحية يصرح أنه يكتب لأصوله الثقافية والقومية، وهذا شيء مميز.

والأمر الثاني أنه جعل كتابه هذا ضمن ظلال كتابه "الدولة المستحيلة"، فهما مقصودان لأمر واحد: الطعن في الحداثة من جهاتها المعرفية وظلالها الواقعية كالدولة. (الطعن كلمة مني، وإلا هو يستخدم لفظ النقد).

ليس مهمتي هنا أن أشرح الكتاب، ولكن كلمتي هنا لشرحي أنا وأنا أقرأ الكتاب، وهذا يعفيني من أي اتهام أني ظلمت الكتاب أو أنصفته.

هذا الكتاب "قصور الاستشراق" نشأ على ضفتين مهمتين، أولاهما: نقد إدوارد سعيد في كتابه الشهير "الاستشراق"، وتذييلاً لا ظلالاً لكتابه "الدولة المستحيلة".

أنا أقول (حتى لا أتهم بأني لم أفهم حلاق) أن حلاق يتهم سعيد بالحداثة؛ فهو في جذوره المعرفية رجل

حداثي، وما فعله من نقد الاستشراق هو نقد سياسي، كون الاستشراق عمل مصاحب للاستيطان (الكولونيالية)، وهو خادم له، وما يذكره عن معارف سعيد الفكرية من كونه فاقداً لحس المؤرخ، وحس الفيلسوف، وهو أقرب للأديب الذي يتعاطى مع هذه القضايا تعاطياً ظاهراً وحياتياً هو محاولة لزرع الفكرة بطريقة مؤدبة مع أستاذ له علمه الشجاعة كما يعترف في كتابه، وأن الاستشراق ليس عملاً سياسياً فقط كما وضع صورته سعيد بل هو عمل يتعلق بالعقل الأوروبي في رؤيته الحداثية للغير.

الاستشراق ليس تزويراً للآخر من أجل تقبيحه، لكنه عمل على وجه التحليل من خلال معمل عقائدي في نفس صاحبه، وبالتالي يكون إنتاجه هو إنتاج آلة فكر لا آلة نفس، هذه الآلة هي آلة الحداثة الغربية، بأدواتها وفهمها.

(يعترف حلاق أن هناك من اكتشف هذا، انظر ص ٣٢ – ٣٣).

إن فهمت على حلاق هذا المعنى جيداً استطعت أن تفهم كون هذا الكتاب ظلاً لكتاب "الدولة المستحيلة"؛ ذلك لأن حلاق في "الدولة المستحيلة" كشف التغاير الأصيل بين جوهر الحداثة وبين الإسلام، وبالتالي لا وجود لدولة اسلامية من خلال هيكل وجوهر الحداثة، والآن يقول لك حلاق: لا يوجد استشراقان، مجمل ومقبح، بل هو شيء واحد لجوهر واحد، هو المعايير الحداثية، حتى لو وجد اختلاف في الفروع بين مستشرقيْن.

إدوارد سعيد رأى تزويراً! ورؤى مسبقة، ونظارات سوداء، وحلاق رأى تطبيقاً للمنهج، وأن الاستشراق آلة أنتجت إنتاجاً يلائم رؤيتها.

على ضوء هذه الرؤية من حلاق لسعيد كان النقد للفعل وللآثار كذلك، ومن ذلك تقسيم الاستشراق لصالح وطالح، بل وعدم إقرار حلاق أن الاستشراق كان له دور أكبر مما سماه (الوحدات الأكاديمية) في مشروع السيطرة والهيمنة (عبارات حلاق).

ما يفهم من كلام حلاق أن الاستشراق لا يمكن إصلاحه في فهم غيره (مثلنا)، لأن جوهره مختلف، وكذلك أصوله وليست ظواهره ولا رجاله بصدقهم وكذبهم، فكما أن الدولة الإسلامية مستحيلة في ظلال الحداثة فكذلك تصويب الإسلام لن يكون من خلالها كذلك.

كليمة في كتاب (٨١):

علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة

لجوزيف فان إس

[٣٠ كانون الأول ٢٠٢٠ – ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٢]

الجزء الأول والثاني، وهما المترجمان؛ مع ما في الترجمة من سقم وفساد، حتى لا يكاد يسلم لك اسم من الأسماء إلا بتحريف وتغيير، وخاصة الجزء الثاني منهما، إلا أن فساد رؤية صاحب الكتاب هي ما تصيبك بالقهر.

الكتاب لما لخصه صاحبه، وقام على رعاية ترجمته رضوان السيد، مدح صاحبه في التحليل! وذمه في التركيب، ومع عدم قراءتي للمختصر الذي كتب عنه رضوان السيد مراجعته، إلا أني جاهدت نفسي مع هذا الكتاب، لكثرة مادحيه! وتعدد من أشار إليه بأن صاحبه بصير مكثر طلعة يدري ما يقول! والمرء في زماننا لم يعد يصدق أكثر أهل ملته، فهم يكذبون في هذا الباب كما يتنفسون، ولذلك ما أن ترى ذماً أو مدحاً حتى ترميه وراء أذنك، وتنصرف للحفاظ على عقلك ونفسك.

تأمل أن هذا الكتاب يرى أن مصدر العقيدة الإسلامية والشرائع هو النصرانية! نعم، هكذا بوضوح مستتر باللف والدوران والمخاتلة، ثم يأتيك من يقول: الرجل ماهر في التحليل!.

منذ البداية وهو يتهم أن الإسلام وضع عنصري، كما اليهودية من قبله؛ إذ إلههم عنصري لهم، فهو رب بني إسرائيل، وهنا في الإسلام فالرب رب محمد (صلى الله عليه وسلم)، وجبنه لم يتهم رب اليهود بالعنصرية بل هو عندهم الرحمن فقط!

تصاب بالغصة فتستمر الرواية القبيحة.

وعند الحديث عن الردة يقول: ربما وجدت بدايات لتسمية أبي بكر وعمر كأنبياء، إلا أن ذلك ضعف بعد وقت قصير وتحول إلى اعتبارهما محدثين!.

هذا في سياق ختم النبوة، لمحاولته أن الإسلام إنتاج محمدي فقط، وتطور اجتماعي في العرب.

لكن بالله عليكم هل سمعتم بهذا الخبر، وهو أنه وجدت بدايات لتسمية أبي بكر وعمر أنبياء؟!.

هذا من كيس هذا المحلل المتقن!.

لا تظن أنه ترك هذه الكلمة التي ألقاها بسرعة وفي لحظة ظلمة كاللص، بل صار يعود إليها، فهي صارت حقيقة عنده، إذ يقول: جرت مقاومة تصور كون أبي بكر وعثمان نبيين في العقيدة الإباضية!.

في لفة تدير الرأس يمزج هذا الخبيث بين ظهور النبوة والبيئات التي كانت تنتظر المسيح، في معنى أن هذه النبوة سرقة الأفكار من النصارى.

هذه الرؤية أن تاريخ الإسلام من أوله مجرد ردة فعل نشأ على ضفاف الغير هو فكرة هذا الكتاب، حتى بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهو استعراض للقوة في مواجهة بيزنطة (حسب عبارته): ولذلك شيد في القدس كمعارض لأنستاسيس وربما لكنيسة القيامة، إنه ليس مسجداً وإنما بناء رمزي!. هذا قوله بلفظه.

حتى التأكيد بكتابة سورة الإخلاص مذكرة بالتوحيد، هو تذكير بالمسيح كما ذكره القرآن.

كل هذا الدين في نظر هذا المستشرق هو فعل سياسي، حتى والمسلمون يقولون: الله ربنا تبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم، هي استخدام طوائف ضد طوائف، ومثلها النصيحة بتقوى الله على المنابر.

تحت مفهوم الأمة يقرر حضرته: ... هذا الموقف الذي ينسحب على موقف محلي ضيق، استمرار الفكر القبلي العربي القديم وميزة المجتمع المجزأ!

وهكذا تسري قضية صناعة الإسلام، حتى مفهوم العشرة المبشرين بالجنة هو إنتاج يقابل الحواريين، وعقيدة التوبة الخالصة جاءت لتضاد الخلاص المسيحي!.

الكتاب يبني رؤاه أن العقائد إنتاج اجتماعي، وأن الإسلام هو تطور بيئة خاصة، وما علم الكلام ومذاهبه إلا على هذا المعنى.

كتب المستشرقين لم تعد تستفزك لجهلها فقط، لكن صارت تؤلمك بمادحيها من (الخشب المسندة) من بني جلدتنا.

كليمة في كتاب (٨٢):

الصنم الذي هوى

بتحرير ريتشارد كروسمان

[٨ كانون الثاني ٢٠٢١ – ٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٢]

مهداة لأخ طيب

على الرغم من مناقشتي لهذا الكتاب في مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، إلا أنه من الكتب التي لا يمكن أن يحكى عنها، فمن أجل أن تفهم يجب قراءتها بنفسها؛ فكل كلمة فيه لو أزيلت لفقدت معاني مهمة من قيمة هذا الكتاب، ولضعف إدراكك لمحيطك ومحيط الأحزاب والتنظيمات وجوانيتها الحقيقية.

ابتداءً؛ فهذا كروسمان من أعتى خصومنا في قضية فلسطين، فهو صهيوني أكثر من اليهود أنفسهم، ولم يكتب عنه في لغتنا العربية، وله كتاب في رؤيته للقضية الفلسطينية، وقد استقال من التدريس في الجامعة ليدخل في مجلس العموم البريطاني (البرلمان) ليدافع عن اليهود (الفترة بين ١٩٥٠ - ١٩٦٨)، واستلم الوزارة في عهد هارولد ويلسون المتهم أنه من جماعة الخمسة الشيوعية، كما يقول بيتر رايت في "صائد الجواسيس"، وقد بدأ حياته السياسية كعضو عاشر في اللجنة التي كونتها بريطانيا وأمريكا لاتخاذ قرارات يهودية ضد فلسطين وأهلها.

موضوع الكتاب ليس هنا.

هذا الكتاب يحكي تجربة ستة من الشخصيات الفكرية (فلاسفة وشعراء وأدباء ومفكرين وقادة): كيف دخلوا الشيوعية، وما هي المعاني التي جاءتهم للدخول في هذا (الماخور السياسي)، وما هي أسباب انفضاضهم عنها؟ هؤلاء الستة هم: آرثر كستلر وريتشارد رايت وأكناز سيلوني وأندريه جيد ستيفن سبندر ولويس فيشر؛ والثلاثة الأوائل دخلوا الأحزاب الشيوعية، والباقون صاروا شيوعيين بأفكارهم ولم ينتظموا في الأحزاب؛ وجميعهم انقض بعد ذلك على الشيوعية وتكلموا عن تجربتهم المرة خلال حياتهم الشيوعية.

منيف الرزاز سمى تجربته مع حزب البعث والشق العسكري فيها بـ"التجربة المرة" في كتاب له، وسأكتب عنه إن

شاء الله، وهؤلاء تجربتهم مرة وقاسية.

قسوة هذا الكتاب، وهو قراءة قديمة، وقد نشر عربياً سنة ١٩٦٠ في دمشق، ولا أظن أنه طبع طبعة ثانية.. قسوة هذا الكتاب هو دجل الأحزاب وقسوتها، وفساد سلوكها، وبقراءته بهذا المعنى يكشف لك كواليس السياسات، وكذب رجالها، ليس فقط السياسيون المسيطرون على الحكم كحال الدولة السوفياتية، لكن يكشف مواخير الأحزاب التي تحاول جاهدة تزوير الواقع، وصنع أبواق صارخة دون وعي، وبغثائية كبيرة.

كيف يسلك المريد العقائدي نحو الكذب والموت في سبيل اللاشيء، وهو يظن أن فوقه قادة يفهمون ويخططون، ثم يكتشف أنهم فاسدون، لا يفهمون أكثر من أي عضو جاهل في الحزب، وكيف تحول القضايا الشخصية إلى قضايا عقدية، يوالى عليها ويحاكم بالتهمة عليها، في صورة قاتمة سوداء.

الدجل: هو عنوان السياسيين، وعنوان الأحزاب السياسية، وتحقير كلمة الكذب في داخلها وعي مرفوض، وتهمة قاتلة، فيجب تقديس وصف الكذب، فأنت عظيم بقدرتك على الدجل والكذب.

حين تتحرر من أسر الحزب، ولربما تكتب نصيحة لقيادته، حينها تتحول إلى (كافر) وزنديق ومرتد، ومفسد للقضايا العظيمة.

في الكتاب أسباب انتظام المرء في حزب يناقض العقل والمنطق، وأنت تقرأ هذا الكتاب تكتشف ما حولك، وتكتشف كيف يساق الشباب إلى أحزاب بعقائد وتصورات ومناهج مدمرة قاتلة، يساقون وهم يتبسمون وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، ويموتون من أجل قضايا شريفة!.

هذا الكتاب يذكرك بتجارب في الحياة التي راقبتها، ورأيتها، في أحزاب دينية أو علمانية، وكلما كنت فاسداً منافقاً كنت بريئاً من تهمة التخريب، وارتقيت في المناصب، وقربتك القيادة!.

لو كان لي حكم في باب القراءة لأوجبت قراءته على كل عاقل، وكل شاب، وكل مفكر؛ لأن كل تجربة فيه نحتاجها للعبرة والدراسة والعظة.

حين ترى الكلام قليلاً عن كتاب فيكون سبب ذلك إما تفاهة الكتاب فهو لا يستحق النظر والبحث والمراجعة، وإما لأنه أكبر من الاختصار، وهذا الكتاب حقاً من النوع الثاني.

تستطيع سماع التقرير عنه في مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، فهناك بعض التفصيل، ولكنك لا تخدع نفسك أنك فهمت شيئاً عنه دون أن تقرأه كله، وتستطلع كل تجارب الناس فيه.

كليمة في كتاب (٨٣):

معرفة السنن والآثار (١)

للإمام أبي بكر البيهقي

[٣ تموز ٢٠٢١ – ٢٤ ذي القعدة ١٤٤٢]

هذا الكتاب من الكتب التي اعتنى بها البيهقي شرحاً لمذهب الشافعي وفقهه الحديثي.

وكتابه السنن وإن كان جامعاً لأدلة الفقه المرفوعة والموقوفة بل والمقطوعة، دون ترك لما احتج به فقيه من الفقهاء، ودون اختصاص لواحد دون الآخر، وهو من كتب الإسلام الكبرى ولا شك، يعلم ذلك كل طالب علم، ولا يستغني عنه فقيه، وهو زينة كتب الحديث التي بنيت على كتب الفقه، استفاد في تصنيفه بكل من سبقه، فارتفع على من سبقه بما جمع وأوعب= ولكن كتاب "معرفة السنن والآثار" أراد به ذكر أدلة فقه الشافعي رحمه الله تعالى، ترتيباً له على كتاب مختصر المزني، والذي هو مختصر كتاب "الأم" للشافعي، وفيه إضافات، وصار لمزاياه عمدة كتب مذهب الشافعي لمن جاء بعده.

وقد اشتهرات كلمة أبي المعالي الجويني، وهو أحد أصحاب التخريج على مذهب الشافعي، ويعده بعضهم من الطبقة الزمنية الرابعة لرجال التخريج على المذهب، والذي لقب بإمام الحرمين حيث قال: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي؛ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وبسط موجزه، وتأييد آرائه.

ولعل كتاب "معرفة السنن والآثار" هذا هو أظهر دليل على هذه الخدمة الجليلة التي تحدث عنها أبو المعالي، فقد بنى الكتاب لهذا المعنى، وهو حشد الأدلة للمذهب وتحقيقها والحكم عليها، وإجراء طريقة المحدثين على أدلة الحديث والآثار.

وكتاب المعرفة هذا مع ما فيه من سوق أدلة الشافعي على مسائل الفقه، مما ذكر في كتب الشافعي وما ذكر في غيرها من طريقه، إلا أنه كذلك أشبه بالمستخرجات؛ فيؤيد روايات الشافعي ويقارنها برواية غيره كذلك، كما يعلق

عليها ويحكم عليها تعليلاً وتصحيحاً، كما يتكلم عن رجالها مما يخدم الحكم الموافق لها عنده.

والمقصود من الكتاب استيعاب أحاديث الاحكام والآثار فيها لا كل حديث الشافعي، وهذا معنى قول ابن حجر: من أراد الوقوف على حديث الشافعي مستوعباً فعليه بكتاب "معرفة السنن والآثار للبيهقي"، فإنه تتبع ذلك أتم تتبع، فلم يترك له في تصانيفه القديمة والجديدة حديثاً إلا ذكره مرتباً على الأحكام. ومقصود ابن حجر هنا واضح جلي، أي ذكر أحاديث الأحكام،لا أحاديث الشافعي في كل علم، بل يكاد كلام ابن حجر يقتصر على الأحاديث التي رواها الشافعي في كتبه لا كل حديث في الباب.

وهذا يبطل من فسر كلام ابن حجر رحمه الله أن مقصوده جميع حديث الشافعي، وهذا لا يتصور صدوره من ابن حجر، ذلك لقول الشافعي: لولا مالك وسفيان -أي ابن عيينة- لذهب علم أهل الحجاز. وهذه كلمة كلية تحتها علم الشافعي بحديث أهل الحجاز، وعلم مالك وعلم سفيان.

وأما حديث أهل العراق فقد استوعبه في رحلتيه إلى هناك، وقراءته لفقه محمد بن الحسن ووضع حديث تحت كل باب في كتب الشيباني دال على ذلك، وقد سمع حديث أهل اليمن، وهو القائل: الليث أفقه من مالك؛ وهي كلمة لا تطاوعه تقواه رحمه الله عليها إلا أن يكون استوعب علم الرجلين دراية ورواية.

كل ذلك يعلمه ابن حجر وأكثر منه، فلا يتصور معنى كلامه أن حديث الشافعي مستوعب في "معرفة السنن والآثار".

وما بسطه ابن حجر من كلام هو تفسير لكلمة ابن كثير المجملة: جمع البيهقي نصوص الشافعي في عشر مجلدات.

وللكلام بقية إن شاء الله تعالى.

كليمة في كتاب (٨٤):

معرفة السنن والآثار (٢)

للإمام أبي بكر البيهقي

[٤ تموز ٢٠٢١ – ٢٥ ذي القعدة ١٤٤٢]

لما كان هذا الكتاب كتاب فقه حديثي لزم بيان بعض أصول الفقه، وعلى طريقة المحدثين والتي اشتهرت في مصنفين: "الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وكتاب "جامع بيان العلم" لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، والأول كما ترى متقدم على البيهقي بالطبقة الزمانية، والثاني يقارنه.

فرق بين مقدمة موطئة لموضوع وبين كتاب أنشأه صاحبه لعلم من العلوم، فالبيهقي يمهد بمقدمة ليس من شأنها أن تحيط بروايات هذا الفن، لكن الخطيب أراد تمهيد طرق علم الأصول للحديثي.

وأنت تقرأ مقدمة كتاب البيهقي الأصولية تدرك مراد الشيخ منها، وهو الرد على مخالفين لهذه المسائل.

يبدأ البيهقي بمقام بيان القرآن مصدراً للأحكام، ومقام القرآن من الأحكام، حيث أتى على المجمل منها، ولذلك ينقل كلام الشافعي: فليست تنزل بأحد نازلة إلا والكتاب يدل عليها نصاً أو جملة.

هذا مع شرحه مراتب النص في دلالته على الأحكام، فيقول عن الشافعي: ولا يكون الحق معلوماً إلا عن الله جل ثناؤه نصاً أو دلالة؛ ومقصوده بالدلالة كما يشرحها في "الرسالة": القياس.

ثم يأتي على بيان مقام السنة في دين الله تعالى، وأنها وحي من الله تعالى، ومعنى كون السنة وحياً من كلام الشافعي أن الوحي نزل بها، لكن (لم يتلَ به قرآناً).

وما نقله شيخ ابن تيمية رحمه الله عن الشافعي كما في مقدمة التفسير أن السنة هي ما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن يحتاج إلى ضبط مقارنة بما ذكره البيهقي هنا.

وهذه المسألة مما صُنف فيها ككتاب عبد الغني عبد الخالق رحمه الله "حجية السنة"، وناقش فيها الإمام

الشاطبي لتبنيه ما يقوله الشافعي كما نقله ابن تيمية.

وأرجو أن لا يكون هناك خلاف حقيقي، إذ يمكن الجمع بين الأقوال بيسر.

والشافعي يقول: ليس يخالف الحديث القرآن، ولكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم يبين معنى ما أراد خاصاً وعاماً وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله.

والشافعي يقول هذا راداً على حديث لا يصح (**فما آتاكم عني ما يوافق القرآن فهو عني، وما آتاكم عني يخالف القرآن فليس عني**)

وشرحه في بيان مقام السنة من القرآن رد بمن رد السنة بعموم الكتاب وهي تخصه، وهذا فعل الجاهلين في زماننا.

ثم يأتي بمسألة حجية حديث الآحاد في الأحكام، وأن لا قول لأحد يعارض به قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يأتي إلى بعض شروط صحة الحديث، وأهمها الرجال، ذلك لأن القول في الرجال هو أصل تقسيم الحديث، وما عرف تقسيم الحديث إلا بناء على معرفة رجال الحديث؛ فعلم الرجال أصل علم الحديث كله، وحتى ما يقال له نقد النص فإنما بناؤه على الرجال، وقد يكون الكلام على الحديث مبنياً على المقالة في الرجل مطلقاً، أو تكون خاصة بحال أو طبقة أو حادثة، كأن يخطئ الثقة في باب أو رجل أو بلد أو شيخ أو حديث.

حتى الوصل والقطع هو فرع من فروع الكلام على الرجال، وكذلك العلل كما تقدم.

وكلام الشافعي في هذا الباب يدل على بصره بعلم العلل، وأنه يبنيه على القواعد لا على فروع المسألة كما كان يفعل رجال عصره.

والشافعي وهو يتكلم في زمن عبد الرحمن بن مهدي في قواعد علم الحديث، وهو سبب كتابة الشافعي للرسالة يعني أنه من طبقتهم، يكتب لهم، ويبسط مقالاته؛ لكن اشتغاله بالقواعد، والتي لا تكون إلا بإحاطة الفروع= جعلته ممن لا يجلس مجالس المحدثين المختصين في هذا الباب كالقطان وابن مهدي ومعاصرهما البصري شعبة بن الحجاج.

تأمل هذا الإبداع في صياغة القاعدة، إذ ليس كل عالم يقدر التعبير عما يجد كما قال بعضهم عن علم العلل، فالعلم باب والإبانة عنه باب آخر.

يقول الشافعي: لا نقبل حديثاً إلا من ثقة، ونعرف صدق من حمل الحديث من حين ابتدأ إلى أن يبلغ منتهاه.

وتأمل هذا التدسس في معنى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنهي عنه في الحديث؛ إذ يقول رحمه الله ورضي عنه: فالعلم إن شاء الله يحيط أن الكذب الذي نهاهم عنه هو الكذب الخفي، وذلك الحديث عمن لا يعرف صدقه، لأن الكذب إذا كان منهياً عنه على كل حال، فلا كذب أعظم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يتبع، إن شاء الله.

كليمة في كتاب (٨٥):

حلف المصالح المشتركة، التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة

للأمريكي الإيراني الأصل: تريتا بارزي

[٢٥ كانون الثاني ٢٠٢١ – ١٢ جمادى الأخرى ١٤٤٢]

الاسم الأصلي للكتاب هو: التحالف الغادر.

هذا الكتاب مبني على رسالة المؤلف للدكتوراه تحت رعاية فرانسيس فوكوياما الشهير بكتابه "نهاية التاريخ"، وقد نشر هذا الكتاب سنة ٢٠٠٦، ويعمل المؤلف أستاذاً للعلاقات الدولية في جامعة هوبكنز.

أهمية هذا الكتاب تكمن في أن صاحبه رجل أكاديمي، معني بالبحث والبعد عن الأسطورة، ويبني قراراته من خلال الحدث المرئي، ومن خلال الوثائق المخفية واللقاءات الشخصية المباشرة؛ ولذلك هو مطالب في كل خطوة أن يذكر حقيقة واقعية ليدلل على رؤية فكرية مقصودة. فالكتاب عقلاني بحت، ويفسر الأمور بواقعية التاريخ والمعاصرة، وهو أبعد ما يكون عن خيال نظرية المؤامرة؛ ولذلك هو لن يعجب الرائين للعلاقة بين هذا المثلث علاقة مؤامراتية، مبنية على اتفاق تام، يجري في الخفاء على معنى وفي الظاهر على معنى آخر، كما يحلو لبعضنا هذا التصور.

يبدأ الكتاب ببيان القواسم المشتركة بين العقل الإيراني (الفارسي الشيعي) والعقل اليهودي، وخاصة اليهود القادمين من أوروبا الشرقية.

هناك قواسم تجمع العقلين، أهمها كما يقول الكاتب: احتقار العرب؛ وهذا الاحتقار له ظلاله على السياسة، مع وجود العرب وسط الجغرافية الحاجزة بين الطرفين.

يوجد يهود إيرانيون في فلسطين، عندهم ارتباط وجداني مع إيران أصلهم، يشكلون مزاجاً يهودياً كقاسم مشترك مع الدولة اليهودية وإيران.

الكاتب –بذكاء يحسب له– يجمع بين دين التقية الشيعي والتربية اليهودية، وهي القائمة على حفظ السر في

داخل اليهودي والشيعي. وهو يشير إشارة خفية دون تصريح إلى قاسم عجيب هو: المظلومية؛ فالشيعي يعاني هذا الاعتقاد ويبكي دوماً حتى وهو ظالم، واليهودي كذلك، فهو يعاني هذه العقدة حتى وهو يقتل خصمه.

الكاتب يرى بقوة أن العلاقة الإيرانية اليوم بين دولة الملالي وبين إسرائيل قد تم بناءها منذ زمن الشاه، وقد فهم المزاج من الطرفين من تلك الأيام؛ وأهم ما يستنتج من الربط أن إيران تسعى للهيمنة على جيرانها الأغبياء، وهذا شيء جامع لإيران الشاه وإيران الملالي.

الكاتب من خلال دراسته، وربما أصوله الإيرانية التي يعرف جوهرها الخفي، يقرر أن إيران على كل وجوهها - من شاه وملالٍ- يكرهون العرب، ويحتقرونهم، وفي عمقهم النفسي يرون العرب محتلين لبلادهم حتى أيام الفتح، وما زالت الحرب قائمة بين الأمتين الفارسية والعربية كما يقول المؤلف، كانت صورها تتمثل بما يسمى بالشعوبية.

العلاقة بين إسرائيل وإيران بكل صورها هي علاقة صراع على الأنبياء (العرب) وعلى النفوذ، وهذا يقتضي سياسة لا حرباً، ومواجهة في الظاهر بكل الكلمات، ولكن لتدبير سياسي ذكي بين خصوم يدرك كل واحد أن الآخر لم يوجد ليذهب من خلال الحرب التي تدق طبولها زوراً، ولكن صراع الحكماء، والاتفاق الذكي، والذي يمنع الصدام أكثر من اللازم.

نعم؛ إيران الثورة خطبت الود الفلسطيني، وأعلنت العداء لإسرائيل، لكن فهم الأمريكان واليهود أن هذه العمائم تقول شيئاً ويمكن لها بسهولة أن تفعل غيره، وكل الكلمات الكبيرة هي تسويق شعبوي فقط، ولكن للسياسة سبلها.

الأمريكان وإسرائيل قابلوا هذه الثنائية بثنائية كذلك، تهديد بالدمار وسياسة صراع مقبول متفهم.

ليس هناك اتفاق، ولا مؤامرة تقسيم، لكن لا يوجد حرب كذلك، والمجال يحتمل التعاون كثيراً، بل شراء السلاح جائز عند الخميني، والحرب ضد العرب تحتمل هذا كله.

الخميني أدرك أن عرفات ومنظمة التحرير لا تنفع حليفاً له ضد المحيط العربي، ولذلك طردهم كوسطاء لحل موضوع الرهائن الأمريكان، فانتهى شهر العسل مع هذه الجهة العربية.

المحيط العربي عدو استراتيجي لإيران، وهو عدو لإسرائيل، وكلاهما مصالحه متنوعة مع هذا المحيط؛ فلنبقِ ما في

الظاهر كما هو وفي الباطن نتصارع سياسة ونتفق سياسة، ومع زوال هذا العدو يجوز كل شيء حتى الحرب.

إيران الملالي تريد قيادة العالم الإسلامي لتكون حلم الشاه بأنها شرطي المنطقة، وإسرائيل تريد دوام الصراع في المنطقة لئلا تزول أو تنشأ لها أوجاع من عقائد هذا المحيط.

الكتاب ينتهي إلى أنه لا يوجد أي صراع عقائدي بين الملالي في إيران وإسرائيل، بل هو صراع سياسي، أدواته الظاهرة الصراخ بالإزالة والإبادة، وباطنه التعاون والخلاف بما تسمح به الصراعات السياسية.

حين تبحث عن دور الجماعات السياسية والقتالية المرتبطة بإيران كحزب الروافض اللبناني والجهاد وحماس، وكيف تتعاون معهم إيران عسكرياً= تفهم أن هذا كله ضمن خطوط المسموح به في الصراع السياسي، وهي -أي هذه الجماعات- عند إيران أدوات لتحقيق منافع لها، لا كعمل (جهادي، عقائدي) كما يظنونه، ولكن كأداة لتحقيق دور سياسي في المنطقة التي حولها الصراع.

الكتاب مهم من جهة نتائجه ومن جهة أدوات قراءته، وهو نافع في فهم السياسة في هذا العالم.

كليمة في كتاب (٨٦):
الموجة الثالثة

لألفين توفلر

[١٤ آذار ٢٠٢١ — ١ شعبان ١٤٤٢]

الاستشراف ليس ترفاً، لكنه جزء كبير من ضرورة معرفة المرء موقعه من الحاضر والمستقبل؛ ولذلك هو جزء مهم من النظرية العلمية، حتى الفيزيائية منها، فكيف في صناعة التاريخ؟!

هناك رجل يسمى عند قومه بعالِم المستقبليات، تنبأ (استشرف كثيراً من المستقبل، واستعان به رؤساء كمهاتير محمد، وأثرياء سياسيون ككارلوس سليم المليونير السياسي، ومن تلاميذه غورباتشوف وغيره) هذا الرجل تنبأ بسقوط الاتحاد السوفياتي قبل تفتته بزمن.

وهو للذكر ينسب إلى الماركسية التروتسكية (نسبة إلى صديق لينين: تروتسكي، الذي هاجر إلى أمريكا الجنوبية، ولحق به ستالين بعصاباته فقتله).

هذا الرجل (ألفين توفلر) له كتاب "الموجة الثالثة"، وهو لقب أطلقه على الثورة الإلكترونية المتمثلة بحضارة النت، كما يجعلها ثورة ثالثة بعد الثروة الزراعية التي أعقبت عصر الصيد، ثم بعدها بألف عام كان العصر الصناعي؛ فهاتان موجتان كبريان، أحدثتا تحولات سياسية واجتماعية.

واليوم، كما يقول في كتابه، هناك موجة الحضارة الإلكترونية الثالثة، والتي تنبئ عن تحولات كبرى اجتماعية وسياسية.

والكتاب وإن صدر في وقت متقدم، في العشرية الثامنة من القرن الميلادي الفائت، إلا أنك اليوم تستطيع رؤية بعض إرهاصاته.

من استشرافاته المستقبلية تفتت أمريكا، وهي رؤية لعالم تحتي اجتماعي في داخل الأمة (لفظ متسامح)

الأمريكية، يعمل على تشكيل وعي خاص يرفض البقاء ضمن نظام الولايات الأمريكية المتحدة.

ومن نافلة القول (كما يقولون)؛ فإننا نتحدث عن رجل يتحدث عن مقدمات ونتائج ضمن سيرورة التاريخ والتحولات القدرية في الوجود، وليس عن وحي ولا استلهام روحي غنوصي عميق(!).

الرجل مع ماديته المفرطة في فهم حركة التاريخ لكنه ليس ماركسياً صلباً، ولذلك يشغل الفساد الأخلاقي وسيولة مفهوم الأسرة جانباً مهماً في صناعة حضارة جديدة لها سماتها، والتي سيكون من صورها وتطبيقاتها انتشار التوحش، ومعناه سقوط النظام وتفتت الدولة المعاصرة.

وهو كرجل ماركسي يرى أن المستقبل للشيوع بعد هذا التفتت القادم مع هذه الموجة الإلكترونية، والتي ستصنع حضارة جديدة.

مما ينبغي التنبيه عليه: أنه لا يوجد علم حيادي في هذا النسق؛ حتى الفيزياء نرى لأهلها تصورات عقائدية يسبغونها على النظرية، وهذا معلوم في الوسط الشيوعي الماركسي كثيراً، وكذلك نرى مثيلاً له في موجة الإلحاد المعاصرة؛ ولذلك ليس عجيباً أن يخلط هذا الرجل ماركسيته بما يستشرفه من رؤيته للتاريخ والمستقبل، ولذلك هو يتوقع الخاتمة على طريقة نبوءة رسوله الكاذب ماركس.

لم يعدم العالم الإسلامي والفكر الإسلامي رجالاً قرؤوا الواقع، واستشرفوا المستقبل، وقالوا الكثير مما قاله هؤلاء وأعظم، فشعار (المستقبل لهذا الدين) رددته أجيال وأجيال، وموجات شباب، وكان يمثل دوماً وقوداً، لا مثبطاً، ولا ناشراً لمعنى الجبر الباطل، بل محفزاً للبقاء في ساحة مواجهة الجاهلية.

والذي يسعد المرء هو أن تلتقي الرؤية التاريخية والاجتماعية لما سيكون عليه المستقبل مع إيمان المرء بالخبر النبوي الصحيح، والذي يوجب موقفاً واجباً وأهمه البقاء في الساحة، وصناعة الحكمة لملائمة ما يقتضيه الواقع من تصرف حكيم.

هناك تحولات كبرى تتعلق بتشكل أمم جديدة، وهويات غير ما نعيشه، وهذا ما ينبغي أن يشغلنا، مع الاهتمام بالداخل النفسي من صلاح وتقوى وأخلاق في داخل هذه المجتمعات التي بدأت تتفكك بفعل هذا

العالم الجديد، والتي سماها توفلر: الموجة الثالثة، وهي قراءة جديرة بالاهتمام.

كليمة في كتاب (٨٧):

أصول الفقه على منهج أهل السنة

للشيخ وليد السعيدان

[٢٦ آب ٢٠٢١ – ١٨ محرم ١٤٤٣]

هذا الكتاب أحدث موجة حراك ومراجعة، كان يمكن أن تكون أكبر وأكثر تأثيراً مما هي عليه لو كان موضوعه على قدر خضة العنوان المعروض، وهو تجلية أصول الفقه على منهج أهل السنة، والذي يستدعي عملاً يتأثر بموضوع البحث، وهو الأصول؛ فالحديث عن عمق قضايا لا فروعها وظواهرها، ولكن لم يكن الأمر كذلك، وصار البحث عن تفسير سهل وميسور في دلالة كلمة المؤلف على كلمة منهج أهل السنة، وما مراده، إذ تبين أنها مجرد شرط لا دلالة لها، وهي بلا مفهوم!.

وتوقعي –وأستغفر الله– أنها لن تطول؛ أي موجة الحراك، زماناً، وبعد الاطلاع على الكتاب، ومنهج مؤلفه، يتبين أن صاحبه أراد تقريب الأصول للمبتدئين، مع خيارات خاصة بالمؤلف، هي عند السلفيين! المعاصرين حسبت على معنى الحسم بصوابها؛ لأن مشايخ كبار! قد قالوها وأصدروا الحكم القاطع حولها، خاصة إذا كانت هذه الأقوال هي اختيار لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الموضوع في أصول الفقه حين يحضر هذا العنوان (على منهج أهل السنة) يطير طالب العلم إليه، ظاناً أن هناك تأصيلاً مبدعاً حول الموضوع، وهي أبنية الأركان في الأصول التي تبنى عليها أصول الفقه عند أهل السنة، حيث يستطيع طالب العلم وضعها أحكاماً قاطعة للتفريق بين ما هو لأهل السنة وما هو لأهل البدعة؛ ولذلك فكل الحوار الذي دار حول الكتاب في ظني هو انتقام شخصي في تحقق الهزيمة بالإياب دون تحصيل هذا المقصد الذي قاله العنوان.

يخرج قارئ الكتاب بلا مراده، مع شعور أنه استهزئ به، فقد أتى تحت عنوان مهم، ولم يجد تحته إلا مجرد كتاب

معاصر، وضعه صاحبه لطلاب مبتدئين، رأى أن هذا الكتاب أفضل من شرح متن أصولي لهم.

فهل يقبل هذا المهزوم بهذا الإياب، أو سينتقم بعض انتقام بقوله: كتاب عادي، ولا جديد، سوى أن صاحبه أراد تسهيل العلم لطلابه المبتدئين، ومواصلة السير على طريقة شرح فيها وبها العقيدة والتوحيد على طريقة السؤال والجواب؟.

كلمة منهج أهل السنة هي المشكلة، وستثير الغبار حولها، وهي تستحق ذلك؛ ولقد استخدمها المؤلف في غير ما اصطلح عليها، إذ عادت بلا مفهوم، وإلا لو حكمناها بوجود المفهوم لكن الإمام مالك بن أنس بدعياً وليس على منهج أهل السنة وهو يقدم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد! وكذلك لكان الأحناف في قولهم: التخصيص نسخ، قد خرجوا به عن أهل السنة، وليس هذا مراد المؤلف قطعاً؛ فكل هذه الخلافات هي ضمن دائرة الفقه السني كما يقول ذلك كل عاقل.

ليست المشكلة بالإياب دون مقصد الورود عند المتخصص في أصول الفقه فقط، لكن هناك مشكلة أخرى مع هذا الكتاب، وهي أنه أجبر المتخصص بقراءته على معنى بحث القضايا الكبار، وإذا هو حق العنوان: أصول الفقه للمبتدئين على طريقة السؤال والجواب، وهذه ضربة قاسية في حق هؤلاء، قد تصل بالندم على الثمن المادي الذي دفع للكتاب.

وقبل مفارقة الكلمة فالمرء يشعر بضرورة التفريق بين اللغة والموضوع، فليس منهج أهل السنة في العلوم يتعلق باللغة المنطقية مثلاً ليتجرد العلم سنياً، بل تعلقه بالموضوع أولى وأهم، فإن قصد المؤلف اللغة التي خاطب بها طلاب العلم فقط ليكون الموضوع سنياً لا بدعياً فقد أخطأ.

الأمر الثاني: من قرأ كتب الأصول التي حرص مؤلفوها على ذكر المخالفين، وخاصة المعتزلة في هذا الباب، وجد أن المسائل المختلف عليها في أغلبها هي مسائل تتعلق بسؤال: لم؟ وهو سؤال كلامي بامتياز، لا علاقة له بمنهج الاستدلال وهو أس موضوع أصول الفقه، وهذا يجعل كتاب المؤلف لا علاقة له بهذا العنوان: منهج أهل السنة؛ بشرط المفهوم.

الأمر الثالث: ينبغي بقاء اللغة الحربية! قائمة بين المختلفين في مسائل العلم، وذلك كأصل في البحث؛ لأن هذا ينتج الحراك العلمي، ويوجب لغة علمية راقية مدققة، حتى إذا انتصف المخالف من صاحبه مال للتوفيق ولغة

المسايرة والتهوين، طمعاً في بقاء التقارب؛ لكن أن يحسم موضوع علم المنطق ودخوله على العلوم، وخاصة علم أصول الفقه، بمجرد كلمة عالم ضد هذا العلم، بلا حرب كلامية علمية عميقة، ثم بلا لغة مسايرة رقيقة بعد ذلك، وبهذا تبقى مجرد شعارات يكسر بعضها بعضاً= فهذا غير موفق، إذ لا تصلح لا لمبتدئ ولا متخصص.

ثم هل حسمت كلمةُ (علم الكلام بدعة) ما يجري داخل كتب الأصول من تأصيل علل الخلاف ومرجعها التصوري العقدي بهذا الشعار وانتهى الموضوع؟

ما يقوي ظني أن تاريخ هذا الكتاب لن يطول وسيعود إلى حقيقته وعنوانه الجديد: أصول الفقه على طريقة السؤال والجواب للمبتدئين، ذلك لأن طلاب هذا العلم سيكتشفون بعد مدة أن العنوان له قرع أكثر من حقيقته، فليترك في مجاله، وسيقال: جزى الله المؤلف خيراً، وسيكون من الإحسان ترك هذا العنوان الذي لا مفهوم له، لفقده منطوقه أصلاً.

والله الموفق.

ثانيًا: سلسلة مقالات:

كلمة في حق كلمة

(٤٠ مقالة)

أبو قتادة الفلسطيني

(عمر بن محمود أبو عمر)

–حفظه الله ورعاه–

كلمة في حق كلمة (١):

للدكتور أكرم حجازي حفظه الله

[٣١ كانون الثاني ٢٠١٨ – ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

"من الواضح أن الأمة تدخل تحت الحكم الجبري مرحلة ردها عن دينها. ولعلها آخر مراحل المواجهة مع النظام الدولي. فإذا أفلتت دولة عربية مركزية واحدة من الهيمنة وتمكنت فعلاً؛ فقد تكون مقدمة لإفلات كل العالم الإسلامي. أو أن الأمة مُقْدمة على مواجهة غير مسبوقة ليست وقائعها واضحة حتى اللحظة". (الدكتور أكرم حجازي، في تغريدة له على موقعه في تويتر).

قلت: ما قرأت كلمة منذ زمن أوعى على حركة الحياة وتدبر القدر من هذه الكلمة، فهي كلمة رجل صاحب قلب ينظر ويرقب موقعنا الصغير من خلال حركة العالم الكبرى.

قول الدكتور رعاه الله: (**ولعلها آخر مراحل المواجهة مع النظام الدولي**).

هذه كلمة فقيهة، تدرك أن كل شيء لا بد له من نهاية في العلو والكبر والظهور، ثم بعد ذلك السقوط، والناس عند لحظات العلو وقهره يصابون باليأس كالكثير من أمتنا اليوم، والحق هو أن هذا العلو يؤذن بالذهاب، وما بكاء الفاروق عندما رأى الغنائم وكثرتها خوفاً منها إلا فقهاً لهذا المعنى القرآني.

ثم قول الدكتور: (**فإذا أفلتت دولة عربية مركزية واحدة من الهيمنة وتمكنت فعلاً، فقد تكون مقدمة لإفلات كل العالم الإسلامي**).

ليت الدكتور لم يشكك بل يجزم، فقوله: (**قد تكون**) عندي هي اليقين بلا شك، بل أراه وأشعر بلفحه ولهيبه.

وأما قول الدكتور: (**أو أن الأمة مقدمة على مواجهة غير مسبوقة، ليست وقائعها واضحة حتى اللحظة**)، فكلمة لو كان لي الحكم على الكلمات لجعلتها مانفستو حكمة النظر للقدر عند هذه المحطات الكبرى.

هذه كلمة عجز، لكنها بحق كلمة غنى وعلم وحكمة، يعرفها كل من نظر لمثل هذه التحولات الكبرى في تاريخ البشرية، فالحيرة عين العلم، لأن مبدأها النظر إلى عظائم ما سيكون، وحقاً ما سيأتي سيعجز الناس عن وصفه وهم يرونه، فكيف بمن توقعه!

أنا متأكد أن هذه الجمل من الدكتور صرخت فيه ليخرجها، وأرهقته وهو يتأمل فيها، مع أن حقها أنها لمحة فهم صعقت صاحبها فصرخ منها وبها.

شكراً دكتور، وحياك الله في زمرة المتفائلين، والذين هم محط ضحك الكثيرين.

كلمة في حق كلمة (٢):

للخليل بن أحمد رحمه الله ورفع درجته في الصالحين

[٣١ كانون الثاني ٢٠١٨ — ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

من أغنى الكلام وأنفعه في ترك المخالف لك بلا علم ولا إنصاف كلمة عاقل العلماء والأدباء، والذي قيل: لن يمر على الصراط بعد الأنبياء وحواريهم أعقل منه، إنه الخليل بن أحمد، وهو يقول لابنه:

لَكِـــــنْ جَهِلْـــــتَ مَقَـــــالَتِي فَعَـــــذَلْتَنِي وَعَلِمْـــــتُ أَنَّـــــكَ جَاهِـــــلٌ فَعَـــــذَرْتُكَا

هكذا المرء العاقل في هذه الحياة مع الناقدين بجهل وتتطاول وتسور المعاني بلا فقه ولا دين، فهو بين حدي عذل الجاهل ولومه وتقريعه، وبين إعذاره وتركه والرحمة به والرفق به، لعله يكتمل ويصحو يوماً، أو لعله يلاقي من هو أجهل منه فيؤدبه، ويبكي أيامه ولياليه.

كنا زماناً نجهل قاعدة: قل كلمتك وامشِ، لا على معنى عدم رعايتها وسقايتها وتهذيبها، ولكن على معنى بذر الخير في الأرض ليأتيه من يرعاه ويفهم عليه ويقطفه.

في شبابنا كنا نجهل كلمة (الفهم) فنظن هو تفكيك الكلمة على معنى المعجم، وتبين ظاهرها المراد، ولذلك حين نقرأ لأهل المعاني كلمتهم: (لعلنا نفهم) أو يدعون ربهم أن يفهموا، لم نكن نقف أمامها إلا رداً لها جهلاً، ونقول: أي سر خفي في هذا الكلام حتى ندعو ربنا أن يفهمنا إياه؟!!

كم جهلنا كلمات فرددناها، ثم تبين لنا سر غوامضها، أو بعض معانيها، فأطربتنا ومتعتنا، وخضعنا لها، ولذلك: دع الناس تعلمهم الحياة، ولا تقرعهم، بل ادعُ لهم، وأحسن إليهم، واشفق عليهم؛ فما أنت إلا مثلهم البارحة، جهلت، فهم يجهلون، وغابت عنهم الحكمة فهم في بعد عنها، فإن بقوا على سبيل التطلع للحكمة، وطلب الفهم، ومراقبة المعاني في الكلمات والأحداث= سيصرخون صرختك: كم كنت جاهلاً، وأنا اليوم أشد جهلاً.

الخليل بن أحمد يدعوك أن تعذر من لم يفهم عنك، وهذا يعني أن بعض المعاني محجوبة عن بعض الناس، وطلبك إفهامهم عي وجهل وغلط.

هذا في الصغار، فما بال الكبار؟

أقول: إنهم يفهمون، ولكنهم يحسدون، وتأسرهم أهواؤهم، فارحمهم بالدعاء ما استطعت، وعليك بالإعراض والصبر؛ وإياك أن تظن أن الناس لا يفهمون، فتجهد بالصراخ: أن افهموا، بل قلوبهم تعلم، وما عليك إلا إصلاح باطنك بينك وبين مولاك.

هذه الكلمة (كلمة الخليل) لا تقال لمخالف كبير، ولا لناقد نحرير، فهذا له شأن الاحترام والتقدير، والحب، وشأن هذا الكبير اللمحة الدالة، فهي مفتاح البلاغة كما قال سلفنا.

حين يبدأ المرء تعلم النحو فهو يفتخر به حتى يحرك آخر الكلمات التي يقف عليها في نهاية جملته، وحين يتعلم التجويد فهو يتكلف التصغير والتكبير ليقول ها أنا، فلما يكبر يجري مجرى الكبار، فهو يسرق الحركات والنغمات على وجه من وجوه السر الخفي الذي يدركه الكبار مثله.

ليس من شأن الكبار رفع الصوى والأعلام فوق كل كلمة، ولا عند كل معنى، بل إن فعل هذا مجه الناس، وأعرضوا عنه، وعدوا فعله من الغلط، وهي عندهم دالة على صغير أمره في نفسه، وإن حاول تعظيمها وتكبيرها.

رحمنا الله برحمته.

كلمة في حق كلمة (٣):

للإمام الشافعي رحمه الله (١)

[١ شباط ٢٠١٨ – ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال الإمام المطلبي الشافعي رحمه الله ورضي عنه: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه".

ما زلت أقفو رأي هذا الإمام، وأتقفر البحث عن كلماته، لما رأيت منه فقه النفس والحياة، وعقل التقاط اللمحات القدرية؛ فهو ليس إمام أصول وفقه فقط، لكنه إمام حياة: يراقب النفوس، ويستطلع الكليات. لا يقدر المرء معه وهو يقف على ساحله إلا أن يفتن ويذهل عقله، فينساق انسياق الحب والفهم والطرب.

ومن لم يعلم معنى كلمات السلف، وأنها كليات لفروع كثيرة، وأنها قواعد أخذت من ملاحظات لا تعرفها النفوس اللاهثة بعيداً عن المعاني= فقد جهلها جهلاً كبيراً، ونحن في زمان يكفينا فيه أن ندرك مداركهم، ونستطلع أصولهم، فرحمهم الله ورضي عنهم.

الشافعي إمام الأمة، انتفعت به كل طوائفها، واستقت من جداوله كل السواقي، وما أعرض الناس عنه إلا لجهلهم بعلمه، وغياب أدوات البحث عن معاني كلماته؛ وهو عظيم القدر في علوم الشرع وعلوم الحياة، يلتقط لك الدرر من كلام الله تعالى وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم، ويبدأ من بعده ينسج عليها، يزيد أو يفصل، يشرح معاني كلامه فيبدو للبعض أنها منه، وليست كذلك، بل هي بعض فيض درره.

الشافعي إمام كليات وقواعد، وهذه لا تكون حتى يستقصي الفروع إحاطة على أقصى ما يقدر عليه أمثاله من العلماء، فما دورنا إلا أن نعيد القواعد لفروعها، ونعمل القواعد لنوازل ما يقع لنا؛ فهذا مقدار ما نحن عليه مع علوم هذا الرجل العجيب.

لقد ظلم أئمتنا في عصرنا رجلان: مقلد لهم بلا معرفة مدارك كلامهم وأصولها، وعائب عليها وهو على معنى المقلد لها بالجهل والغباء؛ فهذا صارخ بالأتباع بلا عقل، وهذا منفر عنه بلا عقل، وكلاهما في الجهل سواء. وهذا المعنى أشار إليه الإمام الناقد المحدث الفقيه ابن رجب فقال: "ولدقة كلامه في ذلك -أي ابن حنبل- ربما صعب فهمه على كثير من أئمة أهل التصانيف ممن هو على مذهبه، فيعدلون عن مآخذه الدقيقة إلى مآخذ أخر ضعيفة، يتلقونها عن غير أهل مذهبه، ويقع بسبب ذلك خلل كثير في فهم كلامه".

لا أحد يطلب التقليد بلا علم وفهم، وكذلك لا أحد يقبل الطعن بجهل ما يعرض عليه، فكلاهما في الشر سواء.

كنت أعجب من قول ابن خزيمة وقد سئل: هل تعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتبه؟ قال: لا. فأردها عن جهل بطرق علوم هؤلاء القوم مع العلم، ومع التصنيف فيه، حتى قرأت كلمة الإمام مسلم في منهج الشافعي في كتبه، فاستغفرت من ذنب الجهل، وهو لازم للعبد، وإن شاء الله سأشرح هذه القطعة في كلام قادم بتيسير الله وفضله.

وهاهنا الآن كلمات له تدل على أثر العلوم ونوعها على أصحابها، وكيف تؤثر هذه العلوم على مساقات النفس والعقل؛ وهي كلمات رجل خبير في الحياة، يراقب ويلاحظ، ويسجل، ويجمع المعاني لبعضها بطريقة حكيمة.

انظر إلى الأعمال والقراءات والتحصيلات من العلوم، وانظر إلى آثارها على النفوس؛ الفاعلة والقابلة، من عمل ومن علم علّم الآخر، ترى أن الرجل عالم نفس عظيم، وصاحب نظر وملاحظة، وهكذا كان الشافعي، صاحب فراسة، نور الله قلبه، وأبان له من علوم القلوب ما يغبط عليه.

(من تعلم القرآن عظمت قيمته)

هذا القرآن عظيم، ومن تعلق بالعظيم صار عظيماً، والنفوس تعلم ما حملت من العلم، فتتقل بثقل العلم، وتوزن بميزان ما في صدورها؛ وهذا الذي قاله الإمام يعرفه كل واحد من نفسه، حين يقال له: فلان حافظ، فكيف إذا ازداد فوق الحفظ علماً به، فحينها تعلم أي معنى يقع في قلوب الناظر إليه!

أعرف أحدهم كان يقول وقد خاطب رجلاً حفظ كتاب الله في السجن، وقد حاول خارج السجن أن يحفظ كتاب الله ويتمه فما استطاع، فتكلم يوماً مع رجل سجن عشر سنوات، وحفظ كتاب الله في أول سجنه، فقال له: والله إني على استعداد أن أسجن عشر سنين وأحفظ كتاب الله تعالى.

إن الحافظ، والعلم لكتاب الله، تراه العيون عظيماً، وهو في ميزان الله تعالى إن أخلص كذلك، ويكفيه ما قاله الحبيب المصطفى عنه: (**يقال يوم القيام لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها**).

والله يقول عن مكان هذا الكتاب: (**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**)، فصدور القراء هي مكان هذا الكتاب، والشيء الجليل لا يكون إلا في مثله، ويعظم المكان بكونه محلاً العظيم.

راقب الشافعي منازل الناس، فعلم أن مقاماتهم في الوجود بما معها من الكتاب، وعلم الكتاب، ذلك لما رأى واستمع لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**).

العلم بالكتاب لا يكون أبداً بغير حفظه، وتصور العلم به من غير حفظ ضرب من الغلط يعرفه كل أحد من نفسه، فلا تخدع النفس بتصور وجود عالم بالكتاب غير حافظ له.

وللحديث عن كلمة الشافعي بقية.

كلمة في حق كلمة (٤):
للإمام الشافعي رحمه الله (٢)

[٣ شباط ٢٠١٨ – ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال الإمام المطلبي الشافعي رحمه الله ورضي عنه: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه".

قوله رحمه الله تعالى: (**ومن نظر في الفقه نبل قدره**).

وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**).

والشافعي رحمه الله يرى في زمانه ومجتمعه كيف يرقى الفقيه، وكيف يسمو بين الناس؛ والنبل رفعة القدر بين الناس، وذلك لعظم ما يحمل، ولحاجة الناس إليه.

وإذا أردت تمييزاً بين الحالة الأولى والثانية، أي بين من تعلم القرآن ومن نظر في الفقه، فإن الفرق بينهما دقيق؛ فقد يتعلم المرء القرآن، حافظاً ومتدبراً، ومفسراً، فيغلب عليه هذا الحال، فيراه الناس عظيماً لما رفع الله من قيمته بما حواه صدره، والثاني: مشغول بالمعاني التي تتعلق بالأحكام، والحلال والحرام، فعنايته في هذا الباب أشد من غيرها، مع أن الفقه لا يكون بغير نظر في الكتاب، ولكن يغلب تعلمه ما في القرآن بما يتعلق بالأحكام الشرعية التكليفية، فحاجة الناس إليه أشد من الأول، ولذلك قال: (**نبل قدره**)، أي صار له مكاناً في الناس، والأول له مكان في القلوب لما يرون من حيازته لأمر عظيم.

قوله رحمه الله: (**ومن كتب الحديث قويت حجته**)

وهذا قد يكون في زمنه، حيث المناظرات بين الفقهاء والمدارس الفقهية، والحديث النبوي الشريف يحسم خلافهم، وذلك لأن الحديث يفصل ويبين ويشرح، ومن حاز ألفاظه فهو القادر على إقامة الحجة له.

ووجه آخر لمعنى كلمة الشافعي رحمه الله، وهو أعم من المعنى الأول: فإن الحديث الشريف يقيم العقل على منهج من العدل والفهم والإصلاح، فمن أخذ به فهو آخذ لما يصلح اعوجاج العقل، مُذهب لما يطرأ عليه من غلط، وهذا تراه جيداً واضحاً فيه، فخذ مثلاً ما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانظر إلى الربط السنني العجيب الذي لو تفكر المرء فيه لطرب واستعذب المعاني، يقول صلى الله عليه وسلم: (**عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور وهما في النار. وسلوا الله العافية، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من العافية. ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**).

يعلق ابن القيم على الجمع بين اليقين والعافية بقوله: فجمع بين عافيتي الدنيا والدين، ولا يتم صلاح العبد إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

فهذا من تبصرة العقل الذي يفتح له آفاق التأمل والنظر فتقوى معالم الحق فيه، وبه يعرف غلط الناس وما يقولون.

قوله رحمه الله: (**ومن نظر في اللغة رقّ طبعه**)

وهذه والله طاف الناس حولها فلم يبلغوا فيها ما بلغ فيها هذا القول من هذا الإمام العظيم، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

فإن اللغة، ومن أعظم مصادرها الشعر، وما لحق به من معناه من النثر البليغ، فهذان إنما ينشئان من معاناة النفس وتصوراتها ومشاعرها؛ فالشعر لا يحكي العقل كما يحكي العاطفة، بل هو يسير مع خلجات النفس ومشاعرها، فإذا صار إلى العقل أكثر قلت عناية الناس به، إلا إذا امتزج هذا العقل بأحاسيس النفس واضطراباتها، فحينها يأتي على وجه من الاستواء التام من كلام البشر.

والذي ينظر في كوامن النفوس وما فيها من معاني الحب والغزل، ومعاني البغض والهجاء، ومعاني الحياة من شجاعة وكرم وصبر وانشراح، وغير ذلك من أغراض الحديث النفسي= ترق نفسه، وتخرج عن صلابة المناظرات والكلمات، وطحن العقول والتصورات، وتخرج عن عالم المادة إلى أفق الكلمة.

وأنت ترى بعض الجلافة في ناس، فتبحث عن قراءاتهم، وهذا إن كانوا من أهل الكلمة لا من أهل الحجر والدرهم، فتراهم من أبغض الناس لحرفة الأدب والقراءة فيه، بل ربما احتقروا القراءة فيه وعدوه ضرباً من ضروب ضياع الوقت (زعماً أن حياتهم كلها في ما هو مهم جداً).

ولذلك من النصائح التي يجب أن يقوم لها المربي هو دفع الطالب والمبتدئ لهذا النوع من القراءات، وصناعة المتعة فيه، لتحس بالإنسان ومعاناته، وتحس برقة الكلمة في نفس صاحبها، وبقسوتها على نفسه أن جاءته على غير وجهها. وأما موتى هذا الباب؛ فهم لا يقيمون شأناً لسبابهم للخلق لأنهم دواب على خلقة بشر.

الإنسان من الأنس، والأنس يصنع بالقرب من المشاكل لك في نفسك، وأنت لا تعرف الناس إن لم تتخلل نفوسهم من خلال كلماتهم.

لا تظنن أن زهد السلف وعباداتهم وتقواهم كانت تمنعهم من تلك اللمحة الإنسانية التي بها يلجون قلوب الناس فيطربون فتصفق لها قلوبهم.

اقرأ هذا الخبر من الأغاني (يا لذنبي اليوم عند بعضهم أني أنقل عن كتاب الأغاني): أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره، عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي، عن أبيه، قال: دخلت مسجد رسول الله مع نوفل بن مساحق، فإنه لمعتمد على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلمنا عليه فرد علينا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعر صحابنا أم صاحبكم؟ يريد عبد الله بن قيس أو عمر بن أبي ربيعة، فقال نوفل: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقول صاحبنا:

خليليّ ما بال المطايا كأنَّما ... نَرَاها على الأَدْبَار بالقوم تَنْكِصَ
وقد قُطِعَتْ أعناقُهن صَبَابةً ... فأنفُسُنا مما يُلاقِينَ شُخَّصُ
وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانْتَحَى ... بِهِنّ فما يَأْلُو عَجولٌ مُقَلِّصُ
يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شَوْقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

ويقول صاحبك ما شئت، فقال له نوفل: صاحبكم أشعر في الغزل وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفّى مائة. قال البكري

في حدثيه عن عبد الجبار: قال مسلم: فلما انصرفنا قلت لنوفل: أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله؟ فقال: كلا، هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه".اهـ

تأمل أي نفس هي هذه النفس العابدة، وهي يتكلم عن التشبيب والغزل وخلجات نفوس المحبين (ألا تعساً لجلافة النفوس وغلظة القلوب ومرارة الكلمات).

يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شَوْقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

لقد كان لإمام التأويل ابن عباس رضي الله عنهما مجلس لإنشاد الشعر، وكذلك كان لإمام الفقه الشافعي مجلس في هذا كذلك.

قول الشافعي رحمه الله: (**ومن نظر في الحساب جزل رأيه**).

هذا وقد كان الشافعي ينعى على المسلمين تركهم هذا العلم وعلم الطب للأغيار من غير المسلمين من الكفار كاليهود والنصار والصابئة.

والحساب يعلم المرء دقة النظر، ويكشف عن عقل دقيق، يربط المآلات بالمقدمات، ولا يقبل الأرقام بمجرد الصراخ وكثرة التهويش، بل بواقعها وصدقها فقط.

وأنت ترى أن عقلاء العلم الشرعي في أصل دراستهم من أتقن الناس للحساب، وما يسمى اليوم بالرياضيات (وهي والله تسمية جليلة، لأن علم الحساب يروض العقول ويمرنها) فإن كان ضعيفاً فيه كان ضعيفاً في العلوم الشرعية كذلك.

وعامة من برز في أمر الفكر والنظر هو محب لعالم التجريد الرياضي، لأنه يهتم بسعة العقل، وبالتصورات الذهنية البعيدة، فالأرقام لها سحرها، ولها تمرينها للعقول.

فقول الإمام: (**جزل رأيه**)، أي أتقن، وذلك لأنه يصيغه على وجه من وجوه الربط المحكم لما علمته الأرقام هذا العقل.

قول الشافعي: (**ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه**)

اللهم ارحم الشافعي لما بلغ ونصح وعلم.

هذه الكلمة منه سياج التحصيل العقلي، فإنه لو حاز كل ما تقدم من خير ومعارف وعلوم، ثم يهين نفسه بأعمال الجهالة والسفاهة والتعرض لقبائح الأقوال والأعمال والمواقف= لم ينفعه شيء من هذا كله.

تأمل رجلاً يصارع كل أحد، ويقاتل كل متكلم، ويقارع من يستحق ومن لم يستحق، كيف يكون شأنه بين الناس، وكيف تسقط قيمته، ويكون مضغة على كل لسان، ويتجرأ عليه كل صغير وكبير؟.

العاقل لا يحارب السفهاء ولا الصغار، ذلك لأنهم يبلغون من السفه ما لم يبلغ، ويصيبون من المقاتل منك ما لا تفعله، مهما بلغت سفاهة فهناك من هو أسفه منك، ولذلك من حكم الوجود الصبر، والتغافل، وترك الخصومات إلا في ما ينفع ومن يستحق التنبيه عليه.

السفيه من يستفزك ليعرف، ويشهر، ويرتفع، فلم تبلغه مراده منك سفاهة منك يا رجل؟!

صون النفس: تركها المستقذرات حتى لو كانت مباحة.

وترك ما يسقطها.

تركها الخوض مع الجاهلين.

وأعظم ذلك شغلها فيما ينفعها.

لو كنت أكبر الناس، وأعلم الناس، وأتقى الناس، ثم خاصمت سفيهاً، فأنت لم تصن نفسك؛ لأنك عرضت نفسك للسب، فترمى مهابتك وكلماتك مهما كانت حقاً. وتذكر أن معاشرة السفهاء في مقاماتهم وكلماتك تجعلك أنت سفيهاً، وحينها ذهب كل معنى فيك.

ومن تعود الكلام مع السفهاء أصاب منهم بعض أخلاقهم، من الجرأة على الكلمات القبيحة، والمعاني الضعيفة، والتعجل في القول والحكم.

صن نفسك يا عبد الله، وهذه تقال من الإمام الشافعي بعد أن أبلغ في ذكر العلوم ومعانيها في نفس صاحبها ونفوس الناس، ثم أعطاك سياجاً تحمي به هذا الحائط من الخيرات، وهذه الحديقة من العلوم.

تأمل تنوع العلوم، وتأمل كيف جعلها كلها ضرورة حياة، وضرورة نفس، ولم يعب بعضها لأن غيرها أهم منها، فالصغير يقيم الكبير، والكبير يحتاج في قيامه للصغير، والعاقل من أخذ بأهم العلوم وتفرغ لها، ولم يضع من نفسه في غيرها، بل أصاب ما يحتاجه قياماً بحق قلبه وعقله وحياته.

رحم الله الشافعي، ورفع درجته مع الصديقين، فوالله إني أحبه حباً بلغ مني ما هو فوق الوصف، فقد علمني وأدبني، وفقهني، ولا أملك إلا الدعاء له، والدعاء لي بأن أجتمع معه تحت ظل الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور، مع المتحابين في الله.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (٥):

لعباد بن عباد الخواص الشامي رحمه الله

[٤ شباط ٢٠١٨ – ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال عباد بن عباد الخواص الشامي: "لا تعيبوا البدع تزيناً بعيبها، فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغياً على أهلها، فإن البغي من فساد أنفسكم".

هذه الكلمة رواها الدارمي في مقدمة سننه، في وصايا كثيرة جداً من هذا العابد المترجم له في الزهاد والعباد.

ومقدمة الدارمي لها اعتناء من قبل الشراح لما فيها من فوائد تخص السنة وأهميتها ورواتها وآدابها.

وهذه النصائح جعلها الشيخ رحمه الله خاتمة المقدمة، وأتى بها بكمالها، فرحم الله القائل والراوي.

هذه الكلمة من هذا العالم المحدث، فقيه النفس ومسالكها، تقطر حكمة فيما يخص الناصح؛ ذلك لاعتناء أهل العلم وحكماء الحياة بمداخل الشيطان على النفس ومداخل الهوى على الطاعة بما يحصل من ذلك كله عند الطاعة، ومن ذلك النصيحة.

النصيحة فيها نوع علو من الناصح على المنصوح؛ فإن سببها إما زيادة العلم الذي جهله المنصوح، وإما زيادة تقوى، وهذا مزلق خطير يجب التنبيه على مجاري الهوى فيه، فقال فيه أهل الخبرة والتقوى ما قالوا ليردعوا النفس عن هذه المزالق وهذه الأهواء.

النفس لها حيلها، تتخفى تحت أستار من الخير، والهوى يختبئ تحت مطالب النفس لا مطالب الحق؛ فترى المرء في ظاهره يريد الحق، وهو لا يريد إلا نفسه، يُعرف هذا من خلال ظواهر عديدة، نبه الإمام أحمد عليها، منها دوام تقريع المنصوح بالنصيحة، ودوام ملاحقته له بسبب وبغير سبب، فهو يلتقط الكلمة ويبدأ بمضغها في كل حال ووقت، فتنتهي القضية بينهما إلى خصومة نفس لا نصرة حق وصلاح.

للمرء أن يرد الباطل الذي يرمى به، فهذا حق لا شك فيه، لكن الغلط يدخل في دوام السجال والحرب، خارج ما قرره المظلوم (كما يرى من نفسه)، فإن تجاوز الحد انقلب من كونه مظلوماً إلى واقع أنه ظالم.

ومن هنا فلا يقبل قول ولا حكم من حكم بنزغات نفسه، ولا بمن يتابع هواه، ولا بمن يعظم الصغير، ولا بمن يطغى في مطالبته الناس بالهدى؛ فإن فعل ذلك علم الناس أنه لا يريد حقاً، ولكن طغى وفسد وأفسد؛ فحينها يعاقب عقاب المفسدين، ويشنع عليه تشنيع من يبدأ الناس بالجهل والظلم، سواء بسواء.

هذا الإمام عباد بن عباد يعظ الواعظين من أهل السنة بموعظة عظيمة مهمة في إصلاح قلوبهم لئلا تتجاوز الحد فتطغى، فيقول لهم:

(**لا تعيبوا البدع تزيناً بعيبها**).

مقصود عيب البدعة إزالتها، وحظك من هذا أن تتأسى بالرسل، وتحصل الأجر، فإن زالت عظم الأجر، وأصبت أجوراً كثيرة؛ ولكن في بعض المرات يكون عيب البعض في عيبهم لبدعة ما أن يكون لهم حظ من ذكر أو رفعة أو سمعة، وحينها بطل الأجر، وذهب التعبد، ولم يجن الآمر شيئاً من الآخرة، وقد يذم من الناس لما يفوته من حب الله تعالى له.

وهذا كالمجاهد؛ فإنه وإن قاتل الكفار، بل ربما مات في قتالهم، لكن إن فعلها تزيناً بالشجاعة ذهب أجره ومات غير شهيد.

لا تعيبوا البدع تزيناً بعيبها؛ أي طلب شهرة وسمعة ومنصب وذكر في الدنيا وأنتم تنهون عن هذه البدعة.

وأنت ترى هذا الغلط يكون أوضح ما يكون حين يحكم الناس بقلوبهم أنه في خصومته هذه لم ينصر حقاً، ولا فقه الناس علماً، ولكن نصر نفسه، وصار الحديث عن نفسه أكثر من حديثه عن طاعة رب العالمين.

والشيخ رحمه الله يبين أن حال من تزين بالنهي عن البدع حقيقته تمني زيادتها ليبقى متزيناً بالنهي عنها، فينبه إلى أن زيادة البدع لا تعني زيادة صلاحكم، وهذا على معنى أن وجود الشر لا يعني زيادة صلاح من صلح، فإن زيادة الصلاح تكون بفعل الصالح فقط.

ومن معاني كلمته أنك لا تكون سنياً بتلبس البدعة في خصمك، ولا ترتقي صالحاً بفساد من عاديته، وهذا أقرب ما يمكن تصوره بمن يريد أن يثبت صلاح مقامه وقوله بنشره شرور غيره، ظاناً أنه بهذا يصيب صيت الصلاح أو حقيقته.

ويقول رحمه الله: (**ولا تعيبوها بغياً على أهلها، فإن البغي من فساد أنفسكم**)

هذا قد عصى الله ببدعته، وهذا قد عصى الله ببغيه.

والناس يعلمون فساد المبتدع، فكيف يحكمون على ناصحه بالبغي؟

إذا تجاوز الحد فهو باغٍ؛ أي ظالم ومتجاوز للحد الذي شرعه الله.

وتجاوز الحد له صور لا تكاد تنقضي أحوالها، فمن قرع وسب وشهّر فقد بغى.

ومن سمى السنة بدعة فقد بغى.

ومن كرر بلا ضرورة فقد بغى.

ومن راجع التائب فقد بغى.

ومن ذكر بما مضى فقد بغى.

وهكذا تتعدد صور البغي في النصيحة، يراها الناس يومياً، ويعرفونها في رجال لا تخطئ أعينهم في أوصافهم، وذلك لشهرتهم في طرق الرد والوعظ والنصيحة.

رحم الله الإمام عباد بن عباد، وأنصح كل طالب علم أن يعود لهذه النصيحة فيقرأها ويتعلمها، فهي نافعة لدينه وآخرته.

في هذه الكلمة بيان خطأ من ظن أن نصائح العباد والسالكين وأهل التزكية قاصرة على كتب قوم دون قوم، فهذه كلمات العابد نافعة للسالكين العابدين لربهم، تجدها في كتاب من كتب السنة والأصول، وهي من غرر التزكية لطالب العلم، تهديه في أول طلبه وفي ما ولي بعد ذلك من حياته.

كلمات في هذا المعنى من كلام العلماء:

قال أبو حامد الغزالي: المراء طعنٌ في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة.

وقال ابن تيمية: وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانَّةً أنها تفعله طاعة لله.

وقال ابن القيم: والفرق بين النصيحة والتأنيب: أن النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه، فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويحتمل أذى المنصوح ولأمته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق المريض المشبع مرضًا، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح. وأما المؤنّب: فهو رجل قصده التعيير والإهانة، وذم من أنبه وشتمه في صورة النصح، فهو يقول: يا فاعل كذا وكذا، يا مستحق الذم والإهانة، في صورة ناصح مشفق. وعلامة هذا: أنه لو رأى من يحبه ويحسن إليه على مِثْلِ عمل هذا أو شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئاً ويطلب له وجوه المعاذير. فإن غُلِب قال: وأنّى ضُمِنَتْ له العصمةُ، والإنسان عرضة للخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه والله غفور رحيم ونحو ذلك.

كلمة في حق كلمة (٦):

كلمة في حديث شريف

[٧ شباط ٢٠١٨ – ٢١ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال الترمذي رحمه الله: حدثنا هناد، عن قبيصة، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه أبي بن كعب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: (يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه) قال أبيّ: قلت يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: (ما شئت) قال: قلت الربع، قال: (ما شئت، فإن زدت فهو خير لك) قلت: النصف، قال: (ما شئت، فإن زدت فهو خير لك) قلت: فالثلثين، قال: (ما شئت، فإن زدت فهو خير لك) قلت: أفأجعل لك صلاتي كلها؟ قال: (إذاً تكفى همك، ويغفر ذنبك).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

هكذا في مطبوعة شاكر رحمه الله، وفي تحفة الأشراف: حديث حسن؛ وهذا الأليق به في حكم الترمذي، فإنه ذكر حكمه في عبد الله بن محمد بن عقيل وأنه صدوق، وأنه تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، ثم صار إلى قول البخاري كما روى عنه، وأنه مقارب الحديث. (جامعه: ١/٩).

وبهذا السند عن قبيصة رواه جماعة منهم: عبد بن حميد كما في المنتخب من مسنده (ح/١٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح/٧١٥) والحاكم في مستدركه (٢/٥١٤) وقال فيه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في مختصره: صحيح.

وهذا الحديث بهذا السند فيه علتان:

أولاهما: رواية قبيصة عن سفيان، فقد تكلم فيها أهل الصنعة، ومن ذلك:

قال حنبل بن إسحاق: قلت (لأحمد): فما قصة قبيصة في سفيان؟ قال: كان كثير الغلط.

وقال ابن معين: قبيصة ثقة في كل شيء إلا في حديث سفيان، ليس بذاك القوي، فإنه سمع منه وهو صغير.

وأما النسائي فقد أطلق القول فيه بقوله: وكان كثير الغلط.

وقد تابع قبيصة سعيد بن سلام العطار كما عند الجهضمي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ح/١٤).

ولكن سعيداً هذا اتهمه بالكذب جماعة، وذكر هذا أحمد والبخاري، وترفق آخرون فضعفوه، فلا قيمة لهذه المتابعة لشدة ضعف سعيد هذا.

لكن خرج قبيصة من التبعة عليه برواية وكيع عن سفيان، ففي مسند أحمد (٥/١٣٦) قال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، ...الحديث وختامه: (**إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك**). وذلك بنفس السند مع توزع الحديث إلى قسمين، فانتفت هذه العلة.

والعلة الثانية: عبد الله بن محمد بن عقيل، وهذا رجل شدد بعضهم فيه القول، وترفق آخرون، ومنهم من حسن حديثه وقبله.

وفي تهذيب الكمال للمزي –كما في ترجمته– تستطيع النظر فيها هناك، وخلاصة القول أنه كما قال البخاري: مقارب الحديث، فهذا ينفعه إذا توبع، وأما إذا انفرد فهو إلى التضعيف أقرب.

وهذا أصوب وخلاصة ما قيل فيه.

والحديث جاء من روايات أخرى، فقد رواه عن أبي هريرة الإمام البزار كما في مسنده (ح/٨٩١١) قال: حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا عمر بن محمد بن صهبان، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ... الحديث؛ وفيه خلاف في الألفاظ يسير، وآخره: (**إذاً يكفيك الله هم الدنيا والآخرة**).

وهذا سند ضعيف جداً.

قال البزار: وهذا حديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم حدث به عن زيد إلا عمر بن محمد بن صهبان، ولم يكن بالحافظ.

وعمر هذا أجود ما قيل فيه قول ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابعه الثقات عليه، وغلبت على حديثه المناكير.

فحديثه هذا منكر الإسناد، فلا يصلح للمتابعة.

وروى البيهقي في الشعب (ح/٢٥٨١) قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا صالح وابن بكير، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن يحيي بن حبان: أن رجلاً... الحديث.

قال البيهقي: مرسل جيد، وهو شاهد لما تقدم، أي حديث عبد الله بن محمد بن عقيل.

وجاء من طريق مرسل آخر عند عبد الرزاق في مصنفه (ح/٣١١٤) قال: عن ابن عيينة، قال: أخبرني يعقوب بن زياد -هكذا في المطبوع، والصحيح زيد- التيمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث، وآخره: (**إذاً يكفيك الله هم الدنيا والآخرة**).

وهذا السند عند القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ح/ ١٣).

فالحديث بهذه الشواهد المرسلة يقوى شأن الحديث إلى الحسن كما قال جماعة من أهل الصنعة.

وممن قواه وقبله:

ابن حجر في الفتح: (١١/ ١٦٨) فقال: سند حسن.

وكذلك المنذري في الترغيب والترهيب.

وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب. وآخرون.

أما فقه الحديث:

فهذا حديث عظيم في شأن الصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يبين فضل الانشغال بالصلاة عليه.

قوله: (**فكم أجعل لك من صلاتي**).

أي من دعائي؛ فإن الصلاة هي الدعاء. وهذا يدل على هذا الاستعمال من كلام الصحابة؛ إذ يستعملون لفظ الصلاة على غير مصطلحها المعلوم عندهم، والأصل هو حمل الألفاظ على ما استقر عليه المصطلح، لكن يحمل على معنى لغوي محتمل بسبب القرينة، وهي هاهنا. فإن الصلاة المشروعة المعلومة فيها من الأذكار الواجبة والمستحبة ما لا يقوم بها غيرها، لوجوبها أو ركنيتها، كالفاتحة وأذكار السجود والركوع.

وأما ظن من توهم أن هذا الأمر يكون في كل دعاء فقد أبعد، وإليك السبب:

الحديث يبين سبب السؤال، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حضهم على ذكر الله في الليل، وأنذرهم القيامة، فعلم أن سؤال أبي رضي الله عنه عن دعاء الليل، وذكر الليل، إذ يسأله عن ذلك في مناسبته، فالأمر إذاً كما يقول ابن تيمية -كما ذكر هذا ابن القيم في جلاء الأفهام- وهو: جعل الصلاة على النبي في دعاء تام، وذلك في دعاء مخصوص في وقت مخصوص، وليس كل دعاء، ولا كل ذكر.

فمن كان له ورد فيه الدعاء في وقت ما، فشغلته الصلاة على النبي فيه، فهو مصيب لهذا الفضل.

وهذا المعنى يبعد اعتراض البعض في رد الحديث أنه يذهب فضل الأدعية الأخرى، والأذكار المنصوص عليها.

وأما ما فيه من الفضل: فقد تقدم فضل هذا الأمر، وهو انشغال المرء في دعائه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ ورد لفظان:

أولاهما: (يكفى همك ويغفر ذنبك)، **وثانيهما**: (يكفيك هم الدنيا والآخرة).

وهذان لفظان متحدا المعنى،؛ فهم الآخرة متعلق بذنب المرء، وهم الدنيا كثير، ومطالبها عديدة، ولذلك ما فصله اللفظ من ذنب الآخرة هو عين ما أجمله في اللفظ الآخر.

وهذا المطلب الذي يناله الساعي يستغرق مطالب الدارين، بلا مثنوية، فلا يبقى لسؤاله عن حاجاته إلا وهو مقضي بالصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم.

ولقد شغلت حيناً بسؤال الأحبة عن طرقهم في قضاء حوائجهم إن ألمت بهم مسألة، فكان البعض يذكر عن نفسه هذا الفعل، وأنه يديم الصلاة على الحبيب حتى تنجلي، وبعضهم يذكر عن نفسه أنه ينشغل بالفاتحة -وقد

نصحت بها بعض الأحبة، فأسأل الله أن يعطيه سؤاله- وبعضهم يذكر عن نفسه انشغاله بالاستغفار حتى تزول، وهكذا.

فللعابدين طرقهم الكثيرة، والتي كلها موصلة للمطلوب بإذن الله تعالى، وفي ذلك نصوص.

والعبد وهو يعمل الطاعات يتوصل بها لحاجاته الدنيوية، وليس هذا مما يضر عبادته، بل هي مؤذنة أنه يثق بالله، ويسعى لرضاه بعمل الطاعة لإصابة حاجاته، وهذا لا يفعله إلا التقي العابد، فهو قد آمن بخبر الغيب، وسعى لها بوسائل الشرع، فحصل له أجر الطاعة، وإصابة المراد من حاجات الدنيا.

ولقد عجبت لبعضهم يعد هذا من نواقض الإخلاص لرب العالمين، ظاناً أن طلب مسائل الدنيا بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وبعمل من أعمال النسك= ضار بعبادته وإخلاصه؛ وهذا غلط، والقرآن حض على طاعات لإصابة منافع الدنيا، كقوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)، وكقوله: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)، وهذا الفضل لا يصيبه المرء بهذه الأعمال إلا إذا عملها مخلصاً لله، وبهذا يستقيم الفعل في كونه طاعة، وفي كونه وسيلة قضاء الحوائج.

وهل العبد في هذا إلا مصدقاً لخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومؤمناً بالله، مطيعاً لأمره!

ويبقى القول في سر الربط بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأن الحوائج تقضى بها.

فالأمر في سر الصلاة على النبي وفضلها في قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً).

وصلاة الله على عبده رحمة وفضل وعطاء، ورحمته إن عمت العبد كما عم هو لسانه بأن يلهج ذاكراً لربه بطلبه الصلاة على رسول الله يعني كفاية الله له، والله يقول: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ).

وهذا المعنى قاله ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام.

والصلاة على النبي فيها رقي الحبيب، وترتفع درجته بهذه الصلاة، والعبد كذلك؛ ومن ارتفاعه أن يخلص من حاجاته فتقضى، وهذا من نوع "الجزاء من جنس العمل"، وإن كان لكل واحد مرتبته في مطالبه، فمطلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي عليه، ومطلبك أن تقضى حاجاتك، وتزول همومك في الدارين.

ومن معاني هذا: أن الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم سبب لعودة الروح إليه كما في الحديث، حيث ترد إليه روحه فيرد السلام على من سلم عليه، ودعوة السلام من الحبيب لمن سلم عليه موجبة لزوال موانع السلام من الهموم.

وأعظم من ذلك كله: أن الصلاة على الحبيب فيها مرضاة الله تعالى، إذ فيها مشاركة الفعل الذي أخبر الله به عن نفسه: (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)، وانشغال العبد بمطلب السيد وعمل السيد يعني تولي السيد مطالب العبد.

هذا ما احتمله المقام، ومثل هذا الحديث يشغل مئات الصفحات لو أراد المرء متابعة معانيه، ولكن إنما هي كلمة، وجزى الله خيراً من هيج الفقير لها.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (٧):

لآدم بن إياس رحمه الله

[٩ شباط ٢٠١٨ – ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال أبو علي المقدسي: "لما حضرت آدم بن إياس الوفاة ختم القرآن وهو مُسجًّى، ثم قال: بحِبِّي لك إلَّا رفقت بي في هذا المصرع، كنتُ أُؤَمِّلك لهذا اليوم، كنتُ أرجوك. ثم قال: لا إله إلا والله، ومات". (السير)

هذه المنازل الإيمانية، تقدم العمل الصالح حتى يحصل لها القرب من الله، وحينها يكون تقدمة الأفعال بين يدي الرجاء، لا على معنى المن والتكثر، لكن على معنى الرجاء والتوسل، فيذكرون ما علموه من قلوبهم، يرجون بهذه الأعمال وجه الله عند عملها، وبهذا يرونها على معنى السلامة من الرياء عند حضور الحاجة إليها.

تأمل ماذا قال عن قلبه، وما هي أعماله، وكيف أبان عنها في لحظة رجاء من الله رب العالمين:

يقول رحمه الله تعالى: (**بحبي لك**).

ففي لحظة اللقاء مع الله، ولحظة مفارقة الدنيا، لا ينفع إلا الصدق، ولا يكون إلا هو؛ ولذلك أن يقول هذا الرجل الصالح –نحسبه والله حسيبه– هذه الكلمة الرائعة في هذا الموطن لهو دليل صدقها في نفسه.

إنه يحب الله، ويسأله بهذا الحب الذي يحبه الله، ولو فكرت في أعظم عبادات القلب لن تجد أعظم عمل من الحب لله.

المرء يحب الله لأنه يعلم محبوبه وجماله وحسن صفاته، والله تعالى له الأسماء الحسنى، وهو متصف بهذه الصفات التي يحبه خلقه من أجلها.

تبدأ عبادة الحب لربنا ابتداءً برؤية يد الإنعام، فكلما رأى العبد نعم المنعم، وما أعطاه، وما أسبغ عليه أحبه، ثم بترقي هذه الرؤية من النظر للنعمة إلى المنعم يصبح الحب أعظم وأقرب وأحسن وصفاً.

فبعد رؤية النعم ترى صفات المنعم، ثم تعبده لأنه الله الذي كملت له الأسماء والصفات، فتحبه حب النظر له جل في علاه؛ وهذا من فهم العبد لنعمة النظر لربنا يوم القيامة، فالعبد في الجنة يرى النعم فيفرح، لكن لما يرى وجه المنعم يكون هو يوم المزيد.

فهذا عبد أحب الله، وسأل الله بهذا الحب في لحظة حاجته لهذا المحبوب، وهو ادخر هذا الحب ليوم لا ينجده فيه إلا محبوبه رب السموات والأرض.

فهذه منزلة من منازل تعبد آدم بن إياس في كلمته الرائعة هذه.

قال رحمه الله: (**كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك**)

هذا هو الاستعداد لحال الخروج من الدنيا: يعد له العدة، ويجهز له الركائب، ويملأ له الجراب استعداداً له، وها هو يبين أعظم ما استعد به (**كنت أؤملك.. كنت أرجوك**).

والله إنها لكلمة لو تلاها المرء خالياً لأبكته إن فهم ما هي، فرددها خالياً بينك وبين الله: (**كنت أؤملك ... كنت أرجوك**)

واجعلها من دندنتك، ومن سميراك، تلهج بها لترى ذوقها حالاً لا مقالاً فقط.

قف عليها، لتعلم أي نفس مخبتة قالتها، وماذا كان شغلها في حياتها: إنها تعمل وترجو، وتعمل وتدخر، فهي تؤمل الخير بربها، وتؤمل العفو منه، والرفق به.

(**بحبي لك إلا رفقت بي**).

يا الله! أي نفس هذه التي صاغت هذا الكلام تخاطب بها العظيم الكريم؛ رب العالمين.

والله إنها كلمات أشبه بركائب الوصول، ونجائب الحمل الثقيل لأعظم المهمات وأغلى المطالب.

أؤملك..

أرجوك..

هذه تحتاج لذوق نفس لا فكرة ذهن فقط، وتحتاج إلى ترداد نفس باكية لا لاهية، لتذوق لذة خطاب رب العالمين بها.

في هذه الكلمات تختبئ ذكريات الفعل طاعة لرب العالمين، وذكريات نصب القدم طاعة وقراءة وقياماً، وذكريات الدعاء سجوداً والعين باكية، وذكريات صيام الهواجر، وذكريات صدقات السر، وذكريات القلب الرطب، والنفس التي تنصب نفسها للقاء الله تعالى.

هذا كله تعلمه من علمك كيف مات، فأنت ترى أنه ختم القرآن وهو مسجى في فراش الموت، والمرء يموت على ما عاش عليه، فهذا عاش مع القرآن، وهو نعم الصاحب الذي يرتفقه السالكون صعداً لمقامات العبودية والإخبات.

رحم الله آدم بن إياس فقد مات على قول: لا إله إلا الله، فهو حال ينبئ أنه من أهل الجنة، رجاءً واستبشاراً لا تألياً على الله، ولا جزماً بحال أحد، ولا مقام إنسان؛ فهذا حق الله لا حق أحد من العالمين، هو الذي يحاسب الناس، وبرحمته يرحمهم الله ويدخلهم الجنة جل في علاه، لكنها البشارات التي أخبر عنها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

تفكر في نفسك، هل يمكن لك أن تقولها وأنت في ثياب الموت ترتقبه في لحظتك تلك؟

اللهم رحمتك.

كلمة في حق كلمة (٨):

للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

[١١ شباط ٢٠١٨ – ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٩]

"قيل للإمام أحمد رحمه الله: هل طلبت العلم لله؟ قال: أما لله فعزيز، ولكن شيء حبب إلي فطلبته". (البداية والنهاية).

هذه الكلمة لها دلالات متعددة، تصلح لطالب علم التربية والتسليك أن يعتني بها، ذلك لجمعها الكثير من المعاني، فاشدد عليها، وتأمل:

للنفوس مطالبها، وما حبب إليها من معانٍ أو أشياء، وهذه المطالب تنشأ فطرة في النفس، أو تربى عليها تسليماً من الآباء والبيئة التي نشأ فيها؛ فإن رأى الطفل عملاً ما يحبه الناس، ويبجلون صاحبه= نزعت نفسه لطلبه، والسعي لأن يكون من أهله؛ وهذا يعلم من المراقبة. ومن تتبع أفراد الناس وما رغباتهم يرى هذا النزوع في الأطفال، فمرة تراها شيئاً شغفت بشيء من عجائب ما يعمل، وهي بعيدة عن بيئته، أو لا يتنافس الناس فيه، ومرة تراها راغبة بما كثر ذكره من الناس، وبهذا تسمو همة الطفل للعمل.

فالنفس في البداية ومطالبها وما تشتهيه، ثم بعد ذلك تكون المعالي.

فهذا الإمام أحمد حبب إليه الحديث والعلم، وهو من الاختيار الإلهي له، ومن اختير لشيء من هذه المعالي فطرة أو تربية فهو على قدم خير وهدى.

حتى الذين يجبرون على عمل ليس من نيتهم، ولا هو من رغبة نفوسهم، كمن ساقه والده له، أو اضطر لخوضه لظرف ما، أو أجبرته قضية حياة لعمل من أعمال الخير= فهو قد ينزع إليه على المعنى الأول له، لكن لا يجوز البقاء على هذا المنزع، بل عليه أن يرقى.

البدايات في البشرية لها أحكامها الخلقية والظرفية، فالطفل لا يعرف في الابتداء إلا المحسوسات ثم ترقى همته إلى عالم المعاني والتي هي أعظم مطالب العلم، أي تحصيل الحكمة.

لا تطلب في الابتداء من الناس إلا صواب الطريق وحسنه، ثم بعد ذلك يبدأ ما يسمى بالتسليك.

هذا التسليك هو الذي يوصل لأحسن المقاصد وخير التربية وأعظم المطلوبات، وهو رضا الله تعالى.

في الابتداء قد تأتي به وأنت تهز له شيئاً تراه عينه، وتشتهيه نفسه، لكن تبيت في نفسك صيده لأعظم الرتب وخير ما يسعى إليه البشر، بل هو ما خلقوا له.

النفوس في الابتداء طفلة صغيرة، تأسرها حلوى اللسان، وحب التملك، وجمال المناظر، ثم بفعل التربية والتسليك ترقى لما خلقت له من رضا الرحمن.

هذا شيء يعتنى به في التربية، ويهتم به الحكماء.

في الابتداء يهتم أن يقوم الناس في صف الصواب كما هو في ظاهره، وفي الأثناء والانتهاء تُصلح البواطن بالنظر إلى المعاني والدار الآخرة.

في الابتداء يؤتى بالطفل لقراءة القرآن من أجل جائزة ينالها إن حفظ، ويشجع بشيء مما يحبه، إذ لا تدرك نفسه إلا ما يراه ويشعر به، ثم بعد ذلك وخلال هذا يعلم معنى الإخلاص وأحاديث فضل القرآن، ومعنى الحسنة، وذكر الجنة والنار وبهذا يكون الصلاح ومسلك الصالحين.

أنت تحتاج في البداية أن تقيم المرء على صواب الفعل بما يريده، ثم تصاغ نفسه بالتعليم والتسليك لما يريده الله تعالى.

هذا في الواحد وفي الجماعات كذلك.

لتقيم الناس على عمل ما ابحث عن نقطة هامة في نفوسهم وحياتهم لتأخذهم منها للمعاني، فأنت تبدأ بهم من خلال ما أحبته نفوسهم وما رغبت به؛ فمن عاش مقهوراً أحب العزة واشتهاها، فهذا باب أخذه للجهاد، لتبعده عن سبل الضلالة في تحصيل العزة، وهي كثيرة في الخلق بعدد شهواتهم، ولكن أنت من خلال ما يتمنى أخذته للجهاد في سبيل الله، لتضع قضيته ضمن دائرة الإيمان، ورويداً رويداً يكون دينه كله لله.

إنه التسليك، وإنه صيد الخلق لتعبيدهم لله، ورفعة نفوسهم من شهواتها لمقصد رضا الله تعالى.

من هنا قال العلماء: إنه قلما خلا جهاد بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم من مطلب دنيوي، فيه اشتراك النيات، أي نزولها عن المرتبة الأحب إلى الله، لكن بها دخل الناس في دين الله أفواجاً، وصار هؤلاء الداخلون أئمة الهدى والعلم .

في كلمة أحمد رحمه الله فضل أن تحب النفوس شيئاً جميلاً، حبيباً لرب العالمين في نفسه، وهو حبيب لنفس صاحبه لجهة من الجهات؛ فهذا مدخل من مداخل الطاعة الذي يحسن استغلاله في نفس صاحبه لأخذه عبداً لله.

إن النفوس التي تتوق للخير، كما هو في خلق الله يوم خلقه، كمن يحب الصدق، ويحب العدل، ويحب العلم= هذه نفوس هي أقرب للحق من تلك النفوس المعرضة عن جمال الأشياء كما هي؛ فهذه خطوتها واحدة للتعبد، وهو جعل هذا الفعل لله، فهي في الابتداء مطالب نفس تحب، وفي الختام مطالب رب العالمين لما يحب. ولكن النفوس الساقطة في محبتها تحتاج أولاً إلى تصليح معيارها في الحب والكره، وتلك والله مهمة عصيبة، وليست بالسهلة؛ ولذلك اختار الله العرب لحسن قيمهم التي هم عليها في الجاهلية، فجاء الإسلام متمماً لها، ثم رافعاً مقاصدها لطلب الآخرة.

اليوم أمتنا مطالبها عظيمة، هي في نفسها حسنة، ففلسطين مطلب شعوبنا، وطلب الحرية والخروج من القهر مطلبها، وهكذا، فما علينا إلا رفع شعار الإسلام لحل هذه القضايا، ليأتي الناس إليك، ثم تسلكهم لطلب الجنان.

جاءت جموع من الشباب حباً في جهاد الطواغيت، وللخروج من جورهم وطغيانهم، فما لبثوا إلا قليلاً حتى صارت الآخرة هي المقصد دون سواها، وغيرها تبع لها، وإن شئت فانظر إلى طلاب الشهادة والاستشهاديين، حينها تعلم حسن هذا الطريق وصوابه.

دع الناس يأتون إليك لأن ما عندك يحبونه من جهة أنفسهم، ثم هم بعد ذلك يفعلون هذا كله لله.

هذا الطريق اليوم طريق بلاء، وفتن وموت، لا يصلح معه إلا الإخلاص، وهو تحقيق ما قاله العلماء: **طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله.**

وقالوا: **طلبنا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزقنا الله النية بعد ذلك**. ويقصدون الإخلاص.

اللهم اجعلنا لك يا رب العالمين.

كلمة في حق كلمة (٩):

كلمة في حديث جليل

[١٤ شباط ٢٠١٨ – ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قال الله تعالى: من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**).

لست أدري من أين يأتي المرء هذا الكلام الجليل، ومن أين يطرقه!

هذا كلام كل ما فيه حسن، وكل جهاته مشوقة، يطرق القلب طرق الحب والرأفة والكرم.

الدخول على الله له طرق، فمنها طرق الخشية (**وعين بكت من خشية الله**)، ومنها طرق الحمد والشكر (**أفلا أكون عبداً شكوراً**)، وأبواب وأبواب، كلها هي مظهر تحقق العبد بهذا الوصف اختياراً منه، كما هو عبد الله قدراً بغير إرادة منه، لكنها كلها –أي هذه الطرق– تصل إلى هذا الباب الذي يعلمنا إياه هذا الحديث.

هنا اللقاء، وهنا الوصل وهنا آخر المقامات، وهو أن تصل إليه، وأن تعرف من هو، وأن تبصر بقلبك كل المعاني التي تجمع الحق والجمال.

حين تأتي أنت، تأتي عابداً مخبتاً ساعياً إليه وحده، لا تريد إلا وجهه، ولا تبتغي غيره، لأنه هو الله رب كل شيء، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، حينها هو يأتي إليك..

أنت تأتي طائعاً باكياً سائلاً، هو يأتيك بمطالبك وأعظم من مطالبك، وأكبر من مقاصدك، لأنه الكريم.

فكيف إن جئت إليه تطلبه هو، أن تعرفه في قلبك حق المعرفة، وأن تؤمن به حق الإيمان، وأن تبصر حكمته في الوجود، وأن ترى يده وراء كل موجود، تسعى إلى أكمل ما يحقق لك العبودية له: ذوق الحال وتحقق العلم في القلب والجوارح واللسان.

إياك أن يخطر على بالك وأنت تدعوه أنك تنبهه لوجودك، وأنك تريد لفت نظره إليك، فهذا جهل منك، وهذا ضعف في علمك وحالك؛ بل تأمل ماذا قال عنه أعظم العالمين به، وكيف كان قبل أن تدعوه: (**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**)، فما أنت بندائك ودعائك إلا مستجيباً لندائه؛ فهو المقبل عليك قبل إقبالك، وهو الناظر إليك وأنت في غفلتك قبل تنبهك، ثم هو برحمته وغناه عنك وبعلمه ضعفك لا يطلب منك إلا أن ترتقي درجة درجة، ومع كل درجة يأتيك أكثر مما أتيته، ليس كحال من لا يقبل عليك حتى تأتي بالكثير مما يحركه، فيطلب منك حالاً خاصة لا يقدر عليها الضعفاء، لا والله بل هو جل في علاه يعلم ضعفك، فيأتيك بأي حال كنت من القوة والضعف، وكلما زدت زاد، وكلما أكثرت أكثر، فالله أكثر.

قال ابن القيم، وهو رجل صاحب ذوق وحال: وهذا الموضع هو سر السلوك وحقيقة العبودية، وهو معنى الوصول الذي يدندن حوله القوم.

هذا التقرب يعني انخلاعك من حال إلى حال، فمن غفلة لذكر، ومن أعراض لإقبال، ومن غياب لحضور.

هذا التقرب يعني أنك بعت فاشترى، وعاهدت فأوفيت، وشهدت بالقول فكان لك رؤية ما تشهد.

هذا التقرب يعني غيابك عما تريد، وإقبالك عما يريد، وخروجك من داعية هواك إلى تحققك عبداً لرب العالمين.

ثم اعلم أن هذا التقرب له أزمنة خاصة ترفع قيمة الفعل وإن قل، فركعتان في جوف الليل خير مما سواهما من النفل، وساعة بين الصفين أعظم من كل الساعات في غيرها، وكلمة ذكر بين الغافلين محبوبة لمولاها، وعبادة في الهرج كهجرة إلى رسول رب العالمين؛ فاحرص أن تفهم نفس الرب وماذا يحب، وليكن نظرك لما يحب، وماذا يفرحه، حينها تكون عبداً يستحق القرب.

هذا القرب يعطيك العلم به، والعلم بما يحب ويكره، يعني العلم بشرعه، ويعطيك العلم بحكمته؛ فيكون لك طاقة من فراسة، وطاقة من صبر، وطاقة من ذوق وغياب عن القاذورات، فما أنت حينها إلا قريباً من رب العالمين: يرعاك ويعطيك ويرحمك وينصرك ذلك لأنه يحبك.

إذا كانت تقتلك المعصية، فتشد عليك بألمها، وتسوؤك الغفلة فترهقك بآثارها، فاعلم أن هناك منفذاً يخرجك من ذلك كله وهو الهروب إليه ركضاً وإسراعاً (**وأعوذ بك منك**).

لا تلتفت إلا له، ومرن نفسك أن تراقبه، وان تسعى لفرحه، بذكرك له، وحبك له، وخوفك منه.

(**من أتأني يمشي أتيته هرولة**)

هل لامست قلبك هذه الكلمة، فعلمها هو تذوقها حالاً بأن تديم ذكره، وأن تجاهد في سبيله، وأن تلتقط محاسن من سبقوك وأعظمهم رسل الله، فتسير سيرهم، واسلك مسالكهم.

كرر هذه الكلمة لتعرف معناها، وقد صدق من قال: كرر لتفهم، وعلل لتحفظ.

أنت عبدٌ له قلباً وجسداً، وقد أقامك على الضعف من كل وجه، وأشعرك به في كل نفس، ثم ناداك: عبدي، إلي تعال وأقبل، فأنا لك محب ولك مجيب .

لله الحمد كله وله الشكر كله.

اللهم اغفر لنا وارحمنا.

كلمة في حق كلمة (١٠):

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

[١٥ شباط ٢٠١٨ – ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٩]

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإنه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرها الفساد، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ويشنع بها عليهم، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها". (تفسير سورة الإخلاص، الفتاوى ١٧ /٣٦٢).

العلم لا ينفع معه إلا أمران: الفهم والعدل، والأول مجانب للغباء والغفلة واعتماد الظواهر دون المقاصد والبواطن، والثاني مجانب للظلم والكذب والافتراء على الموافق والمخالف.

حين تنقل لأحدهم قولاً فإياك أن تضعه في غير سياقه، خاصة حين تنقل عن المخالف، فيدفعك الهوى لتوجيهه إلى أسوأ ما يحمل عليه الكلام لتكفره وتضلله، فتتبع الذين فعلوا هذا مع الأنبياء في التنفير منهم والكذب عليهم؛ بل الواجب عليك أن تنصفه، وتعدل معه، وهذا العدل يوجب عليك أن تقيم كلماته على معنى ما يعتقد، وما يشهد له حاله وأصوله وقواعده؛ فليس القصد في العلم والمراجعة والبيان إلا الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا إسقاط أحد ولا رفعة أحد؛ فالله هو المسعر، يرفع ويخفض.

والحق الذي يدعو إليه أتباع الأنبياء هو حق في نفسه، لا يحتاج إلى باطل لينصر، ولا إلى سب أحد ليعرف جماله، ولا إلى الفرية على الآخرين ليتضح معانيه؛ بل هو العدل الذي يقول: (**لَيْسُوا سَوَاءً**)، ذلك لأن الله عدل؛ يحب العدل، ويشرع العدل.

أهل السنة وهم طائفة الحق، ولبعض علمائهم أقوال شنيعة في العلم والعمل، لم يحملها الناس إلا على معنى حكمة الله في تخطئة الكبار مهما علت مراتبهم، فلم يسيروا عليها، ولم يتبعهم الناس، واستغفروا لهم؛ فيأتي المبتدع فيجعلها دين أهل السنة ومذهبهم، فيظلمهم ويبهتهم ويكذب عليهم.

وهكذا في الجماعات والطوائف؛ يقول بعضهم أقوالاً يستنكرها الكبار والقادة، فيأتي الظالم لهم ويلبس الجميع هذا القول، من أجل أن يشفي غيظه، وينصر نفسه، متشهياً أن يسقط الخصم في الغلط، ليكون له المقال الشديد فيهم.

هذه مرتبة نفوس صغيرة، وحال أقوام ليسوا من الأولياء ولا الصالحين، ولا هم من زمرة أهل العلم، فإن ظهروا يوماً فظهورهم على معنى الفتنة للناس ثم يصير أمرهم إلى ذهاب.

قالوا يوماً لأحد أهل العلم: فلان المبتدع يجلس الناس إليه، فقال: من جلس جلس الناس إليه، ولكن تموت أقوالهم بموتهم، وأما أهل السنة فذكرهم باق.

وهكذا، من تكلم سيجد سامعاً، وسيلحق به من على شاكلته، ولكن العبرة بالحق الذي قال الله فيه: (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**).

تأمل كلمة الإمام: (**يحفظها من ينفر عنهم ويشنع عليهم**) لتعلم حال الناس مع حكاية الغلط عن الخصوم، فهمهم حفظ الغلط وتقفر البحث عنه لنشره وتعميمه، ظالماً الناس وعلمهم وأقوالهم وأحوالهم.

ثم لو جاء من أنكرها من الطوائف أو الجماعات لم يهتم، ولم ينشر، بل ربما لم يفرح بهذا، إذ في ذلك قضاء على حسد وحقد نفسه.

ثم من العدل أن تقيم أقوال الناس على دينهم، وأصولهم، فهل يتصور في مسلم -معتزلياً كان أم أشعرياً مثلاً- أن يرد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً كرد الزنديق والكافر؟!

ثم هل تتخيل أو تتصور أن رجلاً سجن من أجل إقامة الشريعة، وعرض نفسه للسيف والقتل من أجل إعمالها في الأرض، تهون عليه حتى يجعلها كما يجعل الزنديق شأنها، وأنها خيار بين بدائل كثيرة؟!

ثم هل تتخيل أن يقول رجل هو تحت الموت من أجل دين الله، باع نفسه لله ولإقامة دين الله، يبيع آخرته من أجل دنياه؟!

كل هذا محتمل في قلة تنتكس، تخاف الموت فتهرب، وتساوم فترضى؛ لكن الأصل هو إحسان الظن في هؤلاء، وحمل أقوالهم وأفعالهم على معنى الحق ما استطعت لذلك سبيلاً، حتى إذا بان الأمر بيان الشمس بلا سحاب رددته وحملت عليه بسيف الشرع والدين.

واعلم أن الطوائف لا تؤخذ مذاهبها من صغارها وجهالها، ولا من التابعين فيها، بل من كبرائهم، وعلمائهم؛ وهذا لا يعني أن علماءهم لا تصيبهم جهالة اللسان فيخطؤون في المقالة، وذلك في زمان ضعف فيه اللسان، وكثر على ألسنة الناس غلطه، وحين يقع لفظ موهم أو غالب عليه الغلط رد معناه إلى ما تعلم من معانيه عند هذه الطائفة، لأن هذا هو العدل الذي أمرنا الله عز وجل بإقامته.

أرجعْ فروع الكلام عند المخالف لأصوله، وأعد مجملاته إلى تفصيله، وحاكم اللفظ الناد إلى ما شرحه وبينه، ثم لا تنس أنك تتعامل مع مسلم يريد تحقيق مراد الله في نفسه ما استطاع سبيلاً.

تجميع كلام الخصوم ووضعه في سياق لم يرده صاحبه أشبه بمن جمع للإمام أحمد كلام الغلط والرخص والتأويل في فقه الفقهاء، فقدمه إليه، فسمى الإمام أحمد هذا الكتاب بكتاب الزندقة.

ثم تعلم أن لا تكون فقط عالماً بأخطاء الناس، بل لا تنس وأنت تقول أغلاطهم أن تذكر الناس بفضائلهم؛ ليعلم القارئ أنك صاحب عدل وسنة، وأنه يهمك حب المسلم كما يهمك بغض الغلط والبدعة.

وعليك أن تنتبه لنفسك، فإن لم تكن عالماً بأصول الناس وأقوالهم الكلية فإياك أن تنتقد فروع كلامهم، لأنك إن فعلت ظلمت وقصرت، ولم تبلغ في النصح غاية الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

رحم الله ابن تيمية، وألحقنا به على خير.

كلمة في حق كلمة (١١):
للإمام الشافعي رحمه الله

[١٨ شباط ٢٠١٨ – ٢ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

قال الشافعي رحمه الله تعالى: "جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا" (البرهان للزركشي، نسخة عطا، ١/٢١).

اخترت هذا اللفظ لزيادة فيه، وهو قوله: (**وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**)، وإلا فقد رواها السيوطي بلفظ: (**جميع ما تقوله الأئمة**) ، وهو لفظ أليق وأقوى.

هذه كلمة علم وتربية، وكلمة ذوق وفهم، ترسي لدى الناظر مقام الشافعي في ترتيب الكليات من الجزئيات؛ هذا العلم الذي كان فيه الشافعي الرجل الذي لا يجارى، والناس ينسجون على منواله. ولولا هذه العقلية الخاصة المهتدية بنور الوحي لما أخرج للناس كتابه "الرسالة"، الكتاب الذي سماه عبد الرحمن بن مهدي: كتاب السحر.

قوله: (**وجميع السنة شرح للقرآن**)

كلمة نسج عليها ابن القيم رحمه الله، والشاطبي؛ وصار عند ابن القيم ميزان فقه الرجل كيفية إعادة الحديث لمعاني القرآن، ينظر فيه فرعاً للكتاب، وقد نازعهم في هذا أقوام، وكتب بعض المتأخرين في رد هذا المعنى كتباً، خالطها بعض ضعف في إدراك هذه الكلمة، ولم يعرفوا مراد العالمين بها.

هذه الكلمة يشتق منها ما خالفه الظاهرية –ومن تبعهم من المعاصرين– من وضع السنة قريناً للكتاب، غير منتبهين إلى طريقة الصحابة في ترتيب الأدلة، لا بالفهم عليهم علماً، ولا بمعرفة طريقة الصحابة رضي الله عنهم في تربية الناس، وذلك بربطهم بالقرآن أولاً، ليكون همُّ العالم الناظر للمعاني أن يتوجه للكتاب؛ ولذلك قال الشافعي رحمه الله في هذا المعنى: ليس تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

فحين يقال لطالب العلم: ابدأ هنا، وحاول التنقيب على الحل، فسيكون جهده عظيم القدر من كل باب؛ وأعظمها حالة التعبد الذي يعيشه هذا العالم، فيجتمع فيه التعبد من كل جهة: جهة النظر في الكتاب، وجهة

استنباط العلم منه، وجهة قراءته؛ وبهذا ينشأ لديه مزاج القرآن، وهو من معاني ما قاله الشافعي وهو يرجح بعض المعاني على غيرها بقوله: **فوافق هذا ظاهر القرآن**.

وقال الشافعي: وقد كانت لرسول الله في هذا سنن ليست نصاً في القرآن، أبان رسول الله عن الله معنى ما أراد منها، وتكلم المسلمون في أشياء من فروعها، لم يسنّ رسول الله فيها سنة منصوصة.

وقد يقع في وهلة متسرع أن هذا متناقض من القول، والأمر ليس كذلك؛ فالسنة شرح للقرآن، لا أن القرآن مستغنٍ عن شرح السنة، كما أن السنة يرويها من لا يعلم معناها لمن يعلم معناها فهي تشرح من الأئمة.

وقوله: (**وتكلم المسلمون في أشياء من فروعها...**)

تعلمنا أنّ الاجتهاد واجب، وأن هذه المسائل هي التي تسمى مسائل الاجتهاد، لا غير مما فيه نص، هو بمرتبته الذي سمي به: النص.

والكلام عن وجوب النظر للقرآن أولاً، ليبقى في نفس العابد المجتهد هذا المعنى من التعظيم، وليبقى نفَس العابد الاجتهاد في الغزير العظيم قبل أن يرد ما بعده.

هذا معنى أصولي تربوي، وما بعده معنى ذوقي تعبدي:

انتبه لكلمات هذا الفحل الجهبذ!

(**وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**).

نفْس الرب جل في علاه ترضى وتحب وتكره وتبغض.

نفس الرب سبحانه تعذب وتنعم.

نفس الرب تعذر وتحب العذر.

هذه نفس لها الصفات، ولها الأسماء، ولا يعرف العباد هذا إلا من كلامه، فكلامه ينبئ العبد عن ربه: ما هي أسماؤه، وما هي صفاته، وتخبر عن ما يحب وما يكره، ومن يعاقب ومن ينعم، ومن يعطي ومن يمنع، وكيف تجري الأقدار في الوجود على وفق معاني نفسه جل في علاه؛ فمنع من أجل البلاء، وعطاء من أجل الحب والرضا، وعطاء من أجل المكر، وهكذا تجري شرائعه على وفق حبه وكرهه، وتجري أقداره على وفق حكمته ورضاه وبغضه،

فالعابد الساعي لرضاه يستجيب لما يحب، ويحذر مما يبغض، ويسعى جهده أن يرضي الله وأن يفرحه، فإن أذنب عاد إليه، حباً له وخوفاً منه.. ومن غاب عنه نص في مسألة لم يغب عنه معاني ما يحب ومعاني ما يكره، فهو يجتهد على سننها ومعانيها، يسعى لتقوى الله، عابداً له، لأن معنى الشريعة كما قاله العالمون بربهم هو تحقيق العبودية له، أي أن يحققوا حبه ورضاه وفرحه.

اذهب للقرآن سائلاً عما يحب رب العالمين ويكره، ساعياً أن يحبك، وأن يعيذك من غضبه= حينها تصب أو تكاد، وأنت حينها بين حدين: الأجر والأجرين.

العبادة حين يكون مقصودها أن تفرح الله وأن ترضيه، ترتقي في مقامات العبودية، وحينها تغيب نفسك، فلا هوى، وحينها يغيب الناس، فلا رياء، وحينها تكون مخلصاً لرب العالمين.

إياك أن تشكو سبب قلة الخشوع وأنت تخطئ باب الدخول على الله، فإحسان الدخول عليه من باب طلب حبه وفرحه ورضاه يوصلك لأعلى المراتب.

كل كلمة، كل خطوة، كل غمضة عين، كل خاطرة نفس= اجعلها سبباً لفرح الرب، لما تعلم منه ما الذي يفرحه، فاعلاً لها، متجنباً لضدها، حتى لا تغضبه.

هذه المعاني مبنية على علمك به أنه الرحيم، وأنه القدوس، وأنه السلام، وأنه الرؤوف، وحين تغيب عن قلبك حب من له هده الصفات فقومها بالزجر والتكليف والإتعاب، فعليك بالصوم وقيام الليل ودوام الذكر وكثرة قراءة القرآن، حينها تستقيم نفسك على حب الله لذاته، بعد أن تحبه لصفاته.

من لم يلتفت لارتباط النسك بنفس الرب ضاعت طريقه، وفقد السبيل لأعظم طرق التقرب إليه.

أئمتنا لم يكونوا علماء كلمات فقط، لكنهم أصحاب أذواق للمعاني القلبية، فبها أحبهم الله، وحطوا الرحال على مقام: ولك العتبى حتى ترضى.

كلمة في حق كلمة (١٢):

للإمام أبي يوسف القاضي رحمه الله

[٢٢ شباط ٢٠١٨ – ٦ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

قال أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى: "لو استطعت أن أشاطركم ما في قلبي لفعلت".

هذا نفس نبوي، موروث من ميراث الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومقتبس من حاله الشريف، لا يقدر عليه إلا الأتقياء، وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً: (**فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا**)، وقال سبحانه جل في علاه: (**لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ**)؛ فهذا نفس يجمع خصالاً هي من أعظم الخصال وأبر الصفات، ويكشف عن نفس عظيمة، تصلح لتربية الخلق وارتقاء درجة الإمامة.

إن أول خصلة تكشفها هذه الكلمات خصلة الكرم والعطاء، فأبو يوسف رحمه الله معروف عنه الصبر على التعليم، والكرم وجود النفس؛ وإن أعظم ما يجود به المرء هو العلم.

وأبو يوسف رحمه الله تعالى يشير إلى بعض نوع العلم، وهو ما خفي على السامع، وشق على بعض الطلبة إدراكه؛ فهو يرقق لهم الكلام، ويصبر عليهم في العطاء، كل هذا ليفهموا عنه، ويعرفوا غور ما يريد، ثم هو يقول لهم هذه الكلمات: **لو استطعت أن أشاطركم ما في قلبي لفعلت**.

وخصلة حب العطاء، ونشر العلم، وإصابته للقلوب= هي خصلة نبوية شريفة؛ فهذا القرآن الكريم يكشف حال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم معها، وهو في تمنيه هذا، وحزنه أن لا يصيب ما عنده قلوب السامعين المعرضين عنه يكاد يهلك نفسه، والله يسليه أن هذا من جهلهم وفسادهم، لا من ضعف تبليغك، ولا لشكهم في ما تقول.

والخصلة الثانية التي تكشفها هذه الكلمات هي خصلة الحب للآخرين؛ فهو لا يأخذ العلم ترفعاً عليهم، فهو لا يأخذ العلم ليماري به أهله، ولا ليترفع به على غيره، ولكن ليضعه في قلوب الخلق، حباً لهم، وسعياً في رفعتهم:

لا يتمنى خطأهم ليصحح ويثرب، ولا يسعى لسب ولا شتم، ولكن هو يحبهم، ويترفق بهم، ليصيبوا هذا العلم، وهذه صفة العالم الذي يسعى لتحقيق معنى العلم في نفسه والآخرين.

وخصلة ثالثة في هذه الكلمة، وهي عدم الحسد؛ فمن أحب للناس ما يحب لنفسه فقد خرج من هذه الخصلة المذمومة، وهي من أعظم أسباب الخصومات بين الناس، وما قتل ابن آدم أخاه إلا بدافع هذه الخصلة القبيحة المذمومة، وهي جريمة بين الناس عامة، وأعظم سفهاً وجرماً بين طلبة العلم والدعاة، وما تراه اليوم من قلة الأخوة والحب بينهم إلا لهذا المرض، ولا يغرنك أكاذيبهم أنهم ينتصرون للدين والعلم في هذه الردود والخصومات، فهو كذب يعلمه الناس من أنفسهم، بل هو الحسد الضارب بجرانه في قلوبهم.

ينشر أحدهم كتاباً فيحسده الآخرون، ويتكلم الكلمة في العلم فلا يراها الآخر إلا من وجه الغلط، ولو احتملت ألف وجه صحيح، زاعماً أنه يقوم الخطأ، ويصلح الكلمة، وما الحال على الحقيقة إلا صراخاً: ها أنا ذا.

لو تفكر عاقل في حال من دخل في أبواب العلم والدعوة لرأى أن الخصومات بينهم أشد من خصومة المرابين، وأنه إن سلم بينهم وقت من خصومة لرأيت أنها لا تدوم، وسرعان ما تنماث ذاهبة؛ وذلك لحسد القلوب، ويلقى الشر يرتقي بينهما من خلاف يسير حتى يدخل في باب الاعتقاد والإيمان، ليسهل القذف والسب والطعن.

هذه الكلمة من إمام مهدي، وعالم قاضٍ، تصلح ميزاناً لنفس الإنسان من داخله، يقول أخوه الكلمة من الخير فيفرح لها، ويقول هو الكلمة من الخير فيتمنى أن قالها أخوه، أو أنها هي عند أخيه في قلبه.

هكذا وصل لنا علم السلف، وهكذا انتشرت خصالهم في العالمين، وهكذا صار مشايخ هذا الزمان سبباً في افتراق الناس، وتحزبهم على مشايخهم، وبدلاً من أن يقللوا الشر صاروا هم الشر نفسه، يوقدونه في المساكين الذين جاءوا إلى كلماتهم لتهديهم فصنعت منهم أزلام شر ووقود فساد، وطبول فتنة.

كان من سلف يرسل ابنه للعالم ليتعلم منه سمت التقوى والصدق والحكمة، واليوم لو جلس إلى أحدهم أو إلى كلماته لما رأى إلا الحسد والطعن والتعيير وجمع المثالب.

ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافهمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

رحم الله سلفنا، وألحقنا بهم على خير وتقى.

كلمة في حق كلمة (١٣):

للدكتور أيمن البلوي حفظه الله

[٢٣ شباط ٢٠١٨ – ٧ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

قال الدكتور أيمن البلوي حفظه الله تعالى: "لا يستجاب دعاء العبد أحياناً لضعف الإرسال، وقد لا يَفهم صورة الاستجابة لضعف الاستقبال".

كلمة حكيمة من قماشة فقه السلف، نفع الله بها، وغفر الله لقائلها ورفع درجته في الصالحين.

أول ما في هذه الكلمة من معاني الخير: إحسان الظن بالله؛ فهو لا يتهم ربه، ولكن يتهم نفسه. وإحسان الظن بالله من أعظم القرب إليه جل في علاه، وهو لا يفعل ولا يقول إلا الحق كما قال سبحانه: (**إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**)، وهو سبحانه "رحمته سبقت غضبه "، تقدست أسماؤه وأفعاله، وخيره على العبد أعظم مما يحتاجون، وأكثر، وأعظم مما يستحقون وأكثر، وهو القائل سبحانه وتعالى: (**وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ**)، وقال سبحانه: (**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ**).

والعبد في مقام الشكر يعلم هذا من حياته، فعنده من النعم أعظم مما حلم وتفكر، وأعطي منها أكثر مما يحتاج من طعام ولباس ومسكن، ولذلك هو مع الأقدار التي تصيبه لائماً نفسه مقرعاً إياها، كما قال سبحانه وتعالى: (**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ**).

حين يدعو المرء ربه، فإن الله يسمعه، حتى لو خافت أو أسر، حتى وهو في جوف حجر؛ والشيخ لم يرد من معنى (ضعف الإرسال) ظاهر اللفظ في أن الله يحتاج للصراخ ليسمع له، فالله سبحانه وتعالى هو السميع البصير، وهو القائل: (**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**)، وقال سبحانه وتعالى: (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**). وإنما أراد الشيخ ضعف الحوامل للدعاء، فالله يقول: (**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**)؛ أي يرفع الدعاء كما في بعض ما قيل في هذه الآية، فالدعاء يحتاج لمن يرفعه من العمل الصالح، وحين يضعف الحامل من العمل الصالح فهو لا يصل إلى ما

يحب الله تعالى له من الشروط فيوقفه حتى يحمل حملاً قوياً من العمل الصالح، ومن تتابع الدعاء وكثرته؛ فإن الله تعالى يحب العبد اللحوح، وكان صلى الله عليه وسلم يناشد الله مناشدة الغريق، تواضعاً، وذلة لربه، وإخباتاً له، كما فعل صلى الله عليه وسلم في عريش بدر، حتى قال له الصديق رضي الله عنه شفقة عليه: «**كفاك مناشدتك ربك**».

فالعبد حاله في الدعاء حال الغريق الذي يستغيث لينجو، فهو صارخ بقلبه، باكٍ بعينه، متواضع بسمته، بل ذليل وهو رافع أكف الضراعة له سبحانه.

كل هذه هي من مقويات الإرسال حسب لفظ الشيخ، جزاه الله خيراً.

يقول الله عز وجل: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**)، وذلك تعليماً لهذه الأمة أن لا تقدم طلباتها إلا بالوسيلة المحبوبة، وبالحوامل الصحيحة القوية، كما قال سبحانه وتعالى: (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**).

وأما قول الشيخ: (**وقد لا يفهم صورة الاستجابة لضعف الاستقبال**)

فهذه كلمة حال راقية، وذوق وإدراك، والمرء يغبط الشيخ عليها؛ لمعناها العظيم، وحسن سبكها. وهي تعبر عن جهل الناس بمقام الشكر، والنظر إلى النعم الربانية التي تحيط بالمرء فيخطئها جهلاً وعماية.

البلاء يأتي فجأة، وكبيراً، والنعم تأتي تترى ومتتابعة، حتى يزول الألم ويحصل العطاء؛ والمرء لغفلته يبصر الألم والبلاء للمعنى الذي تقدم من صدمة المرء به ومن إتيانه كبيراً، حتى إذا انجلى تدريجياً لم ينتبه العبد له، ولم ير يد الله المنعمة كما رأى يد الله في البلاء، ولهذا يضعف نظره، وسمى الشيخ هذا الحال: ضعف الاستقبال.

ثم إنّ النعم كثيراً ما تصنع الانشغال بها ترفاً وتنعماً، والبلاء يشغل قلب العبد من أجل صرفه؛ فالنعم بلاء التنعم، والبلاء شغل للنفس عن محبوباتها، فهي أقهر للعبد، ولذلك تصرف عينه عن النظر للنعم، وتبقى ساهرة لصرف البلاء؛ ومن هنا يضعف بصره في فهم النعم حين مجيئها.

والمرء ربما يقف نظره على نعمة غائبة، غير مبصر لنعم حاضرة، فيغفل عن الشكر، ولا يبقى في قلبه إلا أمنية حضور الغائب؛ وهذا من ضعف استقباله، ولو نظر إلى عدد ما أعطي مقابل ما حرم لقام مقام الشاكرين.

يكون للمرء الولد الكثير ثم يفقد ابناً فلا يكون في نظره إلا الغائب، وهكذا بقية النعم والعطايا الإلهية؛ وهكذا حال الناس في أكثرهم معها: نظرهم لما غاب، وعميهم لما حضر؛ وهذا ضعف من العبد في رؤية العطايا الإلهية، ويوجب بعد ذلك ضعف الشكر.

جزى الله الشيخ خير الجزاء، فهي كلمات نافعة، أسأل الله أن يرفعه بها، وأن يجعلها في ميزان عمله الصالح يوم القيامة.

ومثل هذه الكلمة من كلام الحكمة تحتاجه كثيراً، وفي غمرة الحياة يكون فيها النجاء من مرض خطير، وهو سوء الظن برب العالمين (**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحْقِّ**)، وهذا المرض أس فساد الإنسان.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (١٤):

لابن نباتة المصري رحمه الله

[٤ آذار ٢٠١٨ – ١٦ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

خبز الشعير

هل تعلم أن هذه الكلمة عنوان كتاب لابن نباتة المصري الشاعر اللغوي المعروف، صاحب كتاب "شرح رسالة ابن زيدون".

وسبب هذه التسمية أن ابن نباتة كان يخترع المعنى الغريب في شعره الذي لم يسبق إليه، فيعارضه فيه صلاح الدين الصفدي، فيأخذه منه وزناً وقافية، وينسبه لنفسه، على ما قال ابن إياس.

وقال هو في المقدمة: فلما طال عليّ الأمر في ذلك جمعت كتاباً فيما قلت وسرقه مني، ونسبه إلى نفسه، وسميت هذا الكتاب: **خبز الشعير**، لأنه مأكول مذموم.

من تأمل حياة البعض وجدهم على معنى ما قاله ابن نباتة، وأن حال القليلين هو حال خبز الشعير: يؤكل ويذم، يستفاد منه ويسرق منه ثم يذمونه ويهجرونه، يأخذون منه كالسراق، فيسطون على ما يكتب ويقول ويستفيدون، ثم يجحدون ويسبون ويقرعون.

والأمر مع هؤلاء كما قال أحمد بن إدريس، المعروف بالقرافي، صاحب "الفروق" المشهور:

وَإِذا جَلَسْتَ إِلَى الرِّجَالِ وأشرقت ... فِي جو باطنك الْعُلُوم الشرد

فاحذر مناظرة الحسود فَرُبَّمَا ... تغتاظ أَنْت ويستفيد ويجحد

الرافعي رحمه الله له معانٍ عظيمة، يبتكرها، لا تجدها عند غيره، ومن ذلك وصفه لبعض الناس أنهم كحبة القمح تحرق في الشمس، ثم تطحن ثم تدخل التنور لتخبز، من أجل أن يأكلها الناس.

وهكذا تمضي الحياة بين قزم يرتقي ظهور العمالقة، فيبدو أنه أكبر منهم، وبين أناس يعملون ويجتهدون ولا ينسب لهم فضل.

كن كخبز الشعير، ولن تكونه وترتاح حتى تخلص لله، وترجو الدار الآخرة، وتهون عندك الدنيا، وإلا عشت متألماً حسيراً.

كلمة في حق كلمة (١٥):

للإمام الشافعي رحمه الله

[١٢ آذار ٢٠١٨ – ٢٤ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

قال الشافعي رحمه الله تعالى: "لو كلفت شراء بصلة ما فهمت مسألة". (تذكرة السامع والمتكلم، لبدر الدين ابن جماعة رحمه الله).

العلم عزيز غالٍ، لا يقبل الشركة؛ فهو لا يبذل نفسه بسهولة، بل لا بد من أن يبذل الآخر له نفسه ليعطيه. والفكر لا يشغل بأمرين، خاصة فيما هو مهم وثمين؛ ولذلك يؤثر عن أهل العلم قولهم: العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضه. ولذلك لا بد من التفرغ مع العلم، وعدم شغل البال بغيره.

وحين يأتي البعض للعلم لمة بعد لمة، ويبذل له من فضول الوقت لا أصله، لا يأخذ منه إلا الفتات الذي لا يقدر أن يدخل به في مسمى العلماء ، ولا يمكن أن يكون من أهله.

ومن تأمل سيرة العلماء رأى عجباً في هذا الباب، فهم في أغلبهم سعوا لنيل العلم صغاراً، لا يشغل أذهانهم سواه، يطوفون على الشيوخ، ويزورون البلدان، فيكتبون ويجمعون، حتى يعرف الواحد منهم بأنه نهمة طلعة، أورادهم في هذا مشغولة من الصباح إلى المساء، لا يشغلهم طلب رزق، ولا معاناة أهل، ولا لعب صبيان= حتى إذا جمع الرجل العلم، ورأى العلماء، صار له شأن من العطاء والبذل، وقد يكون في الطلب الآلاف، ولكن لا يبقى منهم في سبيل العلم إلا المئات أو العشرات، يختصون بهذا العلم والفقه، وبه يشهرون ويعرفون.

هذه الكلمة المنسوبة لتاج الفقهاء -كما وصفه الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى- لا تعني عدم قيام الرجل بحق أهله، ولا بحقوق الناس، ولكن تعني أن المرء ليدخل في زمرة العلماء لا ينبغي له الاشتغال بغيره، ولا أن يكون له هم من هموم الحياة إلا هم العلم وطلبه؛ ليعطيه العلم نفسه، ويكشف له عن أسراره.

العالم الذي يسري كلامه علماً بين الناس من زهد في الدنيا، ومن أعرض عن زخرفها؛ وما ذل العلماء إلا بمنافستهم أهل الدنيا في دنياهم، فجلسوا على أبواب السلاطين، وقبلوا منهم العطايا التي هي الرشوة والتزلف لهم ليفسدوا عليهم دينهم.

تطلع الشيخ أو طالب العلم لأهل الدين لينافسهم، وليسبقهم في الرغد والنعم والرياش= يعني أنه أضاع أهم ركن من أركان القيام بحق العلم؛ والسلاطين دوماً يعلمون أن العلماء هم المنافسون لهم على قلوب الناس، فيبذلون لهم المال ليكونوا سواء في هذا الباب، كلاهما ينافس على الدنيا، ولا بد من السبق حينها للحكام.

هذا الشيخ الذي شغل ذهنه في بناء أكبر بيت وتجهيزه كبيوت الأثرياء، يحرص أن يكون فيه ما يكون في بيوت المترفين، متى يفهم سر ارتباط العلم بالآخرة؟!

الرضا بالقليل، والقناعة بما يحصل به السير، وعدم الانقطاع من القوت والملبس والبيت= يسهل للمرء تحصيل العلم وانشغال النفس به.

والمهموم كذلك بالفقر والفاقة، وعدم الكفاية، كذلك عنده من حواجز التفرغ والانشغال بما يلزم من الطلب والنظر والبحث.

والمرء له زمنان: زمن الطلب والبحث والتقميش، وهذا يوجب التفرغ الكلي، وعدم الانشغال بشيء إلا بالعلم؛ فإن جلس للتعليم ربما قضى بعض الحوائج، واليوم تكثر الحاجات، والالتزامات الاجتماعية، فهي تضيع الكثير من الوقت، والمرء عليه أن يوازن بين هذه الأمور وبين طلبه للعلم وبذله كذلك.

ولكل زمن أركان لطلب العلم، فكانت الرحلة في زمن مضى هي أعظم العناصر لتحصيل العلم؛ إذ يحصل بها لقي العلماء، ومجالستهم، والمباحثة، وما زالت هذه كذلك اليوم، ولكن قلت أهميتها، وصار أعظم ركن لطلب العلم هو اقتناء الكتب، والحصول عليها، والجلوس معها؛ ومن انشغل عن هذا الركن فاته الخير الكثير.

وهناك من يقلل قيمة الكتب، ويتحدث عنها حديث بعض أهل العلم السابقين، وهذا خطأ؛ ورحم الله ابن حزم وهو يقول: دعائم العلم مشهورة مستحكمة يؤثر بها العلم على سائر أعراض الدنيا من اللذات والمال والصوت، ثم قصد إلى عين العلم ليخرج به عن جملة أشباه البهائم فقط، لا يجعله مكتسبه ولا ليمدح به، وذكاء وفهم وبحث وذكر وصبر على كل ذلك، والتعب فيه وإنفاق المال عليه والاستكثار من الكتب، فلن يخلو كتاب

من فائدة وزيادة علم يجدها فيه إذا احتاج إليها، ولا سبيل إلى حفظ المرء لجميع علمه الذي يختص به.. فإذا لا سبيل إلى ذلك فالكتب نعم الخازنة له إذا طلب، ولولا الكتب لضاعت العلوم ولم توجد.. وهذا خطأ ممن ذم الإكثار منها، ولو أخذ برأيه لتلفت العلوم ولجاذبهم الجهال فيها وادعوا ما شاءوا؛ فلولا شهادة الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل.

مع العلم تحتاج إلى صبر وذكرى الدار الآخرة، والمعين لك من الإخوان والأهل، ومن يعذرك في تقصيرك في واجب حق عليك لم تستطع أداءه.

مع العلم تهجر كل لذة إلا لذته، وتنسى نفسك في خضم طلبه والتفكر فيه.

كلمة في حق كلمة (١٦):

للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

[١٥ آذار ٢٠١٨ – ٢٧ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

قال العالم الرباني أحمد بن حنبل: "والله يا بني ما بتُّ ليلة منذ ثلاثين سنة إلا وأدعو للشافعي. كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض...".

هذه كلمة تبكي المرء، وتعرفه مقدار الرجال الذين سارت بعلومهم القلوب والكتب، ونشر الله فضائلهم على لسان كل موحد، عابد، مجاهد، واقتفى أثرهم كل من سار على درب العبودية والإخبات، مريداً الدار الآخرة، راجياً رحمة الله، خائفاً من ذنبه.

هذه يا أخي كلمات الحب في الله، والصدق في القول، والعدل في الميزان.

هذه زادٌ لسالك طريق الجنان، لتعرف أي نوع هم أهل هذا الطريق.

هذه كلمات يتغنى بها، ويطرب لها، لأنها كلمات القلوب الصادقة.

هذه كلمات الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

يقولون: أشد ما ترى من الحسد بين الأقران، وأفسد ما يكون بين العلماء، وهو والله كذلك؛ لكنه والله كالخل في العسل، يفسد دين المرء، ويذهب بهاءه، ورونقه، ويسقط الرجال، ويذهب عقولهم، حتى ليصبح الرجل كالذئب لا يتقن إلا إراقة الدماء، وقذف الأعراض، فيجري به سعار الحسد كأنه لا يراقب الله، ولا يعرف الدار الآخرة، ولم يسمع بالعدل، ولا هو من أهل المرحمة.

هذا أحمد بن حنبل يعرف قدر هذا الرجل العظيم، والذي سمي بناصر السنة، وعلّم العالم كيف يتكلمون في الفقه= فلا يحسده، ولا ينقب عن خطأ هنا أو هناك مما لا يخلو منه أحد من الخلق، ولا ينافسه في مكرمة؛ بل هو يعلم أن اعترافه بمكارم الخلق هو مكرمة له، وهي منقبة يحبها الله لعباده، وبها يرفع الله شأنهم، فيطلق هذه الكلمات، والتي والله لا أتصور عبداً يتغنى بها إلا بكى:

(**كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس**..)

يا الله، يا أرحم الراحمين، ما هذا القلب العظيم الذي هدي لمثل هذه الكلمات العجيبة، وهي التي –والله– لو سهر عليها شاعر فحل متقفياً مطلبها لعجز عنها، وما أصابها.

لا يعرف قدر أهل المروءات إلا أهلها، ولا يعرف قدر العلماء إلا العلماء، ولا يبقى في الأرض من الخير إلا من زرع في قلبه زرع التقوى وحب الناس وإنصافهم.

(**ما بت ليلة منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي**).

والله لو قالها عن أمه أو أبيه لكانت خصلة عظيمة تمدح، وبها يرتفع عند الحق والخلق، فكيف يقولها في حق قرين له، ورجل حل في دياره، وهو المقدم فيهم، فيلازم بغلته، يسمع منه ويحاوره، ويبلغه أن يحيى بن معين عاب عليه هذا، فيقول: لو لزم يحيى الشق الثاني لكان خيراً له؟!.

لا ندري أهذه كلمات مدح في الشافعي أم هي كلمات ثناء القلوب على العالم الرباني أحمد بن حنبل الشيباني؟!!

أين أنتم ممن تريدون دخول الملكوت باسم العلم وأهله، ثم أنتم لا تعرفون إلا جمع مثالب الخلق؟!

أين أنتم أيها السالكون درب الفقه والحديث ثم أنتم لا ترون لأحد منقبة من فضل أو خير، بل كل منقبة عندكم مذمة، وكل خصلة خير مدفوعة بألف من التهم والظنون والذنوب؟!

قتلكم الحسد.

قتلتكم الظنون.

أفسدكم تقفر السيئات والذنوب.

شغلتكم ذنوب الناس وأوهامكم عن رؤية الفضل في غيركم.

فماذا كان؟

سقط الجميع من عين الله، ولم يتعلم منكم تلاميذكم إلا البحث عن سيئاتكم، فذقتم من نفس الكأس الذي أسقيتموه لغيركم، وكما تدين تدان.

تأمل ساحة العلم والدعوة والجهاد، فهل ترى غير الحسد والتهارش والقطيعة؟!

تأمل ساحة المتدينين، فهل ترى غير الخصومات، وإشغال التلاميذ والصغار بقيل وقال، وتجميع الأخطاء والزلات؟!

أي دين هذا عند من لا يرى إلا الشر في الأقران، ويأنف الواحد أن يذكر منقبة أو خصلة خير لمعاصر؟!

والله لن تدخل باب الفضل حتى ترى الفضل في نفس غير نفسك، ولن تعرف العلم حتى ترى العلم في حال أحد من الناس غيرك. وأما ما تراه من نفسك، فإنما هو الغرور، والسقوط من عين الله تعالى.

عندما تسمع كلمة خير من عالم، نفع الله بها الخلق، فلا تنس الدعاء له؛ لتكون فيك خصلة من ابن حنبل، بل من سيده صلى الله عليه وسلم.

عندما ترى رجلاً جلس ليعلم الناس العلم، فافرح له، واشكر له فعله؛ لتكون ربانياً.

عندما تسمع الناس يتحدثون عن مناقب عالم من أقرانك، فاحمد الله أن أحب الناس العلماء.

راقب قلبك، حتى لا يكون مأوى للهوام والذئاب والأفاعي والحشرات؛ فإنها ستقتلك.

ولا تظن أبداً أن ما تخفيه من كل هذه الشرور لا يعرفها الناس عنك.

رحم الله الشافعي، والذي لم يناظر أحداً إلا وتمنى أن يظهر الله الحق على لسان خصمه.

رحم الله الشافعي والذي تمنى أن يتعلم الخلق هذا العلم دون أن ينسب إليه.

ورحم الله أحمد بن حنبل وهو يعلمنا كيف يكون أهل العلم في صِلاتهم، وحبهم، وفي إنصافهم.

يا رب بعض ما عندهم لننجو.

كلمة في حق كلمة (١٧):
لمروان بن الحكم رحمه الله

[١٨ آذار ٢٠١٨ – ١ رجب ١٤٣٩]

وإنْ أنـــت باذيـــت الســـفيه إذا بـــذا فأنـــت ســـفيه مثلـــه غـــير ذي حلـــم
فـــلا تقرضـــن عـــرض الســـفيه وداره بحلـــم فـــإن أعيـــا عليـــك فبالصـــرم
ومـــن عاتـــب الجهـــال لم يشـــف غيظـــه ولكنـــه يـــزداد ســـقماً إلى ســـقم

الحياة متنوعة ومختلفة الوجود، وفيها العجائب في كل باب، والعبد ممتحن في كل منعطف، وكل لحظة، وأعظم ما يلاقي منها هو الصبر، وما زال الناس يحضون عليه، ويزينونه من كل وجه، فالحكيم بحكمته، والشاعر بنظمه، وكلهم يعظ بهذا الخلق العظيم.

تقديرك لصاحب الكلمة: أمن سفاهة قالها، أم من كبر وغرور، أم ضياع عقل وجنون، أم من حسد عضه حتى أعماه؛ فهذا النظر إلى مصدر الكلمة يريحك في فهم معناها: أم النصيحة الطيبة أم من غرز آخر، يجمع الغرز الآخر كلمة واحدة: الهوى.

للسفيه خصلة في كلامه، ومعْلم تؤوب إليه، فلا يخطئها صاحب النظر.

السفيه يعني أنه يشد ثوبك لتنتبه إليه، ويعني أنه لا يحسن إلا القذف بالشر، وتصور الخطأ، حتى لو سبحت وهللت.

السفيه يعني أنه لو قلت له: أخطأت، صرخ وماج وهاج، وقطع لك كل ثوب ترتديه، لأنه لا يحسن إلا التمزيق والصراخ.

السفيه يعني أنه كقشة الوادي تثيرها كل نسمة، وتحملها كل قطرة ماء، فهي لا تعدو أن تكون قشة خفيفة.

السفيه من إذا أثير استثار، ومن إذا روجع غضب، وإذا خوطب بالعلم لم يجد سوى الزعيق والتعالم الغث، فلا تملك إلا أن تسكت.

السفيه هو من وقف على بابك كل يوم ليقذفك بالشر والسفه وسوء الخلق.

مع هذه الكلمات الحكيمة من الشعر تعلم:

إياك والسير معه، بل إياك والوقوف ولو لحظة لتسمع ما يقول؛ فإنك ولا شك ستتعب أنت، وهو بهذا يصيب بعض قصده منك.

إياك والبذاءة في القول مجاراة له، بل إن فعلت ذلك كنت مثله في السفاهة والبذاءة.

إياك ورد هجوه، فأنت الملوم من كل عاقل، بل جابه سفاهته بالحلم، فإن ظننت أنك ستضعف، فعليك بالهروب منه هروبك من كلب عقور.

وإن شئت العقل كما يوصي به العقلاء فتأمل:

ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه ولكنه يزداد سقماً إلى سقم

العتاب يحتاج إلى حب وصدق، ويحتاج إلى عاقل لو خوطب لرعاه عقله عن الغي والسفاهة.

العتاب يعني أنك ترجو منه خيراً لما يأتي، والسفيه ليس كذلك.

العتاب يعني أنه صاحب مروءة ونفس كبيرة، إذا خوطبت بالخير استجابت، وهذا ما برئ منه السفيه.

العتاب يعني أنك تريد مد الحياة معه، ومثله يكون الهروب هو الحل.

السفيه لا حياء عنده، فله جلد قدَّ من الصخر، والعتاب مبني على الحياء.

(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ).

كلمة في حق كلمة (١٨):

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

[٢٨ آذار ٢٠١٨ – ١١ رجب ١٤٣٩]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "مسائل النزاع التي تنازع فيها الأئمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم؛ فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً، ولا يتعدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره أو تفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله، وهذا حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم، يظلمون الأمة ويعتدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين". (مجموع الفتاوى، ١٧/٣١١).

هاهنا مرتبتان في الاجتهاد والنظر، أولاهما: تحقق هداية الفهم التام عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيحصل الاتفاق القلبي للاتفاق العلمي؛ وهذا عادة يقع بين أهل السنة في المسائل الكبار، والتي فيها الإجماع، ويكون دليلها بيناً في دلالته على المراد، مع اتفاقهم عليه، وعدم اختلافهم في ثبوته.

وقد يقع في هذه المرتبة الخلاف، وقد جوز الشارع وقوعه قدراً، بلا إثم، بل له أجر الاجتهاد وطلب الحق؛ وسبب وقوع الخلاف في إصابة المراد الإلهي كثير، فإن النصوص وإن استوعبت النوازل وأحوال الوجود والخلق جميعاً، إلا أن دلالة هذه النصوص على هذه القضايا تتفاوت ظهوراً وخفاءً، وقد يدرك المرء النص وقد يفوته، وهذا معلوم ومنتشر.

هذه المرتبة هي مرتبة العلم مجرداً، وكيف هو في نفس الباحثين عنه، والطالبين له.

لكن يبقى علاقة الناس بهذا الاختلاف، وما شأنهم معه، تنازعاً أو إعذاراً.

تأمل كلمة الشيخ رحمه الله وقوله: (**فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض....وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم**).

فهاهنا مرتبة النفوس مع هذا الاختلاف العلمي، ومرتبة التقوى في التعامل معه، ومرتبة الإخلاص وعدم العلو وعدم البغي.

في نفس كل مجتهد أنه الحق، أو هو الأقرب للحق، ولكنه كذلك في نفسه نوع احتمال أن هذا الحق منازع، وذلك لأسباب لا يعرفها إلا من مارس الفقه والبحث والاجتهاد؛ وأما المقلد الذي يرفع شعار الاجتهاد كذباً، فلا خبرة له باضطراب النفوس مع هذا النوع من المسائل، ولذلك هو مطمئن اطمئنان الطفل بقول أبيه، والذي يجزم أنه الحق كله، وأن غيره باطل بطلان الشرك والكفر، وهو سبب البغي والظلم؛ فالجهل هو من يصنع هذا اليقين الزائف المبني على التقليد حتى لو زعم النظر والاجتهاد.

العلم هو من يصنع النفوس، والعقلاء هم من يعرفون مراتب الدلالات، وهم من يعيشون على قاعدة: لا تكتب عني كل ما أقول، فقد أقول اليوم قولاً أرجع عنه غداً؛ فهو لا يعذر المخالف إلا بعد أن أعذر نفسه، وعلم حال غيره من خلال حاله هو.

الصغار والجهلة هم من يجزم بقول يحتمل ولو بشيء يسير صحة غيره، ولكنهم لا يعلمون، فيقع البغي والظلم والتجاوز، ويصبح المرء على معنى الخارجية في هذا الباب مع المخالف، فيكفره أو يفسقه أو يحبسه.

فهذا واقع قدري، والشرع يقره، ويتعامل معه تعامل الرحمة والتشجيع، فيعطيه الأجر حتى وإن أخطأ؛ ولكن هذا الشرع العظيم لا يعطيه حق سباب وظلم المخالف حتى يخرج عن حد الحكمة العملية، والتي توجب معرفة حاله، وذلك بأن يغير إذا ثبت له خطأ قول قاله، وأن يعذر غيره، بل ربما ظن أن قول غيره هو الصواب، فيحبه ويدعو له.

مشكلة أهل الظلم والبغي والخارجية، قلت أم كثرت، مشكلة علمية نفسية؛ إذا خولفوا لم يفهموا حقائق هذا الاختلاف، ولم يفهموا العلم ووسائله، ذلك لأنهم زعموا مزاعم هي الكذب، وهم بهذا يحبون العلو في الأرض، وتتحول المسألة عندهم من كره من خالف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كره وبغض من خالفهم هم.

وتصور الخلاف بين أعلم الناس، وهم الصحابة، يوجب على العالم أن يعلم أن الخلاف بعدهم أشد، فوجب توسيع دائرة الإعذار؛ ولا يغرنك قولهم أن العلم اليوم منتشر فوجب ترك الخلاف، فقائل هذا القول جاهل جهلاً مركباً، وليس له من فهم الشريعة والقدر شيء مما يمدح به ويدخله في زمرة العلماء المحققين.

وتبكيني كلة الشيخ هنا: (**فإن رحمهم الله**...)

إنها هداية القلوب والنفوس، وعطاء رباني يضعه الله في قلوب العلماء والناس رحمة بهم، لما علم ربنا من قلوبهم حب الخير والصلاح، وإلا كان الخلاف المذموم، لا يخالف الرجل أخاه في مسألة حتى سب بعضهم بعضاً، وبدأت بينهم صراعات الديكة، وكشف العورات، والتحدث عن السيئات، وخاصة إذا كان بينهم تاريخ صحبة، فحينها ترى العجب العجاب من حرمان الله لهم الرحمة.

وأنت إذا تأملت زماننا وجدت أن الناس يتحاسدون ويتقاتلون ويتسابون وهم في قول واحد، بل في بلاء واحد، يلبس عليهم الشيطان بوجود خلاف في العبارات والكلمات، فكيف إذا وقع الخلاف، وقد وقع.

وبعد كل هذا، يأتي جاهل وبسبب هوى النفوس لا خلاف العلم يرفع شعار الهجر لأخيه، ويزعم أنه هجره لله.. ووالله لقد كذب، فإنما هجره لرفعة نفسه، وأنه خالفه هو أو خالف من قلده من شيوخه وأئمته.

تأملها جيداً، ترى نفساً كبيرة تتحدث حديث السماء، وليس فقط حديث التراب: (**فإن رحمهم الله**).

اللهم رحمتك.

كلمة في حق كلمة (١٩):

للإمام النووي رحمه الله

[٢ نيسان ٢٠١٨ – ١٦ رجب ١٤٣٩]

قال النووي رحمه الله تعالى: "قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أثقل للقلب= من الخصومة". (كتاب الأذكار).

غشيان الغم على نفس المرء تذهب عنه الكثير من الأعمال والفروض ومحاسن الاختيارات في القول والفعل، لأن الغم مذهب لصفاء النفس، مشغل لها، وهو أشبه بثقل مهلك على البدن، يتعبه، ويشغله عن كل أمر. والغم ثقل عجيب، إذا غشي نفساً إنسانية شغلها، فلا يطيب لها أمر، ولا تفكر، ولا حسن اختيار.

وإن أعظم مسببات الغم القاهر هو الخصومة واللدد، لأنها سبيل الغضب، والاختلاف، وبؤس النفس؛ فهو مشغول مهموم متفكر بغير ما ينفعه، وخاصة إذا كانت الخصومة مع كاذب، أو جاهل، أو خصم لدد، لا ينفك أنه مشغول بك، وبملاحظة ما يصدر منك، فلا يقيمه إلا على معنى الشر والغلط؛ لأن شأنه أن لا يلتقط إلا الوسخ، فإن رأى خيراً أجراه على معنى الغلط ليتلاءم مع نفسه المشغوفة بالشر.

الخصومة النفسية قد يلبسها البعض لباس الدين، والدفاع عنه، وعن الحق؛ وهذا إحدى منافذ الشيطان على الصغار، ممن تركوا تربية أنفسهم وتقويمها، وممن لم يألفوا اتهام أنفسهم دائماً كما هو شأن العلماء والصلحاء والعباد؛ فهم في حالة زهو، وافتخار، ومدح لذواتهم.

والفارق بين الخصومة في الله والخصومة بالباطل، أن يعدل المرء مع الخصم: فيذكر ما فيه من خير، ويعرف له فضله فيما هو فيه، وإن سئل عن حسناته عدها كما ينشط لعد خلافه معه؛ وهذا منا يكاد يذهب في أيامنا هذه بين المتخاصمين، إذ لا تجد إلا السباب، وتقفر العورات والعثرات، وكشف السر الذي جرى بينهما أيام الصفاء، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم تخاصموا في الله!

ثم إن من علائم صدق المرء مع الله في الخلاف الوقوف عند بيانها والتنبيه على الخلاف، ثم يمضي كل إلى حاجته وما ينفعه، فيذكر الخلاف ولا يقف المرء عنده كأن الدنيا لا يوجد فيها إلا هذه المسألة أو هذه القضية. ومن تفكر في طرق العلماء في الردود والمناظرات رأى سراً عجيباً، وهو أن يقول كل واحد كلمته ثم ينتهون، ويمضي كل إلى ما يوجبه الوقت والحاجة من العلم وغيره؛ واليوم تجد الواحد مشغولاً بخصمه، شاغل الناس بما بينهما، يرد هذا، ويقابله الآخر، ويأتي المحرشون ليزيدوا أوار الخلاف، لتزداد متعتهم بمشاهدة صراع الديكة، وفساد الدين بينهما، وهما في غفلة عن الدين الذي يهدم في القلوب، والوقت الذي يمضي في غير ذكر لله وقراءة قرآن وحصول نفع ونصح.

ثم أنت تشاهد الرجل وقد ملأ عينك بعلمه أو حسن ذكره للعلم، أو حسن دينه ولفظه، فإذا دخل في الخصومة ولج فيها، وتطاول الأمر بينه وبين خصمه= سقط من عين الناس، وصار له الذكر السيء؛ وهذا من ذهاب المروءة، وإفساد لما أمر الله من طلب الستر والعافية.

ولذلك ينصح المرء أن لا يرد على سفيه، ولا جاهل، مهما تطاول في السب، ومهما لج الجاهل في الخصومة، بل الواجب تركه؛ فإنك إن رددت عليه وخاصمته هزمت، وأصاب منك ما تكره، ولم ينتفع بما تقوله لك، وستجد من الخصوم لك من ينصره لا للحق، ولا لعدل العلم، بل لكرهه لك؛ وحينها يظن الجهلة –وهم كثيرون– أنه مصيب وأنت المخطئ، وخاصة في زمن انتشار الجهل والخصومة والحسد.

ليس كل مخالف يستحق الرد، ولا كل كلمة توجب تصليحاً، ولا كل من انتقدك تجابه كلمته بكلمة؛ فهذا إن وقع من أحد كان ظالماً لنفسه، بل المطلوب، وهو الأغلب فيما يقع من الردود والخلافات والخصومات، هو الإعراض؛ فلا أحد ينقل لك، ولا أحد يشعل نار غضبك، بل أنت بهذا تميت الشر، وإن لم يمت فهو خامل لا نار فيه.

يكثر البعض من قوله لك: لا تسكت، وأظهر الحق، وبين الصواب؛ وهذا كلام يقال إذا كثر العقل، ووقع الإنصاف، وكان للناس دين يردعهم ، ويعلم يبصرهم. أما وأنت ترى التحزب، والتفرق، والعصبية، والحسد= فاعلم أن الناس سيلحقونك لمعنى باطل، وسيلحقون غيرك لمعنى باطل آخر؛ وهذا مذهب لدينك، مشغل لقلبك، مفسد عليك خلوتك، وشؤون حياتك.

هذا قلبك، فاحفظه من أن يتحكم به خصم حسود، أو متكلم جاهل، أو فاسد دين وخلق؛ وتحكمه في ذلك يكون بإشغالك به، تاركاً ما ينفعك من استغلال الوقت في أمر دينك ودنياك.

إذا اضطررت أن تقول كلمة في بيان سؤال أو أمر فإنما هي كلمة والسلام، ثم الخروج منها، والذهاب عنها، وعدم الوقوف عليها؛ فإن جاءك محرش فأعرض عنه، وذكره بالله، ثم امض لما يحب الله منك.

هناك من الخلق ما لا يقوم إلا بالخصومات، وتتبع أخطاء الناس، وحمل كلامهم على أسوء المعاني، وأنت إذا رددت عليه أصاب منك ما يحب، وعلم أن مراده منك قد وقع، فاقطع عليه، ولا تفرحه بهذا الأمر.

الخصومات باب الشر والظلم، وباب الفساد والكذب، وباب البهتان والغضب، وسلامة الصدر لا تحصل إلا بهجرها ما استطعت.

ستغضب من كلام كثير يقال، ولكن سيدوم غضبك إن واجهتهم، وأكثرت الرد عليهم، وحينها سيسود قلبك، ويذهب دينك، وستضيع مروءتك، وحينها يجلس الشيطان؛ إنسي وجني، وهو يفرك يده جذلاً أن تحقق مراده فيك.

تعلم أن لا ترد إلا على عالم، وعلى تقي، وعلى منصف، وعلى من علمته إذا خوطب بالحق قبل، وإذا ذكر بالله خاف وارتجع.

إياك أن تقول كلمة لحسود حاقد، فوالله لو قلت له آية من كتاب الله لرد عليك، وأفسد عليك مرادك.

إن غضبت من كلمة صبَّ جام غضبك على كتاب بين يديك، تتعلم منه، وتعاني منه ليسلس لك قياده، ولترتقي معاني قلبك وعقلك= حينها سينتفع بك محب الخير، ويموت قهراً من أحب لك الشر.

تعلم: إن من أحسن طرق قتل شر نفوس الناس أن تطيع الله فيهم، وذلك بانشغالك بإصلاح نفسك.

والله الموفق.

كلمة في حق كلمة (٢٠):

لبعض التابعين، رحم الله الجميع

[١٩ نيسان ٢٠١٨ – ٣ شعبان ١٤٣٩]

"من طلب العلم لله فالقليل منه يكفيه".

هذه كلمة توارد الناس على ذكرها، فهي منسوبة لبعض التابعين، وقالها ابن عبد البر في "التمهيد"، وذكرها الشاطبي في "الموافقات"، ذلك لجلال معناها، وهناك من زاد عليها قائلاً: **من طلب العلم لله يكفيه إذا عمل به، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة.**

والقليل والكثير نسبي بين الناس.

مما لا شك فيه أن المرء محتاج لكتاب ربنا: حفظاً وتفسيراً بما يصلح له دينه واعتقاده في ربه ورسوله وأحكام دينه، وهو محتاج للحديث الذي فيه فقه الحياة التي يحياها، وهناك من العلوم التي هي آلة لتحقيق فهم الكتاب والسنة، وهذه لو بدأ المرء بطلبها لبلغها وهو في مقتبل عمره، ثم هي معه حتى يلقى الله، يذاكر بها مذاكرة الحفظ والعمل.

والذي أفسد على الناس طلبهم العلم في الكثير من البلدان والأحوال هو ما يقضيه المرء في ما يسمى الدراسة الأكاديمية، والتي يعلم كل واحد منهم أنها مفسدة لطلب علم الدين والدنيا؛ لما فيها من تشتيت الذهن، وضعف المادة، وكثرتها التي لا تنفع المرء طيلة حياته.

وعلم الشرع اليوم بين يدي الناس مبذول في الكتب، ومبذول في أحوال متعددة من خلال الأخذ عن الشيوخ، وخاصة ما تعلق في البدايات والقواعد؛ ولكن نشاط الطباعة والنشر للكتاب، فيما هو من كلام سابق أو معاصر، يجعل البعض في حيرة وتخوف أن لا يدرك مطلوبه من العلم، وخاصة من له نفس تتشوف، ولا تقنع، وتكثر البحث والطلب، لما تحب من هذا المعنى، فهي طلبة حريص.

والناس اليوم على معانٍ ومراتب: فمنهم من يحرص على جمع الكتب وملاحقة إصداراتها ونشراتها؛ وهذه نفس تمشي على سنن بعض الأقدمين، ولكن علمها بما في الكتب قليل، لأسباب كثيرة، لا نذكر منها هنا ما هو شر، وهو حب التزيي بلباس العلماء لمن ليس له أهل؛ وإنما هو محب للكتاب وللعلم، ولكن مدارك عقله في تفريع الكليات وتنزيل الحوادث عليها ضعيف، فهو لا يقدر إلا على نقل ما يقرأ، سواء في المعنى الخاص أو العام، فهو ناقل وفقط.

وهناك من يكفيه أن يعلم الكليات ليقع منه التنزيل والتفريع، فله عقل ذكي، قوي النظر، يغوص على المعاني البعيدة من الكلمة القريبة. وهذا لو قرأ القليل، وعادة لا يكفيه القليل، لكنه ينتج منه الكثير، فهو من أسعد الناس بالعلم.

وهناك من هو بليد الذهن، إن قرأ فلا يفهم، وإن فهم فبصعوبة؛ وهذا قلما يأتي منه النفع لغيره، لكنه مأجور كأجر من يقرأ القرآن ويتتعتع فيه.

والقصد من هذه الكلمة بما يلحق بها من لفظ: **ومن طلبه للناس فحاجات الناس كثيرة**، أن العلم النافع هو الذي يصلح صاحبه، ويقربه إلى الله تعالى، ويسعده في جني الحسنات ورفعة الدرجات، وإلا كان العلم بدون ذلك ثوب مستعار، يلبسه المرء حيناً، ثم يخرج منه.

مقصد العلم أن تقوم معاني الإيمان في قلبك: هيبة له، وحباً له، وخشية منه، وطلب رضاه وفرحه.

مراقبة الله في السر والعلن، في الخلوة والجلوة، واستحضاراً لذكره، تسبيحاً وتهليلاً، وتحميداً، وتكبيراً.

العلم الذي لا يدفعك لكثرة السجود لن يكون هو العلم الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: (اقرأ وارتق)، فهذا حديث شارح لقوله تعالى: (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**)، وخاتمة هذا العلم: (**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**).

العلم تعترضه موانع من شر النفس وعداء الخصوم، فهذه معانٍ لا يصلحها كما ذكرها ربنا بقوله: (**كَلَّا لَا تُطِعْهُ**)، فرد كتل الشر من النفس والأعداء يكون بالعبادة، فيجتمع لك العلم النافع والعمل الصالح، فيحصل لك القرب من الله.

وأنت ترى اليوم الناس مع العلم، فهناك من هو من خير الناس ثقة بالله، وخوفاً منه، وكثرة ذكر، له ورد من صلاة لا يتركها، من قيام ليل، وصلاة ضحى، وورد من ذكر فيه الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الباقيات الصالحات، وهو حريص عليها، تصلح له قلبه، وتطيبه، وتطهره.

القليل من العلم الذي يجعلك مشغولاً بذنب نفسك، دون تعقب ذنوب الناس، كأنك ما خلقت إلا لرؤية الشر والذنب في الخلق.

تأمل ما يكتبه البعض، فأنت في شوق أن ترى له كلمة واحدة في الدعوة إلى خير، أو مدح ظاهرة خير، أو رجل خير، بل شأنه كملقاط الزوائد المؤذية لا يقوم إلا بهذا!

والأمر يبدأ بالنفس، ومن تجاوز هذا فقد ظلم نفسه.

تعلم العلم الذي يقوم نفسك، ويصلحها، ويجعل لها رقيباً شديد الأسر عليها، ثم بعد ذلك سر إلى غيرها، تدعو لخير علمت حقيقته من نفسك، وصلاحاً يبرق لك من معاني الكتاب والسنة، وحينها يمدح لك الناس قولك، ويعلمون صدق مقالتك.

البعض يظن جهلاً لنفسه أن بغض الناس لمقاله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصلابته في الحق، ويحاول جاهلاً ظالماً أن يقارن نفسه بعالم عاش الحياة نافعاً للناس، ثم ختم له بفتنة مات بها شهيداً صالحاً؛ وهو ينسى أن كره الناس له وإعراضهم عنه إنما هو لسوء خلقه، وقبح تعقبه، وعدم إنصافه.

وسير الناصحين تسري بين الناس بفعل إلهي: **إني أحب فلاناً فأحبوه**، كما في الحديث القدسي، ولذلك تجد لبعض الناس حباً في القلوب، لا يضره سب مفترٍ عليه، وهناك من هو منشور الشر بين الناس، لا يزينه في قلوبهم تلونه ولا تصنعه.

سر الناصح في ما بينه وبين نفسه وربه عطر قوي النفاذ، فاحذره، لأنه يكشف للناس من أنت.

كلمة في حق كلمة (٢١):

للإمام ابن المبارك رحمه الله

[٢ أيار ٢٠١٨ – ١٦ شعبان ١٤٣٩]

"قيل لابن المبارك: إلى متى تكتب؟ فقال: لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد".

فسحة الأجل يعني ثمت فرصة لك في الحياة لترقى، ومن أفسد الظنون الوقوف على المحصول دون الرغبة في الزيادة، فتجد البعض قرأ زمناً ثم توقف، أو كتب كلمة ثم سكت، ظاناً أنه أخذ كل ما يحتاج، أو تكلم كل ما في صدره، مع أن وجوده حياً يعني فرصة للزيادة والعطاء.

من قرأ سير الناس علم أن كثيرين سكتوا، ولكنهم فرغوا للازدياد، من خلال النظر والبحث والقراءة، ثم احتاجهم الناس فرفع الله بهم مشاكل الملمات، وإشكالات العلم والفقه، وهم قد ظنوا أنهم خرجوا من المعادلة والصراع، ولكن لربهم مراد في أمرهم وحالهم.

وهناك من رأيته وهو لا يملأ عين أهله وأصحابه، ولكنه قائم على الاعتناء بنفسه وتهذيبها وتعليمها، ثم فتح الله له فرجة العطاء، فأشرقت به الدنيا جهاداً وبلاءً.

القدر له حكمته، وهو فعل الله الحكيم، يعلم ما في القلوب؛ ولذلك من قام على تربيتها وتعليمها، لم يخسر شيئاً بل ازداد، وأعظم ما يجنيه أن ما حصله في قلبه من أعمال الإيمان والعلم يجدها في ميزان عمله الصالح يوم القيامة.

هذا النفس الرائع في سلفنا، متمثلاً بما قاله عبد الله بن المبارك، يعني أنهم في بحث دائم عن الكمال البشري، بتحصيل العلم، وقول العلم، واصطياد الدرر أينما كانوا، لا ينظرون إلا إلى معنى واحد؛ فقد قيل لهذا العالم المجاهد الفارس الجواد، الشاعر، الزاهد التقي، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والذي قيل فيه: اجتمعت فيه خصال النبوة إلا أنه لم يوحَ إليه، قيل له: لو أن الله سبحانه أوحى إليك أنك ميت العشية، ما كنت صانعاً؟ فقال: أقوم

أطلب العلم. ولذلك حصل له الفضل عند الممات، فقد فتح ابن المبارك عينيه عند الوفاة وصحك، وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

ما دام فيك نفس فحياتك لم تنتهِ، فحضر نفسك لنوازل الدنيا، وازدد من العلم والعبادة قبل الفوات، وحضر نفسك للقاء الله تعالى.

قل دائماً: لعل أجمل الكلمات لم أقلها بعد.

لعل أعظم الأعمال التي يحبها الله لم أعملها بعد.

لعل أفضل الحكم لم أسمعها بعد.

لعل خير المعاني لم أصبها بعد.

لعل خير كتبي لم أكتبها بعد.

ثم تذكر أن الفوارس العظام يظهرون في ختام السباق، وأن أعظم الحكم يقولها الناس بعد التجارب وطول المسير.

ثم اعلم أنك في كل هذا تناجي ربك.

قال ابن المبارك:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله ... إذا كنت فارغاً مستريحاً
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل ... فاجعل مكانه تسبيحاً
واغتنم السكوت أفضل من خوض ... وإن كنت بالكلام فصيحاً

كلمة في حق كلمة (٢٢):

للإمام سفيان الثوري رحمه الله

[٢٤ أيار ٢٠١٨ – ٩ رمضان ١٤٣٩]

قال سفيان الثوري: "احذر في زمانك ثلاثة: عالم سلطان، وقارئ سوق، وعابد سطوح".

في هذه الحكمة جمع سفيان الثوري مصائد إبليس للعوام، حيث يقع الضلال بسببهم؛ وهؤلاء يكون فيهم ما يعظم في نفوس الناس: فهذا عالم، وهذا حافظ قارئ، وهذا عابد، وهذه سمات تجل في عيون الناس؛ لكنها اقترن كل واحد منها بأمر يفسدها ويذهب بها في اتجاه الغلط، ولذلك وجب للحذر.

وهؤلاء قد يكثر بعضهم في زمان، ويقل بعض آخر، وقد يضاف لهذه المعاني صور أخرى، وذلك لأن الزِّي يختلف في الأزمنة والأمكنة، فعليك أن تكون ذكياً، به تبتعد عن السقوط في مهاوي الغواية.

عالم سلطان

هذه تعني في الأغلب أن هناك تزييفاً للحق موافقة للسلطان، وتعني كذلك غالباً غلبة الدنيا وحبها على القلب؛ فالمجهود من النفس أنها تحب من تزين لها صورتها، وهذا شأن السلاطين وأهل الدنيا والترف، وقد علم عنهم قلة الورع، وكراهية الوعظ بالحق، ويصعد رؤوسهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن تسامر العلم مع الدنيا، وتوافقا في الرحلة والصداقة، علم حينها أن العلم قد ذهب مع قوة الهوى والترف والشهوة.

رحم الله الثوري، كان من أشد الناس كشفاً لهذا الهوى، ومن أبعد الناس عنه، ومن أبصر الخلق في زمانه في رؤية آثار هذه الصحبة.

ويكون في معنى عالم السلطان من كره مجالسة الفقراء، ومالت نفسه لصحبة أهل الترف من أهل الدنيا، لا تعرف له صحبة إلا بهم.

وأما **قارئ سوق**؛ فقد كثر شرهم اليوم، يظن الواحد أنه بترنمه القرآن بصوته الجميل قد ملك حق الحكمة، وملك الفتوى، وصار من أهل العلم؛ وما شأنه إلا أنه رأى محبة الناس لصوته واستماعهم لقراءته حتى صار ينطق من جهة نفسه وهواه، وما يحب هو وما يكره هو، وهذا شر عظيم.

وكثرة القرّاء وقلة العلماء نذير شر في الأمم، ولذلك وجب من التصق اسمه بالقرآن أن يحفظ دين الله في نفسه لئلا يضل.

وأما **عابد سطوح**، فتجد صورهم اليوم بحمل السبحة، وبكثرة الأوراد، وخاصة من تجدهم من المتصوفة، فهؤلاء تدخل عليهم البدع الكثيرة، وبسمت التعبد يغرون الناس، ويفسدون دينهم.

لو اجتمعت هذه الخصال في عبد، دون هذه الإضافات، فكان المرء عالماً بلا فساد القرب من أهل الترف والسلطان، وكان قارئاً لكتاب ربنا مختلفاً لنفسه، وكان عابداً في جوف بيته= لسلم له دينه، ولرفعه الله، وحينها من اقتدى به فقد اهتدى بإمام.

يمكن لك اليوم أن تملأ فراغات هذه الصفات بأسماء كثيرة، نسأل الله العفو والعافية، فإياك والقرب منهم.

كنت أفكر اليوم بحال رجل، كان على مشارف الشهادة مجاهداً، وتقلبت به الأحوال حتى صار عدواً لدوداً لدين الله تعالى، إذا نظرت إليه تقززت، وإن سمعت أخباره تعجبت: كيف ينقلب المرء من حال إلى حال، لا يكون مرتداً فقط في نفسه، بل ساعياً للفساد والإفساد؟!.

لا تعجب من سقوط الناس وتحولهم، وانقلابهم إلى ما يبغض الله؛ فهذه القلوب بين يدي الله، يحب منها قلوباً فيزيدها طاعة فوق طاعة، وديناً فوق دين، وهدى فوق هدى، ويبغض الله قلوباً فينصرف عنها حتى أن تذكر اسمه جل في علاه.

ولما تفكرت في حال هذا الشخص رأيت محبة السمعة، ورأيت رغبة الشهرة، ورأيت ما كنت أخاف: كراهية المساكين والفقراء، والرفعة عليهم.

اعلم يا عبد الله أنه كلما ارتفعت كان سقوطك أخوف، وكان ابتلاؤنا أشد، وإن لم تفهم هذا، فأنت لم تفهم شيئاً.

اعلم أن كل كلمة علم تتعلمها لها ضريبتها، ومن أعظم ما يجب مراعاته في ذلك أن تزداد خوفاً من سوء العاقبة.

اللهم ارحمنا، واغفر لنا، وعافنا واعف عنا.

كلمة في حق كلمة (٢٣):

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

[٢٧ تموز ٢٠١٨ – ١٤ ذي القعدة ١٤٣٩]

الفعل الصالح وغلبته على الموصوف يدفع حكم التكفير

يقول رحمه الله: "وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة، فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم، ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمنع أن يكون كافراً، فيتعارض عندهم الدليلان". (الكيلانية له في مجموع الفتاوى، ١٢/٢٦١).

في هذه الكلمة الجليلة من الشيخ علم خفي، ليس هو ما يبذل من علم يبحث في باب التكفير كما هو عنوان مبحث الكلام في أصله، ولو كان كذلك لما كان خفياً، ولكن انتبه إلى ملحظ مهم في الكلام، أنت تحتاجه، ويعلمك كيف تعلم الناس، وكيف تهديهم سبل السلامة من الباطل.

التكفير في هذا الباب؛ أي الحكم بالردة على مسلم، ليس حالة عقلية علمية فقط، بل حالة نفسية؛ فالمكفّر لا يقتحم هذا الباب حتى يسقط لديه الموصوف بفعل الكفر، فإذا خلا عن قلب الحاكم دين الموصوف، وصلته بالله، ومكرماته في بذل النفس لله، وقيام الإيمان فيه كما قال ابن تيمية= كان الحكم عليه بالكفر سهلاً ميسوراً، وإلا توقف.

يقول ابن تيمية هنا إنه ينشأ تعارض في نفس الحاكم، وهذا التعارض بين الدليل العلمي البحت، والدليل العملي الذي عليه الموصوف؛ وهو قيامه بالطاعات وأعمال الدين التي لا تصدر إلا من محب لله، يرجو رحمته وجنته، ويخشى عذابه والنار.

يعني هذا الكلام: إن خلو تعظيم الموصوف في نفس الحاكم يمنع قيام الدليل المانع من التكفير، كما يفيده مفهوم كلامه رحمه الله.

عندما يتصور الحاكمُ الموصوفَ أنه عاطل عن الدين، غير معظم لشعائر الله، لا يقيم وزناً لنصرة الدين والعمل له= فإنه إن صدر منه فعل مكفر لا يتردد في تكفيره؛ لأن هذا يكون لديه نتاج لحقيقة تصوره له في عدم تدينه.

لكن لو كان تصوره له أنه معظم لشعائر الله، باذل نفسه لشرع الله والعمل به، لا يخلو أمره من طاعة سر، من الذكر والصلاة والزكاة ونصرة المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم رأى منه من الأقوال والأعمال الكفرية= فإنها تمنعه من تكفير عينه؛ هذا كلام ابن تيمية رحمه الله في وصف حال السلف في مانع تكفير المعين في باب من أبواب العلم فيه.

إذا أردنا أن نعمل هذا التكييف الفقهي في زماننا، فما هي طريقته؟

الذي رأيناه من كتب السلف أنهم يعرضون صورة العلماء، وما هم فيه من الدين ونصرته، وما فيهم من عبادة وطاعة وإخبات، حتى تستقر في النفوس مكانتهم، وحينها لو عرضت قوادح الدين العلمية عندهم، قامت جبال الحب لهم ولدينهم من إنزال الكفر عليهم.

ما حصل في زماننا أن أغيلمة سمعوا المكفرات، على وجه من وجوه الجهل بها، وسمعوا مثيلاتها صادرة من أفواه أقوام، وعلى وجه من وجوه الجهل بتكييف أصحابها لها، ثم هم لا يعلمون قيمة الدين في نفوس هؤلاء الموصوفين والقائلين بهذه المقالات، بل يعلمهم من قبل بعض أنصاف المتعلمين أن كل هذا الدين لا قيمة له إن كفر؛ فلا صلاة تنفعه، ولا قيام الليل، ولا الجهاد، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل هذه سدى ولا أهمية لها؛ ولسعار التكفير المدفوعين له بأن أعظم عمل تعملونه هو تكفير الكافر، وهكذا بكلمات عامة مجملة تقوى نفس الجاهل على تكفير أئمة علم وجهاد وعبادة.

ثم صار هؤلاء يملؤون السهل والواد، وجلس الناس يضربون كفاً بكف: ماذا دهانا؟!!!

تعظيم الموصوف في نفس الحاكم، ومعرفته بحاله من الدين والتقوى وعلم الشريعة، والجهاد الذي بذل نفسه له= يمنع إلحاق وصف الكفر به، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فالطريقة لمنع التكفير الضال والفاسد، وهذا أمر من أمور، وليس كل ما ينبغي لنا سلوكه لمنع الغلو من أن يخرج لنا مرة أخرى فيحرق الأخضر واليابس= هو نشر دين هؤلاء المخطئين، وما قدموه لدين الله، وكيف هو حرصهم

على الشريعة كأي مسلم يبتغي الدار الآخرة، وتعظيم هذه الأفعال وأنها خصال إيمانية لا يقوى عليها الزنديق المنافق، حينها تتوقف همته ويكف سعاره من التكفير الغالي الذي مارسه الجهلة من كل وجه.

هذا باب من أبواب الدين أن يعلم الناس دين المخطئ، وعظم الشريعة عنده، وليس في إسقاطه، وتجريده عن كل منقبة إيمانية، ثم العيب عليه أنه جريء في التكفير.

هذا خطأ يجب تداركه في هذا الباب، وإن كان عندنا مراجعة لمصيبة الغلاة فيجب علينا فهم أسبابها والذهاب بقوة لعلاجها، لا بدفن الرؤوس في الرمال.

انشروا بين الناس أن هذا المقعد استشهد في سبيل الله، وأنه صوام قوام.

انشروا بين الناس أن هذا الشيخ سجن في سبيل الله، وقدم روحه مراراً من أجل كلمة الحق.

انشروا أن هذه الجماعة باعت الدنيا من أجل الشريعة والجهاد.

عظموا هذه الأعمال في نفوس الشباب ليعرفوا أن هذا الدين لم يصل إلينا إلا بجهد هؤلاء، ولسنا إلا نبتاً لجهودهم، لا أن تجعلوا أبناء اليوم هم أئمة الدنيا في كل زمن.

بهذا يقف هذا الدليل من إيمان الأعيان سداً أمام الغلو في التكفير.

لا تجعلوا هذا الجبن سبة بينكم، وأنكم شجعان في التكفير، بل هؤلاء المعظمون الجبناء في التكفير هم أولى في هذا الباب في الدين من دين الغلاة، والشجعان على الباطل.

من الغلط أن نعيب من يحدث بالخير عن هؤلاء الموصوفين لتعريف الناس بقيمتهم، ومن الغلط عد هذا من الشر، بل هو دين الله وسبيل السلف ومسلك من يريد إصلاح السفينة التي كاد أن يغرقها الغلو.

أكرر: كل هذا إذا أردنا أن لا نكون سبباً في ظاهرة غلو جديدة، تكون سبباً للقتل وسفك الدماء وتفريق الناس.

والله الموفق.

هذا الذي تقدم يبتعد بقصد عن تكييف الفعل المكفر في نفس صاحبه، وأن هذا التكييف مانع آخر من موانع التكفير، لا بعد ثبوته كما تبحث النقطة المتقدمة، ولكنها قبل أن نسمي الفعل كفراً، والله المعين أن يتكلم عنها الفقير في كلمة أخرى.

وللبيان السريع الهام، فهذا حديث عمن يعظم الله ودينه وشرعه، ويريد الحق ويسعى إليه، ثم يخطئه، فكيف يتصور هذا الكلام أن ينزل على ساب الله ورسوله، وهو الذي ينقض أساس شقي التعارض وهو أن المعين معظم لله ولشرعه ودينه، وباذل نفسه رخيصة لدين الله.

تعليقات وردود

المعلق: *كلام نفيس يريح النفس ويرحم العقل، بارك الله في الشيخ.*

لكن لدي إشكال في تعميم هذه المسألة؛ فمثلاً: هناك بعض مشايخ الزور ممن أفتوا بقتل المسلمين، يحكون عنهم كثرة العبادة والزهد!! كرسلان مثلاً.

نرجو من الشيخ أن يتكرم بمزيد تفصيل في المسألة.

الشيخ حفظه الله: أخي؛ هل من يفتي الطاغوت باستحباب قتل المسلمين الذين يسعون لتطبيق الشريعة، مع بعض بدعهم، يتصور منه هذا المعنى في تعارض الأدلة في موضوع التكفير؟!!.

وللذكر: فإن السب ناقض للتعظيم من كل وجه، وكون الرجل مصلياً يعني من جانب تعظيم الشرع، ولكن السب ناقض له من كل وجه، فحينها تقوى دلالة الدليل الأقوى، ويعمل به.

وأرجو الانتباه، وإن كان يحتاج هذا التنبيه إلى شرح، أن معالجة ابن تيمية للأمر معالجة نفسية، أنشأت لدى العلماء التوقف في التكفير، ثم أعقلها بالمعالجة العلمية، وهي التفريق بين النوع والعين.

وهذا الكلام في سياق معالجة الجرأة التي ينتهجها الغلاة في التكفير، ولا يقيمون للعاملين لدين الله أي اعتبار.

وأما الردود العلمية فهي معروفة، وإن كان الجهلة يردونها مع أنها من مسائل الاتفاق.

كلمة في حق كلمة (٢٤):

للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

[٢٩ تموز ٢٠١٨ – ١٦ ذي القعدة ١٤٣٩]

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى: "ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة، والتأليف فيها، وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي، فإنا نعرف كلامه في "الدر المنتظم"، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كـ"شرح الأربعين"، و"الزواجر"، وغيرها، ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين". (الدرر السنية ١/٢٣٦).

هذه الكلمة من الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من جنس تلك الكلمة التي ذكرتها عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والتي فيها النظر إلى حال القائل وفعله من الصلاح والتقوى وبذل النفس لنصرة الدين والجهاد في سبيل الله تعالى؛ فإن قيام هذه الأعمال في العالم أو الداعي مانعة من التكفير، فحال المرء من العلم والعمل يجب النظر إليها في هذا الباب في الحكم والقضاء كذلك.

وهذا الإعمال لحال المتكلم إنما هو فيما يمكن صرف معناه عن الكفر الصريح أو الفعل الصريح، والذي ينقض أصل الإسلام من كل وجه؛ لأن الواجب هاهنا هو إعذار الصالحين والعلماء، وحمل كلامهم على معنى سعيهم في طلب الحق من الكتاب والسنة، ولم يريدوا مخالفة الله ورسوله، وأن ما قالوه هو من باب اجتهادهم الشرعي في معرفة حكم الله تعالى في هذه المسألة أو الباب.

إن من اشتهر حاله من الفساد والضلال، ومن عرف عنه عدم تعظيم أمر الله، وأن أمر الله عنده متأخر عن هواه= فإن هذا المرء لا يكون كمن علم عنه أنه يقدم روحه لنصرة الدين، وله مواطن خير من الجهاد وقول الحق، وكان حاله من المحافظة على الصلوات، وعليه سمت الدين والسنة.

وهاهنا من كلام الشيخ عبد الله في التعامل مع الناس من خلال هذا المعيار، والذي هو عند المتأخرين من الغلاة لا قيمة له، ولا ينظر إليه، ويعدون اعتباره جهلاً وضلالاً وفساداً.

ونحن هاهنا نتكلم عمن كفر العلماء، وكفر المجاهدين، وكفر من له سابقة تضحية في نصرة الدين، وبان من حاله أن دين الله أغلى عليه من روحه وماله وأهله، وهاجر، وابتلي، وسجن، كل ذلك نصرة للدين؛ وهو مع ذلك يقول ببعض الكلمات التي في ظاهرها قبول الأحكام الجاهلية، كاستخدامه كلمة الديمقراطية، أو قبوله الدخول في ما يسمى العملية الديمقراطية، وذلك لظنه أن هذا لا يخالف الشريعة، أو هو إعمال لأخف الضررين، أو اتقاءً لما يعتقده من شر بديل عن هذا الاختيار.

كل هذا الكلام يعني عند كل ناظر أن الموضوع لا تعلق له بتصحيح الفعل، إذ لو كان عند الكاتب صحيحاً لما أدخله في باب الإعذار، لأن الإعذار لا يكون إلا لما يقع من عمل غير شرعي.

فهؤلاء الناس من العلماء والصالحين والمجاهدين تحتمل أخطاؤهم، لأننا نعلم من أعمالهم أن مرادهم طلب الحق والسعي في تحصيله.

تأصيل هذه المسألة كالتالي:

علاقة الظاهر بالباطن علاقة تلازم غير مطلقة، ومعنى هذا الكلام أن الظاهر دال على الباطن لزوماً، فلا يوجد طريق لمعرفة باطن المرء إلا بالنظر لظاهره، ولكن لوجود المنافقين ممن ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر، ولوجود حالة الإكراه، جاء قيد (غير مطلقة) ذلك لتخلف هذا اللزوم في هذه الصور مثلاً.

وحين يفهم هذا يعلم أن باطن المرء صالح، محب للدين، معظم لأمر الله لما نرى من حاله الظاهر؛ وهذا ليس إعمالاً للباطن الخفي بلا دلالة ظاهرة، بل بدلالة ظاهرة قوية.

وصورة الخلاف بين أهل السنة والغلاة المبتدعين في هذا الباب كالتالي: حين يقع لفظ أو فعل مكفر عند الحاكم أو القاضي أو المفتي من امرئ ما، فإن هدي أهل السنة النظر إلى صرف الكفر ابتداءً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لهذا المعنى الذي تقدم؛ وأما المبتدع الغالي فإنه لا يقيم شأناً لحال القائل أو الفاعل ويسارع لتكفيره، بل يحب أن ينسبه للكفر والخروج من الدين، لأنه لا يعتبر هذا الباطن الصالح الذي دل عليه هذا الظاهر الصالح.

وهذا الباب ليس من التصور العقلي البعيد، بل هو حديث عن واقع فيه هذه الأحكام والأشخاص، وإليك بيانها بما تعلم تذكيراً لا تعليماً:

هذه الجماعات الإسلامية برجالها وعلمائها، وهؤلاء العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، وهؤلاء المجاهدون في فلسطين والشام واليمن، يجتهدون في إصابة حكم الله، وقد يقع منهم من الأقوال والأفعال ما يظنه الناظر أنه كفر؛ فهل فعل الصالحات له دور في الحكم على طوائفهم وأشخاصهم، أو أنه لا قيمة له، بل يعاملون معاملة العلمانيين والزنادقة، والذين يكيدون للإسلام وأهله ليل نهار؟!

كلاهما؛ من الزنادقة وبعض الجماعات الإسلامية والدعاة يدخلون السبيل الديمقراطي، فهل حكمهما سواء، أو أن علمنا بدين الناس، وأن معرفتنا ببذل وسعهم في إصابة الحق صارف عنهم الحكم الذي نحكمه على من نعلم من حاله وظاهره الدال على باطنه أنه زنديق خبيث؟.

وأنا أحكي لكم أمراً قد وقع في هذا الباب دالاً على ما نحن فيه:

أخبرني الشيخ أبو الفرج اليمني، وهو مصري وسمي باليمني لسكناه إياها، وتفريقاً له عن أبي الفرج المصري، قال: لما أراد سيد إمام حمل جماعة الجهاد على تكفير كل من دخل البرلمان من المسلمين عيناً، وجعل الخلاف في هذا التكفير غير معتبر، وكان أميراً للجماعة يومها، فضاقت صدورهم من هذا القول، وكان سبب الضيق فيما أخبرني أن هذا القول يؤدي إلى تكفير الشيخ العالم القائل بالحق: صلاح أبو إسماعيل!

فهذا رجل قد خبروا حاله الباطن من عمله الظاهر لما وقف في المحكمة وشهد شهادة عظيمة فيما سمي بتنظيم الجهاد، وقال بكفر النظام، بل قال بكفر القاضي الذي أمامه، غير هياب ولا متأتئ، وهو موقف إيماني، ومع ذلك كان يدخل الانتخابات، ويدخل مجلس الشعب.

ما الذي منع الناس من متابعة سيد إمام من تكفير الشيخ صلاح رحمه الله؟

الجواب: هو معرفتهم بدينه وحبه للحق والشرع.

وأظن أن هذا المعنى وقع للكثير من الدعاة وطلبة العلم وهم يتوقفون، بل ويمنعون تكفير جماعات وأفراد لعلمهم بحال الناس، وهو عين ما قاله ابن تيمية وما قاله الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب هنا.

هذا كله يعلمه طلبة العلم ولا ينكرونه، وأرجو أن لا ينكر من طالب علم لمجرد طلب الخصومة؛ لأن أمر الدين أعظم من أن يدخل بين الناس وسيلة لغيظ النفوس، حتى لو كانت على حق في هذا الغيظ.

فما المطلوب من العلماء والدعاة والمشايخ حين يرون سعاراً في تكفير الدعاة والعلماء ومشايخ الجهاد، والجماعات الإسلامية فيما نحن بصدده؟

الجواب: أن نعرف هؤلاء قيمة هؤلاء الناس، وما هم عليه من الدين، وتقواهم، ومواقفهم الإيمانية؛ فمن علم حال الشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله، وعظم موقفه الصالح= خاف من ولوج باب جعله مرتداً كافراً خبيثاً، أشبه بمسيلمة أو بعلماني خبيث، يجلس بجانبه في مجلس الشعب.

وهذا يستدعي وجوباً تعظيم العمل الصالح وعدم احتقاره حين الكلام عن العاملين للإسلام في هذا الباب؛ فمن لا يعرف قيمة الشجاعة في قول الحق، ومن لا يقيم شأناً للصلاة، ولا لقيام الليل، ولا لسمت السنة، بل إذا قيلت له هنا قال: وماذا يعني!! هذه ليست صوارف لتكفير قائل بالكفر أو واقع فيه!

لا يقول هذا الكلام لمن سب الله تعالى، أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا لمن استهزأ بالشريعة، بل يقولها لما يقع الحوار حول مخالف لك في باب من أبواب العلم، ترى أنت أنه باب مكفر، وهو يتأول في فعله على وجوه من الظن أنه من الشريعة.

من هنا لإيقاف هذا الغلو الذي رأيناه من الغلاة، وبه حصلت المصائب كان من الدين أن نعالجه بأمرين: أن نعظم لدى الناس شأن أعمال الدين، من صلاة وزكاة وجهاد وصبر، وأن نعظم أصحابها بذكر خيراتهم وفضائلهم ومناقبهم وسبقهم، ليكون هذا مانعاً في نفوسهم من تقحم تكفيرهم، ثم ذبحهم، كما وقع وجرى.

والشأن في هذا معلوم عند طلبة العلم، نقوله تذكيراً لا تعليماً، أنه حين تكون الجرأة على تكفير المخالف، وفتوى قتله وذبحه، وهو عندنا مسلم= أن نعظم شأنه، معرضين عن شره وغلطه بعض الإعراض زمناً، حتى نمنع تكفيره وذبحه، وذلك لتحصيل الخير وصرف الشر؛ وهذا ما وقع من شيخ الإسلام ابن تيمية لما وقف لمحمد بن ناصر الدين قلاوون عندما أراد منه فتوى في قتل من ناصر بيبرس الجاشكيري، وهم قد أفتوا بيبرس هذا بقتل ابن تيمية، فوقف الشيخ رحمه الله موقف العدل والحكمة والدين، فعظّم شأنهم في العلم والفتوى، وعظّم مقامهم بين

المسلمين، وقال كلاماً فيه تعديلهم وتوثيقهم، غير متوجه إلى خلافه معهم، ولا ما وقع منهم من ظلم له، ولا ما أفتوا به بيبرس، والذي كان معظماً لابن عربي الطائي صاحب الفصوص.

فالأحوال لها مقاماتها، ونحن اليوم في داخلنا غلو أفسد وأظلم، ووقع من جهلة أغمار، ومن سبيل العلم والتقوى أن نعالجه بالحق والهدى.

اللهم خذ بأيدينا جميعاً لما تحب وترضى، واجعلنا سبباً لحب المسلمين والدفاع عنهم، والله يرحمنا برحمته.

كلمة في حق كلمة (٢٥):
لأحمد بن حرب رحمه الله

[١٣ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٢ صفر ١٤٤٠]

قال أحمد بن حرب: "عبدت الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضا الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة". (سير أعلام النبلاء).

هذا رجل إمام قدوة عابد، كما وصفه صيرفي الرجال الإمام الذهبي رحمه الله، يتكلم عن حاله وكيف تحصل مراتب الصلاح في العبد، وكل مرتبة من مراتب التعبد توجب ترك مرتبة من مراتب الهوى، وما من مرتبة يرتقي بها العبد حتى يجاهد في ترك ضدها، وهكذا يصف لنا هذا العابد حاله، وما وقع منه.

أما الغاية التي يسعى لها، وتجعل العابد في حال من أحوال النبوة المخبتة، في قوله صلى الله عليه وسلم: (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**) فهي أن يجد المرء لذة العبادة، وحلاوة المناجاة؛ فبعد أن كانت العبادة تكليفاً، تصير كلفاً وتعلقاً ومحبة، وحينها يقبل العبد على الله وهو فرح جذل سعيد.

العبادة التي تحقق مقاصدها لا بد لها من شرطين:

أولهما: الكثرة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (**فأعني على نفسك بكثرة السجود**)، وكقوله تعالى: (**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**)، وكقوله صلى الله عليه وسلم: (**أكثروا من ذكر هادم اللذات**)، وكقوله تعالى: (**كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**).

وأما الشرط الثاني: فهو القيام بها مع استحضار المعاني؛ وذلك بحضور القلب علماً وحالاً، وذلك بتأمل معانيها الكلية والفرعية، وقد يسد أحدهما ضعف الآخر، فقد يضعف الفكر فيسد بدلاً عنه كثرة الذكر، وقد يضعف الذكر فيسد بدلاً منه الفكر، ولكن إن ضعفا لم يعرف المرء حلاوة العبادة، وسيفوته الخير العظيم.

هناك معوقات قلبية تمنع هذه اللذة الإيمانية، وهي ما ذكره هذا الإمام القدوة العابد الزاهد:

أولها: ترك رضا الخلق، وعدم النظر لهم؛ ذلك لأن الخلق أوانٍ فارغة، لا يضرونك بشيء إن غضبوا عليك، ولا ينفعونك بشيء إن رضوا عنك؛ فاصرف قلبك عن طلب رضاهم، ثم إنهم قد يرضون عنك بقلوبهم فتأبى ألسنتهم للحسد ومخالفة المنهج، ووجود الخصومة، واتباع الهوى، والأمر كما قال الشافعي: **رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما ينفعك فالزمه**.

وطريق العبادة لا يستقيم العبد عليها إلا بالنظر للآخرة، ويجمع همه هماً واحداً وهو السعي لطلب رضا الله وتحصيل الجنة.

وطلب رضا الناس يوقع العبد في موافقتهم، وهم لا يستقرون على طلب، ولا يطيب لهم حال، وبهذا يكثر العبد التلون، ويقل الإخلاص، ويفسد الدين، وأعظم ما يفسده هذا المرض وهو طلب رضا الناس: ترك قول الحق، وخاصة للدعاة والعلماء والمذكرين، والمرء لا يذوق لذة العبادة حتى يقول الحق، وقول الحق لا يقرب لك إلا من كان ديّناً في صحبته، يذكرك إن نسيت، ويعينك إن ذكرت، وبهذا تعيش الدين حالاً في كل وقت.

من سكت عن الباطل لم يذق حلاوة العبادة؛ إذ يحصل له صحبة السوء، وشرار الخلق، فهو بين حسد ومكابرة، فيحرم من معاني التعبد، فيقسو قلبه فينفر من الطاعات.

اترك رضا الخلق، واقبل على الله، يحصل لك الخير العظيم.

لكن هذا لا يعني أبداً سوء الخلق مع الخلق، ولا ترك الحكمة في النصح، ولا محبة الخير للمسلمين؛ لأن البعض يظن أن ترك رضا الناس يعني بغض الخير لهم، أو كراهيتهم، أو سوء الخلق معهم، وهذا في بعض الخلق بين وواضح.

وهذا الأمر يفرز لك المعنى الثاني مما قاله الإمام، وهو صحبة الصالحين وترك صحبة غيرهم، وهؤلاء هم من يعينونك على الخير، ويسددون حالك ومقالك، وهؤلاء قد لا يرضونك بقولهم ولكن ينفعونك بعقولهم وقلوبهم؛ فاحرص عليهم، ورقق لهم القول، وليتسع صدرك وقلبك لهم، ولتدم الدعاء لهم، فمن حصل أخاً صالحاً، عاقلاً في هذه الدنيا لم يضره فوات كل الخلق بعد ذلك.

وأما الشرط الثالث: فهو استغراق العبد في المعاني دون الأشياء؛ فهذان ضدان يشغلان القلب، التأمل في المعاني أو تحصيل الأشياء للتكثر والمنافسة والذوبان فيها.

أما الآخرة فهي دار الغيب، ودار المعاني القلبية، وأما الدنيا فدار الأشياء؛ ومن الخير للعبد أن يخرق الحجب بقلبه وعقله، فهو يناجي الله، وهو أعظم الغيب، وهو يصلي على الحبيب ويسلم عليه فيرى بقلبه أن سلامه يحمل للنبي صلى الله عليه وسلم إلى قبره فيرد عليه السلام، وهو يذكر الله فيرى بقلبه ذكر الله له، فإن ذكره في نفسه ذكره الله في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ، فبهذا يعيش الغيب والآخرة، يصلي وهو يرى أنه بكل سجدة يرتقي درجة في الجنة، ويتصدق فيراها تنمو في كف الله تعالى.

هذا عالم الغيب، وهو عالم المعاني القلبية، والتي هي شرط تحصيل لذة العبادة، لأنها تحقق للعبادة معناها.

الناس بين عيش المعاني والأشياء في صراع على القلب، فمن غلب تفكره على بطنه وفرجه وقنيته حصل له العلم الذي به يزيد وزنه في ميزان الله تعالى، لأنه يوم القيام يحصل ما في الصدور.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (٢٦):

للفضيل بن عياض رحمه الله

[١٤ تشرين الأول ٢٠١٨ – ٣ صفر ١٤٤٠]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، اتخذ الله صاحباً وذر الناس جانباً". (العزلة للخطابي)

تواترت كلمات الصالحين في أزمانهم بهجر الناس وترك المخالطة الشديدة، وكلامهم هذا دعوة للانشغال بما ينفع المرء؛ وهؤلاء القائلون لهذا الكلام بذلوا أعمارهم في البداية بطلب العلم، ومجالسة العلماء والصالحين، فشهدت لهم حلقات العلم، وشهدت لهم الديار بالرحلة والجري وراء الشيوخ، حتى تضلعوا، فامتلأت نفوسهم بالحكمة، ورغبت في الدار الآخرة ولقاء الله، فصارت مجالسة الناس تؤذيهم وترهقهم، وتشغلهم عما تحب هذه النفوس من الخلوة مع الذكر وقراءة القرآن والتأمل في العلم بالنظر في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعد لهم نظر لما يقول الناس؛ من كلام يغضبهم أو يرضيهم، فأنسوا بذكر الله، وطابت نفوسهم حتى أحبوه حباً ملأ هذه القلوب، وحب الله تعالى إنما ينشأ أولاً لمحبة القلوب للعظيم والجميل والرحيم والغفور والرزاق والجواد، وهكذا؛ فلما غشيت قلوبهم هذه المعاني من أسماء الله وصفاته أحبوه، ذلك لأنهم عرفوه.

والعبد كلما ازداد معرفة بالله ازداد حباً له؛ فإذا أحصى أسماءه عداً، وعلمها معنىً، وتعبد بها حالاً= ملأت محبة الله قلبه؛ فهو يذكره ليرضيه، ويحمده ليرضيه، إذ يسعده أن يفرح الله، ويسعده أن يذكره الله؛ ثم هو يحب الله لعطائه العميم، وكرمه البالغ، وجوده الذي لا ينتهي، ورزقه للعباد مع كثرة وتنوع مطالبهم وحاجاتهم= فيجتمع في قلبه حب الله لذاته العلية، وحبه لنعمه المتعدية إلى الخلق؛ ثم هو يعلم إن أحبه الله لم يضره غيره، وإن أحبه الله أحبه الصالحون، وإن أحبه الله لم يحتج لغيره، وإن أحبه الله كفي وهدي ووقي.

والعبادة مع معنى المحبة عجب من الأعاجيب، إذ توقف العبد في كل وقته على أعتابه، يرضيه، ويناجيه، ويكلمه، ويسأله، ويذكره بأحسن الذكر، ويحمده بأكمل المحامد، ويطنب في الكلمات التي يحبها المحبوب، فهو دائم الذكر لـ(سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) لعلمه بأن محبوبه يحبها، ولمثلها من الكلمات، كـ(سبحان

الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، فلا يزال لسانه مشغول بذكر محبوبه.. فإن حصل هذا كفي العبد، والله كافٍ عبده؛ إن شغله ذكر الله تعالى كفاه الله ما أهمه وأغمه، وأعطاه سؤله، وقضى حاجاته، ولو (**أقسم على محبوبه لأبره**)؛ إذ يكره رده، ويكره مساءته، ولو خطرت في قلبه الخواطر أقامها على الحق، فلا ينطق إلا به، وإن التفت لغيره هداه للتوبة، وحين الموت ينزل إليه ملائكته بالبشرى (**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**)، لأنهم هم أولياء الله.

فلذلك يقول هذا الإمام العجيب في علمه وعبادته: (**كفى بالله محباً**) صرفاً للعبد أن يسعى لحب غيره، سائلاً إياه، أو مشغولاً بذكره، أو ساعياً لرضاه.

ومن أحب الله آنس بتلاوة كلامه، لأنه كلام المحبوب: به يتحدث عن صفاته الحسنى التي تحبها النفوس الحسنة، وبه يتحدث عما يحب ويكره، وبه يتحدث عما أعد لأوليائه وما حذر أعداءه؛ وقد جعل هذا المحبوب في كلامه نوراً، يغزو القلوب فيخرجها من ظلامها، ويفتح عليها من المعارف والمعاني التي يستغرق بها أصحاب المعاني، والذين ارتقت نفوسهم من حمأة الطين إلى عالم الملكوت (**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**)، فتنشغل القلوب بهذه المشاهد الجميلة الرائعة، والمهيبة العظيمة، فتخرق حجب الشهادة إلى عوالم الغيب.

ووالله ما رأيت مثل كتاب الله في الأنس حين تغيب عوالم الشهود، وكنت حين أكون في خلوة السجن، وهي تمتد أمام عيني، ومعها تجثم أسوار الزنزانة الضيقة= أذهب لكتاب ربي، فما هي إلا صفحات أتلوها فتذهب الأزمنة الثقيلة جرياناً؛ ووالله تحدثاً بنعمة الله تعالى: إني لتغيب عني أسوار الضيق والقهر، فكأني في عالم آخر، وحديث آخر، ومعنى آخر، فيا الله ما أعظم الأنس بالقرآن، ويا الله ما أعظم أهل القرآن بالهناء والراحة والطمأنينة وبرد العيش، ووالله من لم يذق لم يفهم، ومن لم يعش فإنما هو ميت بين الأحياء.

في القرآن أنس المعاني لأصحاب المعاني، وأنس النور لمن يطلب طرد الظلمة، وأنس أعظم من ذلك كله وهو مجالسة المحبوب.

وإن هذه المعاني لا تكون إلا لقلب عاش مع الآخرة، ورغب عن الدنيا، وأيقن أن الموت هو الحقيقة التي لا تنكر، وأنها واقفة أمام عينيك تنتظرك، وأنت تمشي إليها في كل لحظة، فهي طالبة لك كل حين، لا تكل ولا تمل.

وحين يغيب الغيب، فينسى المرء، والمرء نسّاء كما نسي آدم عليه السلام فنسيت ذريته، يحضر الموت، وقرب الرحيل، فلا تأنس بشيء من الدنيا، لأنك مفارقه، فأنت لا تبكيه عندما يذهب، بل أنت باكيه وهو بين يديك، كما قال الشاعر:

وَلَقَـــدْ بَكَيْـــتُ علـــى الشَّـــبابِ وَلِمـــتي مُسْـــــوَدّةٌ وَلِمَـــــاءِ وَجْهِـــــي رَوْنَـــــقُ
حَـــــذَراً عَلَيْــــهِ قَبــــلَ يَــــوْمِ فِراقِـــــهِ حـــــتى لَكِـــدْتُ بمَـــاءِ جَفـــني أشـــرَقُ

لا يقر لك قرار السكون والاطمئنان لشيء من أشياء الدنيا، فأنت إن أصبحت لا تنتظر المساء، وإن أمسيت فلا تنتظر الصباح، وكيف تقر والموت يلاحقك، فإن دعيت لغفلة أو ذنب تذكرت الموت، وما بعد الموت، فيحصل لك ذكرى الصالحين (**تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**).

الله يكفي، فاتخذه ولياً، واتخذه صاحباً لك، تذكره دائماً، وهو معك إن ذكرته، واتخذه إلهاً دون غيره؛ لأنك إن سألته أعطاك، وإن عذت به أعاذك، وإن حماك فحماه لا يخفر، وإن أعطاك فعطاؤه لا يمنع، ودع عنك طلب الآخرين، لأن الله يقول: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**).

قف على باب العبودية من باب الحب والأنس والشكر تصب خيراً عظيماً.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (٢٧):

للشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله

[١٥ كانون الثاني ٢٠١٩ – ٩ جمادى الأولى ١٤٤٠]

"**الباطل جشع**". (الأنوار الكاشفة، ص ٢٣)

هذه كلمة مهدية لرجل عظيم هو الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله تعالى، قالها خلال رده على أبي رية، وهي تكشف مسار الشيطان وجنده مع أهل الإسلام والإسلام. فالشيطان لا يقبل منك القليل إن قدمته إليه، مع أنه يسير بك سيراً بطيئاً ومتأنياً لغايته النهائية، وهي إخراجك عن دين الله تعالى إلى دينه بالكلية، حتى إذا فرغ منك تخلف عنك، وتبرأ من صنيعك، وقال لك كما قال لأسلافك: (**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**).

ولهذا عالج القرآن هذه الإبليسية وسنن الباطل، بأن لا تعطيه شيئاً، ولا تخضع له في قليل أبداً؛ فهذا القليل بذكاء وخبث يسير بك إلى المستقر الذي لا يحمده الله لك.

منافذ الشيطان في هذا دعوى الحكمة، والتقريب، ومسايرة الناس تنزلاً لهم ليتبعوا الحق، وفي هذا تخسر توفيق الله، ورضاه، وتنتهي لإرضاء الباطل، فتكون جندياً له.

"**الباطل جشع**"؛ تلك كلمة رجل حكيم، خبر كتب الرجال، وخبر مسيرة التحريف في الاعتقاد كما كتب هذا في كتابه "القائد إلى تصحيح العقائد"، وهو جزء من كتابه العظيم "التنكيل".

وفي هذا الموطن من كتابه في الرد على أبي رية قال كلاماً هو من جواهر الكلام الذي يتأمل فيه، ويسعى له؛ يقول: فإن أضر الناس على الإسلام والمسلمين هم المحامون الاستسلاميون، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام أو حكم من أحكامه ونحو ذلك، فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين، والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبتهم على الحق، ويهديهم إلى دفع الشبه، فيلجؤون إلى الاستسلام بنظام؛ ونظام المتقدمين: التحريف، ونظام المتوسطين: زعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين، والمطلوب في أصول الدين اليقين، فعزلوا كتاب الله وسنة رسوله عن أصول الدين؛ ونظام بعض العصريين: التشذيب...

ثم قال: على أن أولئك الذين سميتهم محامين كثيراً ما يكونون هم الخصوم. انتهى.

هذا كلام الرجل في بعض الكتاب والمشايخ وما يسمى بالمفكر المسلم، وهو ينطبق على كل من دافع عن الإسلام بطريقة أهل الباطل، أو من حمل سلاح الجاهلية ليحاربها به، في إعراض عن الحق، والدين، وطريقة الأنبياء والصحابة.

وبعض ما قاله الشيخ هنا، ينطبق على من حمل السلاح على وجه من وجوه الغلط العلمي في نفسه، كما نرى من التحاق أهل البدع التي لها تعلق بالجهاد وتصور الواقع، لا البدع جملة، فتخذلهم بدعهم في مضايق الطرق، فينقلبون خداماً للباطل، ثم لا يزال بهم إبعاداً عن الحق حتى يصبح أحدهم جنداً لهذا الباطل وسيده إبليس.

الذين التحقوا بأهل العلم في معركة من معاركه، والذين التحقوا بالجهاد في ساحة من ساحاته، ثم هم في ضلال وفساد في تصورهم لهذا الباب العلمي أو تلك الساحة= لئن لم يهدهم الله، ويحصل لهم التوفيق والسداد، فإنهم سينقلبون إلى عدوة أهل الباطل، ولأسباب كثيرة، منها الحسد، والحقد، والجهل، ومحبة الرفعة والصيت؛ فهؤلاء الذين لا يرون كفر الخصم من المرتدين، ولا يعرفون سبل الجاهلية في التلون، ولا يتعاملون تعامل العقائدي الصلب مع معركة الإسلام هم في نهاية الأمر سيخونون الطريق، وذلك قبل نهايته، لأن طريق الحق صعب وفيه بلاء وشدة.

"**الباطل جشع**"؛ تعني هروباً من الباطل من أول الطريق، وتعني مفاصلة له بلا تردد، وتعني ثقة بالله، وبدينه، وأن طريق الحق وإن كان صلباً وشاقاً لكنه موصل بهداية الله إلى مستقره.

هؤلاء الذين يخونون أمانة الكلمة، وأمانة قول الحق، حتى في أقل القليل، لا تعدم أن تراهم غداً جنوداً للباطل يقاتلونك؛ فلا تحزن، ولا تهن، ولا تشك أنك على الحق، فهؤلاء الذين وضعوا أيديهم مع الباطل لا يلبث الباطل أن يبتلعهم، طال الطريق أم قصر.

تذكر دائماً قوله تعالى: (**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**) فقليل عندك من أهوائهم ستفسد طريقك وحياتك ومعركتك.

والحمد لله رب العالمين

كلمة في حق كلمة (٢٨):

لابن سيرين رحمه الله

[١٩ كانون الثاني ٢٠١٩ – ١٤ جمادى الأخرى ١٤٤٠]

قال ابن سيرين رحمه الله: "أسرع الناس ردة أصحاب الأهواء". (المعرفة والتاريخ للفسوي، ٣٨٨/٣ – ٣٨٩)

نوع الردة هنا من الشبهات، ويدخل فيها الشهوات.

وهذه الكلمات من إمام تابعي جليل، ثقة، عابد، فقيه، تكشف سقوط الكثيرين من المتكلمين في الدين بهدي الشياطين، وأهواء الضالين؛ يفسرون القرآن والحديث بغير هدي الدين، بل لتمرير الكفر والعلمانية، وما يسمونه من العقل، وهو الهوى، وهؤلاء يخرجون من الدين لكثرة الكذب على الله، والقول على الله بغير علم.

تجد شيخاً يلتزم بالسنة، ويدعو لها، فما أن ينادى به إلى أسوار الطواغيت ومؤسساتهم حتى تبدأ الأهواء، والاستهزاء بالسنة، وقلب ما كان عليه، والإفتاء بالبدعة، وما كل هذا إلا اتباع الهوى، وإرضاء الأسياد الجدد.

وكذلك تجد من يتكلم في الدين بلا قواعد العلم التي عليها أهل الفقه، وإنما الرأي المجرد، فيثبت وينفي، ويزعم ويدعي، فيأتي منه القبح والشر.

هذه هي بعض الأهواء التي تؤدي إلى الردة، وهذا الرصد لهذه الحقيقة في زمن انتشار الهدى والسنة والعلم، وفي زمن مبكر وظهور الشريعة يدلك على قوة رصد البدع في تاريخ أئمتنا، وأن هدي القرآن في قلوبهم يكشف الشر في الوجود، مهما تقنع أو تخفى.

كما أن المعاصي بريد الكفر كما قال السلف، فالأهواء بريد الردة كذلك؛ فكلاهما شر، يستحسنهما المرء، تهويناً أو غفلة، فلا يزال الشيطان به حتى يزين له أقوال الكفر وأعماله.

المعاصي مادة أهل الدنيا للوصول إلى الكفر، والأهواء مادة المتدينين للوصول إليه.

كلمة في حق كلمة (٢٩):

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

[١١ حزيران ٢٠١٩ – ٨ شوال ١٤٤٠]

كان إن مدحه أحد في وجهه، قال: "**والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً**".

هذه كلمة وحال نقلها عنه تلميذه المحب له ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه العجيب "مدارج السالكين"، وهي تدل على حال هذا الإمام مع الله تعالى، وحاله في مراتب التقوى وعدم رؤية النفس.

الولي له أركان من الأخلاق، ومن أعظمها غمط النفس، وعدم رؤيتها؛ فلا حق لها، ولا تعظيم، ولا ارتفاع، فأساس العبودية يقوم على معناها المشتق من العبد، ومن التسهيل وعدم الاعتراض، ولا مقام لها إلا الخدمة والخضوع والرضا والامتثال.

ثم إن أساس التقوى قوة النور في القلب، وكلما زاد النور في القلب ترقت معارفه لما يجري في نفسه من سبل المعاندة لهذا المقام من العبودية؛ إذ رُكّب الإنسان على نفس تريد، وتشتهي، وتأمل، وتحب التعالي، وفيها من خبايا دقيقة من أمراض تعاند وتأبى.

ومن كان حاله الثبات على مقام لم يبصر نفسه إلا على حال واحد، فيرضى بهذا المقام؛ إذ يعالج ما فيه فقط، ويبقى من خبايا النفس الكثير مما يحتاج إلى نور أشد، ليعرف تلك الخبايا البشرية، فإن جاءه هذا النور الزائد رأى وأبصر، فاستغفر وأناب، وأصلح واهتدى.

ثم إنه كلما ترقت معالم الطهر في النفس صار ما استصغره يومًا كبيرًا لا يطيقه؛ فالمبتدئ يكفيه ترك النجاسة الثخينة، وأما من ترقى واهتدى، وأبصر عظمة المحبوب، ومقام المعبود= علم أن ما استصغره يومًا كبير في حق العظيم، فندم على تفريطه من جهة التلبس به، ومن جهة الجهل بمقام العبودية التي فاتته.

وهكذا يبقى العبد على أعظم مقام في العبودية، وهو مقام التوبة، والخوف، وإصلاح النفس، يجدد إسلامه، إذ رأى أن مقامه الفائت فيه شوب ونقص وضعف.

الإسلام هنا ليس مرتبة حكمية تلحق الرجل بتحقيق ركنها الذي هو العماد والركن، ولكن مقام الأولياء بالنظر إلى جلال المقام وعظمته، بما له تعلق بالمعبود الذي أسلم له القلب واللسان والبدن؛ ومن نظر لهذا علم معنى الرب، وعلم عظمة المعبود، فصار نظره إلى المقام من حيث عظمته في الوجود؛ فالإسلام دين فيه عقد بين عابد ومعبود، فليس هنا النظر إلا إلى جلال المعبود، فيظهر له جلال العقد، وأن كل ما يدنس هذا المقام كبيرة، تحتاج لمحو وإزالة، وذلك بتجديد هذا العقد على معنى من الكمالات التي لا تنتهي، فيسلم لربه إسلاماً جديداً به يتم الرفعة على معنى جديد بينه وبين المعبود، وبه يتم إصلاح ما فاته من مقام العبادة له.

هذه كلمة رجل يبصر كل لحظة معنى، ويلحق في كل آن مقاماً، فيصرخ متألماً على ما فاته، ويستغفر لما قصر؛ وهذا حاله -رحمه الله- لمن تأمله، فانظر إليه وهو يندم على ما فاته من الوقوف مع القرآن في آخر عمره، وهو الرجل الذي يستحق لقب الرجل القرآني في حياته كلها، لكنها المقامات الجديدة التي توجب الغمط والتصغير للنفس.

ألم تبصر هذا الرجل وهو يخبرنا عن نفسه كيف يحقق المعاني المحبوبة لديه، فهل ترى أيها المحب أن تلك المعاني هي مجرد الفقه الذي يحققه المرء معرفة من بداية الطلب، أو هي تلك المعاني الغائرة ذهاباً وبعداً لا يهتم لها إلا الأولياء لما يتعلق بحال القلوب، ومراتب المقربين؟.

كان يشغله السؤال، وأي سؤال هذا الذي يشغل مثله، فيستغفر الله ألف مرة ليفتح عليه.

كان قد أرسل رسالة من سجنه ليخبر بنعمة الذوق الراقي الذي أصابه بنعمة السجن، إذ يخبر أن الله فتح عليه ما لم يخطر على بال؛ فهل ترى أن هذه العلوم هي المبذولة على سطح الأرض وقارعة الطريق؟!.

وختاماً: هل قرأت من قبل كلمة الشافعي، كما رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق عند ترجمته، وهو يخبرنا أنه لما أراد أن يكتب أحكام القرآن قرأ القرآن مائة مرة؟!.

يا سيدي: نحن أصحاب الكلمات، وعلوم قارعة الطريق، ولهؤلاء الناس المعاني، وأجلها علم القرب مع الله، والنظر إليه، فعلومهم للقلوب وللحال.

رحمهم الله.

كلمة في حق كلمة وصاحبها (٣٠):

لأمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله

[٢٥ حزيران ٢٠١٩ – ٢٢ شوال ١٤٤٠]

الشهرة والخمول

شكيب أرسلان، رحمه الله تعالى، رأس عائلة أرسلان اللبنانية، وهي عائلة درزية، فالدروز في لبنان تتنازعهم عائلتان كبيرتان: الجنبلاطيون والأرسلانيون. وسمعت الأستاذ زهير الشاويش، وأنا في بيته في عمان، يقول: إن الزعامة كانت للأرسلانيين، وكانوا سنة، وكان الجنبلاطيون خدماً عند الأرسلانيين، ولكن دخل الأرسلانيون في دين الدروز، أي أتباعهم، فتسيد التابع على سيده، وانقلب الحال، والله أعلم.

شكيب أرسلان لم يكن درزياً، مع أنه سيد البيت فيهم، بل كان سنياً، ورسائله تدل على هذا، وأثر عنه يقيناً قوله: أنا سني وسيد الدروز.

وبقيت متحيراً في عدم الجزم بسنيته؛ لأني كنت أتعجب من تزويجه ابنته لكمال جنبلاط سيد البيت الجنبلاطي، والتي ولد لهما رئيس الدروز الحالي وزعيم الحزب التقدمي، وأقول: كيف لرجل سني يعلم علم شكيب أرسلان ويزوج ابنته لدرزي، وهو يعلم دين الدروز الشركي؟!! حتى علمت يقيناً أن هذا الزواج وقع بعد موته، وكان رافضاً له، وبقيت ابنته تنازعه مع كمال جنبلاط هذا الزواج أكثر من سبع سنين وهو يرفض، حتى مات غريباً في ألمانيا فتزوجته بعد ذلك.

وللذكر: فقد كانت زوجة شكيب شركسية سنية.

المهم أن شكيب هذا رجل سني والحمد لله، وقد سماه الناس: أمير البيان؛ لأنه هو أمير عائلته الكبيرة، وكان هذا الرجل آية في الدفاع عن أمته، والجهاد في سبيلها، والتطواف في البلدان لنصح أهلها والاطلاع على أحوالها، ومن قرأ تعليقاته على كتاب "حاضر العالم الإسلامي" لستيوارد الأمريكي علم رحلات هذا الإنسان العظيم، ومعرفته بحال البلاد، واتصاله بقادتها، ودعواته العظيمة لقيام الجهاد، والتعليم، والاتحاد بين كل البلاد الإسلامية.

شكيب أرسلان من عجائب الرجال في عقله وجلده وصبره وحبه لأمته، وكان قارئاً من الدرجة الأولى، حتى كان بعض مجايليه ينصحونه بالرفق بنفسه (كما في رسائل رشيد رضا له)، وكان صاحب ذاكرة تكاد تكون من الفرائد في الرجال.

توفي الأستاذ سنة ١٩٤٦ ميلادية في ألمانيا، مطارداً من السلطات الفرنسية لدعوته للجهاد ضد المستعمرين.

وقد كان يتقن أربع لغات: العربية والتركية والفرنسية والألمانية، وكان عثماني الهوى، يحب الدولة العثمانية وينافح عنها.

تستطيع أن تعرف عقله وآراءه من خلال كتاب الفلسطيني محمد علي الطاهر الذي سماه: "ذكرى الأمير شكيب أرسلان"، وكتاب "شكيب أرسلان مختارات نقدية في اللغة والأدب والتاريخ" لسعود المولى.

كان الأستاذ ديّناً، محافظاً على الصلاة والصوم، وكان مناصراً للقديم في المعركة التي نشأت بين طه حسين والرافعي، ورد على طه حسين وكتابه "في الشعر الجاهلي"، وكان ضد التغريب، وكان داعياً للتعلق بالقيم الإسلامية، وكان عارفاً برجال زمانه، وعلى اتصال وثيق معهم.

خلال تجواله شارك في مواطن جهادية عظيمة؛ فهو له الفضل بالتعريف بعمر المختار شيخ المجاهدين، وقد شارك في الجهاد ضد الغزو الإيطالي لليبيا، وشارك في حرب البلقان ضد اليونان، وفي الحملة العثمانية على ترعة السويس سنة ١٩١٩.

لما مات غريباً رثاه شوقي وعلي محمود طه والأستاذ تقي الدين الهلالي والمنفلوطي.

أشهر كتبه: "الحلل السندسية"، وتعليقاته على حاضر العالم الإسلامي، ورده على طه حسين في الشعر الجاهلي، و"لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"، فرحمه الله رحمة واسعة.

هذا هو شكيب أرسلان، وأما شرح كلمته فسيأتي إن شاء الله تعالى.

"إن الشهرة لا تصح أن تكون بحال من الأحوال ميزاناً للفضل، ولن يجري الفضل والذكر في ميدان واحد، لأن في الناس من يغتصب الشهرة ويلصقها بنفسه، بينما الآخر قد قنع من الأدب بلذة نفسه، فلا يترنم بقصائده في النوادي، ولا يبتاع من الصحف والألقاب، ولا يستخدم الكتَّاب لإطرائه (بفتح التاء وتشديدها)، ولا يتمم نقصه بالغض من مقام غيره، وهذه كلها جمل منحوتة من معدن الحقيقة. ولا أريد من ذلك الطعن في حب الشهرة وتضعيف هذا المشرب؛ وهو مبعث الهمم ومثار كوامن الفضائل، ومظهر درر القرائح من أصداف الأدمغة، ولكن أريد أن تكون درجة الشهرة هي درجة الفضل، فكم في الزوايا من خبايا".

هذه الكلمة من كلمات أمير السيف والقلم، كما أطلقت عليه الصحف الإيطالية خلال وجوده مجاهداً في ليبيا لمدة ثمانية شهور: ينشر أحوال المجاهدين، وخاصة أخبار شيخ المجاهدين عمر المختار، وقد كتب هذه الكلمة ضمن تقديمه اللاميات الثلاثة للشاعر البدوي: يعرف به، وينوه إلى أسلوبه في الحياة، مبتعدًا عن الدعاية لنفسه، مخالفاً ما يتخذه الشعراء من سبل وأساليب تشيد بهم، وتنشر ذكرهم وتعرف بشخوصهم.

كان شكيب أرسلان مجايلاً لزمن طغت فيه أسماء أدبية ولغوية كاذبة، وملأت أسماؤهم الصحف والمجلات، وأكبر شاهد هو لقب (عميد الأدب العربي) الذي أطلق على طه حسين، كذباً وزوراً، وبلا استحقاق، وإنما هو عميد كلية الآداب، وهو منصب إداري في أصله، ثم عمم اللقب حتى جعل عميداً للعربية كلها!.

كان فن النشر والدعاية جديداً بفنونه التي انتهجها لما قام عصر الصحافة والنشر والتوزيع، وكان يقارن هذا الفن تعظيم مؤسسات التغريب وامتهان وتحقير المؤسسات التقليدية؛ فالجامعة للعظماء، والأزهر للجهلة، وعلى ذلك تعطى الرواتب العالية لأصحاب البدلات واللباس الجديد الغربي، وأما أصحاب العمائم والجبب فليس لهم إلا الفتات.

كانت الآلة الدعائية على قدم وساق في تقديم وتعظيم تلاميذ الاستشراق والتبشير، ويقابلها ضعف بل موت لا يملك الأدوات ولا الرجال ولا المال لكشف الحقيقة، وقد كشف شيئاً من هذا الأستاذ محمود شاكر في كتابه "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا"، وفي رده على لويس عوض في كتابه "أباطيل وأسمار"، وذلك حين تحدث عن تلك الأيام، وتحدث عن تجربته في فساد الحياة الأدبية في مقدمة كتابه "المتنبي".

كانت الدعوات الباطلة تجد لها قوىً ومؤسسات وأموالاً، بل وسفارات، ومجلات وجرائد، ولم يكن ما يقابلهم يملك شيئاً سوى صدق الدعوى وكلمة الحق.

الأستاذ شكيب أرسلان تكلم بلسان ذلك الزمن في قضية الشهرة والخمول، والانتشار والغيبة؛ فهو حديث عن زمن خاص، وبيئة خاصة، وقوانين حياة لها سننها وأسلوبها، فالزمن له سطوته في الظهور والهزيمة، وكما يهزم الحق لعدم وجود سنن النصر في أبنائه؛ من ضعف وقلة، وقد يكون للباطل جولة لقوة أهله المادية وكثرة عددهم، فالحياة لها سننها التي قال الله فيها: (**كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**).

في زمن الحق يكون الظهور والمعرفة والانتشار لأهل الحق، وفي زمن الباطل يظهر أهل الباطل، ويكون لهم العلو، ثم في خلاصة الزمن كله يتحقق قوله تعالى: (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**)، وها أنت ترى الآن ذكر محمود شاكر؛ كيف صار، وانتشر، وعلا وارتفع، وكيف غاب الكثيرون ممن ملؤوا زمانهم وشغلت أخبارهم الصحف والكلمات، ولكن في ذات الزمن تكون قوانين العلو بحسب قوانين الغلبة السننية.

في زمن ظهور الباطل يجب على العقلاء البحث عن الخبايا الثمينة والدرر الكامنة في الزوايا الخفية وفي الحواري، وما وراء الأغلفة ومظاهر الشوارع؛ فهناك تستر الدرر والفوائد عن العيون، ويجب التحقق من زيف ما يعرض وينشر، كما يجب حفظ العقل من اللصوص والسراق، ولا تغرنك الألقاب، ولا الجوائز، ولا الرتب، ولا المقامات الاسمية؛ فكل هذه عملية صناعية تزويقية، يقوم عليها عقول فنها الأعظم قذف العقول، وتزييف الحقائق.

في زمن الحكم الهتلري في ألمانيا أنشأ وزارة الدعاية، وقام عليها عبقري هذا الفن اسمه غوبلز، ورفع شعار: اكذب ثم اكذب حتى تصدق الكذبة، وغوبلز قام بهذا الفن خير قيام، حتى أقنع نفسه هو بما كذب فيه، وأن العالم لا يمكن أن يعيش سعيداً من غير هتلر.

جاك دريدا حاول تفسير ظاهرة الكذب في هذا الباب في محاضرته التي سميت عند نشرها: تاريخ الكذب، ولما قرأت هذه المحاضرة علمت مقدار فقه علمائنا مقابل ما يقوله هؤلاء من فلسفة، وأن فقه علمائنا لهذا المرض؛ وهو مرض الكذب في الرياء والتسويق وتعظيم الذات= بلغ الغاية في هذا الفن، ومن قرأ كلام الغزالي في "الإحياء" عند هذه المسألة تبين له ما أقول.

كذب الدعاية وفن تسويق الرجال والأفكار هو أعظم معركة تعيشها الأمم، ويكفي أن نعلم أن الدعوة للحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عمل أعظم الخلق على الإطلاق، وهم الأنبياء عليهم السلام؛ فمعركتهم هي معركة العقول والنفوس، ومعركة نشر الحق أمام الباطل، هذا الباطل الشرس، الذي يملك سلطة فرعون وتزييف السحرة، ومسالحة العذاب.

من معاني انتشار الحق ظهور أهل الحق، ومن معاني انتصار الحق انتصار أهله، ومن معالم هزيمة الباطل هزيمة رجاله وأزلامه ومؤسساته ودوله؛ وحين تعلم الأمة رجالها الصادقين، وعلماءها العاملين، فتعظم في عيونهم صور رجال الحق= يعني أن الحق منصور وظاهر؛ ولذلك ارتبط الحق برجال، كما ارتبط الباطل برجال، ومن الدين تعليم الناس من هم أهل الحق بأسمائهم، وتعليم أهل الباطل برجالهم، والذين يظنون أن الحق يعيش مجرداً بلا أبنية سننية له من رجال وجماعات ومؤسسات هم واهمون.

لقد نادى مؤمن آل فرعون بقوله: (**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**)، فارتبط الحق به وباسمه وبمنهجه.

وفي النفس مزيد كلام، ولكن أضع القلم، وأطوي الصفحة، وأقول: اللهم ارحمنا برحمتك.

كلمة في حق كلمة (٣١):

لمحمد بن المنكدر رحمه الله

[١٣ آب ٢٠١٩ – ١٢ ذي الحجة ١٤٤٠]

عن عثمان بن واقد، عن محمد بن المنكدر، قال: بينا أنا ذات ليلة أصلي، إذ قلت: لو علمت أحبّ الأعمال إلى الله وأرضاها أجهدتُ فيه نفسي، فغلبتني عيناي، فأُريت في منامي، فقيل لي: "إنك تريد أمراً لا يكون، إن الله عز وجل يحب أن يغفر". (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ح رقم ١٢٥ ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا).

لو علم العبد أن مقصد خلق الإنسان هو تجلي اسم الله الغفور في الوجود، لعلم قيمة هذا الذي قيل لهذا الإمام العبد الذاكر محمد بن المنكدر؛ فما خلق الإنسان إلا ليستغفر، لأن الذنب قدره الذي هو لازم له، فـ(**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**)، وفي الحديث: (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**).

وتأمل سورة هود وما فيها من طلب الأنبياء من أقوامهم أن يستغفروا:

فقد قال الله عما قاله هود عليه السلام لقومه: (**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**).

وقال عن قول صالح عليه السلام لهم: (**فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**).

وقال عن قول شعيب عليه السلام لهم: (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**).

والسورة في أولها قال تعالى: (**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**).

فالله غفور يحب المغفرة، ذلك لأن أسماءه حسنى، هي له، ويحب أن يتعبد العبد بها الله تعالى.

والله غفور يحب المغفرة.

ولو سأل سائل: ما الفرق بين المغفرة والتوبة، لاقترانهما معاً (استغفروا... توبوا)، والاقتران يدل على الافتراق كما هو معلوم؟

فالمغفرة من الستر، كما يقال: مغفر، لما يستر الرأس في الحرب، ذلك بأن المغفرة تستر الذنب وتمنع من ظهوره يوم الحساب، فلا يعاقب عليه.

وأما التوبة فهي من العود، فمن تاب إلى الله عاد إليه، ذلك لأن المعصية إبعاد وطرد، فمن تاب عاد إلى الله، فيعود الله إليه، وهي كالإنابة.

وأما العفو فهو الإزالة، إذ يقال للنار: العافية، لأنها تزيل الشيء إذا حرقته، والله عفو يحب العفو.

وإذا قيل: لماذا لا يوصف ربنا بالصفح، ويمدح العبد بهذا الوصف؟ ذلك لأن أصل الصفح من صفحة الوجه، فحين يعفو المرء عن غيره فكأنه استخدم صفحة وجهه بحركة تدل على هذا، فأصلها في الاشتقاق لا يليق بالله تعالى، ولذلك لا يوصف بها.

عود على رؤيا محمد: فالله يحب أن يغفر، ولم يأت مثل يشبه ولا يقارب فرح الرب بتوبة العبد (**أخطأ من شدة الفرح**)، وأشار ابن القيم إلى عجز القلم هنا أن يقول شيئاً من المعاني العجيبة في ذلك كما في "مدارج السالكين".

ويكفي أن تعلم ما يقارب هذا الفرح بفهمك لقوله تعالى: (**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**)، ولا يكون هذا إلا لفرح لا يكاد المرء يقارب في تصوره.

ولما كان الله يحب العفو والمغفرة والتوبة، فإن العبد جدير به أن يتقرب إلى الله بأحب ما يحب، وهو أن يعفو ويغفر ويعود لصاحبه إن عاد، وهذا أحب الطاعات إلى الله تعالى.

هذه أيام أكل وشرب وذكر لله، وأحب ما فيها العفو والمغفرة وعيادة الأحباب والإخوان، والصفح دون حساب.

"**الراحمون يرحمهم الرحمن**".

اللهم اغفر لي وللمسلمين جميعاً.

كلمة في حق كلمة (٣٢):
للقاضي حسين رحمه الله

[٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٩ – ٢٦ ربيع الأول ١٤٤١]

قال القاضي حسين في (تعليقه ١/١٢٦): "اختلفت عبارات أصحابنا في التوفيق، فمنهم من قال: التوفيق تسهيل سبيل الخير وسد سبل الشر، والخذلان على عكس ذلك؛ ومنهم من قال: التوفيق الوقوع في الخير من غير استعداد له. والتوفيق الذي يختص بالمتعلم أربعة: ذكاء القريحة، واستواء الطبيعة، وشدة العناية، ومعلم ذو نصيحة".

من رعاية العبد لأقدار الله فيه أن يراقب موقعه من الحوادث، وأن يبصر مقامه في العبادات من قيام وصلاة وذكر وطلب علم؛ فإن أخطأ ذلك أصاب الشر، والتزمه، وعاش معه وهو في غفلة عن نفسه، وهذا يقع للقلوب الغافلة، والنفوس الجاهلة. وأما عباد الرحمن فهم يراقبون دوماً مواقعهم التي يختارها الله لهم، فإن رأوا هداية وتوفيقاً حمدوا الله، وازدادوا خوفاً من الإنحراف، وواصلوا طريق البر؛ وإن رأوا حرماناً من الطاعات، وصرفاً عن الذكر والمراقبة ورعاية الأوقات= علموا أنهم في سبيل غواية، فأبصروا كما قال تعالى عنهم: (**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**).

مقام التوفيق مقام القلب الذاكر الشاكر، ومقام الوعي والبصر على النفس، يراعيه الأولياء، ويعرفون به سبل الحق من سبل الغواية، وذلك في مدلهمات النوازل التي يتيه فيها الناس.

ومن أعظم أدلة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم توفيق الله له، إذ يقع له من التدابير الإلهية ما يحقق له النصر، والهداية، وأحسن المطالب حتى لا ذكر لها في نفسه، كما قدر الله له صلى الله عليه وسلم ولأصحابه النصر في بدر، بتوفيق لم يطلبوه ولم يتصوروه، وكما وقع لهم في صلح الحديبية، وغزوة الخندق، بل في كل مرحلة مراحل حياة الجهاد والدعوة النبوية؛ وهو باب أدركه بعض المشركين فكان سبباً في دخولهم الإسلام، وذلك أن كل كيد

يكيدون به للإسلام ينقلب عليهم، ويكون الخير لدين الله تعالى.

تأمل كلمة هذا الحكيم في معنى التوفيق: (**الوقوع في الخير من غير استعداد له**)، ولو طبقتها على أهل الجهاد لرأيتها جلية لا يحول بينها وبين الناظر إليها سحاب؛ فكم كادوا له، ولأهله، فإذا هو في كل محطة يقوى أعظم مما طلبه أهله، وهذا من نوع توفيق الله لأهل هذا الدين. ثم تأمل حال الكفار وحرمانهم التوفيق، ومجيء الأمور على ضد مرادهم، مع كيدهم وتخطيطهم، وكذا أهل البدع؛ فكم من عالم مكروا له ولكتبه فكان توفيق الله ضد مكرهم.

ولذلك فالعالم هو من يتأمل القدر ليرى أين يد الله تكون؛ وقد فرحت لكلمة الشيخ سلمان العلوان فك الله أسره ورفع مقامه في الصالحين وهو يرد على الطاعنين تكفيراً بأبي حنيفة رحمه الله وقدس روحه، وذلك بالنظر إلى توفيق الله في حفظ علمه ونشر ذكره ورفعة اسمه بين الأنام والعلماء والصالحين، وهذا فقه تعشو عنه عيون الجهلة والنوكى ومدعي معارف العقل المجرد المحض.

عندما يبدأ المرء ضعيفاً فيقوى، ويرتفع، وينتشر ذكره وعلمه رويداً رويداً حتى يستقر في النفوس والعقول، وحتى يقوى جذعه في الأرض فلا تقلعه كلمات الكذب والطعن، بل ترتد تلك الكلمات على صاحبها دماراً وفساداً، كما هو شأن أهل العلم والجهاد والدعوة= فهذا يعلم فيه معنى توفيق الله له، وأما من يبدأ عالي الصوت، هادراً كهوجاء العواصف، ثم يخبو وينقل من جذوره، لأنها فوق الأرض عارية عن عمق الجذور الثابتة فهذا محروم التوفيق عند علماء سنن القدر.

حين يشغلك الله بذنبك توبة وبكاءً، وتنقلب المعصية طاعة بالخوف من الله، فاعلم أنك موفق.

حين يشغلك الله بالطاعات والصلاة والذكر وقراءة القرآن، فاعلم أنك موفق.

حين يشغلك الله بالدعاء للمسلمين والمجاهدين وبالرحمة عليهم، فاعلم أنك موفق.

وحين يلحقك الله بقوافل الناصرين لدينه، فاعلم أنك موفق.

وحين تريد فعلاً على وفق مطالب نفسك فيعطيك الله أكثر من ذلك ديناً ونصرة وهداية، فاعلم أنك موفق.

وحين تجتهد في إصابة الحق فتخطئ في تقديرك فيقلب الله لك خطأك علماً وفقهاً، وتعيد الكرة على معنى ما فقهت، فأنت موفق.

ولا تكن في ذلك كله الأخرى، فإن وقع ضد ذلك فابكِ لمولاك، وأصلح ما بينك وبينه، ليكون أمرك على ما يحب الله فيوفقك.

تعلم يا أيها الابن المحب أن تراقب أقدار الله فيك وفي غيرك وفي الوجود، فهذه مرتبة لا يقدرها إلا من هداه الله.

كلمة في حق كلمة (٣٣):
للفضيل بن عياض رحمه الله

[٩ كانون الأول ٢٠١٩ – ١٢ ربيع الثاني ١٤٤١]

قال الفضيل رحمه الله تعالى: "كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً، وإذا رآهم الفقير لم يود أن يكون غنياً، وقد صاروا اليوم فتنة للناس".

ومعنى ما قال من فضل العلماء السابقين: أنهم يعرّفون العبد مقام العبودية في كل حال، حتى لينشغل الفقير والمريض بهذه العبودية شغلاً تمنعه من التفكر بزوال ما هو فيه.

وهذا منتهى حكمة الوجود، وهو إدراك العبد مقام التعبد على كل حال، ليدخل على الله تعالى مع تنوع الأقدار وتبدلها، حتى ما بدى للناس ألماً ورهقاً، فلا يشكو العبد بعد الموعظة، بل يصبر ويذكر، وينظر إلى نعم الله عليه بهذا البلاء.

هذا الفقه التربوي هو ما نحتاجه، ويفقده الناس في زماننا؛ فلا ينظرون إلى حكمة الأقدار، ولا كيف نتعبد الله بها، والله يقول: (**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ**)، وقال تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ**)؛ فالعلماء يعرفون معاني الأقدار وحكمة الله فيها كما يعرفون شرعة الله تعالى، ويعالجون النفوس وما تلقاه من القدر تربية وتزكية.

وهذا لا يكون منهم حتى يكون لهم من التعبد قريباً من مقامات الإحسان.

كلمة في حق كلمة (٣٤):

للحسن البصري رحمه الله

[١٠ كانون الأول ٢٠١٩ – ١٣ ربيع الثاني ١٤٤١]

صناعة الحكمة

قال الحسن البصري: "إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر، حتى استنطقوا قلوبهم، فنطقت بالحكمة". (مكاشفة القلوب للغزالي ٢١٨)

مطالب أهل الدين تحصيل خير ونور القلوب، وأعظم أنوارها الحكمة؛ فهي خلاصة العبادة بكل أصنافها من عمل وعقل وتجربة، وهي مظهر عملي تجلو بالحلم والسمت والتواضع مع الهيبة والحب، وعمل باطني تعمر به النفس، وأعظمها الذكر.

والذكر هاهنا يعني حضور عظمة الله في القلب، ومشاهدته على معنى الإحسان (**أن تعبد الله كأنك تراه**).

فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: "**تعبد**"، وهذا استغراق لكل عمل منك، فيه يحضر ربك في قلبك وبين عينيك، تسأله: ما الخير هنا، وما هو الفضل فيه؟، فأنت على مائدة الله في كل حال، وهذا منتهى الحكمة؛ فهو حضور المذكور في القلب، وهو التفكر الدائم: ما هذا، ولم هو، وأين منتهاه؟، فبهذا تدرك حكمة الخلق، يمدها أنوار العمل، والخوف والحب، وذكرى الدار الآخرة.

فهذه صناعة الحكمة، تزيد عليها تجارب الخلق، وحياتهم، ومقاماتهم، تقرأ سيرهم، وتقتفي آثار من كتب لهم آثار الخير والتقوى.

قال الأعمش عن الحسن البصري: ما زال الحسن يعتني بالحكمة حتى نطق بها.

ألا ترى كيف جاءت الحكمة بالصناعة والكسب والطلب، وقول الأعشى كقول جرير عن عمر بن أبي ربيعة: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر!

من زهد الخلق بالمكارم ذهاب سوقها، وكسادها بين الناس، وهذا من أسباب صرف القلب عن هذه المكارم؛ ولذلك لا بد من الزهد في الخلق، وعدم حضور مقاماتهم تعظيماً وميزاناً، بل يحضرون شفقة عليهم، وحب الخير لهم؛ فالمكارم القرآنية ليست بضاعة يقل ثمنها بالإعراض، ويزيد ثمنها بالطلب، بل هي غالية، لا تعطى إلا لأهل الكرم، وكلما قل الطالبون زاد فضل المفردين (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**)، فلا يصرفك عن الحكمة قلة الطالبين لها.

تأمل معنى الحكمة جيداً: هي حضور الله في القلب، فإن نطقت بكلماته ذكرت، وإن تأملت خلقه تفكرت، فأنت بينهما، وبهذا تدعى عظيماً.

تأمل مقالة الحسن: أفضل العمل الفكرة والورع، فمن كانت حياته كذلك نجا، وإلا فليحتسب حياته.

والله إنها لكلمات يصح فيها قول من وصف كلام الحسن، وهو علي بن الحسن: هذا كلام صدّيق.

كلمة في حق كلمة (٣٥):

للحسن البصري رحمه الله

[٢ كانون الثاني ٢٠٢٠ – ٧ جمادى الأولى ١٤٤١]

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "إن صحبة الأشرار تورث سوء الظن". (ربيع الأبرار للزمخشري ٢/٤٨٠)

هذه كلمة تجربة، يعرفها كل من قرأ سيرة الشر وأهله، ذلك بأن خلطة أهل السوء والدخول فيهم تزرع في النفس شروراً عظيمة؛ إذ يعمم ما يراه على الخلق، فهو لا يرى إلا الخيانة فلا يثق بأحد، ولا يرى إلا الغيبة فيظن أن الكل أهل غيبة، ويرى السرقة والاحتيال فلا يرى إلا هذا النوع.. وهكذا، من عاشر نوعاً من الناس ظن الكون كله منهم.

ولقد سمعت شباباً أعرضوا عن الزواج ومنعوا أنفسهم منه زمناً بعد توبتهم، فإذا سألتهم عن سبب العزوف جزموا أنهم لا يثقون بامرأة؛ لطول عشرتهم مع الفاجرات، ولقد حدث أحدهم أنه بمعرفته شرور الشباب والنساء لم يكن يثق بامرأة. وهكذا من عاشر الخونة، فهو سيء الظن بالخلق؛ فهذا معنى منتشر، إذ فساد الخلطة تنعكس على روح المرء ونفسه، فتعمى عن بصيرة النور والهداية، وتصبح مرآة نفسه قذرة بقذارة من عاشر وخالط.

البيئة لها سطوتها على خُلق الناس، كما في الماديات، فمن عاش بيئة المرض مرض، ومن عاش النقاء صفا صدره، وهكذا؛ ولذلك كان من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نهيه لأصحابه أن يحدثوه بما يجري بينهم ويقول: (أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر).

وأنت ترى أن النفوس السيئة تشتهي سماع السوء، وتحب معرفة خيانات الخلق؛ كدوائر المخابرات القذرة التي تجمع أسرار الناس لعمل السوء، وهكذا يحب أن يجمع القاذورات لشرور في نفسه، وهو لا يظن خيراً بأحد، ولا يعرف خيراً في أحد، بل لو ذوكر في خير لبعض الخلق لم يطمئن قلبه إلا بالطعن والغمز والقول بالسوء ليسقط ويفسد، وقد تعجب أنه لو لم يعلم شراً في مخلوق تكلف، بل كذب ليكون فيه، أو يفسر أفعاله على ما يحب من

الشر والسوء.

كل ذلك لفساد الذوق، من خلال صحبة الفساد والتي تلقي بثقلها على هذه النفس، فتصبغها على صورة مختلفة، كالصور في المرآة المقعرة تكبر المعكوس، أو محدبة تصغره؛ والنفوس لمن خبرها مرآة، لا يسعد صاحبها إلا أن تكون سوية مصقولة نظيفة.

ومما يرى في هذا النوع من أهل شر سوء الظن أنهم في دوام وقتهم لا يتذاكرون إلا بما يخطئ المخالف؛ والشيطان ينمي، ويصب وقود الفتنة، حتى تتضخم صورة المخالف أنه أس الشر في الوجود، بل هو عنده شر من إبليس، ولا يرون سعادة الخلق، كل الخلق إلا بقتله أو زواله، وتعمى نفوسهم عن رؤية خير فيه؛ فيموت العدل، ويقع الظلم، وهذا هو باب جهنم وإبليس. ولذلك اختبر نفسك بذكر فضيلة لمخالف، أو حسنة له، فإن لم تجد فأنت شيطان، وإن علمت ولم تقدر ذكرها فأنت لعبة بيد الشيطان، ذلك لأن المسلم لا يخلو من فضيلة، وأعظمها فضيلة الإسلام.

صحبة الأشرار ممن لا يحسن إلا التقاط الخبث في الوجود، ولا يرى إلا الغلط في المخالف= تورث سوء الظن حتى بإخوانه؛ وهكذا تنتهي الشرور بأن تأكل النار بعضها بعد ذلك، ولذلك تجد في التجمعات (الكلبية التي ينتشر فيها هذا السعار) تنتهي إلى تفرق جمعهم نفسه، وقتال بعضهم لبعض، ودمار ما بنوه من رفقة قامت على الغلط.

هذه ليست دعوة لترك بصيرة معرفة الخلق وحمل كل الناس على الخير، لكنها دعوة للعدل، وبقاء سلامة حواس العقل والنفس في تمييز الناس، ومعرفة خيرهم وشرهم، وصوابهم، تمدح لهم صوابهم إن فعلوه أو قالوه، وتذم شرهم، وكل ذلك بحب الخير للمسلمين، وسلامة صدر بالدعاء لهم.

والله ما من خيانة يفعلها امرؤ ما إلا ظنها في الخلق، وعممها على كل أحد، ولا يخرجه من هذا إلا بتعليم نفسه محبة الخير، وسلامة الصدر، والكلام الحسن في المسلمين؛ وإلا فالزاني وقد خبب امرأة على زوجها كيف يحسن الظن بزوجته! فهو إما على جناح قلق وتعب من هذا، وإما يموت عنده هذا المعنى مع بقاء الفساد في الناس فتقع منه الدياثة، و(**لا يدخل الجنة ديوث**)، نعوذ بالله من الفساد.

وهذا في كل معصية؛ إنْ أَكْثَرَ الغيبة ظن أن الكل يفعلها، وقذف بها كل أحد حتى أهله وإخوانه، وهكذا.

النفس تحتاج محطات التنظيف لتصفو من كدرها ووساختها، وذلك بالخلوة مع الله، والدعاء للمسلمين، حتى المخالف (**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**) والإحسان إليهم، وصحبة الصالحين، وقراءة سيرهم، لتعود النفوس لصحتها.

والله الهادي سواء السبيل.

كلمات على كلمة (٣٦):

للحسن البصري رحمه الله

[١٢ شباط ٢٠٢٠ – ١٨ جمادى الأخرى ١٤٤١]

نحن بحاجة للألم، فهو يقودنا للحزن، **والحسن البصري يقول: بيت لا حزن فيه خرب**، فإن لم تكن الآلام تكشف معادننا الداخلية من صبر وذكر وإنابة؛ فهي تشعرنا بضعفنا، وعجزنا، وإنسانيتنا التي نفقدها في خضم معامع الحياة.

كيف لنا أن نكاشف هذا العمق الإنساني الفطري العميق في شخص النبي صلى الله عليه وسلم لولا ألم وحزن حادثة الأفك، والتي وصلت إلى أعمق النفس البشرية في ضغطها وقسوتها؟!

كيف لنا أن نكتشف شجاعة الإنسان في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لولا تلك اللحظات البالغة في سطوتها في غزوة حنين، فولت الجموع مدبرة، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم وسط ذلك ينادي: (**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**)؟!

كيف لنا أن نشهد إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يواجه قريش بلا سند البيت بموت خديجة رضي الله عنها، وبلا سند المجتمع بموت عمه أبي طالب؟!

نحن بحاجة للألم، ليرينا مخبوءات أنفسنا، وبحاجة للحزن لا لذاته التي يستعاذ منها، ولكن لترق القلوب، وتستغفر وتؤوب إلى الله، فيهطل عليها نفحات الرحمة التي ترطب قسوتها.

كل ألم (**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم**)، فكم أغلقت الحيرة علينا بخطوطها في ملمات كثيرة، وانتصب سؤال كبير أمامنا: (لم؟) ثم لما انقشع الخطب علمنا حكمة الله، فاندرجت الحادثة ذكرى ننساها في غمرة جهلنا ونسياننا وغفلتنا.

نحن بحاجة للحزن، لأنه دواء مر، لكنه يفيد أمراضنا الخبيثة التي تخفى علينا.

بدون حزن يطول ضحكنا، ولهونا، وفرحنا الجهول، (**ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ**

تَمْرَحُونَ)، فتردتا الأحزان، لنقرأ القرآن، والذي لا يقرأ إلا به، لأنه بيئته.

الحزن يبكينا بكاءً صادقاً، وبكاءً حاراً، وهذا البكاء يلين القسوة ويذهب الغفلة.

يريدونها هُدَناً تميت الجهاد والصراع، ويريدونها انتصارات دائمة تفرح القلوب وتنسي الدعاء والإخبات، والله يريدها عبادة له، وأما النصر فهو فعله جل في علاه.

كلمة في حق كلمة (٣٧):

للطرشوشي رحمه الله

[١٣ شباط ٢٠٢٠ – ١٩ جمادى الأخرى ١٤٤١]

اشتهر عن المهلب بن أبي صفرة -كما في تاريخ دمشق وغيره- قوله للحجاج، وقد كتب إليه يستعجله في قتال الخوارج: **إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره.**

علق الطرطوشي في (سراج الملوك ص ٥٠١) على هذا القول بقوله: **والحاضر فيها (الحرب والمكيدة) أبصر من الغائب.**

الكتابة عن بعد مظنة الخطأ، مهما كان العقل واسع التصور والتفكير، وكم من مرات كثيرة تخيل المرء أموراً ثبت أنها مجرد احتمالات عقلية، والواقع خلافها؛ ولذلك على الذين يتكلمون في نوازل الحوادث القدرية أن يعاينوها ليحصل لهم التعليق عليها بحكمة وصواب، وإن عدم هذا سمِعها من أصحابها؛ فإذا اختلف الناقلون حقق ودقق، ووازن وراجع، ورد وقبل، كل ذلك بميزان العدل والنصفة، خاصة أن زماننا زمن الكذب والخديعة؛ فإذا اختلفت مشارب الناس أباحوا لأنفسهم سوء المقالة في المخالف، وجعلوا الوهم والتقدير خبراً جزموا به، فظلموا وأفسدوا بل وكذبوا.

ومن جرب تحقيق الأخبار والنقل فيها، تعجب ورأى العجائب، ولو جاز للمرء أن يتحدث عن ذلك بالحوادث لملأ كتباً في هذا، فلا يغرنك طول اللحية ولا الألقاب، فربما نقل لك جازماً ثم يتبين لك أنه كُذب عليه، فأقسم على صدق المقالة كأنه رآها.

عند البلاء يعرف الصادق من الكاذب، وحينها يتهرب الناس من التزاماتهم ومقولاتهم، وعند النصر فيصرخون: كنا معكم.

للأسف فالناس في بلاء وشدة، يدفعون بصدورهم الحديد، ويقاومون مقاومة الشهادة، وغيرهم منشغل بعَدّ

خطاياهم، وهي ولا شك كثيرة، لكن أعظمها قلة ذات اليد، وطول الطريق الذي أتعب بعضهم بل أكثرهم، واختلاف النفوس، ومما يؤسف أن يقال: فساد شيوخ وقادة وعمائم آثرت الهزيمة ووقوعها على أن ينسب النصر لغيرهم.

إذا وقع الشر فلن يكون هناك وقت لهزج المنافقين ليظهروا فرحهم، ذلك لأن البلاء بلاء أمة، ولكن ما زال هذا الدين منصوراً، وقريباً بإذن الله تعالى.

كلمة في حق كلمة (٣٨):
للإمام الشافعي رحمه الله

[٥ حزيران ٢٠٢٠ – ١٣ شوال ١٤٤١]

أخرج ابن عساكر من طريق المزني، قال البُويطي رحمه الله: قلت للشافعي: إنك تتعنّىٰ في تأليف الكتب وتصنيفها، والناس لا يلتفتون إلى كتبك، ولا إلى تصنيفك! فقال: يا بني، إن هذا هو الحق، والحقُّ لا يضيع.

أعظم خصال العلماء الكبار في هذه الأمة خصلتان، أولاهما استحضار النية بل النيات في كل عمل من أعمالهم، والثانية معرفة عوائد الوجود وأقداره وسننه؛ ومصدر هاتين الخصلتين عبادتان عظيمتان هما عبادة الذكر وعبادة الفكر، ولوجود هذا كانت حكمهم أعظم حكم البشر من غير الأنبياء، وكلماتهم عليها عنوان النور والهدى.

تأمل هذه الكلمة، فهي تخفي وراءها أمراً قدرياً لازماً لحياة العظماء، وهو خفاء أمرهم على أهل زمانهم، وقلة اعتناء الناس بالجواهر وهي بين أيديهم؛ فهذه الكلمة من البويطي رحمه الله: (**والناس لا يلتفتون إلى كتبك ولا إلى تصنيفك**)! فهل ترى الناس يصدقون بعده في قولهم: ليتنا عايشناه فلازمناه ملازمة الظل لصاحبه، ولجلسنا معه الليل والنهار، ولاستنزفناه استنزاف الأرض العطشى لقطر الماء، بل ربما بالغوا فقالوا: ولحملناه على الأكف فلا يمس الأرض، ولسجلنا حديثه كلمة كلمة! كل هذا يا صاحبي كلام، كلام وفقط؛ فالقليل من نوع ما تتمنى، وإلا فالأكثرون مجرد كلام، حتى إذا جاء الفعل كشفت الإرادات وبان زيفها.

هذا الشافعي العظيم مع أهل زمانه، وهو حال الكثيرين من العلماء يعرفها طلبة العلم، ومشهورة متداولة بينهم، فليسكت هؤلاء المشايخ الذين يبكون زمانهم بقلة الطلبة والباحثين والسائلين، فهذا طريق هذه صفته، وهذا وسمه، فليصبروا عليه، لتصح لهم النيات، وإلا فليبهرجوا للناس فيكثر الغوغاء حولهم.

لكن يدفع هذا معرفة العالم بسنن الطريق وعوائد سننه، ولذلك قال الشافعي: (**إن هذا هو الحق، والحق لا يضيع**)؛ فكلمات الحق ليست كتابة على سطح ماء، لكنها على صخور الزمن التي لا تذهب بهواء الأيام،

ولذلك وصف الربيع المرادي شيخه الشافعي بقوله: لم أرَ الشافعيَّ آكِلاً بنهار، ولا نائماً بليل؛ لاهتمامِه بالتصنيفِ.

وهذه كلمة نفعت النووي، وأثبتها في مقدمة المجموع، وقد اتخذها عنوان حياته، فبارك الله في علمه ومصنفاته، وبارك الله له في عمره.

العالم لا تغره اللحظة الراهنة، ولا يذوب فيها، بل هو ناظر لحجب الزمان من خلال سنن الوجود، وهو يعلم بقاء الحق ودوامه، وزوال الباطل مهما قوي وامتد.

والعالم لا يكتب ليرفع شأنه في زمانه، بل ليبقى ذكره في العالمين، كما طلب سيد الحنفاء ووالد الأنبياء (**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**).

انظر إلى بقاء اسم الشافعي بين عظماء هذه الأمة من علماء وصالحين: يقتبسون منه، ويترحمون عليه، ويبنون على فقهه، ويتقربون إلى الله بحبه، فبقي اسمه وسما وصفه، فرحمه الله من عالم قل من الزمان الجود به.

العالم لا يَمل، ولا ينقطع أمله، بل هو دائم الحضور، يلقي كلمته التي عاناها وخبرها، ورآها صواباً، يرجو من الله البركة فيها؛ وها أنا أقول لك سر آخر من أسرار بقاء كلمات هؤلاء الكبار، وهي أن تلك الكلمات ليس إلا حياة قلوبهم، ومعاناة أزمانهم، ودراساتهم التي استغرقت ليلهم ونهارهم، فهي قوية الغرس، صلبة الجذوع، وليست أحلام لحظات تأمل سريعة وخاطفة، فشتان بين كلمات كالجذوع العظيمة، وكلمات هي مجرد كلمات، لا جذور لها في حياة صاحبها ولا زمانه ولا معاناته ولا جهاده؛ فهذه كلمات وإن أعجبت صاحبها لكنها ستذهب، وأما كلمات العلماء فلها جذورها لأنها سقيت بماء الحياة وصلوات الليل، وسهر العلم، وصدق الطلب.

كان ما خرج منهم في كتبهم قليل مقابل ما في صدورهم، لأن هذه الصدور عمرت بالتقوى والهدى والصبر، ولذلك قال الشافعي: لولا أن يطولَ على الناسِ، لوضعتُ في كل مسألةٍ جزءَ حُجَجٍ وبيانٍ.

قال الزمخشري:

أأبيـــــــتُ ســــــــهران الـــــــدُّجى وتبيتـــــــهُ   نومـــــــاً وتبغـــــــي بعـــــــدَ ذاكَ لِحـــــــاقي

رحم الله السابقين وألحقنا بهم لحبنا لهم.

كلمة في حق كلمة (٣٩):

للشيخ الشريف حسن الكتاني حفظه الله

[١٤ تشرين الثاني ٢٠٢٠ – ٢٩ ربيع الأول ١٤٤٢]

"لا تعجبني كلمة الشعب المغربي والجزائري والتونسي والموريتاني والليبي، فكلهم شعب واحد".

أقول: ما نحتاجه وجوباً هذه الأيام تحليل تاريخ هذه الكيانات، من جهة التاريخ ومن جهة حكم الشرع، لنخرج من مجرد الشعارات التي تذوب أمام واقع هذه الكيانات الفاسدة، فينخرط بها الجموع حتى المشيخية والحزبية على درجات مختلفة، ويتم إقرارها من خلال تصرفات واضحة، وكأنها كيانات جائزة، لها ما يسوغها من جهة الشرع، أو التاريخ.

لقد صارت هذه الكيانات السياسية عاطفة في نفس المسلم في هذه البلاد، وذلك من خلال خيوطها السياسية المرسومة، وصار الحديث عن الكيان كأنه حديث عن المسلمين الموجودين في هذا الكيان، فيقع الغضب والنصرة والانحياز.

هذه كيانات باطلة، وفاسدة، ومفسدة لدين المسلم وتصوراته، وبالتالي أحكامه التي تتبع هذه التصورات فاسدة وباطلة، بل تنقض عقيدة المسلم.

التاريخ لا يعترف بهذه الكيانات السياسية، ولا بهذه الخطوط الاستعمارية بينهم، والشارع أبطلها أصلاً، ومنع التحالف على أساسها، مع أنه لا أساس لها، لا من جهة الإسلام ولا اللغة ولا القومية.

لقد بنيت هذه الكيانات غصباً، وحدت بالسيف والقتال، ثم صارت جزءاً من عاطفتنا وحواراتنا وأعمالنا الدينية، حتى افترقنا في الصيام على أسس هذه الكيانات السياسية.

في حربنا ضد الجاهلية يبرز هذا المجال الخطير، والذي صنع على عين الكافر من وجوه متعددة، منها الدولة نفسها التي بنيت أوروبياً ثم أخذناها شكلاً وموضوعاً؛ فهذا الشكل من الدولة لا يمت لتاريخنا ولا ديننا، ولا

أصولنا القومية التي يتشدق بها أولياء أمور هذه الكيانات، بل هي نازلة علينا بالدم والدمار وصناعة دين جديد وتفرق يريده الأوروبي المستحمر لنا.

ما قاله الشيخ حفظه الله لا يكفيه أن نقول لا يعجبنا، بل هو عدونا نكرهه ونبغضه ونعاديه ونقاتله، لأنه ناقض لأصل قرآني واضح (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وأن أصل الولاء على الإيمان والإسلام، وهو شيء يعرفه كل مسلم؛ لكن لنعترف أن جماعات العمل الإسلامي وجمع كبير من المشايخ دخلوا في جوف الشيطان، وصاروا أتباع لهذه اللغة الفاسدة، وذلك بتقريراتهم أنهم يتعاملون مع الحياة من خلال هذه الكيانات الوهمية، والتي لا قرار لها.

ولهذا فحيز كبير من معركتنا الوقوف أمام هجمات تفتيت الأمة على أساس هذه الكيانات الإبليسية.

لقد بنيت هذه الكيانات السياسية على مصطلحات صحيحة، لكن مسمياتها لا تمت لمسمياتها المعاصرة والمستخدمة؛ فهناك الجزائر، وهناك تونس، وهناك مصر وهناك موريتانيا وبلاد شنقيط، وهناك الأردن وهناك فلسطين، وهناك السودان، وهناك اليمن... كل هذا موجود في عرف خطاب المسلم في التاريخ، ولكن مفهومها لا يمت بصلة لهذا المفهوم المستخدم في أيامنا، لا من جهة الجغرافيا إن احتكمنا إليها، ولا من جهة التفرق المذموم لمفهوم الأمة الواحدة، ولا من جهة صناعة الكيان السياسي الذي جاء به المستعمر.

لقد بنى الكفر هذه الكيانات، ولجهل الأمة انخرطت فيها، وتعاملت معها حتى صارت ديناً يتبع، وعواطف تحكم، فوقع الشر العظيم؛ ولذلك نحتاج لزمن طويل حتى نزيل هذه الآثار، ولن نفلح أو ننتصر في هذه المعركة والكيانات قائمة كما هي، بل بذهابها وزوالها.

والله الموفق.

كلمة في حق كلمة (٤٠):

لسفيان الثوري رحمه الله

[٩ كانون الثاني ٢٠٢١ – ٢٦ جمادى الأولى ١٤٤٢]

قال الدارمي: قال بشر بن الحكم: سمعت سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: ما ازداد عبد علماً، فازداد في الدنيا رغبةً، إلا ازداد عن الله بعداً. (السنن، المقدمة ٤٠٧).

هذه كلمة واضحة في معناها القريب، ولكنها في جوهرها دالة على معنى العلم الحقيقي ومصدره؛ فإنها بمعناها القريب تدل أن العالم الراسخ هو من زهد في الدنيا، وذلك لمعرفته معيار الأشياء والمعاني في الوجود؛ فحين يأتي العلم الحقيقي تفضل الآخرة في عينيه، ويصبح همه إرضاء الله لنيل الجنة والسعادة عند الله في الآخرة، والصراع بين ضرتين يوجب انتصار أحدهما، فإن انتصرت الآخرة في قلب العبد خسرت الدنيا مقامها فيه، فهانت وخنست، وازداد العبد عملاً لربه ولآخرته، وهذا تحقيقه بالعلم؛ فهو النور الكاشف لكل حقائق الوجود، وكلما ازدادت حزم النور في قلبه أدرك الأشياء على حقيقتها، وما ضل الناس إلا بقلة العلم، ولذلك يبغض الفاسدون العلم، ويبغضه أهل الدنيا؛ لأنه يكشف حقيقتهم، وأنهم لا شيء، وأن ما معهم مصيره المزبلة، زاد أو نقص.

فأصل العلم يعطيك قيمة العلم، وقيمة العمل به، وقيمة ما يصير الناس من مصائر، فإن لم يعطك هذا كان وبالاً عليك، وكان حجة الله عليك، فهنت عنده، وابتعدت عنه وعن طاعته؛ فأصل الدين تحقيق قيم المعاني على الأشياء، فمعنى الإيمان أعظم المعاني، ومثله الصلاة والذكر والصدقة والحج، وهذه يبذل لها البدن والمال والوقت، فإن لم يحصل العلم هذه المعاني ابتعد عن الله، وكان الشر والفساد.

فهذا معنى ظاهر من كلام الحكيم الزاهد الورع سفيان الثوري رحمه الله تعالى.

وأما جوهر الكلام فهو بيان مصدر العلم، وما هو العلم؛ فأما إن كان مصدر العلم هو الكتاب والسنة، فهو آخذ به على وجهه الصحيح، وآخذ به بالكلية على ما قاله القرآن والسنة؛ فتأمل قوله تعالى: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ**

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) إذ يجمع لك ما وجب عليك من العلم والخشية، فلا يصح أخذ أحدهما دون الآخر، فهو ميل واحد، وكل بعضه من بعضه.

وتأمل آخذ العلم من القرآن ما يقرأ في كتاب الله: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فهل تراه وهو يأخذ علمه من القرآن يعرض عن هذا المعنى العجيب؟!.

ثم تأمل ما ضرب الله من مثل لمن أعطي العلم فاتبع هواه (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث).

فالعلم إن أخذ من مصدره، تم إصلاح النفس فيه مع إصلاح العقل؛ ولكن مشكلتنا اليوم وفي كل يوم هو مصدر التلقي، وغياب علم القرآن عن مسمى العلوم، حتى ما كان من الفقه بله العقيدة؛ فإن لم يمزج العلم بهدي القرآن كان الكثير من الفساد، وكان العلم سلعة ككل السلع التي يتاجر بها الناس، ووظيفة يسترزق بها كما يسترزق بالأدوات والأشياء، وهذا من أسس شر الشيوخ والفقهاء والعلماء.

يقول تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)، فهل ترى عبداً يحافظ على الصلاة على وجهها من الطهر والخشوع والمراقبة، ثم هو يكثر منها نوافل وسنن ورواتب، وقيام الليل والضحى، ثم يصر على معصية زلت بها نفسه؟!.

وهكذا العلم: وأنت تتأمل أهل الحديث من سلفنا، وأهل الفقه، وأهل التفسير= فتراهم أورع الناس، وأتقى الناس، وأزهد الناس، والعلم يحجبهم عن شهواتهم في الطلب، ثم هم يأنفون أن يذلوه ويبذلوه خسيساً لأهل الدنيا والمناصب بعد أخذه وتحصيله؛ فهم حفاظ لهذا العلم يصونه بمقام الزهد والعمل به للآخرة.

ولو أن أهل العلم في زماننا صانوه بمقام الزهد، لذلت لهم نفوس الخلق طاعة وحباً واحتراماً ومتابعة لنصحهم وإرشادهم.

وفي جوهر كلام الثوري رحمه الله هذه الكلمة الحكيمة: ازداد عن الله بعداً.

فما هو حال من أبعد عن الله، وهل هو إلا كما وصف بالآيتين المتقدمتين: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ...) و(كَمَثَلِ الْكَلْبِ...)؟ وهل هناك أخس من هذين الوصفين في مقام الخلائق، فهو مكرس لغيره خدمة وعنتاً، يعطى بعض البرسيم فينهق، وطول يومه دويبة تحمل لغيرها، كحال من يمسح أوساخ المجرمين، ويزين لهم عذرتهم وسلحهم؟!

نعوذ بالله من مثل السوء.

والوصف الآخر كالكلب، ينبح لحساب صاحبه، ويهز ذنبه لعظمة تلقى له، يلهث في طلب الدنيا، ولا يشبع ولا يرتوي منها، فهو يسابق غيره في ميدانها.

فهذا هو حق من أبعده الله (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ)، ولذلك فأس الخلق عند العقلاء هم من حصلوا العلم ثم لم يصونوه بالزهد، وترك أبواب أهل الدنيا، وجلسوا على سكك الطريق يحسنون فعال أهل الباطل.

كفى بإبعادهم عن الله عقوبة.

اللهم رحمتك وعفوك.

ثالثًا وأخيرًا:

المقدمات للكتب والمقالات

أبو قتادة الفلسطيني

(عمر بن محمود أبو عمر)

-حفظه الله ورعاه-

طليعة الرد على كتاب الجامع: استدراكات الشيخ عمر محمود أبي قتادة

جمع وإعداد: أبي محمود الفلسطيني

[٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٤ – ٤ صفر ١٤٣٦]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

لقد عرض علي أخي وابني الشيخ إسماعيل كلّم (أبو محمود الفلسطيني) بحثاً جمع فيه ما قلته كتابة في حق كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف"، وقد طلب مني أن أوافيه بجميع ما جمعته من اعتراضات عليه.

والكتاب يستحق الاعتناء؛ لانتشاره بين طوائف من الشباب والباحثين.

وقد استخدم فيه صاحبه أسلوب الاعتراض على كثير من أبحاث واختيارات أهل العلم الموثوقين، وبطريقة غير مهدية؛ إذ يحمل كلامهم على أسوأ ما يحتمل ثم يبدأ بالهجوم والثلب.

ثم يكون العجب بعد ذلك حين تمر من تحت نظره أقوال فيها البدعة الصريحة في مسألة القرآن أو الأسماء والصفات، فلا يعرض لها بشيء؛ لعدم معرفته بهذا الباب من العلوم.

ثم إن ظنونه أنه قيّم على باب الإيمان، حيث فهم ما لم يفهمه سابق، جعله يطعن بقول كل قائل فيه. وهذا وجه من وجوه التعالم كما يعرف ذلك المنصفون.

وقد كنت قد تفرغت زمناً لجمع ما يبين أخطاءه، إلا أن الحوادث داهمت وضاع ما جمعته، ولعلي أجده أو لا أجده.

ولكني كنت قد عرَّضت ببعض أبحاثه في مقالات متفرقة، وهو ما جمعه الحبيب الشيخ إسماعيل.

ولما كانت مكتبتي غير جاهزة وما زالت في المخزن، ثم إني حديث عهد بواقع جديد يشغلني بأمور، فإني أرى أني في الزمن المنظور أبعد من أجيب الشيخ إسماعيل إلى طلبه باستيفاء البحث.

ولما اطلعت على ما جمع، فإني رأيته على وجه الطليعة لما أحب من استيفاء البحث، فسألته سؤال المحب أن

يقتصر على هذه الطليعة الآن حتى يقضي الله أمراً آخر، إن شاء الله، فيه التمام ما استطعت.

والشيخ إسماعيل أحيى لدي الأمل أن هناك من يقرأ ويعي؛ فقد كنت أشعر حيناً أن ما أكتبه هو مجرد صراخ في البرية، لِمَا يزعمه بعض الناس أن في كلامي صعوبةً.

وهذا زمن عجيب؛ قلَّ فيه العلم، وصُوِّحَتْ دياره، إلا من بقايا، أرجو من الله أن يجعل الشيخ إسماعيل منهم.

ولقد رأى الناس كيف الحال حين تسوَّد الجهلة، وما هي العاقبة؛ فإنه لا صلاح للأمة إلا بقيادة العلماء.

وطائفة الجهاد أولى الناس بالعلم؛ لأن طريقهم طريقة الدماء، وهي أول ما يُسأل الناس عنه يوم القيامة، وحين يحمل المرء البندقية بجهل فإنها تضر أكثر مما تنفع.

ثم إن من أعظم ما يضر هذا الطريق هو الغلو في الأحكام والأسماء، وكتاب "الجامع" يحقق هذا المعنى.

ولقد رأينا صاحبه في آخر الأمر كيف أصابه سعار التكفير حتى كفّر عموم أهل مصر ولم يرفَّ له جفن، وطعن في أهل الجهاد طعناً لم يقله أشد الخصوم لهم. ومن علم سيرته جزم أن سبب هذا السعار هو الحقد وسوء الطوية.

والرجل من جهة نفسية: متعالم حاقد؛ والتنبه على هذا الأمر ليعلم كيف تنزل الأحكام عنده، فإن المرء يفترق عن الآخر مع اتفاق القول بإجراء الأحكام والأسماء؛ فقد يقول المرء بقول الحق، فإن أنزله على الوقائع والنوازل تبين للناظر أن الرجل من أهل الفساد. وواقع صاحب "الجامع" من هؤلاء، مع ما يقول من الغلط الكثير.

وعلى كل حال: فهذه طليعة تدل عما بعدها إن وفق الله تعالى.

وجزى الله الشيخ الحبيب إسماعيل خير الجزاء على تتبعه البصير لهذه المتفرقات، مما يدل أن له عيناً بصيرة وأذناً واعية، هذا ما أحسبه والله حسيبه.

كتبتها والنفس مشغولة، فأرجو العفوَ عن التقصير.

والحمد لله رب العالمين

العلامات الفارقة في كشف دين المارقة

للدكتور مظهر الويس

[٣١ آذار ٢٠١٥ – ١١ جمادى الأخرى ١٤٣٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أطلعني الشيخ الدكتور مظهر الويس على كتابه المعنون بـ"العلامات الفارقة في كشف دين المارقة"، يبين فيه ضلال فرقة جماعة الدولة التي يقودها المسمى أبو بكر البغدادي، وقدِ استقصى الشيخ فيه صور هذه الجماعة وواقعها؛ ليحصل لقارئ كتابه العلم بأن ما هم عليه هو دين إخوانهم ممن سبقوهم في الضلال، أي الخوارج.

وقد حصل لكتابه مزيتان:

أولاهما: قرب الشيخ من الحدث المعاصر؛ حيث شهد أمرهم لوجوده في أرض الجهاد في سوريا الشام، كذلك حصل له الكثير من مظان النظر في المتقدمين. والناس حين يغلطون إنما ينشأ غلطهم في هذين البابين أو في أحدهما، وقد عوفي الشيخ –بحمد الله– منهما.

والشيخ على ما رأى وعايش جرم هده الطائفة الضالة؛ إلا أن كتابه خلا من نبرة الصراخ واقتصر على الجانب العلمي في الباب. وقد أحسن في هذا؛ إذ يستطيع قارئ هذا الكتاب أن يخرج بحكم صحيح فيهم، دون أن تنازعه نفسه أن الكاتب يريد أن يسرق عقله وفكره.

وهذا أحسن ما في الكتاب، مع ما فيه من جوانب حسن أخرى، أهمها:

– محاولة استقصاءٍ لجوانب البحث علمياً وعملياً، مع مناقشة للمعارض بأدب لا تجاوز عنه، مع في الواقع من صخب عنيف حول هذا الباب، وخاصة هذا الصراخ الصادر من أتباع هذه الجماعة الضالة؛ إذ قلّما تخلو لهم

كلمة دون سباب وقلة دين.

– محاولة الكاتب إخراج نفسه ورأيه من هذا الأمر, وإعادته لأهل العلم في كل كلمة قيلت. وهذا الغالب على هذا الكتاب؛ إذ فيه النقولات الكثيرة، ولعل الشيخ يعلم حال الناس اليوم، وإن النظر إلى الكاتب يسبق النظر إلى المكتوب، فأحال لأهل العلم ليحصل القبول والرضا لمن أنصف.

– العدل في القول. فعلى الرغم من أن جماعة الضلال هذه تكفر مخالفيها، وتستحل دماءهم، إلا أن الدكتور لم يعاملهم إلا بالسنة؛ إذ ذكر في حكمهم أقوال أهل العلم، ولم يجز قتالهم حتى يصولوا، وهذا إنصاف ودين منه، قد يوافق وقد يخالف لكن لا يمكن حمل كلامه على غير الإنصاف, هذا مع أن أكثر المتعاطفين معهم –فيما أراه– إنما سببه عدم معرفة حقيقة هذا الجرم الكبير؛ الذي عليه هذه الجماعة، وخاصة من خارج الأرض, والبعيدين عنهم.

وختامًا:

الكتاب عمل جيد، وفيه إعذار إلى الله تعالى أن صاحبه قد نصح للأمة، وأقام لهم معالم الهدى في قوم هم البهت والكذب والضلال, وهذا كافٍ للحكم عليه، ولا يطلب من البشر التشابه ولا التطابق، لكن يقبل منهم عموم الدخول في الحق، وإن اختلفوا في بعضها مما لا يفسد الحب وأصول العلم.

جزاكم الله خير الجزاء شيخ مظهر الويس، ووفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى, وأسأل الله تعالى أن يذب عني وعنك النار يوم القيامة؛ للذب عن دينه وسنة حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. آمين آمين.

والحمد لله رب العالمين

المؤامرة الكبرى على الجهاد في الجزائر: ندوة روما في ظلال صليب الفاتيكان

للأستاذ أبي مصعب السوري، فك الله أسره

[تاريخ نشر الكتاب: ٢٨ حزيران ٢٠١٥ – ١٢ رمضان ١٤٣٦]

بسم الله

ربِّ أعنْ على نيل رضاك

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الحركة الجهادية السلفية قد دخلت في منطقة التأثير على الأحداث، وصار وجودها علماً واضحاً في حياة المسلمين وأفكارهم، ولم تعد مجرد صفوة تحمل همومها لوحدها، بل إن الناظر ببصره يجد أنها تكتسب كل يوم وكل لحظة أهدافاً جديدة، ومواقع متقدمة في حلقة الصراع مع الشرك والكفر بكل صوره، وعلى جميع الساحات الجغرافية، في داخل الإطار المسلم وفي خارجه.

وهذا كله راجع –بفضل الله تعالى– إلى قوة حجة هذه الحركة، وسلامة موقفها، واتباعها الحق الصافي والخالي من إرث الأفكار الدخيلة الباطلة.

ولو أردنا أن نستطلع المحطات التي حصل فيها تقوية لهذه الحركة، لرأينا أن كتاب الأخ عمر عبد الحكيم المعنون باسم "الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا" هو إحدى هذه المحطات البارزة والمهمة جداً؛ ففيه تم كشف الوصوليين والنفعيين في تلك الحركة المباركة –أعني الجهاد في سوريا الشام–، وهو كتاب لم يسبق على هذا النفس وهذه الروح، ولأول مرة يتم توثيق حدث من أحداث الجهاد المبارك، ومن خلال هذا التوثيق عرفت حقائق تلك المرحلة حتى لا تضيع بين طيات خطب الحماسة الذاهبة، ومن خلال هذا التوثيق عرفت حقائق تلك المرحلة، ومن ثنايا ملفات القادة الفارين المتلاعبين بدماء الشباب المسلم.

وللذكر: فإن الكتاب فيه الدعوة الصريحة الواضحة ليقوم أهل كل بلد بنشر الحقائق كما فعل الأخ عمر عبد الحكيم؛ إذ بهذه الحقائق يبصر الشباب طريق الخلاص والنجاح.

وعلى ضوء هذا الواقع؛ كان ينبغي على هذه الحركة أن تبقى حاضرة بوجودها في عالم الإعلام، لأنها إحدى ساحات الجهاد الرئيسية مع الجاهلية، ثم الواجب عليها أن تواكب الأحداث المتعلقة بالمسيرة الجهادية لتعالجها على ضوء القواعد والأصول السلفية.

في الكتاب الأول عاين المؤلف النتائج المذهلة للتحالف الذي قام به الإخوان المسلمون مع الأحزاب والتنظيمات الكافرة المرتدة، ورأى بأم عينيه كيف كان منعطف التحالف مرحلة من مراحل إجهاض الحركة الجهادية والقضاء عليها.

المؤلف خبر هذه التجربة، وأدرك أبعادها كما هي، من غير أن تغره أو تفسده شبه المتحالفين المخزية.

هذه المعاينة عن قرب جعلته من أكثر الناس دعوة وتبليغاً في تنقية التصورات الإسلامية من أن تقترب أو تلامس أدعياء العمل الإسلامي بله الكافرين والمرتدين، فقد صارت هذه الحساسية من التحالفات أو التنازلات سمة من سمات الأخ عمر عبد الحكيم.

وبلغت به هذه الحساسية أن نصح أحد قادة الجهاد في العالم الإسلامي، وقد رآه يبذل جهوداً ومحاولات من أجل إقناع الإخوان المسلمين بالدخول معه في عمل جهادي ضد حلقة من حلقات الردة.. أقول: إن حساسيته بلغت به أن يقول لهذا القائد: اعلم يا أخي، لو قدرت أن تدفع الملايين لتقنع الإخوان المسلمين بعدم الدخول معك في حلف أو الانضمام إلى صفوف المجاهدين فافعل!! وكان تفسيره لذلك هو أنه لا يمكن لطائفة الحق والجهاد أن تصل إلى أهدافها التي تسعى لها إلا بتنقية صفوفها من كل المبتدعة علاوة على الكفرة والمشركين.

هذا البحث الذي بين يديك –أخي المسلم– هو من هذه المشكاة النيرة، مشكاة الهلع والخوف من الوقوع في شرَك الشيطان وجنده، وذلك بالتحالفات الوطنية (الوثنية) اللعينة.

هذا الكتاب صرخة، وعمر عبد الحكيم يصرخ؛ لأنه عندما يتكلم عن الجهاد فإنه لا يتكلم بعقله الثاقب فقط،

بل هو يعبر عن مشاعره من مشكاة عقله.

وصرخة هذا الكتاب رسالة إلى حركة مباركة، رعتها يد الله وعنايته، أتت إلينا من رحم الغيب، ليس لأحد من الخلق منّة أو فضل عليها، بل هي منّة من الله تعالى وفضله وحده، هذه الحركة المباركة هي حركة الجهاد في الجزائر بقيادة الراية المبصرة الوحيدة هناك: الجماعة الإسلامية المسلحة.

فعندما رأى عمر عبد الحكيم الخيوط تحبك من أجل تحالف جديد، وسمه إن شئت إجهاضاً جديداً، صرخ عمر عبد الحكيم، فكانت صرخته الأولى من خلال الأشرطة التي سماها: صرخة حق من أجل الجهاد المبارك في الجزائر.

ثم كانت هذه الصرخة الثانية.

لقد أخذ الجهاد المبارك على أرض الجزائر بعداً جديداً، وتقدم إلى طرح لم يسبق فيه، وهو اتساع رقعة الحركة؛ إذ صار الجهاد هناك هماً شعبياً يحمل الزخم بالتفاف قطاعات شعبية معه، تشارك بإيجابية رائعة.

وقد كان غياب هذه الصورة هي إحدى معوقات الحركة الجهادية.

ثم كان من مميزات هذه الحركة المباركة: صفاء الصف –وعلى الخصوص القيادة– من وجود الحلفاء المبتدعة، ومن الميوعة في الطرح مع العلمانيين والديمقراطيين والقوميين وغيرهم.

وهذا النوع من الصورة والموضوع هو لا شك فيه الكثير من عوامل النجاح والفوز؛ لأنه يملك الكثير من التقوى –إن شاء الله تعالى–، وهي مقدمة النجاح وحصول المبشرات.

إن صفاء الحركة من التحالفات المشبوهة يجعل الحركة الجهادية حركة دعوة وتبليغ قبل أن تكون حركة سلاح وقتال، ولأننا لا نريد أن نحكم بمقدار أن نبلغ الدعوة وننشر التوحيد والشريعة، فحركتنا لها أهداف نبيلة شريعة لا يجوز لنا أن نطمسها أو نشينها بالقاذورات من المرتدين والمبتدعة.

سيكون هذا الكتاب كما أراده صاحبه؛ إقامة للحجة على من تميع في موقفه، وكذلك على من وضع رأسه في التراب هروباً من الحق والصواب، وهو إقامة للحجة على من دس إصبعه في جحر جهل ما فيه، وحتى لا يذهب

هذا الجاهل بعيداً في غيه وضلاله.

ولأنّنا تعودنا أن نبتعد عن الحقيقة، أو أن نحاول طمسها بحجج واهية غريبة، فسيقول بعضهم: إن الكاتب قد غلّظ العبارة، وهي مانع من قبول الناس لها!!. ولكننا نقول: إن هذه العبارة القاسية الشديدة هي عبارات لينة إذا قورنت بأفعال هؤلاء القوم أو إذا وزنت مقابل صنائعهم المخزية.

الكاتب -وهو على حق- لا يعتقد أن هؤلاء المبتدعة الضلال، أصحاب الأحلاف مع المرتدين، فيهم من الخير ما يجعلهم يؤوبون إلى رشدهم؛ لأن السلف علمونا أن أهل الأهواء والبدع لا توبة لهم، وإنما هذا البحث وأمثاله هي لمن توقف في المنطقة الرمادية: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لعلها تهديه وترشده، وهي كذلك للشباب المجاهد، ليتجذر الحق لديهم، ويزدادوا بصيرة بجهادهم وطريقتهم.

وإذا أردنا أن نشكر أحداً على وضوح هذه الحقائق، فإننا نشكر الله تعالى وحده؛ الذي أقام لنا الجهاد ليكشف لنا ضلال أهل البدع بأقلام أهل الحق، فنرجو الله جل في علاه أن يجعل أخانا عمر من هذه الأقلام.

مسألة المتغلب.. نازلة (داعش)

للشيخ أبي الحسن الكويتي، علي العرجاني

[١٤ تموز ٢٠١٥ – ٢٨ رمضان ١٤٣٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد ابتليت الأمة المسلمة خلال سعيها لتحقيق نصر الله تعالى، وهي على اجتماعها في هذا السبيل، بمن طمس الله على قلبه، وزاوج الشيطان في أمره؛ بأن وجّه حراب قتاله لهذه الطائفة المجاهدة.

وحيث عُلم أنه لا سبيل لهدم الدين إلا باسم الدين نفسه؛ فلم يكن لهم أن يحدثوا شرخ الفساد في طوائف الجهاد إلا بهذه البدعة الحرورية السيئة، بالدعوة إلى الخلافة؛ إذ ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. فكلمة الخلافة كلمة جميلة جليلة، لكنها مركبة على ذئاب، ليس لهم إلا توجيه حرابهم ضد المجاهدين، وقد نجحوا نجاحاً جزئياً كعادة أهل الضلال والبدع في كل وقت؛ إذ النفوس تميل للشر، فصاحب الهوى له شهوته، وصاحب الدين له بدعته، إذ بذر الشيطان على طريق كل أحد ما يفتنه، سواء كان سالكاً سبيل الدين، أو سبيل المال، أو سبيل الشهوة.

وقد كاد الشيطان في طائفة الضلال الحرورية، التي سمت نفسها بالخلافة، تحت حكم ضال جاهل صاحب هوىً هو البغدادي، مع ما معه من صبيان الجهل ومحبي سفك الدم الحرام، بل أعظم دماء عند الله تعالى وهي دماء المجاهدين في سبيل الله؛ حيث كفّروهم وحكموا بردتهم في أحكام هي سبيل أسلافهم من أهل الغلو من الخوارج، بل هؤلاء زادوا في الطُّنبور نغمة حين كفّروا وضلّلوا بالطاعات؛ فقتلوا الناس في المساجد كما فعلت القرامطة، وكانوا في عدْوة أعداء الإسلام والناس قد فرغوا لجهاد الزنادقة والمرتدين.

وقد استطاع الشيطان جرّ الصغار الأغمار، ممن لا يعرف من الدين إلا صورة الهوى في نفسه بالقتل والذبح لأي أحد، وهي صورة الذئاب والكلاب المسعورة، لا صورة الدعاة والمجاهدين المهديين، فقد خرجوا على أمة الإسلام بالسيف، يقتلون العلماء والدعاة، والمساكين، وأهل المساجد.

وهذه الطائفة الضالة المجرمة لم يبقَ فيهم إلا مسعور جاهل، وإن كان أمرهم في الابتداء قد خفي على بعض الناس لقلة معرفته بهم، أو لعدم فهمه لتطور أهل البدع وتغيرهم وتبدل دينهم، إلا أن الحال اليوم مختلف عند طالب الحق والهدى والدين؛ فقد قالوا من المقالات ما تبرؤوا منه في الابتداء وباهلوا عليه أنه ليس من دينهم، ولكنه صار اليوم من أسس دينهم الذي به يستحلون دماء المخالفين، وحقّ عليهم ما قاله رافضي عن مذهبه: ما كان غلواً عند أئمتنا صار من ضروريات مذهبنا، وهكذا حال هذه الطائفة اليوم.

ولم يحتجِ الأمر إلى موت الجيل الأول فيهم لتظهر مشاكلتهم لأهل البدع في تطور مذهبهم، بل ظهر هذا التطور الفاسد في الرجل نفسه؛ وهذا عند من يعرف العلم، ويعرف أهل البدع الضالين وسماتهم= كافٍ في البراءة منهم ومخالفتهم. لكننا بحق نحن نرى في القوم قادة لهم هم من الخبث ما الله به عليم، مع اتفاق العقلاء على هؤلاء القادة أنهم أهل خبث وسوء وشيطنة تقدير وإدارة.

ويجري وراءهم همج رعاع، وصبية شر، هم فرَاش النار، خرجوا من حدود الدين والصلاح والتقوى إلى صورة المجرمين القتلة وعصابات الشر والقتل والفساد، يصبح أحدهم لا يشتهي إلا سماع الألم ورؤية الدم.. وهذا يشهد به رجالهم والمقدمون فيهم، فنعوذ بالله من الضلال والخذلان وطمس القلوب.

كل هذا فيه الكفاية لطالب الحق، ولمن عنده مسْكة علم أو عقل أو تقوى، لكن ماذا نصنع مع من فقد العلم والعقل والتقوى؟!!

فإنا لله وإنا إليه راجعون كم جرّ هؤلاء على المجاهدين والمسلمين والمصلين والعباد من شر وفساد.

أخونا أبو الحسن حفظه الله يلاحق هذه الطائفة الضالة الفاسدة من كل جوانبها، ليس فقط في أصول بدعهم العقدية ولكن العملية كذلك.

وهم حين زعموا أنهم أقاموا خلافة على منهاج النبوة، كذّبهم الله تعالى؛ إذ منهاج النبوة شامل لأمور وحقائق هم أبعد الناس عنها. والذهاب إلى دلائل هذه المخالفة ضروري؛ لتقوم الحجة على الخلق، وخاصة أتباعهم من

بهائم البشر، ممن لا فقه لديهم ولا علم.

فيتنزل الباحث لهؤلاء ليبصّرهم بحالهم مع خلافة الصحابة الراشدة؛ حيث أُقيمت على الرضا والتوافق والحب بين أهل المجتمع المسلم الواحد، لا على طريقة عصابات المافيا والإجرام، إذ يجتمع قادة السر المخفيين، لا يعرف إلا أرقامهم فيقولون أقوالهم، وما على البهائم من الأتباع إلا الطاعة، ومن خالف فله القتل والاستئصال. فها هم يقتلون أهل الإسلام في كل نادٍ، ويغتالون المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم في كل موطن، ثم لا يكون مصير قتلهم إلا على يد شباب ما خرجت منهم روائح الفساد بعد التي عاشوها في الجاهلية.

إنها حجج الله التي تتوالى ضد هذه الفرقة الخبيثة، فجزى الله من أعان على كشفها ولو بكلمة، فلعل هذه الكلمة تهدي ضالاً أو تثبت شاكاً في حالهم؛ وبهذا أقول: جزى الله الأخ أبا الحسن خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين

[١٧ تموز ٢٠١٥ – ١ شوال ١٤٣٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البشر وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فللناس أسرار مع الله؛ تعجب للقليل كيف يبارك الله فيه فيجعله عظيماً، وكيف يكون الشيء في عين الناس عظيماً فيؤول إلى الانتهاء والغياب وكأنه لا شيء. وهذا كله عند كل مسلم مرتبط بعالم الغيب، وجريان البركة في الشيء أو غيابها؛ فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام يؤذن للناس حيث لا ناس، فيبارك الله له حتى يسمع أذانه جموع من البشرية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

وهذا هو عين ما قاله العلماء في بقاء ما كتبه بعضهم؛ حيث بارك الله فيها بسبب الإخلاص وسر المعاملة مع الله تعالى، فهذا "موطأ مالك" رحمه الله، وهذه كتب النووي حيث النظر فيها واعتناء أهل العلم بها، ثم ما علمه الناس من محاربة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ثم انتشارها وإعادة تأثيرها في العقل والوعي الإسلاميين.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً.

وعلة ذلك أن القرآن يقول: (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**)، ويقول الله تعالى: (**قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**).

فهذه قواعد سننية في البقاء والتأثير، وذلك لارتباط عالم الغيب بعالم الشهادة؛ فسر البقاء هو إخلاص العمل لله لأنه هو الصالح، وبذهابه يقول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**).

والذكر الطيب في الآخرين من سؤال الصالحين، كما قال إبراهيم عليه السلام: (**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**).

وإن لأفضل ما يورثه المرء ما ورثه الأنبياء عليهم السلام، ألا وهو العلم؛ فإنهم كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (**إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**).

وها أنا اليوم أقدم لأخي الراحل شهيداً إلى ربه، الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، بعض إرثه الذي ورثه من مشكاة النبوة للناس؛ لينتفعوا به زاداً في الطريق، ومعيناً على الحق، وهادياً في الظلم، ومخرجاً من مضلات الفتن؛ ذلك لأن الشيخ من قماشة العلماء الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى، وكذلك هو ممن هاجر في سبيل العلم واطلع على أحوال الناس، ورأى الكثير من القضايا شاهد عيان عليها؛ فاكتسب فهم الشرع وحكمة الوجود، مع أنه لم يعمر طويلاً كشأن الآخرين.. إذ مضى لربه شهيداً جراء قصف الطائرات الأمريكية بغير طيار له وهو مرابط في سبيل الله تعالى.

والشيخ وإن لم يظهر طويلاً في ميدان الدعوة العلنية إلا إن أثره اليوم على شباب الجهاد عظيم الوجود؛ فأنت لا تكاد تجد موضوعاً يطرح بين يدي المجاهدين إلا وتجد للشيخ فيه رأياً حميداً بإذن الله تعالى؛ فقد تكلم في معضلات مسائل الحياة، وخاصة حياة الجهاد في سبيل الله تعالى.

والشيخ قد جالسته جلسات وهو شاب، يبحث ويسأل ويتقفر مسائل العلم، وما زلت ذاكراً لبعض أسئلته في الإجماع وأنواعه، والقياس وتطبيقاته، ثم جلس لي مجالس في دورات شرعية لم تطل أكثر من شهرين؛ إذ قد شد الرحال إلى موريتانيا ليطلب العلم ويفرغ له، ثم كان ما كان من رحلاته الجهادية والتعليمية؛ حيث حطت به ركائبه في موطن للجهاد كان له فيها الشهادة بفضل الله ورحمته.

والشيخ عدل في ما يقول، صادق في ما يخبر، يتحرى الحق ما وسعه، وينصف الخصوم قبل المحبين، كما أن كل من يسمع كلامه في المعضلات يراه عف اللسان، وهكذا كان في الحضور إن تكلم، مع أدب جمّ عظيم، وهو ينقد إذ ينقد بميزان العدل والحب والتقدير.

اليوم بعد استشهاده بزمن يشعر الكثيرون بضرورة نشر تراثه لحاجة الأمة إليه، وكأنه حاضر بين الناس؛ لأن الناس هم الناس في كل وقت وحال، وقضايا الجهاد قديماً وحديثاً هي كذلك، تتكرر بصور جديدة تعود في عللها إلى حقيقة واحدة.

أن ينشط الشباب والمحبون إلى نشر تراثه اليوم، ويهتمون لكلماته= دلّ هذا عندي -وأستغفر الله تعالى- أن الله يريد إجراء سيل الخير والحسنات إلى قبره؛ ليزداد نوراً فوق نور بإذن الله تعالى، والله ولي هذا وهو أهله والقادر عليه، فمن أولى الناس من المجاهد في هذا السبيل؟

اللهم ارحم أخانا، وأجر له أجره إلى يوم الدين، وألحقنا به على خير.. آمين آمين.

والحمد لله رب العالمين

بل نكاح لا سفاح

للشيخ عبد الله بن أحمد البن الحسني

[١٨ تموز ٢٠١٥ – ٢ شوال ١٤٣٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

لما كان إبراء الدين من الكذب والبهتان والتزوير والتحريف هو من أعظم مهمات العلماء، وهي من ميراث النبوة؛ كان الرد على الجاهل الغبي، والضال المضل، واجباً شرعياً يجب تقصيه والعمل عليه.

ويزداد الوجوب وجوباً حين يكون العمل على هذا الضلال متبعاً مطروقاً، كيف وهذا الضلال يتعلق بالدماء والفروج وبأحكامهما، والنبي صلى الله عليه وسلم قال عن النكاح أنه كلمة الله بقوله للرجال عن النساء: (**واستحللتم فروجهن بكلمة الله**)، وكان تصحيح الأنكحة من عمل الفقيه المهتدي، كما ذكر هذا شيخ الشام ومحدثها جمال الدين القاسمي في رسالة له هذا عنوانها.

لكن الضال المبتدع لا ينفك يسعى، مطموساً على قلبه وعقله، في إبطال ما أحل الله تعالى وطيبه؛ وما يفعل هذا إلا نصرة لبدعته وضلاله.

والعاقل العالم يلزم بالباطل ليرى فساد ما يقول فيرجع ويؤوب، لكن الضال يلزم بالبدعة فيلتزمها ويسير وراءها، ولا يزال ينحدر من جرف إلى هاوية حتى يستقر على الكفر والضلال؛ وهذا تحقيق لقوله تعالى: (**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**).

وها هي دولة الضلال والفساد بدأت خصومتها مع المخالفين على الإمارة والقيادة، لكن لما كان مبنى أمرهم على الهوى، وكان دينهم حب السلطان والإمرة= فإن الله جل في علاه أبى إلا أن يسوقهم إلى شر وصف في الخليقة، وأنهم كلاب النار، فنزل أمرهم قبحاً من شق الصف والخروج عن الطاعة إلى الخروج عن السنة والهداية، فصاروا على أسوأ فعل يقع في زماننا وهو: قتل المجاهدين وأولياء الرحمن، وتفجير المساجد، وأعلنوا ردة المخالف،

وكفروا بالطاعات، وصاروا مع أعداء الله في قتل من قام منذ سنين لإحياء الدين ورفع راية الجهاد وتحقيق الوعود الإلهية. ثم ازداد سعارهم اليوم بأن أبطلوا أنكحة الناس، وحكموا على نساء المجاهدين بأنهم زوانٍ!! سبحانك هذا بهتان عظيم!

يمهد بهم الشيطان إلى ما هو أعظم من هذا، والأيام بيننا؛ حيث سيفضحهم الله لأطفال المسلمين وعوامهم، ولن يكون في عدوتهم إلا كل ضال ختم الله على قلبه بالشر والضلال.

وحيث أن إمارتهم من خليفتهم الضال المفسد ومقدميهم قد بان أمرهم، فلم يبق أن يعرف حال من لحقهم من أمثال غزالة الخارجية، فقالت مقالها المجرم الخبيث؛ حيث حكمت على أنكحة المجاهدين مع نسائهم بالزنا، وكان هذا خبثاً جلياً لا يقدر عليه إلا مطموس القلب.

وهي –على ما قال المطلعون– زوجة رجل من رجالهم؛ كان يزعم أنه مسند للجن في رواياتهم الحديث!!، ومن كانت تحت مثل هذا المجنون فماذا سيخرج من فمها، والمرأة إنما تتبع دين زوجها؟!!.

كنت أحب أن يعنون الأخ الحسني مقالته بـ"ردع الأتان عن الحديث في الأحكام والأديان"، ولكن له رأي آخر، أرجو أن يكون هو الأوفق.

وقد كشف في جزئه هذا جهل هذه الخارجية وزوجة مسند الجن في الحديث، وأنها خالفت دين الله وفقه السالفين من العلماء. وقد ألزمها وزوجها، وهو موحي زخرف القول لها، بأن ما حكم به على نساء المجاهدين يلحق آباءهم وأمهاتهم؛ وهذا من قبيل الإلزام فقط، لا الذهاب له كما يعلم هذا طلبة العلم.

وقد ساق ما يكفي من كلام الفقهاء في توصيف الزنا في الفقه المهتدي لا كلام ربقة الشر والغلو والفساد، فجزاه الله خيراً، ونفع بكلمته هذه، وهي من سلاسل الخير والهدى في كشف هذه الفرقة الخبيثة الفاسدة، وأسأل الله أن يجعلها في ميزان عمله الصالح، وأن يهدي بها من أراد.

والحمد لله رب العالمين

الإعلام بوجوب إقامة القضاء عند خلو الزمان من إمام

للشيخ الشهيد عمر رفاعي سرور رحمه الله

[٨ كانون الثاني ٢٠١٦ – ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين، وعلى صحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أنزل الله شرعه وحكمه للناس للعمل به ما استطاعوا لذلك سبيلاً، وجعل أحكامه في قرآنه موجهة للأمة، كما قال تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...**)، وقال سبحانه: (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**)، وهكذا. فلا يوجد أمر إلا وهو موجه للأمة، كإقامة صلاة الجماعة، كما قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...**).

ولما وجه خطابه بإقامة أحكامه للأمم السابقة قال تعالى: (**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ**)، فكان خطابه لأهل كتابه.

وهكذا يعلم طالب العلم أن شرط الفعل هو القدرة؛ فحيث كانت كان حكم الله واجباً، ووضع شروط زائدة هو تقوّل على الله تعالى.

وما وضعت بعض الشروط في وقت إلا لضبطها على وجه الحكمة لا وجه الشرطية، كما يظن بعض الناس؛ فإمامة صلاة الجمعة لما كانت في المسجد الجامع كان من الحكمة في زمن سلطان الإسلام أن يولي هذا المنصب السلطان والأمير، ولو فعلها أحد بغير هذا لعُد افتئاتاً عليه، لا لأن هذا شرطها، بل لأن هذا هو شأن الأمور العامة، وقد وُسّدت للأمير ممثلاً لسلطان الأمة في تطبيق الشرع المنزل أن لا يصار إلى أمر عامة إلا بإذن هذا

الأمير. وهو وجه من الحكمة واضح وبيّن، لا يخطؤه الفقيه والحكيم والناظر.

ومثل هذا أمر القضاء والحكم والحسبة؛ فإنها أمور عامة، ومثل هذه الأمور هي من حق واحد فقط، هذا إذا وجد، مع أن الخطاب للأمة، ويعني هذا أنها هي صاحبة الاختصاص دون غيرها، لكنها وَكّلت الإمام لهذا الفعل فصار من حقه.

هذا هو فهم وجه ذكر الفقهاء شرط الإمامة لمثل هذه الأمور العامة، لا ما ظنه بعضهم أنه شرط صحة في الدين.

ويترتب على الأمرين ما إذا تقدم إمام من جهة جماعة أو من جهة نفسه لإمامة الناس في المسجد الجامع لصحت صلاته وإمامته، مع خطئه في تقدمه على حق غيره، ولكن الجاهل الذي يجعل هذا شرط صحة يبطل إمامته في قول باطل لا دليل عليه، ولا ترضاه أصول الشريعة.

ثم يترتب على هذا كذلك: أنه لو قصر الإمام في هذا الباب تولّت الأمة ذلك؛ لأنه من حقها الذي صار إليها وقد قصّر الوكيل.

وإذا ضعفت الأمة عن هذا قام بهذا جماعة دونها، وأولى الناس بهذا هم العلماء؛ لأنهم هم في الحقيقة أولو الأمر، فالعلماء حكام الحكام في دين الله، وحين ترى غير هذا فهو من التقصير والظلم والفساد.

وهذا الذي قلته في صلاة الجمعة يقال في الجهاد والحسبة والقضاء وكل أعمال العامة في الأمة، وهذا يجب المصير إليه دون غيره في فهم كلام العلماء.

ولا يعدم في تاريخنا أن يخطئ أقوام في فهم هذا؛ فبعضهم وسع دائرة سلطة الإمامة دون مبرر، هذا مع وجود السلطان المسلم؛ ففي مسألة تطليق الزوجة من زوجها الظالم لها، قال الكثيرون: إن هذا من سلطة القاضي الموَسّد له من قبل الإمام، ولو راجعت كتب الفقه لوجدتها على هذا. والفقه: إن هذا ليس سلطة قاصرة على القاضي بهذا المعنى، ولو ربطناه بهذا لفسد الكثير من حياة الناس، فقال شيخ الإسلام بعدم وجود هذا الشرط كما في كتاب "الإنصاف" للمرداوي الحنبلي.

ومن توسع في توسيد سلطان الإمام على أعمال إنما مراده ضبط الحياة لا تعطيل الشرع، فإذا أدى هذا لتعطيل الشرع كان هذا الشرط باطلاً؛ لأنه ليس شرطاً شرعياً للفعل، بل هو عندهم لتقنين الحياة وضبط أمورها، فهو أشبه بالشرط الإداري لا الشرعي.

ولو طولب هؤلاء بالدليل من الشرع لما وجدوا إلا ما قلته هنا، وهو أن هذا ما يحقق دفع الفساد فقط، فلو حمل على الشرط الشرعي فتعطل الدين والحكم فإنه يؤدي إلى ضد مراد الدين ومقصد الشارع.

يفهم هذا كل طالب علم، وعلم موارد الشرع والأحكام، لكن عندما يأتي الهوى يتمسك بالألفاظ، ويتلاعب بالمعاني؛ فلقد رأيت من عطّل صلاة الجمعة لعدم وجود الإمام، أو لشرط دار الإسلام، وما مقصده في هذا إلا اتباع الكسل والبطالة لا غير!!.

واليوم، وقد حكم المسلمون بعض ديار الإسلام التي تغيرت راياتها، وحكمها الطواغيت حيناً، فانفكت عن سلطانها وصارت بأيدي الطاهرين= فإنهم نشطوا لإقامة الأحكام، وتنصيب القضاة للعمل بالشرع الذي أمر الله به هذه الأمة؛ ولما كان الأمر جديداً، وبعض الناس لا يفقه من كتب الفقه إلا كلماتها دون معانيها، ويتعلق بها تعلق الصغار والجهلة= ذهب يبطل هذا الفعل الجليل بعدم وجود شرط الإمام، أخذاً بالألفاظ، وتعلقاً بكلام بعضهم، ولا تدري مراده، إذ الناس في هذا لهم مقاصد متعددة، أخبثها جعل هذا الحديث وهذا التعطيل موجباً لبيعة إمام باطل، أو إمام بدعي سفيه.

وهؤلاء لو قيل لهم: أين الدليل؟ لقالوا لك: هذا شرط كتب أهل العلم؛ مع أنهم يزعمون الاجتهاد!!.

ولو ردوا لكتب أهل العلم في مسائل، لقالوا: العبرة بالدليل!! فما بالهم اليوم ذهبوا ينقبون هنا وهناك في كتب لا يعرفون منها إلا ظواهرها من الحروف في الموطن الذي قصدوه دون غيره؟!!

إن إقامة الشرع المنزل واجب على الأمة، وواجب بشرط القدرة فقط، لا شرط للوجوب غيره. وقد يضع الناس شروطاً لضبط الأحوال، فلا ينبغي جعل هذه الشروط هي شروط الشريعة في كل وقت.

وقد ورد من النصوص الدالة على بروز الصالحين لتطبيقها عند تقصير أو غياب الأئمة عنها، وقد ورد هذا عن

الصحابة رضي الله عنهم؛ كقتل الساحر كما في قصة جندب رضي الله عنه وقصة حفصة رضي الله عنها، وما أنكر عليهم إلا لافتئاتهم على عثمان رضي الله عنه، كما في قصة حفصة عند ابن أبي شيبة، وتستطيع أن ترى قصة جندب في "الإصابة" لابن حجر.

هذا هو وجه الفقه الذي لا يجوز الحيد عنه.

والشيخ عمر رفاعي سرور قد أتحف العباد بهذا البحث القيم المفيد في هذا الباب، وقد أنصف طلاب العلم ونصح لهم، راداً على من خالف في هذا دون علم، وبين وجوه الحق فيها.

ولو قلت: إن قول المخالف بتعطيل إقامة الشرع لعدم وجود الإمام، وجعل الإمام شرط صحة للجهاد والإمامة وإقامة الحقوق والحدود= هو من أفسد ما يطرأ على ذهن طالب العلم، لما أبعدت.

والشيخ الحبيب عمر نقل في كتابه هذا كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية، مفاده أنه لا يرفع مثل هذه القضايا لإمام الجور إن كان ظالماً مقصراً كما في قوله: وقول من قال: لا يقيم الحدود إلا السلطان ونوّابه؛ إذا كانوا قادرين فاعلين بالعدل، كما يقول الفقهاء: الأمر إلى الحاكم؛ إنما هو العادل القادر... وكذلك الأمير إذا كان مضيعًا للحدود، أو عاجزًا عنها؛ لم يجب تفويضها إليه، مع إمكان إقامتها بدونه.

فهذا هو الفقه المكين، وهو الموافق لأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية.

جزى الله أخانا الحبيب ابن الحبيب عمر رفاعي سرور على بحثه هذا، ونفع الله به الأمة، ورفع الله به الدرجات لنا وله.

والشيخ عمر حقيق بمقامات المجاهدين والصابرين وطلبة العلم، نحسبه والله حسيبه، وهو فرع لشجرة الخير أستاذنا الشيخ رفاعي سرور، رحمه الله ورفع درجته في الصالحين.. آمين.

والحمد لله رب العالمين

من الذي انحرف؟!!

للشيخ أبي وضحى البحريني

[٣٠ آذار ٢٠١٦ – ٢١ جمادى الأخرى ١٤٣٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد عاش المجاهدون في وسط الطريق ببيان واضح وحقيقة غالبة، وكانت قوتهم العلمية في تأصيل أعمالهم وحركاتهم سليمة وفي عافية، واستطاعت من خلال الطرح العلمي والعملي أن تجند الشباب لها رغم القيود والملاحقات والدعاية ضدها.

وقد كان الكثيرون من أهل البدع والانحراف يعيشون على هامش هذا السيل المبارك من قادة ورجال وجنود، وقد تمثلت حركة الجهاد برجال وعلم، حتى حققت صورة واضحة في أذهان الناس.

ولطبيعة هذا الحراك والتيار، المتمثلة بالصراع والمواجهة؛ فقد تحول في بعض وقائعه إلى حركة سرية في بعض مناطقه، وهذه تشكل مرات كثيرة فرصة لتطور أغلاط ونشوء انحراف، يأتيها هذا الانحراف من الأطراف الهامشية، وهذه الأطراف أغلبها لا تنسجم مع طبيعة هذا التيار، خاصة ما تعلق بالغلو، إلا إذا تخلى عن أركان العمل الجهادي والدعوي القائم على التجنيد ونشر الأفكار والفقه العلمي الصحيح.

وبسبب القيود استطاع أهل الغلو القفز إلى الدفة وقيادة السفينة، وعامتهم مجاهيل عن عمل الجهاد وتاريخه.

وبهذا الواقع جرت سنة قتل الداعي والإمام والسابق وتشويه صورته؛ لأن قادة الإملاء لا تنشأ إلا بعد الإخلاء، وبهذا صار الزعم أن القادة قد انحرفوا، وأن المشايخ قد باعوا المبادئ، ليصير لهم السبيل فارغاً من

الخصوم، وهذا شأن إخوانهم في تاريخ الإسلام كله.

ومن مكر الله بهم أن يكون لهم الانطلاق الغريب؛ لقدرتهم على سرق الأنظار وقصف الأسماع بكلمات كبيرة جالبة للشباب، وهي فتنة ربانية ككل الفتن التي يصاحبها بعض حلاوة مزينة تغر الضعفاء والجهلة، ثم تنقلب الأحلام الكبيرة إلى رماد آلام وكوابيس ندم.

هكذا كان شأن الغلاة الجدد: بدؤوا بدعوى انحراف الخصم، وبقصف تاريخه، وبتأويل مقالاته، وبنبش اجتهادات له، أصاب فيها وأخطأ كشأن كل عامل ومجتهد؛ وذلك ليقدموا أنفسهم بصورة الحق المطلق، والبراءة التامة من كل خطأ، بل هم الدين والدين هم، حتى يصل بهم القول: إن من يقاتلهم يقاتل الحق.

وبمثل هذه الألوان الفاقعة التي ينشد إليها الجاهل يتم التجنيد والانطلاق القوي في البدايات، ثم تستحيل وهماً مؤلماً.

دعوى انحراف الكبار، والكذب على المخالف أنه بدل وغير، يقابلها أعمال هي عين ما يقذفون به الخصوم؛ ولكن لأنهم الحق الذي لا غلط ولا باطل فيه، فإن أعمالهم لها مذاق الخصوصية التي تجري لهم بخصوصية الجواز، ذلك لأن الآخر نجس مبدل لا ينطلق إلا من كفر وشرك، أو بدعة وانحراف، أما هم فهم الحق، وبالتالي لهم خصوصية تفسير الفعل ليلائم الحق.

وهكذا وهم ادعاء الحق المطلق يسقطهم في كل انحراف رموا به الخصوم.

ثم تشتد المقابلة ويزداد الهجوم حدة حتى يرجع إلى الأصل، وهو الذي ادعى الحفاظ عليه، فيبدأ قصف القيم الأولى كما قصفت المعتزلة الصحابة، فلا يقف الأمر على منحرف جدي، أو تغيير الخلف لدين السلف، بل السلف أنفسهم عليهم مقالات، وأصولهم لم تكن نقية.

هكذا فعل الضالون من المنحرفين في هذا الزمان: ينعقون بأنهم الأتقى، وأنهم حملة الراية، وأنهم الأولى في الانتساب، ثم سار بهم المتلاعبون الذين عاشوا في زمن الأوائل على الهوامش بقصف هؤلاء الأوائل، وهذا واقع بين.

تقول لهم: أليس الناس هم الناس؟!، فيقول لك: لم نكن نعلم بهذه الانحرافات!!

تقول لهم: إن من انتسبتم إليه وادعيتم إمامته ما هو إلا تلميذ حاضركم الذي بقي حياً، ولكن كان القدر بذهاب قوم وبقاء آخرين لا لعلة خير الميت على المتأخر؛ حينها يبدؤون بالتعريض سوءاً بالمتقدم.

هذا الأمر أنشأ سؤالاً لكل باحث: من الذي انحرف؟!

مع صاحب هذا الكتاب ترسل لنفسك أعنتها قارئاً لتحكم بحق وعلم وعدل: من الذي انحرف؟.

لقد تكلمت مع أحدهم حول هذا الأمر، محاولاً أن أفهمه: لا يحق لكم الانتساب لهذا السبيل، بل أنتم دخلاء عليه، وليس لكم سلف، ولذلك تستطيعون القول: إننا اجتهاد جديد، بمبادئ جديدة؛ وبهذا تكفون عن سوق الأكاذيب بقديم الاتباع والتواصل.. فلا أدري أقدرت على إفهامه هذا، لأنه ذهب ولم يعد.

جزى الله جامع هذه الورقات الطيبات في بيان من له الحق في الانتساب لرجال هذا الطريق، ومن أهله، عسى الله أن ينفع بها أصحاب العدل واتباع الحق، المبرئين من الهوى والجهل.

والله الموفق لكل خير.

حاشية على كتاب "الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق"

للشيخ أنس خطاب

[١٢ آب ٢٠١٦ – ٨ ذي القعدة ١٤٣٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قدمت مقدمة لكتاب الشيخ البليدي رحمه الله عن الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق، ثم ناقشت هذا الكتاب ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، وبيّنت في المقدمة والمناقشة أهمية هذا الكتاب وقيمة الرجل العظيم الشيخ البليدي الذي ذهب شهيداً بإذن الله تعالى إلى ربه.

ثم قدّم لي الشيخ أنس خطاب تعليقاته على الكتاب، وهي زيادات أبانت الكثير من مقصد الشيخ والتمثيل لما يقول، فزادته حسناً وطيباً وتقريباً، وهذا الكتاب بما جرّ من نقاش، وما حصل حوله من قبول أو رد، يدل على أهميته وقيمته في هذا الوقت.

وأنا ضد القول بالتدرج في تطبيق الشريعة، فهذه كلمة باطلة في دين الله تعالى. لكن لابد من أمرين، ليتجلى الفرق بين دعاة التدرج وبين حقيقة ما يدعو إليه كاتب هذه المقدمة وما أراده الشيخ البليدي والشارح له هنا، وهما:

أولًا: لا بد من ربط تطبيق الشرع بالقدرة؛ فهي مناط التكليف كالعقل والعلم؛ فمن فقد القدرة والوسع رفع عنه الوجوب الشرعي والتكليف. وهذا بيّن لا يحتاج لكبير شرح، إلا في بعض ما يكتنف هذا الشرط من أمثلة.

ثانيًا: التفريق بين الفتوى وهي مصدر الحكم، وبين مطلق الفقه؛ فالفتوى تخضع للحكم الوضعي والظرف

السني والموانع والشروط أكثر من الحديث الفقهي المجرد. فحين يُعطل حكم شرعي مصدره الفقه، فإنما يعطل بسبب وجود المانع الشرعي أو تخلف شرطه، وحينئذ لا يقال: لم نطبق الشرع!!، بل طبق الشرع، وهو الفتوى، وإن تخلف الحكم الفقهي المجرد عن الظرف السني؛ فترك الوضوء لتخلف الماء لا يعني ترك الشرع، بل هو تطبيق له، لدخول عارض وهو وجود المانع.

وهذا يعرفه العلماء، وبيّن لهم. ولا يقال هنا: هذا هو التدرج في الشريعة!!، بل يقال: نحن طبقنا الشريعة كما أمر الله تعالى؛ ذلك لأن مفهوم التدرج مفهوم سيء غير شرعي، واستخدام أهل الباطل له إنما هو على معنى التخلي عن الشرع على الحقيقة، مع تسكين طلب الناس لهم بتطبيقها.

لكن يوجد من يرفع شعار التدرج على معنى ما ذكرت هنا، ويطلب منهم؛ لاشتباه الحق بالباطل، التخلي عن هذا الشعار لمعنى صحيح كما تقدم.

ما قدمه الشيخ البليدي رحمه الله من علوم في هذا الكتاب على صغره، وعلى كثرة ما كان عليه الشيخ من مشاغل واهتمامات، ومع ما كان عليه من ظرف صعب في بعده عن مصادر العلم وارتياح البال= يدل على معنى التوفيق الإلهي له.

وهذا الذي أقوله في حق الشيخ البليدي، هو ما أقوله في حق أخينا الشارح له؛ فهو على غرزه وطبقته وحاله.

هذا الكتاب سيمتد زيادة بمقدار شارحيه للشباب والإخوان، ولذلك ما قُدم هنا، مما فعله الشارح حفظه الله ووفقه، هو بداية أظن أنه هو سيتابعها وسيزيد عليها بمقدار ما يعرض له من أسئلة عند شرحه، وبمقدار ما يحصل من نقول علمية عديدة.

وهذا عند من تفكر فيه يدل على فضل هذا الكتاب، وبركة علمه، وصدق صاحبنا فيه، وهو أمر مبشّر لمن يدخل اسمه مع اسم الشيخ فيه، كحال أخينا هنا حفظه الله ورعاه، وزاده فضلاً وعلماً.

جزى الله الشيخ البليدي خير الجزاء، وجعل هذا الكتاب في ميزان عمله الصالح مع قبوله في الشهداء.

وجزى الله أخانا الشارح له خير الجزاء، وألحقني وإياه بشهادة الشيخ صاحب الفضل الأول فيه.. آمين.

والحمد لله رب العالمين

مصطلحات خاطئة بين المجاهدين: التلون، التميع، الضبابية

للشيخ أنس خطاب

[٢٢ تموز ٢٠١٧ – ٢٨ شوال ١٤٣٨]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قرأت هذه الورقات، فوجدتها جيدة في التأصيل، ضرورية في التنبيه على أمر مهم جداً، لا يرى آثار أهميته إلا من عانى منه؛ ولذلك صاحب الورقات يعالج حالة واقعية في هذا الباب، وهي التنابز بمصطلحات تفرق بين الناس بغير مفرق شرعي، وتؤدي إلى التنازع دون قدرة المخالف على إثبات سبب شرعي موجب للتنازع الشرعي الذي أقره الشارع؛ ذلك بأن التهمة والتنفير من أمر ديني يوجب أن يكون مرجعه صريح الدلالة في بيان خطأ من اقترفه، ليحصل المقصد في إقلاع مقترفه عنه.

والمرء قد يطلق الوصف والقول في وقت، ولا يرى آثاره، مدحاً أو ذماً، حتى يستقر في الأرض وجوداً دالاً على حقيقته؛ فحينها ربما يقلع المرء عن هذا القول، لعلمه بأثره الذي لم يرده.

وهذا يقع في مثل هذه المصطلحات المحدثة، والتي تطلق ضمن ظرف ما على شيء في نفس صاحبها، فيطورها الآخذ لها على وجه من التوسع الذي يخرجه عن حد طالب العلم المحقق لمعناها في نفسه حين استخدمها أول مرة.

ومن تأمل حال الناس من مجاهدين وغيرهم، يرى خيراً عظيماً في توليهم أمر السعي في رفعة هذا الدين، ولكن لم ييأس الشيطان من التحريش بينهم لتكون القطيعة والوقيعة، فصار استخدام هذه الألفاظ على جهة بينة من الباطل، حتى بمجرد حصول خلاف ما في وسيلة لتحصيل مقصد شرعي متفق عليه –والوسائل لها في الشرع سعة معلومة–، صار المخالف مستخدماً لسلاح المصطلحات المحدثة على غير جهتها.

وإذا جاز استخدام المصطلحات المحدثة بين الناس -وهذا لا ينكره طالب علم-، إلا أنه يجب اعتزالها وهجرها إن استخدمت وسيلة شر وسعاية تفريق، أو إذا بعُد على الناس ضبط معناها على جهة العلم؛ وذلك بأن لم يبق منها إلا الهجو للمخالف في أمر للناس فيه سعة.

ما كتبه الشيخ هنا مبعثه واقع هذه المصطلحات، يقره على ما كتب كل من عاش بين الناس؛ يراهم يتطاعنون بها من غير وجه حق ولا عدل.

وها أنا أنبه مرة أخرى، دفعاً للتهمة عن عالم يعرف أصول العلم ومداخله، ويتصور مسائله كذلك على وجه صحيح، يطلق كلماته على معنى هذا التصور السديد، فيأتي من لم يكن حاله كذلك فيتخذ كلام العلم سلاحاً ستراً لجهله، فهاهنا تقع الخصومات بين أهل الدين الواحد والشريعة الواحدة والسعي الواحد.

وإذا وقع هذا وجب هجر ذلك والتحذير منه.

جزى الله الأخ الشيخ كاتب هذه الورقات، ولا أظن أحداً يسري معها على وجه من إحسان الظن بكاتبها إلا وسيقره عليها، وإلا فالنوايا عند الله تعالى، والكاتب دعانا إلى إجراء ظواهر الناس على ما عُلم من سابقتهم وحالهم.

والحمد لله رب العالمين

أطفال في محاضن الجهاد

للأخت أم عمارة المهاجرة

[٢٠ تشرين الأول ٢٠١٧ – ٣٠ محرم ١٤٣٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

في رحلة الحياة الجهادية تسرق الأخبار الكبرى الأخبار الصغيرة؛ فالأخبار الكبرى كالنصر والهزيمة والتقدم والانحياز، وأعداد القتلى والشهداء، ونوع السلاح وتكتيك الحرب.. وغير ذلك= هذه هي ما يسرق العيون، ويشغل الباحثين، ويسجل في طروس التواريخ. وتنزوي خجلة الأخبار التي تعيش في زوايا الحياة مع النفس والبيت والأسرة، فالحروب أخبار سلاح ورجال، لا أخبار أمهات وأطفال وضعاف.

وهذا لعمر الحق ظلم لجوهر الوجود وهو الإنسان؛ ذلك لأن الحرب والقتال مظهر مادي صارخ مليء بالعنف والصخب، في داخله رجل يحس ويشعر، وبيت يتركه وراءه فيه امرأة مع أطفالها، هم بعد مدة عدة الحياة ورجال الزمن القادم.

هناك جنرالات أخرى في الحروب يعرفها إنسان الحرب نفسه أكثر من غيره، وتصعر خد من لم يعش ألمها بلحظاتها الدقيقة والبطيئة بطء ليل المتألم السهران.

من هذه الجنرالات العظمى: الجنرال زمن؛ وهذا الجنرال هو أقوى أدوات الحروب لمن أتقن المراس معه.

ومن المعلوم أن المسلم هو من أكثر الناس استخداماً له حين يهتدي بهدي القرآن؛ لأن عدته الصبر والتفرس والاستعداد الدائم (خُذُوا حِذْرَكُمْ).

مع الجوانب الخفية لعالم الجهاد تبرز معالم صورة المرأة العظيمة، هذا الجنرال الخفي الذي يستحق نسبة كل انتصار له؛ ذلك لأنها تعيش الصبر والترقب والانتظار بقسوة وألم، لا يمكن لغير زوجة المجاهد وأبنائه في يومنا أن يعرفوا عمقه وقساوته، ذلك لأن هذا الزوج يعيش الغربة، هذه الغربة التي تفقده الأمان والراحة والاستقرار، فكيف وهو فاقد لذلك كله أن يسبغه على من يعول من أهل بيته؟!

فبالله عليك تصور حال هذا البيت المأمول منه أن يصنع سكناً، كيف هو مع واقع الغربة وترقب الأخذ والقتل والسجن في كل لحظة؟!

تسجيل موقف هذا الجنرال الذي يحفظ بيضة المجاهد نفسه، كما يحفظ المجاهد بيضة الجهاد، دين في عنق القادرين على التقاط هذه النسمات والمواقف العظيمة لأمهاتنا وزوجاتنا وأطفالنا، ففي ذلك بعض الوفاء والتقدير وشكر من يستحق الشكر (**ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله**).

لقد آمنت، وأنا أراقب رحلة المجاهدين: قتلاً وسجناً وتطوافاً وترقباً، أن المرأة في هذه الرحلة هي الأعظم والأكبر والأسمى منزلة: تعض على الجمر بلا ضجيج ولا صراخ ولا صخب، تطوي ألمها مع أطفالها لتظهر مع كل صباح بسمة تبذل أشد الوسع لتكون حقيقية من أعماقها.

لقد رأيت هذا ولاحظته في كل بيت ومع كل أسرة، ولست مستمتعاً في هذه الحياة إلا مع تأمل هذه المواقف في داخل بيوت أسر المجاهدين، مع أن تسجيلها ما زال خجلاً ضعيفاً لا يرقى لعشر معشار واقعها.

مع هذه الحياة التي يقوم عليها جنرال حنون؛ له قلب أصلب من الحديد لكنه أرق من النسيم، يجمع بين هذين الحدين بحذق بالغ لا يقدر عليه أعظم الحكماء.

مع هذه الحياة يبرز جنرال زمن ليدرب أطفالاً هم اليوم قطع لحم ضعيفة، لكنهم مع هذا الزمن هم عدة الجهاد غداً، وهم رجاله وأهله وأهل الرفعة فيه.

نحن في أرضنا، وهم وافدون، ونحن وراءنا جدر هذه الأمهات العظيمة، فكل رمح يكسر يسقين من أرواحهن رماح، غيظ العدو بإذن الله.

هذا جانب من جوانب المعركة يعرفه خصومنا، وبذلوا في ضرب أدواته الكثير من الجهد والعرق، ونشروا حوله

شوك المعاصي والخنا والدياثة، لكن صنع الله لغيب ينتصر فيه دينه أقدر وأقوى.

فمن المهم أن يلتفت له رجالنا وقادتنا، ليس لشيء إلا من أجل دخولهم في باب الأجر العظيم، وإلا فصناعة الله قائمة.

هذا الكتاب يلفت نظرنا لهذين القائدين العظيمين: المرأة والوقت.

فالمرأة هي أعظم قواد معركتنا هذه: بصبرها، واحتسابها، وصمتها، ودر ثديها، وبركة رحمها.

وأما الوقت: فهو معنا لأننا في أرضنا، وهو من ينجب لأعدائنا خصوماً أشد من خصومتنا، وحكماء علموا سر الحياة أكثر منا، عاشوا في ظروف الجهاد وحياة الجهاد، ومنذ لحظاتهم الأولى وهو يطرق مسامعهم ألفاظ: الحكم بما أنزل الله، الطواغيت، الشهادة، الجهاد، وهم يعيشون بلا خوف من صورة عسكري تأله في زمن الخنوع، حيث يراقب أكثر من مراقبة الناس لربهم.

إنهما يصنعان الأحرار، وهو وعاء التوحيد والجهاد.

هذا الكتاب ممتع مع هذين العظيمين، ملأ بعض الفراغ الذي نحتاجه، ونبه بحكمة وسكون جناح لأخبار زوايا النسيان في حياة يشغلها أخبار الميادين وصخبها.

جزى الله الكاتبة الأم والأخت خير الجزاء، ونفع بكتابها تحريضاً وشكراً.

والله الموفق.

متى تكون لحوم العلماء مسمومة؟

للشيخ أبي الفضل عمر الحدوشي

[٦ تشرين الثاني ٢٠١٨ – ٢٧ صفر ١٤٤٠]

الشيخ عمر الحدوشي له سبق، واسمه يفعل فعله بذاته، فلا يحتاج إلى غيره ليفتح له مغلقاً، أو يبسط له وعراً ليمشي إلى مستقره؛ ولذلك كانت نفسي تفر فراراً شديداً من أن أجيب طلبه في كتابة كلمة يقدم فيها كتاباً له، وخاصة أن الكاتبين كثر، وأنا أكره الزحام، وأحب الصفقات الخاسرة!! أو المواطن التي يزهد فيها الناس؛ لأنها تلائم حالي، فلست من رجال الصفق العارم، ولا من رجال زحام الأكابر.

ولكن الشيخ كلما كلمني ألحني بعينه، فأستحيي منه وأدعي أني لم أفهم، أو في غفلة عن طرفة عينه العاتبة لي: أين كلمتك في تقديم هذا الكتاب؟

فأوهم نفسي أني نسيت، أو أن الشيخ حفظه الله قد نسي؛ والحق أن هذا زعم ودعاوى، ووهم يستر تحته لجج العتاب المغلف بالحب، فجزاه الله من شيخ غالٍ على النفس.

لست بمستكثر من كلام حول الكتاب؛ فهو يقدم نفسه بنفسه، ويشرح حاله لكل أريب أديب يطلب الفوائد.

ولست بقائل كلمة في حق الشيخ العامل عمر الحدوشي؛ لأني أسأل الله له دائماً السبق والإخلاص والرفعة، وهذا كافٍ مني له، فلا يطمع بزيادة، تؤذيه هو، وهو في غنى عني وعن مزيد إيذائي، فالله يحفظه ويوفقه لما يحب ربنا ويرضى.

وسيبقى باب الكلام عن العلماء ومقاماتهم مفتوحاً، كما سيبقى تحقيق معنى العلم وأهله غير مغلق، وما هذا الكتاب إلا لبنة رائعة في هذا الباب.

أصول وضوابط السياسة الشرعية

للشيخ أبي الفتح يحيى بن طاهر الفرغلي

[٦ تشرين الثاني ٢٠١٨ — ٢٧ صفر ١٤٤٠]

كتب السياسة الشرعية خطيرة الجانب، فهي كالمشي على حد السكين؛ إذ الميل عن الحق فيها ولو قليلاً يوقعك في أحد سبيلي الفساد، فإن تركت هذا الباب فسدت عليك حياتك، وإن فعلتها دون ضابط خرجت عن الدين والحق.

ولذلك هي أحوج ما تكون إلى الحكمة والعقل، وهي أكثر من غيرها تحتاج لضبط قواعدها وأصولها.

وهي لخطورتها تدخل في كل أبواب الشرع، حتى الصلاة؛ فالذين يطلبون من المأموم أن يتابع الإمام في تركه بعض السنن إنما يجرون هذا على أصول وقواعد المصالح الشرعية، وسياسة الحياة، وهذا إذا كان في الصلاة، فهي لما دون ذلك أدخل وأولى.

والناس، كما يعلم طلاب العلم، ومنهم الشيخ مؤلف هذا الكتاب حفظه الله= يرون الإفراط والتفريط في هذا الباب؛ لأن الكثير من السالكين مسلك المصلحة والسياسة قد خرجوا عن أصول الشرع وقواعد الفقه، مما دعا بعض المتدينين إلى إغلاق هذا الباب، وتقريع العاملين فيه، واتهامهم في دينهم.

والعلوم ليس هذا سبيلها؛ إذ لا يقول أحد إن خطأ عامل في علم ما يوجب إصلاح العلم بإغلاقه، بل يكون من الحكمة هو بيان خطأ الفاعل، وإعادة التذكير بقواعد العلم، وتخطئة المخطئ والمتجاوز عنه بالهوى.

وهذا ما فعله الشيخ حفظه الله في هذا الكتاب؛ فقد أبلغ حيث أتى هذا الباب من قواعد العمل بالسياسة الشرعية، وضبط أصولها، وبين خطأ من أخطأ فيها؛ مما يدل على فقهه المكين في هذه المسألة، وأنه أتى إليها من بابها العلمي دون اتباع المفرطين، ودون مسايرة الجافين عنه بالغلط والاتهام. فجاء الكتاب حلقة طيبة في هذا العلم، هذا مع اختصاره؛ إذ الكثير يحتاج إلى شرح، وخاصة لمن لم يكن من أهل العلم، وعذره أنه كتاب أشبه

بالمتن ليشرح للطلبة في حلقات العلم والتدريس.

ومن المعلوم أن علم السياسة الشرعية يقوم على كل العلوم والأصول، فلا يكون المرء محيطاً بهذا الباب حتى يحقق كل العلوم الشرعية وغيرها؛ لأن هذا العلم ضبط للشرع ومعناه، وضبط للواقع ومآلاته وحاله، وهذا منتهى ما يطلب من العلوم، ويحيط ذلك كله ذكاء فطري، وعقل حاضر، ونفس كبيرة علوية.

جزى الله جامع هذا الكتاب خير الجزاء، وجعله الله في ميزان عمله الصالح، ونفع به أمة الإسلام، والمجاهدين منهم خاصة. والكتاب -شهد الله- رائع نافع، وكلماته دالة على فقه صاحبه، وحرصه أن يضبط هذا العلم بعيداً عن فقه النفعيين بلا شرع، وتصلب الجافين بلا عقل.

والحمد لله رب العالمين

صيد التغريدات: سوانح حرف

للشيخ نائل بن غازي مصران

[١٤ آذار ٢٠١٩ – ٨ رجب ١٤٤٠]

التغريد في عالم اليوم فن له في تاريخنا ظلال، يلتقي مع عالم الحكمة، حيث تنطوي تجارب الحياة، وعناء التفكر في كلمة سريعة، لو أرادها المرء شرحاً لطالت وامتدت، ولكن علم الناظرون في فن الكلمة أن البلاغة في الإيجاز، فتلك الكلمة السريعة الخاطفة هي في حروفها قليلة لكنها بالنسبة لصاحبها رحلة طويلة، مع الحياة والمراقبة والمعايشة والتفكر.

في زماننا أجبر الناس على هذا النوع المكثف من القول، فامتحن الناس فيه؛ فمنهم من سبق ونال حظه من الإتقان، ومنهم من انتكس فيه، يحكي لفظ الشارع القائم على سرعة بلا حكمة، وتأدية بلا معانٍ، كأنه يبلغ رسالته على نحو طلب كأس الشاي ولقمة الخبز، ومنهم من ارتقى حتى عاب عليه الأعمش أنهم لا يرونه، ولا يفهمون منه مراده، والعيب فيه بعض الشيء، فهذا ليس زمن الشافعي ولا الجاحظ ولا ابن قتيبة وأضرابهم من علية القوم، بل هذا زمن يسمع لك الكل، وفيهم وفيهم.

بين هذه المتعارضات يقوم قوم يحاولون، فيصيبون، فهم يريدون الحكمة كما هي، ويريدون البلاغة كما هي، ويريدون ذلك كله أن ينتفع به الناس كل الناس، وهؤلاء ولا شك هم إن نجحوا أتى منهم الخير والنفع، وتحققت بكلماتهم البشارة والنذارة.

في هذا العالم عجائب من التزوير والظلم:

فيمكن أن يوهمك أحدهم أن سامعيه بالملايين، وما هو إلا سارق وتاجر ومدعٍ.

ومنهم من هو صاحب كلمة بليغة نافعة، يحارب حتى ييأس متابعوه، فلا يكون له من الطلاب إلا القليل؛ ذلك لأن هذا العالم فيه غلبة الصنائع، وأحكامها، فوراءه الملايين من الأموال، ووراءه سياسيون يراقبون، ويحاربون، ويقاتلون على باطلهم، وفيه وفيه .

من أجل ذلك وجب التكاتف، والتناصح، ووجب التناصر بين أهل الحق في هذا العالم، وهو ظل لمعارك كثيرة، من الأخلاق، والأخبار، والمعاني، فمن الواجب تمثل قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ).

ولو علم أهل الحق ما يبذل من أموال وجهود وتفكر، من أجل عزل أهل الحق عن عالم الكلمة في هذه الساحات= لصدقوا في هذه المعركة خير صدق، ولأخلصوا خير إخلاص، ولأخذوا معناها على أنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، بصورتها الأصلية التي لا تحتاج إلى تكلف.

في هذا العالم الكثير من الصادقين، والمصيبين، والساعين لنشر الهدى، فلهم كل الحب، وكل الخير والتوفيق.

الأستاذ نائل رجل دعوة، نحسبه والله حسيبه، يعيش محنة الصابرين في غزة، ينصر أهل الخير والحق فيها، وأعظم ما رأيته فيه: حب المسلمين؛ فهو سليم الصدر، لا أتصوره ينام وهو يعلم أن مسلماً في الأرض بات وهو غاضب عليه.

كما أنه ممن يبذل وسعه في تحسين بضاعته: إتقاناً، وبذلاً، وتقدمة، مع جهاده الطيب في تحصيل أدوات هذا الإتقان، وهذا البذل، وهذه التقدمة.

ولو قيل لي: إن الأستاذ نائل مصران ممن يحسن هذا العلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يتقن هذا الفن (التغريد)= لما توقفت لحظة في تأييد هذا القول؛ فهو يرعى كلمته كما يرعى صاحب الزرع زرعه، يتأمل ما يقوله الناس، وكيف يؤثر فيهم، فهو لا يلقي كلمته ويمشي، بل يمشي وراءها، ليقيمها أحسن قيام وأرعاه.

الأستاذ نائل شاب، لم يمض من عمره بإذن الله الكثير، ولكنه يتقن صيد الأوابد، فيقيدها بهذه الألفاظ، والتي جمعها هنا، لينتفع بها الناس، محباً أن يراها مقروءة، نافعة، وهو يستحق رعاية ما رعى، ومن قرأ كلماته هنا رأى لها نكهة الإتقان، والرغبة أن يلحق بالحكماء والمجربين.

له الفضل أن يسمح بمشاركة إنتاجه هذا بهذه الكلمات، فمجاورة حامل الطيب يصيبه من هذا الطيب بلا شك، وهو مقصدي في هذا.

جزاه الله خيراً، وبارك فيه، وجمعنا الله وإياه على أحسن الطاعات، وحومة النصر.

والحمد لله رب العالمين

الأقليات المسلمة المضطهدة في العالم

إعداد: جهاد محمد حسن

[١٨ تشرين الثاني ٢٠١٩ – ٢١ ربيع الأول ١٤٤١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالمؤمنون كما قال ربنا إخوة، وهم كالجسد الواحد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولا شك أن الحمى ضربت أجزاء هذا البدن، وأصابه الشر في كل مكان، وتطاول الكفر على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا أسباب داخلية عقلية في نفوس الأمة وعقولها، وهناك أسباب قدرية من تداول الحال، وتناوب الظروف على الخلق، ولذلك قال ربنا: (**إِنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتىَّ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم**)، وهذا لا يعني كما فهم البعض تغيير النفوس داخلياً فقط؛ فهذا لا ينسجم مع أقدار الله تعالى وسننه في الوجود، بل هذا التغيير الداخلي يوجب تغييراً ظاهرياً كما هو شأن العلم النافع في القلوب.

والعقائد العظيمة تفرز سلوكاً عظيماً، والإيمان بالله يصحح سلوك الأفراد والمجتمعات، ولذلك كان تغيير الصحابة بما في نفوسهم حقق تغييراً لحياتهم كلها، فكانوا صنعة وصبغة القرآن.

من العلوم التي نشأت وصار لها اسمها المميز ما أطلق عليه "حاضر العالم الإسلامي"، وقد اشتهرت كتب كثيرة في هذا الباب، ولعل أشهرها هو كتاب الأمريكي "لوثرب ستودارد" الذي علق عليه رحالة العصر وأمير البيان الأستاذ الكبير شكيب أرسلان؛ وقد طاف المعلق على بلاد المسلمين، وكتب عن الثورات الكبرى كجهاد عمر المختار الشهيد طيب الله ثراه وبرد مرقده، وعن مشرق الأمة ومغربها، ورجالها العظماء المعاصرين له، فصار له فضل التعريف بجوانب منسية مغلقة في جغرافية هذه الأمة وتاريخها.

وقد تعاقب بعد ذلك كتّاب على هذا النسق، ويدخل في هذا المعنى كتاب الأستاذ السوري المؤرخ محمود شاكر رحمه الله رحمة واسعة وهو المسمى بـ"التاريخ الإسلامي".

وأما كتاب الأستاذ محمد قطب رحمه الله "واقعنا المعاصر"؛ فهو داخل في هذا النمط على معنى ما، من وصف دين الناس وتاريخ أفكارهم المعاصرة، وهو جانب مهم.

ومن المعلوم أن هذا الاتجاه من العلوم مهم جداً، فهو يعرف حال المسلمين المنسيين والمهمشين هنا وهناك؛ ذلك بأن مركزية العرب في الإسلام، وأن منطقتهم الجغرافية هي التي تشغل بال الناس، وكلامهم ومعرفتهم، لوضع إلهي لا يجهله الناظر. ولكن هناك ملايين المسلمين الذين يجاهدون في سبيل دينهم، ويتعرضون لجرائم فرعونية قاسية، من حقهم على بقية المسلمين أن يطّلعوا على أحوالهم، ويتضامنوا معهم؛ وهذا من لحمة الإيمان المصنوعة قرآنياً، فيكون الدعاء والعمل المقدور عليه في سبيل رد العدوان عنهم.

هذا الكتاب من هذا النوع العلمي المهم والضروري لعلم المسلم وثقافته، وهذا ليس من ترف العلوم، ولا من متع الكتابة، بل هو من الالتزام بالحق، والدين، وضرورات الأخوة في الله؛ ليعلم المسلمون حقيقة الحرب التي يشنها الشيطان وجنده على الإيمان كقيمة علمية، وكواقع إنساني، وكوجود قدري، فيصيغوا واقعهم على فقه القرآن والسنة، وضرورة الواقع السنني.

كان عبد الناصر مجرماً ضد مصر وأهلها، ومن فقهه الشيطاني أنه كان صديقاً لكل عدو للمسلمين في كل البلاد؛ فكان صديقاً ومواليًا للبطريرك مكاريوس حاكم قبرص، والذي قتل المسلمين، وكذلك كان صديقاً لتيتو اليوغسلافي، وهو من المجرمين القتلة في حق المسلمين في البوسنة والهرسك، وكذلك كان مواليًا لروسيا التي حكمت وعادت دين الله في بلاد ما وراء النهر تحت مسمى الاتحاد السوفياتي؛ ولو فكرت بكل مجرم داخل بلاد المركز، وهو عدو فيها لدين الله= لوجدته متواطئاً مع المجرمين ضد المسلمين في تلك البلاد المنسية، وهذا بيّن في زماننا، يعرفه كل من يتابع حال هؤلاء الطواغيت المعاصرين.

تأمل جهل المسلمين بحال أهل السنة في إيران، وكم عانوا من ثورة الرافضة ودهقانها الخميني، ومن تلاه كخامئني، وجهلهم بهذا الأمر كيف أوقعهم في تأييد هذا الطاغوت وحكومته، ولم يكتشف الكثير من المسلمين هذا الإجرام حتى قتلوا المسلمين في العراق والشام.

كل هذا يوجب عليك معرفة واقعك لتحقق معنى الولاء لمن يستحقه، والبراء من الطواغيت، ولا يكون هذا التحقيق إلا بالعلم بحال الناس والأمم، وكيف تعامل دين الله.

جزى الله من قام على تحقيق هذه المهمة الجليلة، من رفع الغطاء عن واقع المناطق المغيّبة والمنسية، من بلاد المسلمين وجماعاتهم، وهي مهمة واجبة، من حققها فله أجره عند ربه.

هذا الكتاب من نوع سلسة حاضر العالم الإسلامي، فخذه على هذا المعنى واشكر لصاحبه، وادع له، فهو يضعك على سبيل هدى وعلم ونور؛ فجزاه الله خير الجزاء، ورفع قدره، وجعل عمله هذا في ميزان عمله الصالح يوم القيامة.

ولو علم القارئ صعوبة الحال التي يتم بها صناعة هذا الكتاب لازداد شكراً لأهله، وهم أحق بذلك.

والحمد لله رب العالمين

تفريغ مناقشة كتاب "موقف العقل والعلم والعالم.."

إعداد: مكتبة دار الكتاب العالمي التركية

[١٩ كانون الأول ٢٠١٩ – ٢٢ ربيع الثاني ١٤٤١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

كانت فكرة مناقشة الكتب ضمن إطار فكري ومنهجي يخدم قضايا الدين كامنة في النفس منذ زمن ما قبل السجن، وككل المشاريع تبدو لمحات تنمو وتتطور، ولكنها تحتاج لتوفيق إلهي؛ فالكثير من المشاريع بدأت مبكراً ولم تنجز، وبعضها كان لمحة ثم تمت ونضجت.

ولقد حاولت في السجن أن أكتب عن هذه الكتب كالمعاجم: يستغرق كل كتاب صفحة واحدة أو يزيد قليلاً، ثم رأيت أن أسجل صوتياً خلال أيام أفرج عني فيها بكفالة؛ ولكن كل ذلك لم ينتهِ لشيء ذي بال، حتى كان أن فتح باب المناقشة، بصورة متطورة في العمل لا في الذهن فقط، وهكذا سارت هذه المناقشات تنمو وتتطور مع كل مناقشة، دون وجود منهج واحد ينتظم جميع هذه المناقشات؛ لأن بعض الكتب يراد منها منهج الكاتب ونواياه ومنتهى مشروعه الكلي لا الكتاب الواحد فقط، وبعضها يتحدث عن موضوع منتظم في كتب متعددة، فالكتاب المختار هو منفذ لقضية كبيرة، ولذلك كان بعض النقد لهذا المشروع يسير في هذا الاتجاه؛ كما أن البعض تصور أن المناقشات تستدعي عرض موضوعات الكتاب وخصوصياته البحثية، ولم يكن المقصود هذا، بل المقصود هو تكوين رؤية نقدية لعالم الفكر والقول في حياة الناس.

كان أعجب النقد الذي وجه لهذه السلسلة أنها لا تختص بالكتاب الإسلامي، بل هي عامة، وقد يكون الفكر لا الفقه أغلب، وقد يكون الإنسان فيها أعم من درس عقائدي تقليدي؛ وهذا من تشوه العقل عند بعضهم، لأننا لا نرى فهماً لعالمنا دون أن نحيط بالفكر كله في عالم الإنسان، ومعركتنا لتثبيت الهوية من جهة ولقراءة الفكر الإنساني من جهة أخرى، ومعرفة المسلمين امتداد المعركة زماناً وفكراً= ضروريات لعودتنا لوراثة

الحضارة والقوة.

كان المقصود تكوين رؤية إيمانية لما يكتب ويقرأ، ونزع الخوف من الكتاب وما فيه، وبعث همة القراءة باعتبارها فعلاً إيمانياً حتى وأنت تقرأ لعدو الإسلام، وتكوين رؤية كلية للوجود بكل أطيافه، مع مقاصد أخرى تتعلق بكل كتاب؛ وهذا ما كان يشغلني، ويلح علي، ولذلك تنوعت ردود الفعل حول هذا المشروع، وإن كان أغلبها إيجابياً، مع وجود وجهة نظر أخرى حياله.

كانت ردود الفعل الإيجابية تزيدني همة لمواصلة الطريق؛ فهو طويل، ويحتاج لمقابل يسمع لك، فلولا شعورك المتزايد، وما يمده من معلومات، أنك تفعل حسناً لفترت الهمة وانقطع العمل؛ كما أن وجود السامع لما تقول يعطي لنفسك معنى الواجب أنك تغرس فعلاً إسلامية للشباب والمتابعين، فتزداد وعياً على أهمية هذا الغذاء، ودرء المفاسد عنه.

أزعم أن هذا المشروع وسع دائرة الفكر عند جماعات عدة، وصنع حواراً وثقافة عند جموع تسمع، وأوجد حالة من العلاقة بين المتكلم والسامع، وصلت لدرجة الأخوة في الله مع رجال يحبون الكلمة ويتعلقون بالكتاب؛ وبالنسبة لي يعد هذا من أهم فوائد هذا المشروع بالنسبة لي، فالكلمة بكل معاناتها صنعت حباً في الله وعلاقة ممدوحة.

في هذا المشروع كانت هناك محطات لمناقشة المشروع نفسه، فرغت لها بعض الحلقات، وتكلمت بما يجلي المراد، وكان بعضها يدور خلال الشرح والعرض، وإن كنت دوماً أترك للسامع حق القول كما يحب حتى لو أسقط المشروع كله؛ فهذا خياره، والفعل الإنساني نسبي الحكم، يتراوح بين التقديس والتدنيس.

ما من كتاب تكلمت عنه إلا له قصة في نفسي، كنت أشير لهذه العلاقة بشكل واضح مع بعضها؛ لأنها كتب تركت عندي بصمات كبيرة في النفس والعقل، وبعضها أترك الحديث عن هذا الجانب من خلال المناقشة العامة.

هناك قضية لا يفهمها البعض، وإن كانت في نفسه، تتعلق بجانبي الفعل: المتكلم والسامع؛ فالمتكلم سيبقى في نفسه دوماً شعور قاهر ومؤلم: إنه لم يقل كلمته الأحب، وهذا مع كل كتاب، ومع كل موضوع، فهو متألم دوماً أنه ضعيف، بل وجاهل وعاجز، فما من كتاب تنتهي منه لطرف زمنه المنتهي، وما من موضوع تتكلم فيه إلا وتحس

–ويغلبك هذا– أن أفضل ما عندك لم يخرج، وقد قصرت، وهذا إحساس –كما تقدم– قاهر ومؤلم، يهون من شأنه أحياناً قول أحدهم لك: أحسنت.

هذا من جهة المتكلم والكاتب؛ وأما من جهة السامع، فتنشأ في ذهنه ردود فعل حول ما قرأ وما سمع، فمرات يشعر أنه بسماعه هذا الكلام صار ملكه، فيستطيع أن يقوله من جهة نفسه، وبعضهم تنشئ الكلمة لديه معاني أخرى غير ما سمع، فيظن أن الكاتب أو المتكلم قصر في بلوغها، وكل هذا من عوارض هذا الفعل القرآني: القراءة. ولن تنتهي هذا المعادلة ما دام فعل القراءة موجوداً، ولكن المجرب العجوز يجابه هذا كله قارئاً وكاتباً بالابتسام له.

كان هناك أمر مهم، شارك هذه الرحلة بعد قطعها مسافة ما، وهو ردود الفعل حول أهمية ما يقال؛ فهناك من مدح مناقشة كتاب دون غيره، مع مخالفة غيره له، والناس أمزجة، ولولا اختلافها لكسدت الأسواق، ومنها سوق الكتب، فالكتب صناعة وتجارة ووراقة؛ ولذلك كلما حدثني متحدث عن هذا المشروع فإنه ينتهي بحسب مزاجه إلى كتاب أو كتب دون غيرها، وكنت أتفهم هذا للسبب المتقدم.

ككل المشاريع التي فيها فاعل وقابل، ومنها الكتابة والقراءة، فإنها تبدأ بأحدهما، فهو صاحب الفعل، ثم تنتهي إلى تحولات تغير الفاعل إلى قابل في أدوار معينة، وصيغ معينة؛ فقد بدأت هذا المشروع لأتكلم أنا ويسمع غيري، ولكن في محطات معينة طلب مني مناقشة مواضيع وكتب، كما نوقشت، فصرت مستمعاً وقابلاً، وكنت أفرح لهذا، لأنه يدل على وجود تأثير إيجابي علي، أستفيد وأفيد، وهذه نعمة عظيمة.

كان من لحظات الألم في هذا المشروع هو ما ألاقيه خاصة عند مناقشة كتب لمعاصرين، فإما الكاتب وإما التابع يريد مني أن أجعل الكتاب ككتاب "الكتاب" لسيبويه، أو "الرسالة" للشافعي، ويريد مني أن أجعل الكاتب هو المفكر الكبير، بل فيه قبس النبوة؛ ولذلك كثيراً ما أتهم ويقال فيّ كلام سيء إذا لم أفعل ذلك.

وهنا أعترف: إنني قد أجلت بعض الكتب ومناقشتها -لمعاصرين- مخافة الهجوم، لعلمي بمطالب الكتّاب وتابعيهم في هذا الشأن، وإن كنت أعلم أن المواجهة قادمة.

كنت أحب أن أبقى مع هذا المشروع حتى نهايته، ولكن للقدر كلمة أخرى، فقد أظلمت علي لحظات مؤلمة حين منعت من مواصلة هذا المشروع والانتهاء منه، والله أسأل أن يتمم المراد ويحقق الخير لي في ديني ودنياي.

والحمد لله رب العالمين

رحلة الحروف: تغريدات الشيخ إبراهيم السكران

إعداد: مؤسسة بيت المقدس

[٣٠ كانون الأول ٢٠١٩ – ٤ جمادى الأولى ١٤٤١]

هنا عالم القرآن..

هذه كلمة تقولها لآحاد من الخلق في زماننا، وتقولها لأمة عظيمة مضت من سلفنا، وحين تفهم هذا تعلم كم خسرنا وفقدنا، وما هي مادة الندرة في الوجود اليوم، إنه عالم القرآن.

لقد بهر الواقفون تحت ظلال القرآن ومع معانيه وهديه عالمَ الوجود كله، فأظهرهم عمالقة عظاماً، حتى صارت لهم لغة فريدة، ومعانٍ خاصة، وصاغ سلوكهم حتى أدخلهم فيه؛ فكانوا على معنى من قبس عظيم لقول الصديقة رضي الله عنها: **كان خلقه القرآن**.

لا يخطئ أحد وهو يقرأ للأستاذ إبراهيم السكران أنه من هؤلاء، ممن يدخلون تحت عالم القرآن: تبهره آياته، كما تسعده كلمات الصدق عنه من غيره؛ فهو سعيد مع سعادة الداخلين تحت عالمه، وهو سعيد بكونه من هؤلاء. وقد تبين لكل واقف من هؤلاء العظماء أن عالم القرآن هو عالم الحق، وعالم الوجود، وعالم الذوق، وعالم الكلمة الصادقة؛ فهم أبصر الناس لفكر، وأصوب الناس لرأي، وأهدى الناس لسبيل.

لقد كتبت عن الأستاذ السكران كلمة، قلت فيها أنه ينحت تحت الظواهر، فهذا سعيه، وهذا جهده؛ فهو لا يقبل المعاني المبذولة، ولا الكلمات التي لا تفرح أهل التذوق، ولذلك صار هذا الرجل علماً يأوي إليه المحبون للإسلام، على معنى صفائه من كل دخن، وعلى معنى إحاطته للوجود؛ فهو يتكلم في الفنون، على هدى وبصيرة، فيأخذها الآخر على ثقة، لأن صاحبها من عالم القرآن.

مع عالم القرآن تكون البركة، ويكون التوفيق، فلهذا صارت كتب الأستاذ تتداولها النفوس، وتوصي بها بعضها بعضاً؛ وذلك من معاني ظهور الحق، ونصرة الله له، وهي مع ميزتها في التربية النفسية والأخلاقية والاجتماعية

تغذي العقل، وتثير الفكر، وترحل لجوانب يحبها الشباب؛ فهذا زمن الفكر، وهو عصر الكلمات والصور.

مع التغريدات التي صيغت على معنى الحكمة يكون الكلام قليلاً، إذ التابع تابع، وفي حضرة المعاني تلتزم بنهجها، فليس من العدل أن يقال أكثر من هذا فيما جمعه جامع هذا الكتاب من تغريدات الأستاذ، وإني لأرجو له سلامة الإياب، وفك الأسر، وإمامة الهداية، حفظه الله ورعاه.

وجزى الله جامعه خير الجزاء.

تفسير سورة العاديات؛ صانعة النفس الانغماسية

للشيخ أواب بن حسن الحسني

[٢٨ أيار ٢٠٢٠ – ٦ شوال ١٤٤١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فإن هذا القرآن له تنزلات مع كل قراءة، ومع كل تلاوة، وفي كل زمن، هي تنزلات العطاء والفتح، ليكون فيها تغيير ما في الأنفس، والذي يتبعه تغيير العالم كله. وكما أحدث هذا القرآن الحدث الآعظم يوم نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذه أعظم جيل في تاريخ الإنسانية؛ فإن كل تغيير لواقع الإنسان إلى الحق والدين لا يكون إلا من هذا القرآن، وكل تغيير هو من قبس التغيير الأول ومن مشكاته، ويكون من هذا القرآن وعطائه ونوره؛ فهذا قدر التاريخ كله بعد نزول هذا القرآن، يفهمه من يفهمه ويجهله من يجهله، ولذلك أعظم الناس في تاريخ هذه الأمة هم أهل القرآن، والذين يؤولونه عملاً وتطبيقاً، بعد تأويله علماً وتفكراً وتدبراً، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وتعلمه).

من أسرار إعجاز هذا القرآن هو أثره الإيماني على نفس صاحبه، يرفعه إنساناً آخر، ليس له نظر إلا إرضاء الله تعالى وتحقيق الجنان في الدار الآخرة. ويكون له بصيرة الفهم لواقعه لما يكون في قلبه من نور الهداية والتعريف والكشف؛ وأنت ترى أن أعظم الناس تغييراً في أزمنتهم هم أهل القرآن، حتى إنهم ليندمون في آخر عمرهم على انشغالهم بغيره، مع أنهم أكثر الناس انشغالاً به، كما كان من سفيان الثوري وابن تيمية والسيوطي، ولا يكون هذا القول منهم حتى تتفجر في نفوسهم حزم النور المبهرة التي تطمس عندها كل الأنوار الأخرى، فيصرخون هذه الصرخات الكبيرة.

نور القرآن الذي يمدح صاحبه هو من فعل إرادته علماً ودافعاً لكشف حال زمانه، وصنع منه عاملاً مصلحاً مجاهداً، وهذا لا يكون إلا ببداية ضرورية هي الأنس بالقرآن، ودوام الصحبة له، حتى يكون من أهل؛، فإن هذا

القرآن عزيز، لا يبذل نفسه، بل هو شامخ عالٍ، يرتقى إليه بالذلة والبذل والسؤال والمجاهدة. ولهذا؛ فإنك إن رأيت مهدياً للقرآن يعالج به نفسه وزمانه، فاعلم أن خبيئات وقته هي مع القرآن، يأنس به حين يأوي إليه؛ وأعظم المعالجات هي البراءة من حب الدنيا وكراهية الموت، ودفع النفس لتبذل شهادة في سبيل الله تعالى.

في هذا الجزء الذي سماه صاحبه بهذا الاسم العجيب "سورة العاديات: صانعة النفس الانغماسية"، ترفع همتك من قراءة هذا العنوان أن هاهنا قرآناً عظيماً، وسورة عظيمة، ومهمة قادمة، فيها أعظم صفقة، هي صفقة الشهادة، يقترن فيها أن هذا العلم ليس متعة ذهن، ولا سياحة كلمات فقط، بل هنا قرآن حي، لقلوب حية، ولمهة هذا الزمان بل أعظم مهماته وهو الجهاد في سبيل الله.

ثم حين تذهب مع كلمات هذا الجزء، فإذا هو مذاكرات مجاهدين، وإرشادات شهيد، في أمكنة خاصة، تصلح لأعظم التنزلات، إذ فيها الزهد والجهاد والشهادة وذكرى الدار الآخرة.

مع هذا الجزء ترى مصطلحات عجيبة: (سورة جهادية)، وقراءة نافذة لكلمات السابقين ليبنى عليها مطالب لزماننا هذا، وهي ضرورة صناعة النفس الاستشهادية، التي تركض إلى الله تعالى سبحانه، لا تلفتت إلا إلى غايتها من رضا الرحمن وبلوغ الجنان.

وحين ترسل نفسك مع الفتح، فإذا هو مضبوط بضبط العلم والفقه، وقواعد التفسير؛ فلا تجاوز لهذه القواعد كما يفعل مدعو القراءات الجديدة للقرآن، فيقولون على الله الباطل، وعلى القرآن الغلط، بل هي قراءة لقراءات السلف الذين نثروا دررهم خفية مع هذا القرآن، كما أن القرآن يعطي في كل وقت نوره لأهله في أزمنتهم المختلفة، وقضاياهم الحادثة.

هذا الجزء فيه العلم المطلوب، والذي فيه شحن الذهن، وتمضية الإرادة، وتغيير النفس وحوادث الزمان، من قوم هم أهله، في أكرم الساحات وأجلها، هي ساحة الجهاد، يسجلها التلميذ من فم الشيخ الشهيد؛ فهي سلسلة الطهر والبركة والعطاء الإلهي، فما أكرمها من كلمات وفتوحات، وما أكرمها من أمكنة، وما أكرمها من نفوس، هي كلها صناعة هذا القرآن الكريم، كلام ربنا الجليل.

ثم تأمل هذه الكلمة (سورة العاديات صانعة...)، فهي عند صاحبها بتوفيق إلهي ترسلك لعملية (صنع) لتعلم نوع السبيل الذي ستسلكه مع هذه القراءة، وهو سبيل الفعل، المبني عن علم وهداية وتوفيق.

لقد علمني هذا الجزء علماً مهماً، وأفدت منه الكثير، وإني لأطلب من كل قارئ لهذا الجزء أن يقرأه على وجه مختلف عن قراءاته الأخرى، هي من نوع قراءة التغيير والعمل؛ فهذا القرآن يقرأ قراءة الإيمان والجهاد والتقوى، وما كان من القراءة التي تضاف إليه فإنها لا تقرأ إلا كذلك. وإذا كانت الإضافة عندهم تكون بأدنى ملابسة كما يقولون، فإن هذه الرسالة مضافة للقرآن بأعلى إضافة وتعلق، فهي من قبسه ونوعه، وقراءتها من نوع قراءة سيدها التي تضاف إليه، تقرأها لتدخل في أهلها، ومكانها وصاحب كلماتها، تقبله الله في الشهداء.

والحمد لله رب العالمين

مما قرأت

للأستاذ أحمد الحمدان

[١٧ حزيران ٢٠٢٠ – ٢٦ شوال ١٤٤١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تلخيص الكتب والتعليق عليها اختصاراً فن قديم، وذلك لوجود سببه وضرورته، وهو لا يخلو من بيان عقل المختصِر وعلمه وقوة منهجه أو ضعفه؛ فما من كلمة يختارها المرء دون سواها إلا وهي كاشفة عن نفس الإنسان ومقدار عقله، كما لا يوجد اختيار لكتاب دون غيره إلا وهو دال على اهتمام أكثر من غيره.

ولذلك ليس في شيء أن اختصار كتاب أو التعليق عليه عمل آلي لا يدخل في عداد الفنون العلمية، بل هو فن وعلم، بل هو كتابة أخرى، ونص جديد، قد يحتاج هو لكلمة أخرى تدرسه وتكشفه، ولذلك ففن الاختصارات وعرض الكتب والتعليق عليها هو إنشاء لنص فيه دلالة علمية وعقلية ومعرفية.

من أجل هذا لا يقال: إن الذهاب لهذا النوع من الفن لضيق وقت القراءة وطلباً للب الكتب، لانشغال المرء؛ وهذا وإن كان عند البعض على هذا المعنى في المختصرات إلا أنه عند الأكثر قراءة أخرى لكتاب آخر، وتاريخ القراءة يشرح هذا تماماً.

وكم من قراءة لكتاب شكلت كتاباً معرفياً جديداً، وعلماً وفناً يستحق البحث والنظر والاهتمام.

والعرض عند هؤلاء يعني المناقشة، وتثوير العقل للقبول أو الرد، أو التقييد والتخصيص؛ ولذلك هو نص جديد.

والقراءة –كما قلت قديماً– تصنع القراءة وتولد القراءة، وهذا شأن لا يجهله من عاش لهذا الفن العظيم، والذي هو من أسمى ما يصبغ سمة الإنسان واسمه السامي في هذه الحياة، وهو من أعظم أعماله وممارساته وشغله الصحيح

وهواياته.

المرء يقرأ التاريخ ويفسره ويناقشه، ويستخرج منه علوماً وقرارات ونتائج، ثم هو يدخل في التاريخ بعد ذلك ويصبح جزءاً منه وعلامة من علاماته؛ وهكذا هي القراءة في مستوياتها المختلفة: تمارس بصورتها الأولى وهي طلب المعرفة، ثم لمناقشة المعارف، ثم لصياغة العلوم، ثم للحياة مع الكلمة التزاماً وسلوكاً، ثم يصبح هذا القارئ مادة للقراءة والبحث، ولبنة من لبنات المعرفة في تاريخ الكتابة والقراءة.

كل الذين صاروا مادة لفن القراءة إنما هم في الأغلب صناعة لهذا الفن، مارسوه ابتداء ثم صاروا هم مادة بحثه.

من أجل هذا؛ فمنفذ صناعة النص مناقشة النصوص، وأرجو أن يصبح صاحب هذا الكتاب يوماً مادة لصناعة نص آخر، يكون هو مادة السؤال والبحث والمناقشة.

وهذا طريق كله جد، وكله صدق، وكله التزام.. تعيشه في الابتداء متعة قراءة، ثم يصبح بعد التزاماً للكلمة، يعيش معها ولها، صادقاً في طلب معالي العلم فيها؛ ليدخل بعد ذلك في سلك العلماء والمفكرين .

هذا ما أرجوه لصاحب هذا العرض الجميل في هذه الورقات، التي استكملت معنى الكتاب، لكتب قرأها وفتشها وذهب في الابتداء لظواهرها وفقراتها، وأرجو أن يكون هذا منه سلماً لمرحلة أكبر وأعلى وأهم.

وفي الختام:

القراءة فن عظيم، وهي الدرجة الأولى لصنع الكبار، والطريق يمتد ليشمل كل المعالي، وكل مطالب العقلاء، وقد سلكه صاحبنا هنا، فليهنأ، وليلتزم، وليفهم أن الكلمة أمانة، وقد مات شهداء من أجلها.

وفقنا الله وإياه لأداء حقها والثبات على أطيب كلماتها: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، وجعلنا الله تعالى من أهل كلماته وكتابه، أهل القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين